
تراث الحلة

جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِيْعِيّ



تُرَاثُ الحِلَّةِ

مَجلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلِّيِّ

تَصْدُرُ عَنِ

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَةُ

قِسْمُ شُؤُونِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ

مَرْكَزُ تُرَاثِ الحِلَّةِ

مُعتَمَدَةٌ لأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ

السَّنَةُ (٩)/المجلَّدُ (٩)/العَدَدُ (٢٧)

شوَّال ١٤٤٦هـ/نيسان ٢٠٢٥م

العتبة العباسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة، مؤلِّف.
تراث الحِلَّة : مجلَّة فصليَّة محكَّمة تُعنى بالتراث الحِلِّي / تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة مركز تراث الحِلَّة.-الحِلَّة، العراق : العتبة العباسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة، ١٤٣٥ هـ. = ٢٠١٤-
مجلَّد : ٢٤ سم
فصليَّة.-السنة ٩، المجلَّد ٩، العدد ٢٧ (نيسان ٢٠٢٥)-
يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.
النصُّ باللغة العربيَّة ؛ ومستخلصات باللغة العربيَّة والإنجليزيَّة.
ISSN: 2412.9615
١. الحِلَّة (العراق)--تاريخ--دوريَّات. ٢. القرآن--تفسير--دوريَّات. ٢. الأدب العربيّ--تاريخ ونقد--دوريَّات. أ. العنوان.
LCC : DS79.9.H55 T87
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
الفهرسة أثناء النشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيْم

[سورة الحجرات، الآية: ١٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

الرقم: ب ت ع/ ٤٦٦٦
التاريخ: ٢٠٢٢/٧/٢٤

No.:
Date:

ديوان الوقف الشيعي / العتبة العباسية المقدسة

م/ مجلة تراث الحلة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم المرقم ٥٢٣٦ بتاريخ ٢٠٢٢/٣/١٥ بشأن مجلتكم واعتمادها لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٢٠٢٢/٧/٣ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى ، واعتباراً من المجلد السادس - العدد الثامن عشر- ٢٠٢٢ وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في أعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط استحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

أ.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير/ وكالة
٢٠٢٢/ ٧ /٢٠

نسخة منه الى:

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت ع/٤٠٠٦ في ٢٠٢٢/٦/٢٩
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر... مع الاوليات
- الصفره

مهند ابراهيم
٤/ تموز

رئيس التحرير

أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ

جامعة الكوفة

مدير التحرير

أ.د. أحمد رشيد وهاب الددة

جامعة بابل

هيأة التحرير

أ.د. صباح عطيوي عبُّود، جامعة بابل

أ.د. يوسف كاظم جغيل، جامعة بابل

أ.د. هاشم جعفر حسين، جامعة بابل

أ.د. عاصم حاكم عبَّاس، جامعة القادسيَّة

أ.د. ستار عبد الحسن جبَّار، جامعة القادسيَّة

أ.د. حازم كريم عبَّاس، جامعة الكوفة

أ.د. حسين عليّ حسين، وزارة التربية

أ.د. سعيد جاسم الزبيديّ، جامعة نزوى، سلطنة عمان

أ.د. عبد القادر ميلود سلّامي، جامعة تلمسان، الجزائر

أ.د. حسام محمَّد نادي أحمد، جامعة الفيُّوم، مصر

أ.د. كبرى روشنفكر، جامعة طهران (تربيت مدرِّس)، إيران

تُراثُ الحِلَّة

مَجلَّةٌ فَصْليَّةٌ مُحكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّراثِ الحِلِّيِّ
مُعتَمَدَةٌ لأَغْراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْميَّةِ
السَّنَةُ (٩)/المجَلَّدُ (٩)/العَدَدُ (٢٧)
شوَّال ١٤٤٦هـ/نيسان ٢٠٢٥م

مدقِّق النصِّ العربيّ
أ.د. عماد جبَّار كاظم
جامعة واسط/كلِّيَّة التربية
مدقِّق النصِّ الإنكليزيّ
م.د. عبَّاس حسن عبيِّس الجبوريّ
المديريَّة العامَّة للتربيَّة في بابل
مسؤول الموقع الإلكترونيّ
حيدر عبد العزيز العنزي
التصميم والإخراج الطباعيّ
أحمد عبد العالي عبد خلف الكعبيّ
الإدارة الماليَّة
ليث مهدي محمود العامريّ
الترقيم الدوليّ
ISSN: 2412.9615

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقيَّة
(٢١٥٨) لسنة ٢٠١٦م
العنوان الوقعيّ
منطقة الشيلة- قرب جسر الهنود-
مدينة الحِلَّة- محافظة بابل-
جمهوريَّة العراق
المراسلات تعنون باسم رئيس التحرير
07827753770
البريد الإلكترونيّ
turathhi@gmail.com
موقعنا على شبكة الانترنيت
http://mk.iq/hillah_heritage/

سياسة النشر في مجلَّة تراث الحِلَّة

مجلَّة (تراث الحِلَّة) مجلة فصليَّة تراثيَّة محكَّمة، تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، وتستقبل البحوث والدراسات للمؤلِّفين من داخل العراق وخارجه، والتي تكون ضمن محاور الآتية:

١. ما يتعلَّق بالحِلَّة، فهو يبدأ من تمصير الحِلَّة على يد صدقة بن منصور (ت ٥٠١هـ)؛ إذ مصَّرها عام ٤٩٥هـ، الموافق ١١٠١م، وينتهي مُسمَّى التراث عندنا إلى ما قبل خمسين عام- استمرارًا.

٢. يكون البحث المقدَّم للنشر ملتزمًا بمنهجيَّة البحث والنشر العلميّ وأخلاقيَّاته وخطواته المتعارَف عليها عالميًا.

٣. أن لا يكون البحث منشورًا، أو حاصلًا على قبول للنشر، أو قُدِّم للنشر في مجلَّة أخرى، ويقوم الباحث بتوقيع تعهُّد خاص بذلك.

٤. لا تقوم المجلَّة بنشر البحوث المترجمة إلَّا بتقديم ما يُثبت موافقة الباحث الأصليّ، وجهة النشر، على ترجمة البحث ونشره.

٥. يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة الكاملة عن محتويات بحثه المرسل للنشر، وتعبِّر البحوث عن آراء مؤلِّفيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلَّة.

٦. يخضع ترتيب البحوث في المجلَّة لاعتبارات فنيَّة تتعلق بهويَّة المجلَّة ومحاورها.

٧. يبلَّغ الباحثُ بتسلُّم بحثه في مدَّةٍ لا تتجاوز عشرة أيَّام، من تاريخ التسليم.

٨. يبلَّـغ الباحث بالموافقة أو عـدم الموافقة على نشر بحثه في المجلَّة خلال مدَّة لا تتجاوز الشهرين، اعتبارًا من تاريخ تسلُّم المجلَّة البحثَ.

٩. لا تُعاد البحوث غير المقبولة للنشر إلى مؤلِّفيها.

١٠. يلتزم الباحـث بإجراء التعديلات اللازمة على بحثه، ووفـق تقارير هيأة التحرير أو المقيِّمين، وإعادته إلى المجلَّة في غضون أسبوع من تاريخ تسلُّمه التعديلات.

١١. جميع البحوث المقدَّمة للنشر تخضع لعملية التقييم العلميّ من ذوي الاختصاص.

١٢. تخضع جميع البحوث المقدَّمة للنشر إلى فحص الاستلال الإلكترونيّ.

١٣. تُنقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ للبحوث إلى المجلَّة، ووفق صيغـة تعهُّد يقوم المؤلِّـف بتوقيعه، ولا يحقُّ لأيَّة جهة أخرى إعـادة نشر البحث أو ترجمته وإعادة نشره إلَّا بموافقة خطيَّة من المؤلِّف ورئيس هيأة تحرير المجلة.

١٤. لا يجوز للباحث سـحب بحثه بعد صدور قرار قبول النشر، ويجوز سـحب البحث قبل صدور قرار قبول النشر، وبموافقة السيِّد رئيس هيأة التحرير حصرًا.

١٥. يُمنح المؤلِّف ثلاثة مستلَّات مجانيَّة مع نسخة من العدد الذي نُشر فيه بحثه.

١٦. يجـبُ على الباحث الإفصاح عن الدعم الماليّ أو أي من أنواع الدعم الأخرى المقدَّمة له عند إجراء البحث.

١٧. يجبُ على الباحث إبلاغ رئيس التحرير عند اكتشافه وجود خطأ كبير في البحث، أو عدم دقَّة بالمعلومات، وأن يساهم في تصحيح الخطأ.

دليل المؤلِّفين

١. تستقبل المجلَّة البحوث والدراسات التي تكون ضمن محاورها المبيَّنة في سياسة النشر.

٢. أن يكون البحث المقدَّم للنشر أصيلًا، ولم يسبق نشره في مجلَّة أو أي وسيلة نشر أخرى.

٣. يعطي الباحث حقوقًا حصريَّةً للمجلَّة، تتضمَّن النشر والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ والخزن وإعادة الاستخدام للبحث.

٤. لا تزيد عدد صفحات البحث المقدَّم للنشر على عشرين صفحة.

٥. تُرسل البحوث إلى المجلَّة عبر بريدها الإلكتروني: (turathhi@gmail.com).

٦. يُطبع البحث المرسل للنشر ببرنامج الـ(Word) أو (LaTeX) وبحجم صفحة (A4)، وبهيئة عمودَين منفصلَين، ويكتب متن البحث بنوع خط (Times New Roman) وبحجم ١٤.

٧. يقدَّم ملخَّص للبحث باللغة الإنكليزيَّة، وفي صفحة مستقلَّة، وأن لا يتجاوز (٣٠٠) كلمة.

٨. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية:

- عنوان البحث.
- اسم الباحث/ الباحثين، وجهات الانتساب.
- البريد الإلكترونيّ للمؤلِّف/ المؤلِّفين.
- الملَّخص.

- الكلمات الدلاليَّة.

٩. يكتب عنوان البحث متمركزًا في وسط الصفحة وبنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٦ Bold.

١٠. يكتب اسم الباحث/ الباحثين متمركزًا في وسط الصفحة وتحت العنوان وبنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٢ Bold.

١١. تكتب جهات الانتساب للباحثين بنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٠ Bold.

١٢. يكتب ملخص البحث بنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٢ / Italic Bold.

١٣. تكتب الكلمات الدلالية التي لايتجاوز عددها خمس كلمات بنوع خط (Times New Roman) وبحجم ١١ Italic/ ﷺustify.

١٤. جهات الانتساب تثبت على النحو الآتي: (القسم، والكليَّة، والجامعة، والمدينة، والبلد)، وبدون مختصرات.

١٥. عند كتابة ملخَّص البحث، تجنُّب المختصرات والاستشهادات.

١٦. عدم ذكر اسم الباحث/ الباحثين في متن البحث على الإطلاق.

١٧. تراعى الأصول العلميَّة المتعارَف عليها في كتابة الهوامش للتوثيق والاشارة بذكر اسم المصدر، ورقم الجزء والصفحة، مع ضرورة أن تكون مرقَّمة ترقيمًا متسلسلًا.

١٨. يلتزم الباحث بالشروط الفنيَّة المتَّبعة في كتابة البحوث العلميَّة من حيث ترتيب البحث بفقره وهوامشه ومصادره، ويجب مراعاة وضع صور المخطوطات لـ(النصوص المحقَّقة) في مكانها المناسب في متن البحث.

١٩. تثبيت قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وحسب صيغة

Harvard Reference Style.

٢٠. جميع الدراسات التي استُشهدَ فيها في متن البحث أو الجداول أو الصور يجب أن تثبَّت بشكلٍ دقيق في قائمة المصادر، وبالعكس.

٢١. يلتزم الباحث/ الباحثون بيانَ فيما إذا كان البحث المقدَّم للنشر قد تمَّ في ظلِّ وجود أيَّة علاقات شخصيَّة أو مهنيَّة أو ماليَّة يمكن تفسيرها على أنَّها تضارب في المصالح.

دليل المقوِّم العلميّ

إنَّ المهمَّة الرئيسة للمقوِّم العلميّ للبحوث المرسلة للنشر، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصُّصه العلميّ بعناية فائقة، وتقييمه وفق رؤى ومنظور علميّ أكاديميّ، لا يخضع لأيَّة آراء شخصيَّة، ومن ثمَّ يقوم بتثبيت ملاحظاته البنَّاءة والصادقة حول البحث المرسل إليه.

قبل البدء بعملية التقويم، يُرجى من المقوِّم التأكُّد فيما إذا كان البحث المرسَل إليه يقع ضمن تخصُّصه العلميّ أم لا، فإن كان البحث ضمن تخصُّصه العلميّ، فهل يمتلك المقيِّم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم، إذ إنَّ عملية التقييم يجب أن لا تتجاوز عشرة أيَّام.

بعد موافقة المقوِّم على إجراء عملية التقويم، وإتمامها في المدَّة المحدَّدة، يُرجى إجراء عملية التقييم وفق المحدِّدات الآتية:

١. هل البحث أصيلٌ ومهمٌّ لدرجة يجب نشره في المجلَّة.
٢. فيما إذا كان البحث يتَّفق مع السياسة العامَّة للمجلَّة، وضوابط النشر فيها.
٣. هل فكرة البحث متناوَلة في دراسات سابقة؟ إذا كانت نعم، يُرجى الإشارة إلى تلك الدراسات.
٤. مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه.
٥. بيان فيما إذا كان ملخَّص البحث يصف وصفًا واضحًا مضمون البحث وفكرته.
٦. هل تصف المقدِّمة في البحث ما يريد الباحث الوصول إليه، وتوضيحه توضيحًا دقيقًا، وهل وضَّح فيها الباحث المشكلة التي قام بدراستها؟.
٧. مناقشة الباحث للنتائج التي توصَّل إليها في بحثه مناقشةً علميَّةً مُقنعةً.

٨. يجب أن تجرى عملية التقويم سرِّيًّا، وعدم اطِّلاع الباحث على أي جانب فيها.

٩. إذا أراد المقوِّم مناقشة البحث مع مقوِّمٍ آخر، فيجب إبلاغ رئيس التحرير بذلك.

١٠. يجب أن لا تكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقوِّم والباحث فيما يتعلَّق ببحثه المرسل للنشر، ويجب أن تُرسل ملاحظات المقوِّم إلى المؤلِّف من خلال مدير التحرير في المجلَّة.

١١. إذا رأى المقوِّم أنَّ البحث مستلٌّ من دراسات سابقة، وجبَ على المقوِّم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة.

١٢. إنَّ ملاحظات المقوِّم العلميَّة وتوصياته سيُعتَمد عليها اعتمادًا رئيسًا في قرار قبول البحث للنشر من عدمه، ويُرجى من المقوِّم الإشارة بشكلٍ دقيقٍ إلى الفقرات التي تحتاج إلى تعديل بسيط يمكن أن تقوم به هيأة التحرير، وإلى تلك التي تحتاج إلى تعديل جوهريّ يجب أن يقوم بها الباحث نفسه.

نموذج تعهُّد الملكيَّة الفكريَّة ونقل حقوق الطبع والتوزيع في مجلَّة تراث الحِلَّة

أنا/ نحن الموقع/ الموقِّعين أدناه، نقرُّ بأنَّ البحث الموسوم:

المقدَّم للنشر في مجلَّة تراث الحِلَّة، هو نتاج جهدي/ جهدنا الخالص، وجميع الآراء والاستنتاجات التي تضمَّنها البحث هي نتاج عملي/ عملنا في مدَّة إنجازه، باستثناء ما تمَّت الإشارة إليه في متن البحث، حيث إنَّ دراسات الآخرين وأفكارهم وآرائهم، التي استُخدمت في هذا البحث، قد تمَّت الإشارة إليها في متن البحث، ووضِعت بدقَّة ضمن قائمة المصادر.

وأتعهَّد/ نتعهَّد بالفهم والتطبيق الكامل لقواعد البحث والنشر العلميّ المعتمدة في مجلَّة تراث الحِلَّة، وأنَّ العمل الذي أدَّى إلى إنتاج هذا البحث قد تمَّ وفق أخلاقيَّات البحث العلميّ المعروفة عالميًا، فضلًا عن ذلك، فأنا/ نحن أتعهَّد/ نتعهد بأنَّ هذا البحث لم يسبق أن نُشِر أو قُدِّم للنشر في مجلَّة أو أيَّة وسيلة نشر أخرى، وأمتلك/ نمتلك الحقوق الحصريَّة الكاملة لنشر البحث لغاية تاريخ توقيع هذا العقد، وبذلك أوافق/ نوافق على نقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ لهذا البحث إلى مجلَّة تراث الحِلَّة، أو مَن تخوِّله هذه المجلَّة.

ت	اسم المؤلِّف/ المؤلِّفون	البريد الإلكترونيّ	التوقيع والتاريخ

ملاحظة: يملأ هذا الحقل في حال كون المؤلِّف مخوَّلًا من بقيَّة المؤلِّفين لتوقيع هذا التعهُّد نيابةً عنهم

إنِّي..... مخوَّل/ مخوَّلة من جميع المؤلِّفين المشتركين معي في هذا البحث للتوقيع على هذا التعهُّد نيابةً عنهم، وأتعهَّد بصحَّة كافة معلوماتي الشخصيَّة التي وردت في هذا التعهُّد، ولأجله وقَّعت.

التوقيع:..... التأريخ:.....

البريد الإلكتروني:.....رقم الهاتف:.....

المحتويات

البحوث العامَّة		
تصحيحُ العلَّامة الحِلِّيّ لطُرُق وأسانيد رجاليَّة	د. جمال الدين حيدري فطرت دكتوراه في علوم الحديث	٢٥
الحِلَّة في عهد دولة الخروف الأسود (القرة قوينلو) ٨١٤/ ٨٧٤هـ	م. د. عبَّاس حسن عبيِّس الجبوريّ مديريَّة تربية بابل	٧٥
أسلوب الاستفهام في ديوان تاج الدين الحسن بن راشد الحِلِّيّ دراسة نحويَّة	أ.د. أمين عبيد جيجان الدليميّ جامعة بابل/ كليَّة التربية عامر عبد نعمة عبدالله	١٠١
أبنية المشتقَّات في كتاب (مَنهج القصَّاد في شرح بانت سعاد) للبجليّ الحِلِّيّ	الباحثة سارة عنيد حسوني جامعة المثنَّى/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة	١٤٣
التحقيق والببلوغرافيا		
رسالةٌ في أصولِ الدِّين العلَّامة شرف الدِّين أبو عبد اللهَّ الحسين بن القاسم الحسينيّ العوديّ (عفا اللهَّ عنه) المتوفَّى سنة ٥٨٠هـ	ناصر سيِّد مزهر المرعبيّ الحسينيّ	١٧٧
إجازات فخر المحقِّقين	م.م. عليّ عبيِّس حسين المعموريّ رئاسة جامعة بابل/ قسم شؤون الطلبة	٢٣٧
البحوث المترجمة		
عرفان السيِّد ابن طاووس دراسةٌ تحليليَّةٌ في الأفكار العرفانيَّة للسيِّد ابن طاووس (القسم الأوَّل)	الدكتور محمَّد هادي فلاح ترجمة: أيُّوب ناصر نعمة مراجعة: أ.د عليّ عبَّاس الأعرجيّ	٢٩٣

الدراسات القرآنيَّة		
الشَّاهد القرآنيّ في الخطاب الأخلاقيّ عند ابن فهد الحِلِّيّ في ضوء كتابه (عدَّة الداعي)	أ.د. حسن كاظم أسد جامعة الكوفة/ كليَّة التربية الأساسيَّة	٣٧١
ظاهرة تأييد الرَّأي التَّفسيريِّ بأقوال اللُّغويِّين عند العلَّامة الحِلِّيِّ (ت٧٢٦هـ) في كتابه (منتهى المطلب) قراءة في النَّقد المنهجيّ في تفسير آيات الأحكام	أ.د. جبَّار كاظم المُلا الباحث أحمد جبَّار المُلا جامعة بابل	٥٥٩
نهج البلاغة والصحيفة السجَّاديَّة		
تحقيقات في المختلف من نسخ نهج البلاغة بين المشهور وضبط الحِلِّيَّين (ابن السكون الحِلِّيّ ت حدود ٦٠٠هـ) و(ابن أردشير الطبريّ الحِلِّيّ حيًّا ٦٨١هـ) (الخطبة الأولى/ القسم الثالث)	أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ مركز تراث الحِلَّة	٥٩٧
نافذة التراث الحِلِّيّ		
(فقهاء الفيحاء وتطوُّر الحركة الفكريَّة في الحِلَّة) تأليف السيِّد هادي حمد آل كمال الدين الحسينيّ (١٣٢٦-١٤٠٥هـ) دراسة وتحقيق أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ	م.د سليمة فاضل حبيب جامعة الكوفة/ كليَّة التربية الأساسيَّة	٦٥٣

البحوث العامَّة

تصحيحُ العلَّامة الحِلِّيّ لطُرُق وأسانيد رجاليَّة

د. جمال الدين حيدري فطرت

دكتوراه في علوم الحديث

Al-Allamah Al-Hilli's Correction of Men's Paths and Chains of Transmission

Dr. Jamal Al-Din Haidari Fitrat

ملخَّص البحث

يـدرس هـذا البحث طُـرقَ العلَّامة الحِـلِّيّ وأسـانيده في دائرة التَّوثيقـات العامَّة، إذ يذكـر العلَّامـة الحِـلِّيُّ في كتابـه الرِّجاليّ (خُلاصة الأقـوال) بعض طُـرق الروايات، وعدَّهـا صحيحـةً، وحاول إيجاد طُرقٍ كثيرةٍ لتصحيحِ تلـك المرويَّات؛ فوثَّق بعضًا من مجهـول الحال، وهذا عكس ما فعله بعـضُ العلماء؛ إذ رفض ذلك، وعارضه، وعلى كلِّ حـالٍ؛ فثمَّـة مناهج للعُلماء في إثبات ذلك ونفيه، وها أنا أسـعى في هذا البحث إلى ذِكر نظريَّـات المُوافقين لقاعدة التَّوثيق العامّ، والمخالفين لها، وما يتعلَّق بهما من إشـكالاتٍ، ورُدودٍ.

Abstract

This research studies the methods of Al-Allamah Al-Hilli and his chains of transmission in the circle of general documentation, as Al-Allamah al-Hilli mentions in his book of men (Khulasat Al-Aqwal) some methods of narrations, and considers them correct, and tried to find many ways to correct those narrations; so he documented some of those whose status is unknown, and this is the opposite of what some scholars did; as they rejected and opposed that, and in any case; there are methods for scholars to prove and deny that, and here I am seeking in this research to mention the theories of those who agree with the rule of general documentation, and those who disagree with it, and what is related to them of problems and responses.

تقديم

يُعرَّفُ علمُ الرِّجال بأنَّهُ العلمُ الباحث عن أحوالِ الرُّواة من جهةِ الوَثاقةِ، والضَّعفِ.

ويعتمد التَّوثيق والتَّضعيفُ على قواعد كليَّة، ولا يعتدُّ بالتَّوثيقات الجُزئيَّة في تشخيص ذلِك، ومنه يدخلُ الراوي في أيِّ الصَّنفينِ، ومن ثمَّ يُعتدُّ به أمْ لا.

فمثلًا من طُرُقِ[1] التَّوثيقات للرُّواة: المشايخ أصحاب الإجماع الثَّلاثة، ومشايخ (ابن قالويه رحمه الله) في كتابه (كامل الزيارات)، وثمَّة قواعد في المقام هي معيارٌ، وميزانٌ للتَّوثيق وعدمه، كما هو مفصَّلٌ في مظانِّه.

وممَّا يُثارُ من بعضِ العُلماء المُتأخِّرينَ على المُتقدِّمين إشكالاتٌ على منهجهم في تقييم الرُّواة، وما يتعلَّقُ بذلك، الأمر الذي ترك فُسحةً منْ إعادة النَّظر في التَّوثيقات، والتَّضعيفات للرُّواة عند القُدماء.

وممَّا أشكله متأخِّرو المُتأخِّرين على طريقة المُتقدِّمين مثلًا التَّوثيق العامِّ لمشايخ الشَّيخ الصَّدوق، والنَّجاشيّ، من قبيل توثيقهم أصحابِ الإمام الصَّادق عليه السلام.

(١) لفظ (طُرُق) جمع (طريق)، وهو أمرٌ مادِّيّ، وأمَّا الأمور المعنويَّة فهي طريقة، وجمعها (طرائق)، وقد سمعت من الدكتور حسين عليّ محفوظ أنَّ هذا الجمع صحيح؛ لأنَّه غدا مصطلحًا له أصوله وقواعده، يعني بذلك ما تعارف عليه أهلُ الفنِّ هو الطرق، ولكنِّي وجدت أنَّ هذا اللفظ (طرائق) مستعمل عند كتَّاب الحديث، والفقه. انظر: السرائر: ١/ ٣٦٧، النهاية ونكتها: ٣/ ١٩٧، وغيرها.

وكذلك عـدَّ العُلماءُ المُتأخِّرون طُـرقَ العلَّامة الحِلِّيّ وأسـانيده فِي دائرة التَّوثيقات العامَّة.

وذكـر العلَّامة الحلّيُّ في كتابـه الرِّجاليّ (خُلاصة الأقوال) بعـض طُرق الرِّوايات، وعدَّهـا صحيحـةً، وحاول إيجاد طُرقٍ كثيرةٍ لتصحيحِ تلـك المرويَّات؛ فوثَّق بعضًا من مجهول الحال، وهذا عكس ما فعله بعضُ العلماء؛ إذ رفض ذلك، وعارضه.

وعـلى كلِّ حالٍ؛ فثمَّة مناهـج للعُلماء في إثبات ذلك ونفيه، وها أنا أسـعى في هذه المقالة إلى ذكر نظريَّات المُوافقين لقاعدة التَّوثيق العامِّ، والمخالفين لها، وما يتعلَّق بهما من إشكالاتٍ، ورُدودٍ.

مُستندُ التَّوثيق

أشـار العلَّامة إلى المبْنى المُتقدِّم في خاتمـة كتابه (خُلاصة الأقوال) في ضمنِ الفوائد الثمانية عند حديثه عنْ طُرق (الشَّـيخ الصَّدوق)، و(الشَّـيخ الطُّـوسيّ)، قال: «اعلمْ أنَّ الشَّـيخَ الطُّوسيَّ ﷺ ذكر أحاديث كثيرةً فِي كتابي(التَّهذيب، والاسـتبصار) عن رجال لم يلقَ زمانهم؛ وإنَّما روى عنهم بوسـائط، وحذفهـا في الكتابَينِ، ثُمَّ ذكر في آخرهما طريقَه إلى كلِّ رجلٍ ممَّا ذكرهُ في الكتابَينِ، وكذلكَ فعلَ الشَّيخُ أبو جعفر ابن بابويه، ونحنُ نذكرُ في هـذه الفائدة على سـبيل الإجمال صحَّة طُرقهما إلى كلِّ واحـدٍ، واحد ممَّن يوثقُ به، أو يحسن حاله، أو وُثِّق، وإنْ كانَ على مذهبٍ فاسدٍ، ولم يحضرْني حالُه دون من ترد روايته، ويـترك قولَه، وإنْ كان فاسـد الطَّريق ذكرنـاه، وإن كان في الطريق من لا يحضرنا معرفة حاله من جرحٍ أو تعديلٍ تركناه»[1].

ثُـمَّ عرض لطُرق الشَّـيخ الطـوسيّ واحـدًا تلو الآخر، وكـذا الشَّـيخ الصَّدوق،

(١) خلاصة الأقوال في معرفة أحوال الرجال: ٢٧٥-٢٨١.

وحكم على كلٍّ منها بما هو صحيح، وما هو دون ذلك وإليك نصّه: «فطريقُ الشَّيخ الطوسيّ في التَّهذيب إلى محمَّد بن يعقوب الكلينيّ صحيح..

وطريق الشَّيخ أبي جعفر محمَّد بن بابويه في كتاب من لا يحضره الفقيه إلى عمَّار السَّاباطيّ قويٌ..»[1].

وبعد ما بيَّن طريق الشَّيخَين، ختم كلامَه بقوله: «فهذا ما خطر لنا الآن من حال هذه الطُّرق في الكتب الثَّلاثة، وقد تختلف طُرقٌ أُخرى في الكتب بيَّنَّاها أيضًا إنْ حضرنا حال رواتها من جرحٍ، أو تعديلٍ»[2].

وبحثَ العلَّامة في هذا السِّياق سبعةً وعشرين طريقًا لكتاب (تهذيب الأحكام)، وستة وعشرين طريقًا لكتاب (من لا يحضره الفقيه)، وفي هذا المجال أدلى بأحكامه حول هذه الطُّرق؛ فمنها من صحَّحها، ومنها من حسَّنها، ومنها من ضعَّفها، ومنها من قواها.

إذ قال: «فطريق الشَّيخ الطّوسيّ في التَّهذيب إلى محمَّد بن يعقوب الكلينيّ صحيح»، و«إلى الحسن بن محمَّد بن سماعة قويٌ»، و«طريق الشَّيخ أبي جعفرٍ محمَّد بن بابويه في كتاب من لا يحضره الفقيه إلى.. جابر بن يزيد الجُعفيّ ضعيفٌ»، و«طريق الشَّيخ الطوسيّ في التَّهذيب إلى.. الحسن بن محبوب حسنٌ»[3].

والجدير ذكرُه هنا أنَّ العلَّامة نحا في مواضع متفرِّقة الطَّريقة نفسها؛ فمثلًا: في ترجمة (حسين بن عبدويه)، بعد نقل قول الكشيّ فيه، قال: «وهذا سندٌ صحيحٌ»[4].

(١) خلاصة الأقوال: ٢٧٦.
(٢) المصدر نفسه: ٢٨١.
(٣) المصدر نفسه: ٥٢.
(٤) المصدر نفسه: ١٧٨.

وكتب ﷺ في ترجمة (واصل): «والسند صحيحٌ»[1].

وينبغي لتقرير مبنى التَّوثيقات العامَّة من بيان بعض المطالب، وهي:

١. معنى الحديث الصحيح:

لا يخفى عليك أنَّ اصطلاح المتقدِّمين للحديث الصحيح يختلف عمَّا يقوله المتقدِّمون.

أمَّا القدماء فيُطلقون الصَّحيح على كلِّ حديثٍ اعتضد بما يقتضي اعتمادهم عليه.

وعلى هذا فكلُّ حديثٍ لا يقترن بقرائن الحجيَّة عند هؤلاء العلماء يُعدُّ ضعيفًا، وكلُّ حديثٍ يقترن بهذه القرائن، فهو صحيحٌ، وحجَّةٌ.

واستمرَّ هذا المعنى للصَّحيح إلى القرن السَّادس، وبدخول القرن السَّابع نشأ اصطلاحٌ آخر.

ولـمَّا فُقِدت في القرن السابع والثَّامن الكتبُ، والمصادرُ الأولى؛ فمن الطبيعيّ التوسُّل بالقرائن في تصحيح الأحاديث، ومن جهةٍ أُخرى تطوَّر علمُ الأصول، والفقه، وتداخل علماء أبناء العامَّة مع علماء الشِّيعة؛ فظهرتْ أحاديث صحيحةٌ، وغير صحيحةٍ.

وفي خِضَمِّ هذه الأجواء، تصدّى السيِّد أحمد بن طاووس، وتلميذُه العلَّامة الحِلِّيّ للتَّدوين، وتنظيم علم الحديث، ودخل علمُ الرِّجال في مرحلةٍ جديدةٍ.

والغرض: أنَّه ظهر الاصطلاح الجديد لمصطلح (الحديث الصَّحيح) في زمن السيِّد

(١) خلاصة الأقوال: ١٧٨.

أحمد بن طاووس (ت٦٧٣هـ)، والعلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ)؛ فالصَّحيح عندهم، هو: الخبرُ الذي يتَّصل بالمعصوم، ولا بدَّ أن يكون جميعُ رواته من العدول الإماميَّة في كلِّ الطَّبقات.

يقول الشَّيخُ البهائيّ (ت١٠٣١هـ) فيما يتعلَّق في تغيُّر هذا الاصطلاح، وعلَّته، وشروطه: «الذي بعث المتأخِّرين نوَّر الله مراقدَهم، على العدول عن متعارف القُدماء، ووضْع ذلك الاصطلاح الجديد، هو أنَّه لـمَّا طالتِ الأزمنةُ بينهم، وبين الصَّدر السَّالف، وآل الحالُ إلى اندراس بعضِ كتب الأُصول المُعتمدة؛ لتسلُّط حكَّام الجَور، والضَّلال، والخوف من إظهارها، وانتساخها، وانضمَّ إلى ذلك اجتماع ما وصل إليهم من كتب الأصول في الأصول المشهورة في هذا الزَّمان؛ فالتبست الأحاديث المأخوذة من الأصول المعتمدة بالمأخوذة من غير المعتمدة، واشتبهتِ المُتكرِّرة في كتب الأصول بغير المتكرِّرة، وخفي عليهم (قدَّس الله أرواحهم) كثيرٌ من تلك الأمور التي كانت سبب وثوق القدماء بكثيرٍ من الأحاديث، ولم يمكنهم الجري على أثرهم في تميُّز ما يُعتمَد عليه ممَّا لا يركَن إليه؛ فاحتاجوا إلى قانون تتميَّز به الأحاديث المعتبرة عن غيرها، والموثوق بها عمَّا سواها؛ فقرَّروا لنا- شكر الله سعيهم- ذلك الاصطلاح الجديد، وقرَّبوا إلينا البعيد، ووصفوا الأحاديث الموردة في كتبهم الاستدلاليَّة بما اقتضاه ذلك الاصطلاح من الصَّحَّة، والحسن، والتَّوثيق»[1].

ثُمَّ قال: «وأوَّل مَن سلكَ هذا الطَّريق من علمائنا المتأخِّرين شيخُنا العلَّامة جمال الحقِّ والدِّين، الحسن بن المطهَّر الحِلِّيّ قدَّس الله روحه، ثمَّ إنَّهم- أعلى الله مقامهم، ربَّما يسلكون طريقة القُدماء في بعض الأحيان، ويصفون مراسيل بعض المشاهير، كابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى، بالصِّحَّة، لـمَا شاع من أنَّهم لا يرسلون

(١) مَشرِق الشَّمسَين وإكسير السَّعَادَتَين مع تعليقات الخواجوئيّ: ٣٠.

إلَّا عمَّـن يثقون بصدقه؛ بل يصفون بعض الأحاديث الَّتي في سـندها من يعتقدون أنَّه فطحـيّ، أو نـاووسيّ، بالصِّحَّة، نظـرًا إلى اندراجه فيمن أجمعوا عـلى تصحيح ما يصحُّ عنهم»[1].

وعليه، نشأ للحديث الصَّحيح اصطلاحٌ جديدٌ في عصر العلَّامة، وهُجِر المصطلح القديم له.

والملاحَـظ أنَّ العلَّامة في مؤلَّفاته الرِّجاليَّة، والحديثيَّـة لم يعرفْه، وإنَّما ذَكَره بنحوٍ مُجملٍ في أوَّل تأليفاته الفقهيَّة في سـياق كلامه حول تقسـيم الحديث، وما إلى ذلك، قال: «وقـد يأتي في بعـض الأخبار، إنَّه في الصَّحيـح، ونعني به: ما كان رواتـه ثقات عدولًا، وفي بعضها، في الحَسـن، ونُريد به: ما كان بعض رواتـه قد أثنى عليه الأصحاب، وإنْ لم يصرِّحـوا بلفظ التَّوثيق له، وفي بعضها في الموثَّق، ونعني به: ما كان بعض رواته من غير الإماميَّة، كالفطحيَّة، والواقفيَّة، وغيرهم، إلَّا أنَّ الأصحاب شهدوا بالتَّوثيق له»[2].

ومـا بعد العلَّامة، أوَّل من عرَّفه تعريفًا دقيقًا، هو الشَّـهيد الأوَّل (ت٧٨٦هـ)، قال: «الصَّحيح ما اتَّصلت رواتُه إلى المعصوم بعدلٍ إماميّ»[3].

وأضـاف الشَّـهيدُ الثَّـاني (ت٩٦٦هـ) عـلى هـذا التَّعريف بعض القيـود، بعد ما ورد عليه من إشـكالات، وأضحى التَّعريف بعد تعديله من الشَّهيد الثَّاني بمنأى عن الإشـكالات، قال: «الصَّحيح ما اتَّصل سـندُه إلى المعصوم بنقل العدل الإماميّ عن مثله في جميع الطَّبقات، حيث تكون متعدِّدة، وإنِ اعتراهُ شذوذٌ»[4].

(١) مَشرِق الشَّمسَين وإكسير السَّعَادَتَيْن: ٣١.
(٢) منتهى المطلب في تحقيق المذهب: ١/ ١٠.
(٣) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ١/ ٤٧.
(٤) الرعاية في علم الدراية: ٧٧.

ومن هنا ينقدحُ سؤالٌ في الذِّهن: هل إنَّ العلَّامة يُطلق اصطلاح (الحديث الصَّحيح) على من كان رواته كلُّهم عدول وإماميَّة؟.

فعندما يقول: «هذا سندٌ صحيحٌ»؛ فهل لا بدَّ أن يتَّصف الرُّواة بصفَتَين، هما: العدالة، والإماميَّة؛ كي يكون الخبرُ صحيحًا؟.

وفي حال وجود في سلسلة الرواة فطحيّ، أو واقفيّ، أو من أبناء العامَّة و.. أفلا يُطلق عليه أنَّه صحيحٌ، وإذا ما أطلق عليه، فهو خطأٌ؟.

في مقام الجواب للمحقِّقين من علماء الرِّجال نظريَّاتٌ، وبحثٌ في هذا النِّطاق؛ فمنهم من يصحِّح ذلك على أساس وثاقة الرَّاوي، وينظر لحسن حال الرَّاوي، ومنهم من لا يرى فائدة تُذكَر في هذا المجال.

٢. متعلّق التَّصحيح:

وقع بحثٌ بين العلماء حول إثبات أساس ومساحة تصحيحات العلَّامة، فما هو نطاق تصحيح العلَّامة؟.

أهو (سند) الرِّوايات، أم (طريق) الشَّيخَين؟.

ويُفترَض أن نوضِّح الفرق بين الأمَرين، ومن ثمَّ نعرض النَّظريَّات في المقام، ونرى أيُّها الصَّواب.

لا شكَّ في أنَّ (الطَّريق) هو جزءٌ من (السَّند) لا تمامه، ولذا إذا قلْنا: تشملُ تصحيحات (العلَّامة) الطُّرُق؛ ففِي هذه الحالة يمكن أن يكون راوٍ ضعيفًا في آخر السَّند؛ فمعه يكون طريقُ الشَّيخ الطوسيِّ صحيحًا في نظر العلَّامة، ومن ثمَّ يكون رواةُ السَّند من الشَّيخ الطوسيّ إلى الرَّاوي كلُّهم عدولًا إماميَّة، وإلى الرَّاوي الأخير، وهو

متعلّقٌ للتَّصحيح سـند الرِّوايات، ويُطلق عليه(ثقة)، (عادل إماميّ)، وفِي هذه الصُّورة يُقال له خبرٌ صحيحٌ.

والفرقُ بين المبنَيَينِ نوضِّحُه عبرَ المِثال الآتي:

أحيانًا نقـولُ: «في صحيح زرارة»، وهذا يدلُّ على صحَّة السَّـنَدِ، وتارةً نقول: «فِي الصَّحيح عن زرارة»؛ فهذا يُطلقُ عليه صحَّةُ الطَّريق.

وفي ضـوء ما تقدَّم، هناك نظريَّتـانِ فِي تعيين متعلّق الصحَّة في تصحيحات العلَّامة الحِلِّيّ.

وذهب بعضُ المُحقِّقين في علم الرجال إلى ترجيح صحَّة السَّند، قال: «لكنَّ احتمالَ إطلاق الصحَّة على الطَّريق بعيدٌ؛ بل غيرُ جارٍ فِي المقام.

وربَّما جعل الفاضلُ التِّسـتريّ في بعض تعليقـات الخُلاصة صحَّة الطَّريق من باب الصحَّة الإضافيَّة»[1].

ولكـن إذا مـا دقَّقنا في عبارات العلَّامة في الفائـدة الثامنة من خاتمة كتابه (خلاصة الأقـوال)، يلاحَـظ اسـتعمالُه للطَّريق لا للسَّـند، مثلًا يقـولُ: «.. طريق الشَّـيخ إلى.. صحيح»، و«وطريق الشَّـيخ إلى زُراعة صحيح، وإن كان زراعة فاسـدَ المذهب، إلَّا أنَّه ثقـةٌ»، وأيضًا قال: «والطَّريق إلى عبد الكريم بن عمـر الخثعميّ صحيحٌ، وعبد الكريم واقفيٌّ ثقةٌ».

ولم نلحظِ استخدامه السَّندَ حتَّى يكون مسوِّغًا للحمل عليه، وخصوصًا إذا علمنا أنَّه يصحِّح مع كون من في السِّلسـلة فاسد المذهب، وهذا لا ينسجم مع إطلاق الصحَّة على السَّند[2].

(١) الرسائل الرجاليَّة (للكلباسيّ): ١/ ٢٣٩.

(٢) هذا فيما لو كان العلَّامة اسـتخدامه للصحيح في عُرف المتأخِّرين، وأمَّا اذا كان اسـتخدامه لِما=

٣. ثمرة البحث:

إذا صحَّ هذا المبنى بعنوان أنَّه من التَّوثيقات العامَّة الرِّجاليَّة، تظهر ثمرته في باب (الجهل)، و(الإهمال)، و(التَّرجيح).

توضيحُ ذلك:

إذا قلْنا إنَّ تصحيح العلَّامة موافق لمبنى القُدماء؛ ففي هذه الحالة لا ثمرةَ من البحث.

ولكن إذا كان هناك رواةٌ في السَّند، وفي الكتب الرجاليَّة غير موجودين (مجاهيل)، أو تعرَّض لهم علماء الرجال، إلَّا أنَّهم لم يوثِّقوهم، أو يضعِّفوهم (مُهملين)، حينها يمكن الاستفادة من هذه القاعدة؛ لتوثيق هؤلاء.

وأيضا تظهر الثَّمرة في (باب التَّرجيح)؛ فعبر هذا التَّصحيح في حال تعارض كلام بعض علماء الرِّجال مع آخرين، يمكن أن يكون كلام العلَّامة مؤيِّدًا أحد الطَّرفَينِ.

تاريخ النّظريَّة

لا يمكن لنا الجزم في مَن وضع مبنى التَّوثيقات العامَّة في علم الرِّجال! ولكن بعد التتبُّع في الكتب المُختلفة، يمكن لنا رصدُ أوَّل من نظَّر له وعدَّه مبنى؛ فما أورد المرحوم الفاضل الكاظميّ في تكملة الرجال من أنَّ أوَّل مَن أشار لهذا المبنى في تأليفاته هو المُقدَّس الأردبيليّ (ت٩٩٣هـ)؛ فبعد ما نقل كلام الشَّيخ البهائيّ في (مشرق الشَّمسَين)، وأشار إلى هذا المبنى، قال: «وكذا المُقدَّس، يعني الأردبيليّ رحمه الله، باعتماده في التَّوثيق على التَّصحيح»[1].

=كان عليه المتقدِّمون، لا يمكن تسجيل هذه الملاحظة حينئذٍ.

(١) تكملة الرجال: ١/ ١٦٧، نقلًا عن خاتمة المستدرك (للمحقِّق النوريّ): ٤/ ٣٩٣.

وبعد المُقدَّس الأردبيليّ، أوَّل من طرح هذا المبنى الشَّـيخُ البهائيّ(ت١٠٣٠هـ) في ضمن إشـارته لهذه القاعدة، وقبوله إيَّاها، قال: «قد يدخل في أسـانيد بعض الأحاديث مَـن ليس لـه ذِكرٌ في كتب الجـرح والتَّعديل، بمـدحٍ، ولا قدح، غـير أنَّ أعاظم علمائنا المتقدِّمين (قدَّس الله أرواحهم) قدِ اعتنوا بشـأنه، وأكثروا الرُّواية عنه، وأعيان مشـايخنا المتأخِّريـن (طـاب ثراهم) قد حكموا بصحَّـة رواياتٍ هو في سـندها، والظَّاهر أنَّ هذا القَدر كافٍ في حصول الظنِّ بعدالته، وذلك مثل (أحمد بن محمَّد بن الحسن بن الوليد)؛ فـإنَّ المذكور في كتب الرِّجال توثيق أبيه، وأمَّا هو فغير مذكورٍ بجرحٍ، ولا تعديلٍ، وهو من مشايخ المفيد، والواسطة بينه وبين أبيه، والرواية عنه كثيرةٌ.

ومثـل (أحمد بن محمَّد ابن يحيى العطَّار)؛ فـإنَّ الصَّدوق يروي عنه كثيرًا، وهو من مشايخه، والواسطة بينه وبين سعد بن عبد الله.

ومثل (الحسـين بن الحسـن بن أبان)؛ فإنَّ الرواية عنه كثيرة، وهو من مشايخ محمَّد ابن الحسـن بن الوليد، والواسـطة بينه وبين الحسـين بن سعيد، والشَّـيخ عدَّه في كتاب الرِّجال تارةً في أصحاب العسـكريّ عليه السلام، وتارةً فيمن لم يـروِ، ولم ينصَّ بشيءٍ عليه، ولم يقفْ على توثيقه إلَّا في غير بابه في ترجمة محمَّد بن أورمة.

والثابـت أنَّ عبـارة الشَّـيخ هنـاك ليسـتْ صريحـةً في توثيقـه، كـما لا يخفـى على المتأمِّل.

ومثل (أبي الحسـين عليّ بن أبي جيد)، فإنَّ الشَّـيخ رحمه الله يُكثِر الرِّواية عنه، لاسـيَّما في الاستبصار، وسنده أعلى من سند المُفيد؛ لأنَّه يروي عن محمَّد بن الحسن بن الوليد بغير واسطة، وهو من مشايخ النجاشيّ أيضًا.

فهؤلاء، وأمثالهم من مشـايخ الأصحاب، لنا ظنٌّ بحُسـن حالهم، وعدالتهم، وقد

عدَّدت حديثهم في الحبل المتين، وفي هذا الكتاب في الصَّحيح، جريًا على منوال مشايخنا المتأخِّرين»[1].

الموافقون

بحث كثيرٌ من الفُقهاء، وعلماءُ الرِّجال، وغيرهما هذا المبنى، وجملة منهم كانوا مؤيِّدين له، كما أشار له بحث العلماء ضمنًا عند حديثهم عن توثيق أحد الرُّواة على هذا المبنى.

وذكر بعضُ آخر من العلماء شروطًا لقبول هذا المبنى، وقبوله على تفصيلٍ فيه.

وممَّن بحثَه مستقلًّا الشَّيخُ البهائيّ، والوحيد البهبهانيّ، والمرحوم أبو عليّ الحائريّ، والشَّيخ مهديّ الكجوريّ الشيرازيّ (ت١٢٩٣هـ)، والمرحوم الخاقانيّ (ت١٣٣٤هـ)، والعلَّامة المامقانيّ.

وممَّن بحث استطرادًا المرحوم محمَّد عليّ الأردبيليّ (ت١١٠١هـ)، والشيخ الحرُّ العامليّ (ت١١٠٤هـ)، والعلَّامة بحر العلوم (ت١٢١٢هـ)، والمرحوم السيِّد عليّ البروجرديّ (ت١٣١٣هـ)، والمحدِّث النوريّ (ت١٣٢٠هـ).

وإنْ شاء الله ننقل طرْفًا من كلامهم في طيَّات البحث.

المُخالفون

خالف بعضُ العلماء الكبار هذا المبنى، وسجَّلوا ملاحظاتِهم عليه، ومنهم: المرحوم الفاضل الكاظميّ، والمرحوم أبو الهدى الكلباسيّ (ت١٣٥٦هـ)، والمرحوم عليّ الكنيّ (ت١٣٠٦هـ)، والسيِّد الخوئيّ (ت١٤١٢هـ).

(١) مَشرِق الشَّمسَين وإكسير السَّعَادَتَيْن: ٨٣.

بحث الأدلَّة ونقدها

أ. عرض أقوال الموافقين على المبنى:

ذكـر بعض المحقِّقين في ضمـن بحثه في وثاقة الراوي؛ إذِ اسـتند إلى هذه القاعدة، وانطلـق منها للتَّوثيق، ولم يشـترط شرطًا في جريانها، وعدَّها حجَّـةً مطلقًا، ومَن ذهب إلى هذا القول، هم:

١. توثيـق المرحوم الأردبيليّ لبعض الـرُّواة، مثل محمَّد بن عليّ مـا جيلويه، قال: «وتوثيقه من تصحيح العلَّامة لطُرقٍ هو فيها في الحديث والرِّجال»[١].

٢. وهكـذا الحرُّ العامليّ في وسـائل الشِّـيعة، في ذيـل ترجمة بعض الـرُّواة، قال: «ويُفهم توثيقه أيضًا من تصحيحِ العلَّامة طَريق الصَّدوق إلى..»[٢].

واللافـت في عبارة الشَّـيخ الحرِّ العامليّ أنَّـه في بعض المـوارد الدَّليل الوحيد لتوثيـق الرَّاوي هـو تصحيـح العلَّامة له؛ فمثـلًا في ترجمة الحسـن بن متيل، قال: «الحسـن بن متيـل: وجهٌ من وجـوه أصحابنا، كثير الحديـث، له كتاب نوادر، قاله النجاشيّ، والعلَّامـة، ويُفهم من تصحيح العلَّامة طُرق الصَّدوق توثيقُه»[٣].

ونطالـع أيضًـا فيما حرَّرهُ الحـرُّ العامليّ عندمـا يتوافرُ له دليـل يجعل تصحيح العلَّامة مؤيِّدًا لذلك، مثلًا في ترجمة (عبد الله بن عمران البرقيّ)، يقول: «عليّ ابن أبي القاسـم عبد الله بن عمران البرقيّ، أبوه ماجيلويه، يكنَّى أبا الحسـن:

(١) جامع الرواة: ٢/ ٥٣٢-٥٤٢.
(٢) وسائل الشيعة: ٣٠/ ٣٠١.
(٣) المصدر نفسه: ٣٠/ ٣٤٦.

ثقـة، فاضـل، أديـب، قالهُ النَّجاشيّ، ويسـتفاد مـن تصحيـح العلَّامة طريق الصَّدوق إلى الحارث بن المغيرة توثيقه أيضًا»[1].

وكذلـك طبَّـق الحـرُّ العامليّ هـذه القاعـدة في كتابـه (أمل الآمـل) في توثيق الـرُّواة؛ ففـي ذيـل ترجمـة (أحمد بـن عبد الواحـد بن أحمـد البـزَّاز المعروف بابـن عبـدون)، يقـول: «ويسـتفاد توثيقُـه مـن تصحيـح العلَّامـة طـرق الشَّيخ»[2].

وأيضًـا قال في ترجمة (أحمد بن محمَّد بن يحيى): «ويسـتفاد توثيقُه من تصحيح العلَّامة طرقَ الشَّـيخ، ونحـوه عبارة الشَّـهيد الثَّاني السَّـابقة في المقدِّمات في تعديله»[3].

٣. ذكر السـيّد بحرُ العلوم في بيـان أدلَّة توثيق (إبراهيم بن هاشـم القمِّيّ، وبعد عرض جملة من المطالب، واختلاف العلماء فيه من أنَّه حسـنٌ أم ثقة؟ قال: «وإنَّـما الـكلامُ في توثيقه، وصحَّة حديثـه، والأصحُّ عندي إنَّـه ثقةٌ، صحيحُ الحديـث، ويدلُّ عـلى ذلك وجـوهٌ.. الثَّالث: تصحيح حديـث من أصحاب الاصطلاح كالعلَّامة، والشَّهيدَين وغيرهما، في كثيرٍ من الطُّرق المشتملة عليه، كما أشرنا إلى نُبَذٍ منها»[4].

وتقدَّم أنَّه عـدَّ تصحيح العلَّامة دليلًا على وثاقة إبراهيـم، «ويُفهم توثيقُه من تصحيح العلَّامة طرقَ الشَّيخ الصَّدوق»[5].

(١) وسائل الشيعة: ٤٢٤.
(٢) أمل الآمل ٢: ٨.
(٣) المصدر نفسه: ١٦.
(٤) الفوائد الرجاليَّة ١: ٤٥٥_٤٦٣.
(٥) المصدر نفسه ٤٥٤.

٤. كتب المرحوم السيِّد عليّ البروجرديّ في (طرائف المقال) في ذيل ترجمة (محمَّد ابن ميسرة الكنديّ): «ويؤيِّده تصحيح العلَّامة أخبارَه»[١].

٥. ذكر المحدِّث النوريّ في خاتمة مستدرك الوسائل، في معرض بحثه لمشيخة الشَّيخ الصَّدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه) في ذيل طريق (عبد الرَّحمن بن الحجَّاج): «ويمكن استفادة توثيقه؛ بل جلالة قدره، من أمور:

أ. حكمَ العلَّامة بصحَّة طرقٍ هو فيها، وهي كثيرة لا يحتمل الغفلة في جميعها، منها طريق الشَّيخ إلى الحسين بن سعيد في الكتابيِّين»[٢].

ونراه في توثيق (حسين بن حسن بن أبان) بعد نقل الأدلَّة، والقرائن على وثاقته، يعدُّ تصحيح العلَّامة له دليلًا رابعًا، قال: «رابعًا: ما نصَّ عليه جماعةٌ من تصحيح العلَّامة في المختلف (صفحة ٧١) وغيره، وجملة من الأصحاب طرق أحاديث في التَّهذيب، وغيره، وهو فيها»[٣].

ب. ما تقدَّم من الموافقين على المبنى من دون قيد وشرطٍ، ودلالته على التوثيق مسلَّمٌ عندهم، وهناك جملة من العلماء ذهبوا إلى أنَّ تصحيح العلَّامة غير كافٍ لوثاقة الراوي، وإنَّما هو يُثبت حسن حاله فحسب، وفي هذه الحالة يُستفاد من هكذا توثيقات في حال عدم وجود طريق آخر، مثلًا الشَّيخ البهائيّ، يقول: «الظَّاهر أنَّ هذا القدر كافٍ في حصول الظنِّ بعدالته»[٤].

(١) طرائف المقال: ٢/ ٨٥.
(٢) المستدرك: ٤/ ٣٨٩.
(٣) المصدر نفسه: ٤/ ٢٩.
(٤) مشرق الشَّمسين: ٢٧٦.

ويصرِّح المرحوم البهبهانيّ بوجهِ قبوله لهذا المبنى، هو: «توقُّف بعضُهم في توثيقات العلَّامة، وتوثيقات ابن طاووس، وكذا الشَّهيد، ولعلَّه ليس في موضعه، لحصول الظنِّ منها، والاكتفاء به»[1].

وأيضًا السيِّد عليّ البروجرديّ، قال في هذا السِّياق: «ويؤيِّده تصحيح العلَّامة أخباره»[2].

وذكر مؤلِّف كتاب (تهذيب المقال): «وفيهم من توقَّف في جعله أمارة على الوثاقة، ولكن جعله مدحًا لهم»[3].

وكذلك صرَّح الشَّيخ الكجوريّ الشِّيرازيّ بأنَّه يمكن الاستفادة من هذا المبنى بعد تعذُّر العلم؛ فإنَّه يفيد الظنَّ: «إنَّ الأصل تحصيلُ العلم، أو ما في حكمه من الشَّهادة والرُّواية، وبعد تعذُّره في المقام في الأغلب، وعدم إمكان كون التعديل منهما في الغالب، يكتفى بالظنِّ الأقرب»[4].

ولكنْ ما يرمي إليه هنا يخالف ما عليه القدماء في التَّوثيق؛ فمراده هنا التَّعديل الحدسيّ، والظنُّ الأقرب، وأشار لهذا المعنى المرحوم الخاقانيّ: «قد يدخل في بعض الأسانيد من لم يصرِّحْ فيه بتعديلٍ، وتوثيقٍ، ولا جرحٍ، ولا تضعيفٍ، غير أنَّ بعضَ الأعاظم من علمائنا يَظهَر منه الاعتناء بشأنه.. فيحصل من ذلك ظنٌّ بعدالته»[5].

(١) الفوائد الرجاليَّة: ٤٤.
(٢) طرائف المقال: ٢/ ٨٥.
(٣) تهذيب المقال في تنقيح كتاب النجاشيّ: ١/ ١٢٩-١٣١.
(٤) الفوائد الرجاليَّة: ٦٦-٦٨.
(٥) رجال الخاقانيّ: ١/ ٢٣١.

ج. يبدو من بعض العُلماء وجهُ قبولهم هذه القاعدة، هو شهادة العادل؛ فهي كاشفةٌ عن عدول الرَّاوي، أو أخبرنا بعدالته؛ فحينها لا مناصَّ من قبول شهادته.

وفي هـذا المضمار، قال المجلسيّ الأوَّل: «إنَّ العادل أخبرنـا بالعدالة، أو شهِد بها؛ فلا بدَّ من القبول»[1].

د. اشترط بعض العلماء كالكجوريّ، عدم معارضته للتَّصحيحات السَّابقة، يعني إذا لم يكن تصحيح العلَّامة معارضًا لكلام النَّجاشيّ، والشَّيخ مثلًا، يمكن الأخذُ به، وإلَّا فلا يُعتدُّ به، قال: «إنَّ قبول التَّعديل موقوفٌ على عدم معارضة الجرح»[2].

هـ. لـمَّـحَ العلَّامـة المامقـانيّ، وإن لم يـصرِّحْ، إلى شرطٍ، وهـو لا بدِّيَّـة أن يكـونَ الحديـث الصَّحيـح مـن منظـار المصحِّـح، مثـل العلَّامـة، أن يسـتعملَه بمعنـاه المتأخِّـر، وأن يكـون حـذرًا مـن اسـتعمال القدمـاء له.

و. بحـثَ المرحومُ الكاظمـيُّ في مبنى اعتبار (توثيقـات المتأخِّرين)، واعتبر تصحيح العلَّامة فرع توثيق العلَّامة، قال في هذا المجال: «حكم العلَّامة، وغيره بتصحيح الطَّريق، أو بتوثيقها، أو بتحسينها، هل يدلُّ على أنَّ جميع رجـال طريـق الأوَّل عدول إماميُّون، ويكون بمنزلـة ما لو نصَّ على كلِّ واحدٍ، واحـدٍ من رجاله بأنَّه ثقةٌ، وإنَّ رجال الثَّاني موثَّقون، أنَّ [رجال] الثالث ممدوحون أو لا؟.

(١) الفوائد الرجاليَّة: ٤٤.

(٢) طرائف المقال: ٢/ ٨٥.

فلو لم نعثر على وثاقة رجل، ورأيناه في طريق الحكم الذي حكم العلَّامة بصحَّته، حكمنا بكونه ثقةً عدلًا، ضابطًا، إماميًّا، كأحمد بن محمَّد بن الحسن بن الوليد..

والثابت أنَّ مبنى المسألة على أنَّ توثيق المتأخِّرين، هل هو مقبولٌ أو لا؟.

ولم أعثر على مخالف في هذا، والحقُّ القبول.

فلا فرق بين أن ينصَّ عليه بالخصوص أو بمثل المسألة، كما إذا عدَّد أشخاصًا؛ ثمَّ أطلق عليهم أنَّهم ثقات..»[1].

ب. نقل آراء المُخالفين للمبنى:

أشرْنا غيرَ مرَّةٍ إلى أنَّ جملة من علماء الرِّجال يرفضون هذا المبنى؛ بوصفه توثيقًا عامًّا، والأدلَّة عليه غير ناهضةٍ.

ووافق بعضٌ من الأعاظم على المبنى بشرطٍ، وعمله في فضاءٍ محدودٍ، ومن ثمَّ يرجع هذا القول إلى الرَّفض، كما لا يخفى.

ويمكن ذِكر الإشكالات الواردة على هذه القاعدة، بالآتي:

١. عدم اعتبار توثيق العلماء المتأخِّرين.

٢. اختلاف اصطلاح الحديث الصَّحيح بين العلَّامة والمتأخِّرين.

٣. وجود أشخاص مجهولين في السَّند.

٤. أخطاء العلَّامة الكثيرة في التَّوثيق.

٥. شهادة العلَّامة في التَّوثيقات فقط، مع أنَّ تعدُّد الشَّهادات شرطٌ.

٦. ما يعتقده العلَّامة من أصالة العدالة.

(١) تكملة الرجال: ١٧.

٧. نقلُ العلَّامة كثيرٌ لقول النَّجاشيّ، وتبعيَّة العلَّامة الملحوظة لأستاذه السيِّد ابن طاووس.

أجـاب المُوافقون لهـذا المبنى عن بعض هـذه الإشـكالات، إلَّا أنَّ بعضها لم يرفع لما يمتلكه من قوَّةٍ، ومن هنا خدشت القاعدة، ومعه لا حجيَّة له.

فإذا قبلنا توثيقات المتأخِّرين، ومنهم العلَّامة، لم نسـتطعِ الجوابَ عنِ الإشكالات، الثاني، والثالث، والرابع، نختار القولَ حينها بعدم القبول.

تفصيل الإشكالات

يمكن جمع الإشكالات الواردة على هذا المبنى، وهي:

اعلـمْ أنَّ تصحيحاتِ العلَّامة هي فرعٌ من توثيقـات العلماء المتأخِّرين، ولا اعتبارَ لتوثيق المتأخِّرين، كما هو معروف.

وهكذا نقول: اعتبار تصحيح العلَّامة فرعُ توثيق العلَّامة.

وبعبـارةٍ أُخرى: إذا قلنـا باعتبار حجيَّة قول الرِّجاليِّـين المتأخِّرين بمعنى توثيقات المتأخِّرين، ومنهم العلَّامة، يمكن لنا أن نعدَّ هذا التَّصحيح الذي يتضمَّن التَّوثيق معتبرًا، ولكن إذا لم نقُلْ بتوثيق المتأخِّرين، فمن البدهيّ لا تكون قيمة لتصحيحاتهم.

يقـول العلَّامـة المامقانيّ في توضيـح هذا المطلـب: «إذا قبلنا توثيقـات المتأخِّرين، يمكـن لنا من تصحيـح العلَّامة نوثِّق الرَّاوي، ولكـن إذا لم نقبلْ توثيقـات المتأخِّرين؛ فلا أثر لتصحيح فقيهٍ رجاليٍّ واحدٍ»[1].

ويُفهـم مـن هـذا النَّـصِّ أوَّلُ إشـكال يواجـه القاعـدة، هو عـدم حجيَّـة توثيق المتأخِّرين.

(١) تنقيح المقال: ١/ ٤٠٢.

وإذا ما قمنا بنقد هذا الإشكال، وتقويمه؛ فلا بدَّ لنا من ذِكر مستند أقوال المتقدِّمين، والمتأخِّرين في هذا الإطار.

مستند تضعيفات وتوثيقات الرِّجاليِّين

أ. المُتقدِّمون:

اعتمد المتقدِّمون في التَّوثيقات، والتَّصحيحات على:

١. السَّماع من شيوخهم شيخًا بعد شيخٍ، إلى أن ينتهي الأمر إلى عصر الرُّواة.

٢. الرُّجوع إلى كتب الأصحاب المدوَّنة في عصر الأئمَّة عليهم السلام في فنِّ الرِّجال، وكانتْ بين أيديهم.

٣. الاستفاضة، والاشتهار بين الأصحاب، كما هو الحال في علمِنا بعدالة صاحب الجواهر، والشَّيخ الأنصاريّ.

فقد صرَّح الشَّيخ الطوسيّ به في عدَّة الأصول: «أنَّا وجدنا الطَّائفة ميَّزت الرِّجال النَّاقلة لهذه الأخبار؛ فوثَّقت الثُّقات منهم، وضعَّفت الضُّعفاء، وفرَّقوا بين مَن يعتمد على حديثه، وروايته، وبين من لا يعتمد على خبره، ومدحوا الممدوح منهم، و ذمُّوا المذموم، وقالوا: فلان متَّهم في حديثه، وفلان كذَّاب، وفلان مُخلَّط، وفلان مخالفٌ في المذهب والاعتقاد، وفلان واقفيٌّ، وفلان فطحيٌّ، وغير ذلك من الطُّعون الَّتي ذكروها، وصنَّفوا في ذلك الكتب، واستثنوا الرَّجل من جملة ما رووه من التَّصانيف في فهارسهم»[1].

(١) العدَّة في أصول الفقه: ١/ ١٤١.

ب. العلماء المتأخِّرون:

وأمَّا توثيقاتُ المتأخِّرين كـ(منتجب الدين) (ت٥٨٥هـ)، و(ابن شهر آشوب) (ت٥٨٨هـ)؛ فهي مستندة إلى السَّماع، أو الاشتهار، والاستفاضة، أو الوجدان في الكتب المعروفة؛ لقرب عصرهم من عصر المعصومين عليهم السلام.

أمَّا توثيق العلَّامة، وابن داوود، ومَن تأخَّر زمنُه عنهم، فتكون توثيقاتهم وتضعيفاتهم، إمَّا مأخوذة من كتب المتقدِّمين، كالنجاشيّ، والشَّيخ الكشِّيّ، والبرقيّ، والعقيقيّ، و..

وإمَّا مستندة إلى الاجتهاد والحدس، كما صرَّح به العلَّامة في مورد من الخلاصة، كإسماعيل بن عمَّار؛ فقدْ قال بعد نقل رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في مدحه: «وقد ذكرنا سند الحديث في الكتاب الكبير، والأقوى عندي التوقُّف في روايته حتَّى تثبت به عدالتُه»[١].

ونحوه في الحسين بن المُنذر[٢]، والحارث الأعور[٣]، وسيف بن مصعب[٤]، وعبد الله بن عطاء[٥]، و..

وممَّا اعتمدوا عليه لإثبات الوثاقة دعوى الاجماع على تصديق راوٍ، أو توثيقه.

وهذه الدَّعوى تارةً تكون من الأعلام المتقدِّمين، كما في قول الكشِّيِّ إجماع الطَّائفة على تصديق الثَّمانية عشر راويًا من أصحاب الأئمَّة عليهم السلام.

(١) خلاصة الأقوال: ٢٠.
(٢) المصدر نفسه: ٥٠.
(٣) المصدر نفسه: ٥٤.
(٤) المصدر نفسه: ٨٢.
(٥) المصدر نفسه: ١٠٧.

وأخـرى تكون من المتأخِّرين، كما في ادِّعاء السـيِّد ابن طاووس الاتِّفاق على وثاقة عليِّ بن إبراهيم القمِّيّ[1].

فـإنَّ هذا الادِّعاء من قِبَـل واحدٍ من العلماء يكفي في التَّوثيق، كما صرَّح به السـيِّد الخوئيّ[2].

وممَّا تقدَّم اتَّضحت ثلاث نظريَّات مختلفة في توثيق المتأخِّرين، وهي:

الأولى: المثبِتون

ذهـب المُثبِتون إلى عدِّ توثيقات المتأخِّريـن بمنزلة توثيقات المتقدِّمين؛ فمثلًا صـرَّح العلَّامة الفانيّ الأصفهانيّ:

«فالقـول بأنَّ توثيقـات القُدماء حجَّـة دون توثيقات المتأخِّرين ليس سـديدًا على إطلاقـه؛ فإنَّ النَّجاشيّ، وغيرَهُ عندما ينصُّون على وثاقة شـخص من خلال النَّقل؛ فإنَّما ينصُّون عليها لا من باب المُشاهدة لعدم تعقُّل مشاهدة الوثاقة، أو العدالة كأمرٍ خارجيٍّ، بل إنَّك عرفت أنَّها من الحقائق المقتنصة من مجموع مفردات أحاديث، وسلوك الرَّاوي، والتي يدخل الحدس في اقتناص النَّتيجة منه، وإن اطلق عليه اسم الحسّ.. وحينئذٍ نقول إنَّ توثيـق المتأخِّرين إن لم يكُـنْ من حيث القيمة أعلى من توثيـق المتقدِّمين، فهو لا يقلُّ عنه»[3].

ثمَّ لتقريب الفكرة ضربَ مثالًا: «وكيف لا يُقال ذلك، وذاك المجلسيّ الأوَّل يقول في شرح كتاب الفقيه إنَّه بحث في أحوال ابن أبي عُمير مدَّة خمسـين عامًا، بحيث يتعسَّر

(١) لاحظ تفصيل ذلك: المدخل الى علم الرجال والدراية: ٨٢، وما بعدها.
(٢) معجم رجال الحديث: ٤٦.
(٣) بحوث في فقه الرجال: ٩٦.

أو يتعذَّر على غيره الوصول إلى ما وصل، وهل يا تُرى يُقال بأنَّ بحثَه المذكور حجَّةٌ عليه ليسَ إلَّا..»[1].

وقال المرحوم الكجوريّ في هذا المجال: «ولكنَّك خبيرٌ بأنَّ المقصودَ الأصليَّ من البحث عن حال الرِّجال حصول الظنِّ بصدور الرواية من المعصوم، كما هو المستفاد من طريقة القوم.

ومتى حصل ذلك بتصحيح الآخر ممَّن كان من أهل الخبرة في ذلك، ولاسيَّما بعد ملاحظة صحَّة جملة ممَّا صحَّحه، ولم نجد لتصحيحه معارضًا؛ فلا دليلَ على لزومٍ أزيدَ من ذلك، ولا ريبَ أنَّ الظنَّ الحاصل من تصحيح ذلك مستقرٌّ غالبًا[2].

الثَّانية: النَّافون

ذهب جملةٌ منَ العُلماء إلى عدم اعتبار توثيقات المتأخِّرين، وأهم دليلٍ ذكروهُ، هو أنَّ المُتأخِّرين يعتمدون الاجتهاد، والحدسَ في تقييماتهم.

فمثلًا السيِّد الخوئيُّ يقول: «أمَّا تصحيح العلَّامة، أو غيره للطَّريق، فهو اجتهادٌ منه»[3].

ويقول في موضعٍ آخر: «الشَّيخ (الطُّوسيّ) هو حلقة الاتِّصال بين المتأخِّرين، وأرباب الأصول التي أخذ منها الكتب الأربعة، وغيرها.

ولا طريقَ للمُتأخِّرين إلى توثيقات رواتها وتضعيفهم غالبًا، إلَّا الاستنباط، وإعمال الرَّأي، والنَّظر»[4].

(١) بحوث في فقه الرجال: ٩٦.
(٢) الرسائل الرجاليَّة: ٦٦-٦٨.
(٣) معجم رجال الحديث: ٢/ ٢٥٦.
(٤) المصدر نفسه: ١/ ٤٣.

وقدِ استعرض السيِّد الخوئيّ أدلَّة اعتبار توثيقات المُتأخِّرين، وعدمه؛ ثمَّ قال: «وعليه فلا يعتدُّ بتوثيقاتهم بوجهٍ منَ الوجوه»[1].

وممَّن أيَّد هذا المنهج الكلباسيّ: «والتَّحقيق أن يُقال: إنَّه لا حاجةَ في توثيقاته غالبًا، كما لا وثوق إليها كلُّ الوثوق»[2].

ثمَّ ذكر دليلًا رصينًا على هذه النظريَّة: «فلأنَّ كثيرًا من توثيقاته مبنيَّة على الاجتهاد في ترجيح الأقوال في الأحوال، وتميُّز المشتركات في الأشخاص»[3].

وممَّن ذهبَ إلى عدم اعتبار ذلك المرحوم التَّفريشيّ، صاحب نقد الرّجال، وأستاذه التَّستريّ، وكذا العلَّامة المامقانيّ.

نظريَّة ثالثة في المقام

و ثمَّة مسلكٌ بين قبول توثيق المتأخِّرين، ورفضه، ومفاده: أنَّه بالرَّغم من عدم حصولنا من توثيقات المتأخِّرين وثاقة الرَّاوي، ولكن موجبه لحسن حال الرَّاوي، ومعه يحصل حسن حال مرويَّاته.

يقول من نحا هذا المنحى: «وتثبت وثاقة الرَّاوي، أو حسن حاله بنصِّ أحد أعلام المتقدِّمين عن زمن الشَّيخ الطوسيّ، كالشيخ منتجب الدِّين، وابن شهر آشوب، وابن داوود، والعلَّامة الحِلِّيّ..»[4].

وبالجُملة: إنَّ بعضَ العُلماء عدَّ تصحيحات العلَّامة موجبةً لحسن حال الرَّاوي، كما تقدَّم بيانُه.

(١) معجم رجال الحديث: ١/ ٤٥.
(٢) المقال في علم الرجال: ١/ ٢٢٤.
(٣) المصدر نفسه: ٢٣١.
(٤) المدخل الى علم الرجال والدراية: ٨٣.

جذرُ الاختلاف

مـا تقدَّم من اختلاف بين العُلماء في التَّوثيق منشـأه مبـاني كلِّ واحدٍ منهم، والمبنى الذي يمثِّل الأسَّ في هذه المسألة هو دليل حجيَّة قول الرِّجاليّ من عدمه، ولِـمَ تعدُّ أقوال علماء الرجال حجَّة في هذا الإطار؟.

فمَـن ذهـب إلى عـدِّ توثيقـات المُتأخِّريـن اسـتدلَّ عـلى حجيَّـة قـول الرِّجـاليّ؛ أمَّـا بالخـبرة، أو الوثـوق، أو الاطمئنـان إلى أقوالهـم، وبعـضٌ تمسَّـك بـباب الانسداد.

وأمَّا من لم يعتدّ بتوثيقات المُتأخِّرين، ومنهم السيِّد الخُوئيّ، فعدُّوا قولَ الرِّجاليّ من باب الخبر الواحد[1].

علَّـل مؤلِّف كتاب (تهذيب المقال) وجهَ عدم اعتبار توثيقات المتأخِّرين، باختلاف المبنى في حجيَّة قول الرِّجاليّ: «وقد مرَّ سابقًا أنَّ الرُّجوع إلى أصحاب الرِّجال إنَّما هو من باب الرُّواية، لا الرُّجوع إلى أهل الخبرة»[2].

وكذلك ذهب بعضٌ إلى علَّة عدم اعتبار توثيقات المُتأخِّرين من أنَّ أقوالَهم لا تفيدُ الاطمئنان.

وقـال بعضٌ: وجهُ عـدم اعتبار توثيقات المتأخِّرين؛ أنَّهـا عن حسٍّ لا عن حدسٍ؛ فلذا لا اعتبارَ لها.

قـال المرحوم عـليّ الكنـيّ: «إنَّ أغلـب التَّصحيحات من بـاب الاجتهـاد الظنِّيّ مضافًـا إلى مـا يُرى من كثرة اختلافاتهم في التَّصحيح؛ فـأيُّ فرق بين الظنِّ الحاصل من

(١) لاحظ تفصيل ذلك: معجم رجال الحديث: ١/ ٤٣.

(٢) تهذيب المقال: ٦٤.

اجتهاد الآخر في التَّصحيح، والتَّضعيف، واجتهاده في الأحكام؛ فكيف يكفي المخالف بأحدهما دون الآخر؟.

ومن هنا أمكن تقرير دليلٍ آخر على المنع على هذا الفرض، وهو أنَّ الظنَّ الحاصل من اجتهاد الغير، ولو كان مستقرًّا؛ فهو مثل ظنِّ القياسيِّ ونحوه الممنوع عن العمل به مع فرض الانسداد؛ وذلك لمصيرهم إلى عدم اعتبار الظنِّ الحاصل من اجتهاد الآخر في حقِّ غيره»[1].

وكيف ما كان، فأهمُّ دليل عند المخالفين هو الاختلاف بين مصطلح الصَّحيح عند المتأخِّرين، وعند العلَّامة.

وممَّن أورد هذا الإشكال: الوحيد البهبهانيّ، والمرحوم المامقانيّ، والمرحوم الكلباسيّ، والسيِّد الخوئيّ.

يقول الكلباسيّ: «كثير ما يصحِّح العلَّامة الحِلِّيّ على مشربِ القُدماء، بمعنى أنَّه يُطلق الصَّحيح على الحديث؛ إذ يحصل له الاطمئنان من طُرُق متعدِّدة؛ ولذا لا نستطيع عبر ذلك إثبات عدالة الرَّاوي»[2].

وأشار المامقانيّ إلى هذا الإشكال، ونقل الأقوال، والاختلاف فيه، وذهب إلى القول بالتَّفصيل، يقول: «مع ورود احتمال أنَّهم اعتمدوا في صحَّة السَّند على قواعد أخرى مثلًا على الرَّاوي (اجتمعتِ العِصابةُ عليه)، أو من الأشخاص (لا يرون ولا يرسلون ألَّا عن ثقةٍ)، كذلك لا يمكن الأخذُ بالتَّصحيحات»[3].

(١) توضيح المقال في علم الرجال: ٧٢-٧٤، وله تعليقات قيِّمة، من رام التوسُّع، يراجع المصدر نفسه.

(٢) لاحظ: الرسائل الرجاليَّة: ٧٨.

(٣) تنقيح المقال: ١/ ٤٠٣.

ويصرِّح السيِّدُ الخوئيّ في هذا الصَّدد بأنَّ هذا التَّصحيح على مبنى القُدماء لا المتأخِرين، «هذا بالإضافة إلى تصحيح ابن الوليد، وأضرابه من القُدماء، الذين قد يصرِّحون بصحَّة روايةٍ ما، أو يعتمدون عليها من دون تعرُّضٍ لوثاقة رواتها»[1].

وكذا أورد المرحوم البهبهانيّ على هذه القاعدة الإشكال الآتي: وهو أنَّ العلَّامة لم يستعملِ اصطلاح الحَسَنِ على الثقاتِ فقط، كما لوحظ ذلك في مواضع.

تحقيقٌ في اصطلاح (الصَّحيح) من منظار العلَّامة الحِلِّيّ

يتبادرُ إلى الذِّهن سؤالٌ فحواه: إذا كان السيِّد ابن طاووس، وتلميذُه العلَّامة، هما من قسم الحديث إلى صحيح، حسن، وموثَّق، وضعيف؛ فهل سارَ هؤلاءِ العِظام في تأليفاتهم على مشرب المتأخِّرين؟ أو أنَّ المُدَّة الزَّمنيَّة مع المتقدِّمين لمْ تكُنْ بعيدةً جدًّا؛ ولذا استفادوا من الاصطلاحات القديمة؛ لأنَّها كانت هي السَّائدة آنذاك، وكتبوا ذلك تماشيًا مع القوم؟.

ولأجل تعيُّن هذا المسألة، لا بدَّ لنا من التفحُّص في آثار العلَّامة، سواء الرجاليَّة كانت، أم غيرها، واصطياد معنى الصَّحيح عنده.

وما ينبغِي معرفتُه في هذا السِّياق هو: هلِ العلَّامةُ الحِلِّيُّ عرف الصَّحيح طبق مبانيه؟ أو إنَّ المشْهور نسب إليه هذا.

وإذا رأينا في كتب العلَّامة أنَّه أثبت هذا المطلب؛ فلا يكون هناك اختلاف في نظره.

يمكن حشدُ مؤيِّدات على هذا المعنى من كتب العلَّامة الفقهيَّة؛ أي إنَّه استعمل اصطلاح الصَّحيح على طريقة المتأخِّرين، ومعه سيكون السَّند كلُّه رواته عدول إماميَّة؛

(١) معجم رجال الحديث: ١/ ٧٥.

فمثـلًا: ما قالـه العلَّامة في ترجمة (ليث بـن البختريّ) تعليقًا على مـا كتبه الكشِّيّ: «عن حمدويه بن نصير عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن أبي عُمير عن جميل بن درَّاج»، وأيضًا «وهـو عندي ثقةٌ، والذي اعتمد عليه في قبول روايتـه، للحديث الصَّحيح الذي ذكرنا أوَّلًا».

عبر هذه النُّصوص، يتبيَّن من رواة هذه الأحاديث أنَّهم عدولٌ إماميَّةٌ، وهذا مطابقٌ لما عليه المتأخِّرون.

وثمَّـة مـواردُ أخرى نرى العلَّامة يسـتعمل الصَّحيح على مسـلك القُدماء؛ فمثلًا ما كتبه في (مُختلف الشِّـيعة): «احتجَّ الشَّـيخُ على الأوَّل بما رواه إسـماعيل الجُعفيّ، عن الباقر عليه السلام، تقرأ في الأولى سبِّح اسم ربِّك الأعلى، وفي الثَّانية، والشمس.

وكذا في رواية أبي الصَّباح الكنانيّ، عن الصَّادق عليه السلام.

والجواب: بعد سلامة السَّند، إنَّهما يدلَّان على الجواز، ونحن نقولُ به»[1].

إذا تابعنـا هـذه الرُّواية في الكتب الحديثيَّة المعتبرة، نلاحظ أنَّ أسـاس هذا السَّـند روايتان، هما:

السَّندُ الأوَّل: الحسن بن سعيد عن أحمد بن عبد الله القرويّ عن أبان بن عثمان عن إسماعيل الجعفي عن أبي جعفر الصَّادق عليه السلام[2].

السَّـند الثَّـاني: محمَّد بن أحمد بن يحيى عن محمَّد بن الفضيـل عن أبي الصَّباح، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام[3].

(١) مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: ٢/ ٢٥٥.
(٢) تهذيب الأحكام: ٣/ ١٣٢، ح٢٠.
(٣) المصدر نفسه: ح٢٢.

فأطلـق في المُختلف على هذين الرِّوايتَين صحيحتَين، مع العلم أنَّ أحمد بن عبد الله القرويّ مجهولٌ، ولم يذكرْه أحدٌ من علماء الرِّجال في كتبهم، إلَّا أنَّه نقل في كتب الشـيعة عنه ثلاثَ رواياتٍ.

وأمَّا السَّـندُ الثَّـاني، ففيه محمَّد بن الفضيل بـن كثير الصيرفيّ؛ فإنَّه غـيرُ موثَّق؛ بل صرَّح الشَّـيخُ الطوسيُّ على تضعيفه، وفي بعض الكتب رُمِيَ بالغُلوِّ، ومن المفارقات أنَّنا نرى العلَّامة نفسه في الخُلاصة يضعِّفُه.

وعليه فهاتان الرِّوايتان من منظار المتأخِّرين ليستا بصحيحَتَينِ.

ونقرأ مـرَّةً أخرى في المُختلف، قوله: «واحتجَّا بما رواه أبو بصيرٍ، قال: سـألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الخروج إذا دخل رمضان.. والجواب بعد صحَّة السَّند؛ فإنَّه محمولٌ على الاستحباب»[1].

وسـندُ الرِّوايـة هكذا: الحسـين بن سـعيدٍ عن القاسـم عـن عليٍّ عـن أبي بصير، قال:..

فإذا كان هذا قاسم بن محمَّد الجوهريّ، فهو واقفيٌّ، وأشار العلَّامة إلى هذا المطلب في الخُلاصة.

ومن هنا؛ فالرِّواية ضعيفةٌ، أو يُوثَّق طُرقًا أخرى.

وكتـب العلَّامـة في كتابه مُنتهـى المطلب: «عن محمَّد بن مسـلم عـن.. لأنَّا نقول بعد تسـليم صحَّة السَّـند: إنَّهـما حديثان ضعيفـان؛ لعدم اعتضادهمـا بغيرهما، وبعمل الأصحاب، ومنافاة باقي الرِّوايات لهما»[2].

(١) مختلف الشيعة: ٣/ ٤٨١.

(٢) منتهى المطلب في تحقيق المطلب: ٤/ ٣٨٤.

وسند هذه الرُّواية هكذا: محمَّد بن عليٍّ بن محبوب [ضمير]، عن أحمد بن الحسن عن الحسين عن فضالة عن العُلا عن محمَّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام..»[1].

ومع أنَّ هذين الرُّوايتينِ صحيحتانِ، إلَّا أنَّ العلَّامة لم يعملْ بهما؛ لوجود رواياتٍ تنافيها؛ ولعدم عمل الأصحاب بهما، ولم توجدْ روايةٌ أخرى تؤيِّدهما.

وهنا العلَّامة قد سلكَ مسلكَ المُتقدِّمين في التَّصحيح، والتَّضعيف كما لا يخفى.

وأيضًا قال في تحرير الأحكام الشَّرعيَّة: «وفي الصَّحيح عن عبد الرَّحمن بن الحجَّاج عن الصَّادق عليه السلام: **تعوَّذوا بالله من غلبة الدَّيْن، وغلَبة الرِّجال، وبوار الإثم**»[2].

ورد السَّندُ هكذا: عدَّةٌ من أصحابنا عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عن عبد الرَّحمن بن الحجَّاج عن أبي عبد الله عليه السلام[3].

مع أنَّ العلَّامة يضعِّفُ (سهل بن زياد) في كتابه الخُلاصة في القسم الثَّاني، الذي قال عنه: «وهذا القسم مختصٌّ بذكر الضُّعفاء، ومن أردُّ قولَه، أو أقفُ فيه»[4].

ويظهرُ أن العلَّامة اعتمد في تضعيفه على قول النَّجاشيّ، والطوسيّ، وابن الغضائريّ، وآخرين[5].

وعبر ما طالعنا من نصوصٍ للعلَّامة، منها ما هو على مشرب القُدماء ومنها ما هو على مسلك المتأخِّرين، يمكن استنتاج شيءٍ في المقام، بأنْ يُقال: ما كتبه على طريقة

(١) منتهى المطلب في تحقيق المطلب: ٤/ ٣٨٤.
(٢) تحرير الأحكام الشرعيَّة على مذهب الإماميَّة: ١/ ١٩٨.
(٣) الكافي: ٥/ ٩٢.
(٤) خلاصة الأقوال: ١٩٧.
(٥) راجع تفصيل ذلك: خلاصة الأقوال: ٣٥٧.

المتقدِّمين، كما رأينا في كتاب المُختلف، والمُنتهى، والتَّحرير، كان رأيه في البداية، ثمَّ غيَّر رأيَهُ في الخُلاصة، واختار طريقة المتأخِّرين.

ويظهر أنَّ كتاب الخُلاصة متأخِّرٌ عن هذه الكتب، ويؤيِّد هذا ما قال هو عن نفسه في الخلاصة: «الحسن بن يوسف بن عليّ بن مُطهَّر، بالميم المضمومة، والطَّاء غير المُعجمة، والهاء المُشدَّدة، والرَّاء، أبو منصور الحِلِّيّ مولدًا، ومسكنًا، مصنِّف هذا الكتاب، له كتب: كتاب منتهى المطلب في تحقيق المذهب، لم يُعملْ مثلُه، ذكرنا فيه جميع مذاهب المسلمين في الفقه، ورجَّحنا ما نعتقدُه بعد إبطال حجج من خالفنا فيه، يتمُّ إن شاء الله تعالى عملنا منه إلى هذا التَّاريخ، وهو شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وستمائة، سبع مجلَّدات، كتاب تلخيص المرام في معرفة الأحكام، كتاب غاية الأحكام في تصحيح تلخيص المرام، كتاب تحرير الأحكام الشرعيَّة على مذهب الإماميَّة، حسن جيِّد، استخرجنا فيه فروعًا لم نُسبقْ إليها، مع اختصاره، كتاب مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، ذكرنا فيه خلاف علمائنا خاصَّة، وحجَّة كلِّ شخصٍ، والتَّرجيح لما نصير إليه..»[1].

ويستمر العلَّامة في سرد أسماء كتبه، ويوصلها إلى سبعين كتابًا، وهذا يكشف لنا أنَّ العلَّامة كتب الخُلاصة بعد تأليف هذه الكتب، وعليه فيكون رأيه في الخلاصة هو الأخير.

ولكن مع هذه التَّوجيهات، لا يمكن أن نجزم من أنَّ العلَّامة لم يكنْ على مشرب المتقدِّمين؛ وذلك لأنَّ ما ذكرنا من أقوال الكبار من العلماء من مسلكه مسلك المتقدِّمين، كما قال الشَّيخ محمَّد تقيّ المجلسيّ ﷺ في مشيخة التَّهذيب: «واعلمْ أنَّ العلَّامة، وإنْ ذكر القاعدة في تسمية الأخبار بالصَّحيح، والحسن، والموثَّق؛ فكثيرًا ما يقول، ويصف على قوانين القدماء، والأمر سهلٌ، واعترض عليه كثيرًا بعضُ الفُضلاء لغفلته عن

(١) خلاصة الأقوال: ٤٦.

هـذا المعنـى، مع أنَّه أيضًـا فعل كثيرًا كذلـك على ما ذكرناه سـابقًا، مع أنَّـه كان ينبغي أن يتنبَّـه لذلـك؛ لأنَّه إذا سـها أحدٌ مـن الفضلاء مـرَّةً، أو مرَّتين، فيمكـن حمل كلامه عـلى السَّـهو، أمَّـا إذا فعل في صفحـةٍ واحدةٍ عـشر مرَّات مثـلًا؛ فلا يمكـن أن يكون سهوًا»[1].

ونقل المرحوم الكلباسيّ هذا الإشكال في الرَّسائل الرجاليَّة، ولم يجِبْ عنه، وكتب: «كثـير ما يصحِّح العلَّامـة الحِلِّيّ على مشرب القُدمـاء، بمعنى أنَّه يطلـق الصَّحيح على الحديـث؛ إذ يحصـل له الاطمئنان من طُـرقٍ متعدِّدة، ولذا لا نسـتطيع عبر ذلك إثبات عدالة الرَّاوي»[2].

وقـد سـجَّل الكلبـاسيّ في موضـوع آخـر مـن كتابـه أخطـاء العلَّامـة، وجـاء بشـواهد لإثبـات هـذا المعنـى، مـن أنَّ العلَّامـة يسـلك مسـلكَ القُدمـاء في التَّصحيح.

ومـن الأدلَّـة على أنَّ العلَّامـة نَهَجَ نهْـجَ المُتقدِّمين في التَّصحيـح؛ إذ صحَّح طريق الشَّيخَين على مشرب القُدماء.

«من أنَّه جرى في الخُلاصة على حكمٍ بحسن الطَّريق المشتمل على إبراهيم بن هاشم، بالغًا إلى العشرين، وحكمه بصحَّة ثلاثة طُرق تشـتمل على إبراهيم بن هاشـم، بناءً على صحَّة حديث إبراهيم بن هاشم؛ فإنَّه يوجِب الوهن في تصحيحاته في الخلاصة؛ لفرض ظهور الخطأ في الإكثار»[3].

ويعضِّد العلماءُ ما تقدَّم بعبارَتَين للعلَّامة في الخلاصة:

(١) روضة المتَّقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ١٤/ ٢٧٤.
(٢) لاحظ تفصيل ذلك: الرسائل الرجاليَّة: ٧٨.
(٣) الرسائل الرجاليَّة: ٣٥٢.

«طريـق ابن بابويـه إلى.. أبي مريم الأنصاريّ صحيـح، وإن كان في طريقه أبان بن عثمان، وهو فطحيٌّ»[1].

«وطريق ابن بابويه إلى.. معاوية بن شريح، وإلى سُماعة صحيح»[2].

مـع أنَّ عثمان بن عيسـى واقفيٌّ؛ فكيف يكون في السَّـند واقفيّ، ومع هذا السَّـند صحيح؟.

فهـذه النُّصـوص تحكـي لنـا مـن أنَّ العلَّامـة سـارَ عـلى منهـج القدمـاء في التَّصحيح.

ويلاحَـظ أيضًـا من العلَّامـة أنَّه صحَّـح طُرقًا فيها مجاهيـل، وهذا يعنـي أنَّه اتَّبع المُتقدِّمين في منهجهم.

وثمَّة إشكال في المقام، يُطرح على هذه القاعدة، مفاده:

لا شكَّ أنَّ في بعض الأسانيد مجاهيل؛ فكيف تمَّ توثيق تلك الأسانيد؟.

توضيـحُ ذلك: كيف غابَ عن المتقدِّمين بعض الرُّواة، مع أنَّهم من الرَّعيل الأوَّل، وكانت الكتبُ الروائيَّة، والرِّجاليَّة الأساسيَّة متوافرة، ومع هذا يلاحَظ مجاهيل، مع أنَّ العلَّامة يشرح أحوال بعضهم بالتَّفصيل، الأمر الذي جعله يحكم بتوثيقهم؟.

(١) مع أنَّ العلَّامة اعتبر في هذا الموضع (أبان بن عثمان) فطحيًّا، ولكن نرى العلَّامة في ترجمته يعدُّه من الناووسية «كان أبان من الناووسية.. فالأقرب عندي قبول روايته، وإن كان فاسد المذهب»، ومـع متابعة كتب علماء الرجال، لم نلحظ عدَّه فطحيًّا، نعم ذكره الكشِّيّ من أنَّه من الناووسـيَّة، قال: «كان أبان من أهل البصرة، وكان مولى بجيلة، وكان يسكن الكوفة، وكان من الناووسيَّة». رجال الكشِّيّ: ٣٥٢.

ولعلَّ في العبارة تصحيف؛ لأنَّه لم يذكر ذلك الكبار من علماء الرجال: النجاشيّ والطوسيّ.

(٢) الرسائل الرجاليَّة ٣٥٢، وبعدها.

هذا ينبئ أنَّ العلّامة استعان بالقرائن لإثبات وثاقة هؤلاءِ، من دون الاحتياج إلى العلم بوثاقة واحدٍ من الرواة؛ إنَّما يحصل له الاطمئنان بالصُّدور عنِ المعصوم عليه السلام، وهذا بعينه معنى الصَّحيح عند القُدماء.

يقول صاحب سماء المقال في هذا الصَّدد: «ويضعِّف حديث تصحيح العلَّامة بأنَّ مقتضى صريح كلام العلَّامة اختلاف حال رجال الطُّرُق، وإنَّهم بين مجاهيل وغيرهم، وإنَّه جرى على تصحيح طُرُق الشَّيخين فيما لم يكن رجال الطُّرق من المجاهيل؛ فكيف يصحُّ الحكمُ بوثاقة رجال الطُّرُق على الإطلاق»[1].

وممَّا سُجِّلَ من اعتراضات على توثيقات تصحيحات العلَّامة، ما وقع فيه من أخطاءٍ كثيرةٍ في ترجمة الرُّواة، ومن منطلق القاعدة (إذا جاء الاحتمال بَطُل الاستدلال)، لا يمكن لنا الاعتماد عليها.

كقول البهبهانيّ في تعليقته على منهج المقال: «إنَّ العلَّامة كان قليل التأمُّل؛ لكثرة تصانيفه، وسائر أشغاله؛ فلا وثوقَ بتوثيقاته، فضلًا عن تصحيحاته»[2].

وقال المرحوم الكلباسيّ في ما يتعلَّق بأخطاء العلَّامة في الخُلاصة: «إنَّه قد وقع له في الخُلاصة اشتباهات متوفِّرة، ولا وجهَ لكثيرٍ منها إلَّا قلَّة التأمُّل، وشدَّة العَجلة، كما هي طريقته المستقرَّة في مصنَّفاته.. فوقع منه سهوٌ في سهوٍ.

وبالجملة: إنَّه قد وقع منه الاشتباه، والاختلاف في غير موردٍ»[3].

ويقول الشَّيخ حسن(صاحب المعالم) إنَّ أحد أسباب وقوع العلَّامة في أخطاء، هو تقليده الكثير، وقلَّة مراجعته لأقوال الأكابر: «وهو من آثار التَّقليد، وقلَّة

(١) سماء المقال: ٢٣١.

(٢) تعليقات الوحيد على منهج المقال: ٦٦.

(٣) سماء المقال: ٢٣١.

المُراجعـة؛ نظـرًا إلى اضطـراب كلماته في مسـتند توثيقاته؛ فتـارةً لتوثيـق النَّجاشيّ، أو نظـيره، وإن ضعَّفه ابن الغضائـريّ، وأخرى يتوقَّف لكلام ابـن الغضائريّ، وإن وثَّقه النَّجاشيّ»[1].

وأشار السيِّدُ التفريشيّ إلى أحد موارد خطأ العلَّامة في الخلاصة.

جـاء في ترجمة (حذيفة بن منصور بن كثير)، وثَّقه النجاشيّ، والشَّـيخ المُفيد، ونقل الكـشِّيّ روايـات في مدحه، ومع هذا العلَّامة يقول عنـه: «والظَّاهر عندي التوقُّف فيه؛ لمـا قاله هذا الشَّـيخ (ابن الغضائري)، ولمـا نقل عنه كان واليًا من قِبَـل بني أميَّة، ويبعد انفكاكه عن القبيح».

وينقـل التفريـشيّ عبارةَ ابـنِ الغضائريّ في هذا الشَّـأن: «حديثه غـيرُ نقيٍّ، يروي الصَّحيحَ، والسَّقيم، وأمره ملتبس، ويخرج شاهدًا».

لا تـدلُّ هذه العبـارة على تضعيفه، وحتَّى لـو كان واليًا من قِبَل بنـي أميَّة إذا ثبتَ ذلـك أيضًـا لا يـدلُّ عـلى تضعيفـه؛ لأنَّ هناك جملـة من الثقـات مخالفـين، وولاة على مدن[2].

وذكر الكلباسيّ في الرَّسـائل الرجاليَّة لإثبات المعنى المتقدِّم شاهدًا واحدًا: «مِن أنَّه جرى في الخُلاصة على حكمٍ بحسـن الطَّريق المشـتمل على إبراهيم بن هاشـم بالغًا إلى العشريـن، وحكمه بصحَّة ثلاثة طُرُق تشـتمل على إبراهيم بن هاشـم، بناءً على صحَّة

(١) هذا الإشـكال من الشـيخ حسـن غير وارد، ويمكن الإجابـة عليه، قال المحقِّق الكلباسـيّ: «الظاهر أنَّ الاختلاف بواسـطة اختلاف الموارد، وتعاضد أقـوال الموثقين في موضع دون آخر، فجـرى على التقديم تـارةً، وعدمه أخرى، كما هو طريقة الاجتهـاد، وترجيح الأقوال، فتأمَّل». راجع الإشكال وجوابه: سماء المقال في علم الرجال: ١/ ٢٣١.

(٢) لاحظ تفصيل ذلك: نقد المقال: ٨٣.

حديث إبراهيم بن هاشم؛ فإنَّه يوجِب الوهن في تصحيحاته في الخلاصة؛ لفرض ظهور الخطأ في الإكثار»[1].

ومن اللطيف ما قاله صاحب لؤلؤة البحرين: «وكأنَّ تجديد النَّظر لم يكُنْ من عادته، كما لا يخفى على المتتبِّع»[2].

ذكرنا فيما تقدَّم أربعة إشكالات، ولم يُجبْ عنها، وهناك إشكال خامس غير وارد، كما تقدَّم، وأجبنا عنه.

وهذا الإشكال كان من الشيخ حسن، كما يقرِّره المرحوم الكلباسيّ: «يظهر من المحقِّق الشَّيخ حسن بالعدم لوجهَين، أحدهما: وهو ممَّن يرى الاكتفاء بتعديل الواحد؛ فلا يعتبر تزكيته عند من يشترط التعدُّد.. ويضعِّف بما ثبت من أن التَّوثيقات من باب الظنون الاجتهاديَّة، ولا مجال لكونها من باب الشَّهادة؛ فيكتفى فيها بتزكية العدل الواحد»[3].

وتقدَّم أنَّ الجوابَ عن هذا الإشكال مبنيٌّ على اختلاف المباني في حجيَّة قول الرِّجاليّ، كما بيّنَّا سابقًا؛ فراجِعْ.

ولعلَّ الأقرب إلى الصَّواب القولُ: إنَّ قولَ الرجاليّ حجيَّته من باب الوثوق، والاطمئنان لأقوالهم، لا من باب الشَّهادات.

الإشكالُ السَّادسُ

ما أوردهُ السيِّدُ الخوئيّ، وسبقَه إليه الفاضل الكاظميّ، صاحب تكملة الرِّجال

(١) الرسائل الرجاليَّة: ٣٥٢.
(٢) لؤلؤة البحرين: ٢٢٦.
(٣) المقال في علم الرجال: ١/ ٢٢٤-٢٩١.

على عدم اعتبار تصحيحات العلَّامة، قال المحقِّق الكاظميّ: «وأنت تعلمُ أنَّه لا مستندَ له سوى حسن ظنِّ المشايخ، وهذا القدر لا يصلح مستندًا شرعيًّا»(١).

ويقول السيِّد الخوئيّ: «أقول: إنَّ اعتماد ابن الوليد، أو غيره من الأعلام المتقدِّمين، فضلًا عن المتأخِّرين على رواية شخص، والحكم بصحَّتها لا يكشف عن وثاقة الرَّاوي، أو حسنه، وذلك لاحتمال أنَّ الحاكم بالصحَّة يعتمد على أصالة العدالة، ويرى حجيَّة كلِّ رواية يرويها مؤمن لم يظهر منه فسق، وهذا لا يفيد من يعتبر وثاقة الرَّاوي، أو حسنه في حجيَّة خبره»(٢).

ويمكن الجواب عن هذا الإشكال بأنْ يُقال:

من مباني العلَّامة في الخلاصة، هي: إذا أحرزنا في شخص أنَّه معروفٌ عند الرجاليِّين، ولم ينقلْ عنه مذمَّة، أو جرح؛ فيمكن قبولُه، ويكون حجَّةً، طبعًا مع عدم المعارض له، فالعلَّامة قدس سره في شرح حال (أحمد بن إسماعيل بن سمكة بن عبد الله)، يقول: «أحمد بن إسماعيل بن سمكة بن عبد الله، أبو عليٍّ البجليّ، عربيٌّ من أهل قم، كان من أهل الفضل، والأدب، والعلم، وعليه قرأ أبو الفضل محمَّد بن الحسين بن العميد، وله كتب عدَّة لم يصنَّفْ مثلُها، وكان إسماعيل بن عبد الله من أصحاب محمَّد بن أبي عبد الله البرقيّ، وممَّن تأدَّب عليه؛ فمن كتبه كتاب العبَّاسيّ، وهو كتاب عظيم، نحو عشرة آلاف ورقة، في أخبار الخلفاء، والدولة العبَّاسيَّة، مستوفى لم يصنَّف مثلُه.

هذا خلاصة ما وصل إلينا في معناه، ولم ينصَّ علماؤنا عليه بتعديلٍ، ولم يروِ فيه جرح؛ فالأقوى قبول روايته مع سلامتها من المعارض»(٣).

(١) تكملة الرجال: ١/ ١٦٧.
(٢) معجم رجال الحديث: ١/ ٧١.
(٣) خلاصة الأقوال: ١٧.

يتبيَّن عبر التَّدقيق في كلام العلَّامة هذا المبنى يختلف عن مبنى (أصالة العدالة)، كما يُنسب إلى القدماء.

يُلاحَظ في هذا المبنى بالحقيقة معروفيَّة الرَّاوي، وموقعه عند الرجاليِّين، وأهل التَّراجم؛ فإذا لم تكنْ له هكذا معروفيَّة، وشهرة حتَّى لو لم يردْ فيه طعنٌ، أو جرح؛ فلا يحكم بعدالته، أو وثاقته، والشَّاهد على هذا المبنى للعلَّامة لا مبنى (أصالة العدالة) ما نراه في بعض الرواة، وتعامله معها؛ فمثلًا: حسن بن سيف بن سليمان النَّمَّار، قال: «قال ابن عقدة: عن عليّ بن الحسن، أنَّه ثقة قليل الحديث، ولم أقفْ على مدح، ولا جرح من طُرُقنا سوى هذا، والأولى التوقُّف فيه فيما ينفرد به حتَّى تثبت عدالته»[1].

فيظهر من هذا النصِّ (الأصل عدمُ العدالة)؛ فنلاحِظ مع وجود توثيق له من ابن عقدة من أنَّه ينقل عن (عليّ بن حسن بن فضال)؛ فلعلَّه لم يكُنْ إماميًّا؛ فلم يعتمدْ عليه العلَّامة.

وممَّا ينبغي الإشارة إليه: هذا مع ما قبله فرق؛ فالأوَّل كان مشهورًا، والثَّاني فاقدٌ لهذا.

ونطالع أيضًا أنَّ العلَّامة يتوقَّف في (أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب)، مع أنَّ النَّجاشيّ يوثِّقه، قال النجاشيّ: «وهو على كلِّ وجهٍ ثقةٌ، صحيح الحديث، معتمدٌ عليه».

ويعقِّب العلَّامة: «وعندي فيه توقُّف»[2].

لأنَّه واقفيٌّ؛ توقَّف فيه العلَّامة، كما لا يخفى.

(١) خلاصة الأقوال: ٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠١.

نظرةٌ فاحصةٌ

عندما نراجع كتاب الخلاصة للعلَّامة، وما سجَّله من تضعيفات، وتوثيقات، لا يبقى شكٌّ في أنَّه لا يقول بـ(أصالة العدالة).

ونقرأ في الخلاصة عشرين موردًا يحكم بقبول الرواية، ويعبِّر: «الأقوى»، أو «الأقرب»، أو «الأرجح عندي قبول روايته»، أو «الأرجح قبول قوله»، أو «هذا الرجل عندي مقبول الرواية».

ولكنَّ كثيرًا منها يعلِّل وجه قبوله لها، مثلًا في ترجمة (إبراهيم بن هاشم): والأرجح قبول قوله؛ لأسباب:

١. أصحابنا يقولون عنه أوَّل من نشر حديث الكوفيِّين بقم.

٢. هو تلميذ يونس بن عبد الرحمن من أصحاب الرِّضا عليه السلام.

٣. لم أقف لأحدٍ من أصحابنا على قولٍ في القدح فيه، ولا على تعديله بالتَّنصيص.

٤. الروايات عنه كثيرةٌ.

ومن جهةٍ أخرى توقَّف في ثمانيةٍ وخمسين راويًا، وعبَّر عنهم:

«الأولى عندي التوقُّف عن روايته»، و«الأقوى عندي التوقُّف فيما يرويه هؤلاء»، و«الأولى التوقُّف فيما ينفرد به حتَّى تثبت عدالته»، و«الظَّاهر عندي التوقُّف فيه».

ونرى أحد عشر موردًا صرَّح بعدم اعتماده على بعض الرُّواة، قال مثلًا:

«لا أعتمد على روايته».

فكيف يُحكَم على العلَّامة في أنَّه يقول بأصالة العدالة، مع توافر هذه النصوص منه!!.

الإشكال السَّابع

ممَّا وردَ على توثيقات، وتصحيحات العلَّامة، أنَّه ينقل كثيرًا عن النَّجاشيّ في ترجمة الرُّواة، مع أنَّه ينقل قليلًا من غيره.

وهذا الإيراد أورده بعضُ العُلماء، مثل الشَّهيد الثَّاني في حاشيته على الخُلاصة: «إنَّ المعلوم من طريقة المصنِّف أنَّه ينقل في الخلاصة لفظ النجاشيّ في جميع الأبواب، ويزيد عليه ما يقبل الزِّيادة»(١).

وكذا السيِّد بحر العلوم رحمه الله: «وقلَّ ما يوجد فيه التَّصريح بالاستناد إلى غير النَّجاشيّ من أصحاب الرِّجال حتَّى الشَّيخ.

ويظهر منه تقديمه على غيره في هذا الشَّأن، وهو ظاهر من العلَّامة قدس سره؛ فإنَّه شديد التمسُّك به، كثير الاتِّباع لكلامه، وعباراته في الخلاصة، حيث يحكم ولا يحكي عن الغير»(٢).

ويعلِّق رحمه الله على عبارة للعلَّامة في ترجمة أحد الرُّواة: «هي عبارات النَّجاشيّ عينها»(٣).

وينقل الشَّيخ محمَّد تقي المجلسيّ عن صاحب المعالم: «إنَّه لم يعتبرْ توثيق العلَّامة، والسيِّد ابن طاووس، والشَّهيد الثَّاني؛ بل أكثر الأصحاب تمسُّكًا، بأنَّهم ناقلون عن القُدماء)(٤).

ويقول صاحب سماء المقال: «والتَّحقيق أن يقال إنَّه لا حاجةَ إلى توثيقاته غالبًا؛

(١) تعليقة الشهيد الثاني على خلاصة الأقوال: ٣٣.
(٢) الفوائد الرجاليَّة: ٢/ ٤٥.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) روضة المتَّقين: ١٤/ ١٧.

فـلأنّ الظَّاهـر أنَّ أكثر كلماته، فضلًا عـن توثيقاته، مأخوذ من النجـاشيّ؛ فهو إمَّا يذكر كلماته بعينها، أو مع زيادة ونقيصة»[1].

ولا يخفى عليك من أنَّ العلَّامة اتَّبع أسـتاذه ابن طاووسٍ في كثيرٍ من الموارد، ولـمَّا كان السـيِّد رحمه الله كثيرَ الاشـتباه، تسـرَّب إلى تلميذه العلَّامـة؛ فهو تكرارٌ لمـا وقع فيه ابن طاووس.

وذكـرَ جملةٌ مـن الرِّجاليِّين هذا الإشـكال المتقـدِّم، وذهبوا لعدم اعتبـار توثيقات العلَّامـة، والدَّليـل عـلى ذلك ما وقع منـه من أخطـاء في الخُلاصة، وقلَّـة مراجعته[2]، واعتمد على كلام ابن طاووسٍ الذي فيه كثير من الأخطاء، والأوهام.

وعلَّق الشَّـهيد الثَّاني في بعض تعليقاته، وبيَّن فيهـا تبعيَّة العلَّامة لابن طاووسٍ في ترجمـة (إبراهيم بن محمَّد بن فارس): «إنَّ الغالب من طريقة العلَّامة في الخُلاصة متابعة السيِّد جمال الدين بن طاووس، حتَّى شاركه في كثير من الأوهام»[3].

وقال صاحب المعالم رحمه الله: «إنَّ العلَّامة لا يعتمد على توثيقه لما يعلم من حال الخُلاصة، من أنَّه أخذها من كتاب ابن طاووس، وأوهام ابن طاووس كثيرة»[4].

وفي الطَّرف المُقابل يرى الكلباسيّ أنَّ هذا الإشـكال لا أسـاسَ له قال: «إنَّ توثيقات ابـن طاووس في كتابه قليلة، كما أنَّ أوهام أنظـاره بالإضافة صحيح، كلماته قليلة على أنَّ متابعته له بالإضافة إلى متابعة غيره مثل النَّجاشيّ قليلة؛ فمتابعته له قليلة في قليلة»[5].

(١) المقال في علم الرجال: ٢/ ٤٥.
(٢) راجع تفصيل ذلك: الرسائل الرجاليَّة: ١/ ٢١٨.
(٣) تعليقة الشهيد الثاني على الخلاصة: ١٨.
(٤) المقال في علم الرجال: ١/ ٢٢٤-٢٣١.
(٥) المصدر نفسه: ١/ ٢٢٤.

كلمةٌ أخيرة

في ضوءِ ما تقدَّم تبيَّن رفضُ جلِّ علماء الرِّجال تصحيحات العلَّامة، وعدم الاعتماد عليها؛ لوجود إشكالاتٍ عليها، وهذه الاعتراضات بصورة مجملة، هي:

١. مراد العلَّامة (الصَّحيح) في تأليفه، الصَّحيح عند القدماء لا المتأخِّرين.

٢. أخطاء العلَّامة الكثيرة في التَّوثيقات.

٣. وجود مجاهيل في الإسناد.

هذه الإشكالات واردةٌ على تصحيحات العلَّامة فيما إذا اعتبرنا توثيقات المتأخِّرين حجَّة، وإذا لم نقبلْ توثيقاتهم؛ فلا نقبل تصحيحاتهم أيضًا؛ لأنَّ التَّصحيحات فرعُ التَّوثيقات، كما أشرنا إليه آنفًا.

ومن جهةٍ أخرى، فمن وافق على هذا المبنى بعنوان توثيق عامٍّ؛ فكثيرٌ منهم اشترطوا شرطًا أو شروطًا، وربَّما بعضها يفضي لعدم قبول المبنى من الأساس، كما بيَّنَّاه سلفًا.

وبالجُملة: لا شكَّ في أنَّ العلَّامة صنَّف في مختلف العلوم الإسلاميَّة، وأبدى نظره فيها، ومنها علم الرجال، فله نظرٌ خاصٌّ أيضًا.

وممَّا ينبغي التَّنبيه عليه أنَّ العلَّامة في توثيقاته، وتضعيفاته، يُشفع كثيرًا منها بدليل، ومعها يمكن أن يكون توثيق العلَّامة مؤيِّدًا في توثيق الرَّاوي، ولكن تصحيحاته لا يمكن اعتبارها مؤيِّدًا على وثاقة الراوي، كما لا يخفى.

المصادر والمراجع

١. أصول علم الرجال، عبد الهادي الفضليّ، بيروت مؤسَّسة أم القرى.

٢. أصول علم الرجال بين النظريَّة والتطبيق، مسلم الداوريّ.

٣. أمل الآمل، الشيخ محمَّد الحرّ العامليّ، مكتبة الأندلس.

٤. بحوث في علم الرجال، الشيخ محمَّد لآف محسني، مطبعة سيِّد الشهداء عليه السلام، قم.

٥. بحوث في فقه الرجال (محاضرات السيِّد عليّ العلَّامة الفاني الأصفهانيّ)، مؤسَّسة العروة الوثقى.

٦. تحرير الأحكام الشرعيَّة في مذهب الإماميَّة، العلَّامة الحِلِّيّ.

٧. تذكرة الفقهاء، العلَّامة الحِلِّيّ، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام، قم.

٨. تعليقة على خلاصة الأقوال، الشهيد الثاني، مؤسَّسة البلاغ، بيروت، لبنان.

٩. تعليقة على منهج المقال، الوحيد البهبهانيّ.

١٠. تكملة الرجال، الفاضل الكاظميّ، تحقيق وتقويم: السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم، مطبعة أنوار الهدى، قم.

١١. تنقيح المقال، العلَّامة المامقانيّ، تحقيق: محمَّد رضا المامقانيّ، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام، قم.

١٢. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسيّ، دار الكتب الإسلاميَّة ، طهران.

١٣. تهذيب المقال في تنقيح رجال النجاشيّ، السيِّد محمَّد عليّ الأبطحيّ، قم.

١٤. توضيح المقال في علم الرجال، ملَّا عليّ الكني، قسم الأبحاث التراثيَّة بدار الحديث.

١٥. جامع الرواة، المرحوم محمَّد عليّ الأردبيليّ، مكتبة المحمَّديّ.

١٦. ملزمة تاريخ حديث الشيعة، الأستاذ السيِّد محمَّد كاظم الطباطبائيّ، جامعة علوم الحديث.

١٧. خاتمة المستدرك، الميرزا النوريّ، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

١٨. خلاصة الأقوال في معرفة أحوال الرجال، العلَّامة الحِلِّيّ، دار الذخائر، قم.

١٩. رجال النجاشيّ، أحمد بن عليّ النجاشيّ، جامعة المدرِّسين، قم.

٢٠. الرسائل الرجاليَّة، محمَّد بن محمَّد إبراهيم الكلباسيّ.

٢١. الرعاية في علم الدراية، الشهيد الثاني زين الدين بن عليّ بن أحمد العامليّ، مكتبة المرعشيّ، قم.

٢٢. روضة المتَّقين في شرح من لا يحضره الفقيه، العلَّامة محمَّد تقي المجلسيّ، بنياد فرهنك، طهران.

٢٣. سماء المقال في علم الرجال، الكلباسيّ، مؤسَّسة وليّ عصر عليه السلام.

٢٤. طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، السيِّد عليّ البروجرديّ، تحقيق: السيِّد مهدي الرجائيّ، مكتبة المرعشيّ، قم.

٢٥. العـدَّة في أصول الفقه (عدَّة الأصول)، الشـيخ الطـوسيّ، تحقيق: محمَّد رضا الأنصاريّ.

٢٦. فائق المقال في الحديث والرجـال، أحمد بن عبد الرضا البصريّ، دار الحديث، قم.

٢٧. الفوائد الحائريَّة، الوحيد البهبهانيّ، مجمع الفكر، قم.

٢٨. الفوائد الرجاليَّة، السيِّد بحر العلوم، تحقيق وتعليق: محمَّد صادق بحر العلوم، مكتبة الصادق عليه السلام، طهران.

٢٩. الفوائد الرجاليَّة، الشـيخ مهدي الكجوريّ الشيرازيّ، تحقيق: رحمن ستايش، دار الحديث، قم.

٣٠. كليَّات في علم الرجال، الشـيخ جعفر السـبحانيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم.

٣١. لؤلؤة البحرين في الإجازات، الشيخ يوسف البحرانيّ، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

٣٢. لسـان الميزان، ابن حجر العسقلانيّ، مؤسَّسـة الأعلميّ للطبوعات، بيروت، لبنان.

٣٣. مختلف الشـيعة في أحكام الشريعة، العلَّامة الحِلِّيّ، مؤسَّسـة النشر الإسلاميّ، قم.

٣٤. المدخل إلى علم الرجال والدراية، السيِّد محمَّد الحسينيّ القزوينيّ، مؤسَّسة وليّ عصر عليه السلام، قم.

٣٥. مشرق الشَّمسَين، البهائيّ العامليّ، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

٣٦. معجم مصطلحات الرجال والدراية، محمَّد رضا جديدي نزاد، مؤسَّسة دار الحديث، قم.

٣٧. معجم رجال الحديث، السيِّد أبو القاسم الخوئيّ، مركز نشر آثار الشيعة، قم.

٣٨. منتقى الجمان في الأحاديث الصِّحاح والحسان، الحسن بن زين الدين، تصحيح: عليّ أكبر غفاري، جامعة المدرِّسين، قم.

٣٩. منتهى المطلب في تحقيق المذهب، العلَّامة الحِلِّيّ، مجمع البحوث الإسلاميَّة، قم.

٤٠. منتهى المقال في أحوال الرجال، محمَّد بن إسماعيل المازندرانيّ الحائريّ، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام، قم.

٤١. نقد الرجال، السيِّد مصطفى التفريشيّ، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام، قم.

٤٢. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ الحرُّ العامليّ، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام، قم.

الحِلَّة في عهد دولة الخروف الأسود
(القرة قوينلو) ٨١٤/٨٧٤هـ

م. د. عبَّاس حسن عبيِّس الجبوريّ
مديريَّة تربية بابل

Hillah during the Reign of the Black Sheep State (Qara Qoyunlu) 814/874 A.H

Dr. Abbas Hassan Aobis Al-Jubouri
Babylon Education Directorate

ملخَّص البحث

شـهدت مدينـة الحِلَّة خلال عهـد دولة الخـروف الأسـود (٨١٤-٨٧٤هـ) جملة من الصِّـراعات السياسـيَّة والنزاعات العسـكريَّة التي كانت المدينة مِن أهمِّ سـاحاتها، وانعكسـت هذه الأحداث وآثارها على المدينة وسـكَّانها بشـكلٍ كبيرٍ، وعانت فيها من ويلات الحروب، وما نتج عنها من آثار انعكسـت سـلبًا على أحوال المدينة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّـة، ومـن ثـمَّ، درس هـذا البحـث طبيعـة هـذه الصِّـراعـات والنزاعات، وما تركته من آثار ونتائج على المدينة وسكانها لمدَّة تزيد على النصف قرن.

Abstract

During the reign of the Black Sheep State (814-874 AH), the city of Hillah witnessed a series of political conflicts and military disputes in which the city was one of the most important arenas. These events and their effects were greatly reflected on the city and its inhabitants. During these events, the city suffered from the ravages of war and the resulting effects that negatively affected the city's economic and social conditions. Therefore, this research studied the nature of these conflicts and disputes and the effects and results they left on the city and its inhabitants for a period of more than half a century.

المقدِّمة

عانت مدينة الحِلَّة الفيحاء، على مدى قرون عدَّة، من كونها مسرحًا للصراعات والنزاعات السياسيَّة التي كانت شبه دائمة في العراق بين الإمارات والدول المختلفة التي تعاقبت على حكم البلاد، ولعلَّ ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى ما انمازت به هذه المدينة من أهميَّة سياسيَّة واقتصاديَّة وثقل سكَّانيّ، حتَّى أصبحت محطَّ أنظار الحكومات والسلطات المختلفة التي حكمت العراق.

ومن بين تلك العهود التي مرَّت بها المدينة، عهد دولة القرة قوينلو الذي امتدَّ على فترات متفاوتة ما بين عامَي (٨١٤-٨٧٤هـ)، شهدت جملة من الصراعات السياسيَّة والنزاعات العسكريَّة، التي كانت مدينة الحِلَّة من أهمِّ ساحاتها، وانعكست هذه الأحداث وآثارها على المدينة وسكَّانها بشكلٍ كبير.

درس هذا البحث هذه الصراعات والنزاعات، وما تركته من آثار ونتائج على المدينة وسكَّانها لمدَّة تزيد على نصف قرن، وقد قُسِّم البحث على مقدِّمة وثلاثة مباحث، تعقبها خاتمة، درس المبحث الأوَّل أصول القرة قوينلو، وبدايات سيطرتهم على مدينة الحِلَّة، في حين تناول المبحث الثاني الصراع الجلائريّ القرة قوينلي وانعكاساته على مدينة الحِلَّة للمدَّة (٨٣٥-٨٥٧هـ/ ١٤٣١-١٤٥٣م)، واوضح المبحث الثالث الصراع بين القرة قوينلو وإمارة المشعشعين، ثمَّ نهاية دولة القرة قوينلو عام ٨٧٤هـ.

المبحث الأوَّل

سيطرة القرة قوينلو على مدينة الحِلَّة

أوَّلًا: القرة قوينلو أصولهم وبدايات حكمهم

القـرة قوينلـو أو الخـروف الأسـود، هم إحـدى القبائـل التركمانيَّـة المتفرِّعة من الأتراك (الغز) الذين يرجع أصلهم إلى (أوغوز) البطل الأسـطوريّ عند الترك، كانت تقطـن مناطق تركسـتان الغربيَّـة قبـل أن يضطرَّها الاجتيـاح المغـوليّ إلى النزوح نحو الغـرب في مناطق أذربيجان وشرق الأناضول، واسـتقرُّوا فيها، عُرِفـوا بالقرة قوينلو، أي الخـروف الأسـود؛ لاهتمامهـم بتربيـة هذا النـوع من الأغنـام، ولوجـود صورها عـلى راياتهـم[1]، وكذلـك تُطلق عليهم تسـمية البارانيَّة نسـبةً إلى (بـاران) أحد أحفاد أوغوز[2].

اتَّحدت هذه القبائل فيما بينها، وتمكَّنت من مدِّ مناطق نفوذها واستيلائها على مناطق عدَّة في جنوب غرب آسـيا، كشرق الأناضول، وأجزاء مـن العراق وإيران وأذربيجان والقفقاس، وأسَّسـت دولة عُرِفت بدولة الخروف الأسود، وكان أمراؤهم الأوائل من أتبـاع الجلائريِّين في بغـداد وتبريـز، إذ كان جدُّهم (بيرام خواجة) في خدمة السـلطان

(١) علاء محمود قدَّاوي، تاريخ العراق في عهدَي القرة قوينلو والآق قوينلو (٨١٤-٩١٤هـ/ ١٤١١-١٥٠٨م)، دار غيداء، عمان، ٢٠١٢م، ص٣٠-٣١.

(٢) عبَّاس العزَّاوي، موسـوعة تاريخ العـراق بين احتلالَين، الدار العربيَّة للموسـوعات، بغداد، ٢٠٠٤، مج٣، ص٢٧.

أويس الجلائريّ، تمكنَّوا بعد صراعٍ دامٍ مع الدولة الجلائريَّة من تأسيس دولتهم في تبريز سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م، وهم من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام[١].

ويعدُّ الأمير قرة يوسف بن قرة محمَّد بن بيرم خجا المؤسِّس الحقيقيّ لدولة القرة قوينلو، والذي تولَّى الحكم بعد وفاة أبيه سنة (٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م)، وهو من أبرز أمراء القرة قوينلو، استولى على عراق العرب والعجم، ثمَّ ملك تبريز وبغداد وماردين وغيرها، إذ وسَّع مناطق نفوذه، وقُدِّر عدد أتباعه ما بين ثلاثين ألف وأربعين ألف مقاتل[٢].

تحالف قرة يوسف مع السلطان أحمد بن أويس الجلائريّ الذي كان زوجًا لأخته، وشارك معه في حروبه ضدَّ التيموريِّين سنة (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م)، واستغل الطرفان توجُّه التيموريِّين إلى الأناضول، فدخلا العراق ليستقرَّ قرة يوسف في بادية هيت، وتوجَّه أحمد الجلائريّ إلى بغداد، فاستعادها من التيموريِّين، غير أنَّ الوضع لم يستمرَّ طويلًا، إذ سرعان ما عاد التيموريِّين لبغداد؛ فانهزم أحمد الجلائريّ إلى منطقة الأهوار، وبقي حتَّى توجَّه التيموريِّين مجدَّدًا لمهاجمة الأناضول، فعاد إلى بغداد[٣].

وضع السلطان أحمد ابنه الأمير طاهر حاكمًا على الحِلَّة، والذي سرعان ما تمرَّد على أبيه، فقرَّر السلطان أحمد مهاجمة المدينة، ووجد أن لا قِبَل له على مواجهة المتمرِّدين، فطلب العون من قرة يوسف، الذي سارع إليه من هيت مع قوَّات عسكريَّة، ثمَّ

(١) جميل أبو طبيخ، مذكِّرات بغداد- مراجعة في تاريخ الصراع الطائفيّ والعنصريّ ٦٧٢م-٢٠٠٧م، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٨، ص٦٦.

(٢) السخاويّ، شمس الدين محمَّد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مطبعة دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٦، ص٢١٦-٢١٧.

(٣) بيداء عليوي هادي، الحِلَّة في العهد الجلائري (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م-٨٣٥هـ/ ١٤٣١م)، رسالة ماجستير مقدَّمة إلى كليَّة التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٩، ص٣٨.

عـبرا النهـر وواجهـا قـوَّات الأمير طاهـر، وحدثـت معركة كبـيرة بـين الطرفَين عام (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م)، هُزِم على إثرها الأمير طاهر الذي قُتِـل خلال فراره من المعركة، بعد أن غرق خلال محاولته عبور أحد الأنهار[١].

لم تَـدُم حالة الوفاق بين السـلطان أحمد والأمير قرة يوسـف، إذ سرعان ما انقلب الأخير على السـلطان أحمد بعد اختلافهـما على توزيع الغنائم، وهاجـم مقرَّه في بغداد، فاضطرَّ السـلطان أحمد إلى الهرب إلى الشـام، وأصبحت بغداد والحِلَّة تحت سـيطرة قرة يوسـف لمدَّة ثلاثة أشـهر[٢]، هاجمت بعدها قوات التيموريِّين بقيادة أبي بكر بن ميرزاده ميرانشـاه ابن تيمورلنك مدينة الحِلَّة، وجرت بينها وبين قوَّات قرة يوسـف معركة نهر الغنـم بالقرب من المسـيَّب (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)[٣]، تمكَّنت فيها مـن هزيمة قوَّات قرة يوسـف الذي انسحب هاربًا إلى الشـام، حيث أُلقي القبض عليه، وسُجِن مع السلطان أحمـد الجلائـريّ، فتصالحـا واتَّفقا على تقاسـم مناطق السـلطة والنفـوذ بينهما في حال خروجهما من السـجن، فتكون أذربيجان لقرة يوسـف، والعراق لأحمد الجلائري، إلَّا أنَّهما سرعان ما عادا إلى الصراع والتنافس بعد إطلاق سراحهما[٤].

ثانيًـا: سيطـرة القـرة قوينلـو علـى مدينـة الحِلَّـة للمـرَّة الأولى ٨١٤-٨٢٦هـ

عاد السـلطان أحمد إلى العراق بعد وفاة تيمور سـنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، واستعاد

(١) يوسف كركوش، تاريخ الحِلَّة، المكتبة الحيدريَّة، النجف الاشرف، ١٤٣٠هـ، ج١، ص١٢٢.
(٢) فاطمـة حسـين فاضل المفرجـي، الحِلَّة في عهـد الآق قوينلـو(١٤٦٨-١٥٠٨)، مجلَّـة الملويَّة للدراسات الآثاريَّة والتاريخيَّة، المجلَّد٤، العدد ٨، السنة الرابعة، حزيران ٢٠١٧م، ص٢٥٨.
(٣) جاسـم حسـين مهاوي، تاريخ الغـزو التيموريّ للعراق والشـام وآثاره السياسـيَّة (١٣٨٥-١٤٠٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٦م، ص٩٠.
(٤) علاء محمود قدَّاوي، تاريخ العراق في عهد القرة قوينلو والآق قوينلو، ص٦٦.

سيطرته على بغداد، وبقي فيها حتَّى مقتله خنقًا على يد أتباع الأمير قرة يوسف سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م)، فتولَّى الحكم بعده ابن أخيه شاه ولد، ولم يستمر حكمه طويلا[١]، إذ دبَّرت زوجته دوندي مكيدة وقتلته، فتمكَّن القرة قوينلو من مدِّ نفوذهم وسيطرتهم إلى العراق، فاحتلُّوا بغداد عام ١٤١٠/ ٨١٤هـ[٢].

مدَّ القرة قوينلو نفوذهم إلى مدينة الحِلَّة وبقيَّة مدن العراق الأخرى، إلَّا أنَّ الأوضاع في الحِلَّة اضطربت وساءت، لاسيما مع انتشار وباء الطاعون فيها، ومن ثمَّ أصبحت المدينة مطمع للقبائل المحيطة بها، فسارع زعيم خفاجة (عذرا بن عليّ بن نعير آل فضل) للاستيلاء على المدينة، وتمكَّن من احتلالها، فهرب أهالي المدينة في حالة من الذعر والخوف، فغرق الكثير منهم في محاولتهم عبور شطِّ الحِلَّة إلى ضفته الأخرى، وبقيت المدينة تحت سيطرة قبيلة خفاجة لمدَّة سبعة أشهر، دون تمكُّن الأمير شاه محمَّد ابن قرة يوسف، حاكم بغداد القرة قوينلي آنذاك، من إبعاد القبيلة عن المدينة، ولاسيما أنَّ دولته كانت تمرُّ بمرحلة ضعف، بعد موت مؤسِّسها قرة يوسف سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م[٣].

وفي هذه المدَّة شهدت مدينة الحِلَّة تواصل عدد من أعيانها مع بعض الأمراء القريبين من الأمير شاه محمَّد، فضلًا عن بعض أعيان بغداد وبعقوبة، كان الهدف منها

(١) ابن حجر العسقلانيّ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ، أنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة لجنة إحياء التراث العربيّ الإسلاميّ، القاهرة، ١٩٩٨م، ج٣، ص٢٣٠، السخاويّ، الضوء اللامع، ج ٦، ص٢١٧.

(٢) بحرية أوج، النساء الحاكمات في التاريخ، ترجمة: إبراهيم الداقوقيّ، مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٧٣م، ص١٣٣.

(٣) المقريزيّ، أبو العبَّاس أحمد بن عليّ بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، مطبعة دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٧ م، ج٤، ص٨٧٦، العسقلانيّ، أنباء الغمر بأنباء العمر، ج٣، ص١٤٦، يوسف كركوش، تاريخ الحِلَّة، ج١، ص١٢٥.

الإطاحة بالأمير وذلك بالاستعانة بالجلائريِّين، إلَّا أنَّ شاه محمَّد اكتشف المؤامرة، وألقى القبض على المشتركين فيها سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م، ومنهم عدد من أقاربه وقادة الجيش، وقتلهم، وكان بينهم من مدينة الحِلَّة السيِّد فخر الدين الأعرج، وناصر الدين ابن الخواجة مخزوم، وأخوه عليّ[١].

لم ينتهِ دور الجلائريِّين في هذه المدَّة، بل سرعان ما أعادوا تجميع قواهم، لاسيما بعد تولِّي السلطان أويس الثاني بن شاه ولد حكم الدولة الجلائريَّة في تستر سنة ٨١٨هـ، فاستلم الحكم، وقضى سنوات حكمه الأولى في مواجهة هجمات التيموريِّين على مناطق الدولة الجلائريَّة، وبعد تمكُّنه من تقليل خطر هذه الهجمات، قرَّر إعادة مناطق سيطرة ونفوذ الدولة الجلائريَّة، لاسيما في العراق، تحويل عاصمة مُلكه إلى مدينة الحِلَّة[٢].

أسند السلطان أحمد مهمَّة استعادة السيطرة على بغداد والحِلَّة إلى أخيه السلطان (محمَّد بن شاه ولد)، الذي قاد قوَّة عبر واسط باتِّجاه الحِلَّة سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، فدخلها دون مضايقة ومقاومة من حاكم الحِلَّة الأمير أدرسون، الذي وجد أن لا قِبَل له على مواجهة الجلائريِّين، ففضَّل الهرب والتوجُّه إلى تبريز[٣]، فدخل أويس المدينة سنة ٨٢٦هـ، وعمل على تنظيم الأوضاع فيها، واتَّخذ تاج الدين بن حديد، وهو من أبناء المدينة، وزيرًا له، واتَّصل بزعماء العشائر المجاورة للمدينة، وحصل على دعمهم وتأييدهم له في عزمه على إسقاط حكومة القرة قوينلو في بغداد[٤].

(١) يوسف كاظم جغيل، الحياة الفكرية في الحِلَّة خلال القرن التاسع الهجريّ، أطروحة دكتوراه مقدَّمة إلى كليَّة التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠٨م، ص٤٧.
(٢) بيداء عليوي هادي، الحِلَّة في العهد الجلائري، ص٤١.
(٣) شعبان طرطور، الدولة الجلائريَّة، دار الهداية، سوهاج، ١٩٨٥، ص٤٩-٥٠.
(٤) يوسف كركوش الحِلّيّ، تاريخ الحِلَّة، ج١، ص١٢٥-١٢٦.

عمـل أويـس الثاني على تحشـيد قوَّاته، وهاجم بغداد سـنة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م)، وحـاصر قـوَّات القـرة قوينلـو فيها، ثمَّ اشـتبك مـع قوَّات الأمـير جهان شـاه الذي كان منسـحبًا مـن المدينـة مـع قوَّاته، بعـد خلاف بينـه وبين أخيـه الأمير شـاه محمَّد، وفي هـذا الاشـتباك قُتِـل السـلطان أويـس الثـاني، فانسـحبت قوَّاته وتركـت حصار بغداد[1].

(١) يونـس عبَّاس نعمة، وميثاق عبيس حسـين، الأوضاع السياسـيَّة والاقتصاديَّـة للحِلَّة في عهد الدولة التركمانيَّة (٨١٤هـ/ ١٤١١م-٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)، مجلَّة مركز بابل للدراسات الإنسانيَّة، المجلَّد ٥، العدد ١، ص١١٩.

المبحث الثاني

الصراع الجلائريّ القرة قوينلي وانعكاساته على مدينة الحِلَّة (٨٣٥-٨٥٧هـ/ ١٤٣١-١٤٥٣م)

أوَّلًا: نهاية حكم الجلائريِّين وتولِّي الأمير أسبان الحكم

تولَّى السلطان حسين الثاني ابن علاء الدولة الحكم في مدينة الحِلَّة الفيحاء خلفًا لأويس الثاني يوم الجمعة العاشر من شعبان سنة ٨٢٧هـ، وكان أويس قد استدعاه قبل وفاته بأربعة أشهر؛ لعدم وجود من يرث حكمه، ثمَّ تمكَّن السلطان حسين الثاني من مدِّ نفوذه إلى مناطق أخرى كالبصرة وواسط وغيرها، وقاربت مدَّة حكمه ما يقارب سبع سنوات، استوزر ثلاثة وزراء من أهالي الحِلَّة، وهم عبد الكريم بن نجم الدين، من النيل، الذي توفِّي سنة ٨٣٠هـ، وبعده شخص اسمه شهاب الدين، الذي لم يكن مؤيِّدًا للجلائريِّين، وعارض السلطان حسين؛ فشنقه الأخير، فتسلَّم الوزارة بعده أخوه نظام الدين[١].

لم تكن سيرة السلطان حسين جيِّدة مع الأمراء والرعيَّة، واشتهر بسوء إدارته وتعدِّيه على حرمات الكثيرين، ووُصِف بالفسق والفجور والظلم والانحراف عن الشريعة، ممَّا أثار غضب الأمراء والجيش والرعيَّة على حدٍّ سواء[٢].

(١) الغيَّاثيّ، عبد الله بن فتح الله، التاريخ الغيَّاثيّ، تحقيق: طارق الحمدانيّ، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٥م، ص١٤٤.

(٢) يوسف كاظم جغيل، الحياة الفكريَّة في الحِلَّة خلال القرن السابع الهجريّ/ الخامس عشر=

عمل السلطان حسين على الاستعداد لمواجهة حكومة القرة قوينلو في بغداد، التي كانت تحت حكم الأمير أسبان بن قرا يوسف، إلَّا أنَّ سوء إدارته وغضب بعض قادته وأمراء جيشه، ومنهم أمير خليل وأمير يار عليّ، وغيرهم، من تصرُّفاته، دفعتهم للاتِّصال والتراسل مع الأمير أسبان الذي هاجم الحِلَّة، والتقى الطرفان في منطقة السيب القريبة من الحِلَّة، وتمكَّن السلطان حسين من هزيمة قوات أسبان الذي اضطرَّ إلى الفرار إلى شمال العراق، حيث عمل على تجميع قوَّات جديدة، وتحالف مع بعض الأمراء الموجودين في الموصل وأربيل، وهاجم مدينة الحِلَّة مرَّة أخرى عام ٨٣٥هـ[١]، وحاصر السلطان حسين داخل المدينة لمدَّة سبعة أشهر، عانى فيها أهالي الحِلَّة الكثير، إذ يذكر الغيَّاثيّ في تاريخه: «وكان الحصار في أيَّام الحصاد، ولم يدخل إلى البلد شيء من الغلَّة، فوقع الجوع فيهم، حتَّى أكلوا الكلاب والسنانير، وبلغ التغار الحنطة إذا خبز إذ ذاك قوم باثني عشر ألف دينار، ونفدت الدواب والحمير، حتَّى كاد الناس يأكلون بعضهم بعضًا، فعند ذلك أشار عليه الأمراء أن يصالح أسبان ويعطيه البلد»[٢]. ونتيجة لذلك، ولضغط الأمراء وقادة العسكر عليه، اضطرَّ السلطان حسين إلى طلب الأمان من أسبان، والاستسلام له، فتمكَّن أسبان من دخول المدينة وإنهاء حكم الدولة الجلائريَّة فيها[٣].

قَبِل أسبان بذلك، واستسلم السلطان حسين له، إلَّا أنَّ أسبان عمل على صنع

=الميلاديّ، الحِلَّة، مطبعة دار الصادق، ط١، ٢٠١٠م، ص٧٨، بيداء عليوي هادي، المصدر السابق، ص٤٦-٤٧.

(١) ابن العماد الحنبليّ، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ج٧، ص٢١٣، يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة، ج١، ص١٢٦-١٢٧.

(٢) الغيَّاثيّ، التاريخ الغيَّاثيّ، ص٢٦٣.

(٣) العزَّاويّ، موسوعة تاريخ العراق بين احتلَالَين، مج٣، ص٨٤-٨٥.

مكيدة أراد بها قتل السلطان حسين، فاتَّفق مع بعض الحرَّاس على تسهيل هروبه، ومن ثمَّ أرسل من ألقى القبض عليهم، وقتل السلطان حسين خنقًا في الثالث من صفر سنة (٨٣٥هـ/ ١٤٣١م)، وبمقتله انتهى وجود الدولة الجلائريَّة[١].

ثانيًا: الحِلَّة في عهد القرة قوينلو للمرَّة الثانية ٨٣٥-٨٥٧هـ

عمل الأمير أسبان بعد سيطرته على مدينة الحِلَّة إلى مدِّ نفوذه إلى بغداد، فهاجمها عام ٨٣٦هـ، فهرب حاكمها الشاه محمَّد إلى الموصل، وأصبح العراق تحت حكم الأمير أسبان، الذي رحل إلى ضواحي الحِلَّة سنة ٨٤١هـ، بعد انتشار وباء الطاعون في بغداد، وبقي فيها مدَّة من الزمن، ثمَّ عمل على مدِّ نفوذ دولته على بقيَّة مناطق العراق، فخاض عدَّة صراعات مع المشعشعين في جنوب العراق، وأرسل عدَّة حملات عسكريَّة ضدَّهم، قاد بعضها بنفسه، إلَّا أنَّه لم يتمكَّن من القضاء عليهم[٢].

وفي عهد الأمير أسبان هذا جرت مناظرة علميَّة بين علماء الطوائف الإسلاميَّة، وكان الشيخ ابن فهد الحِلِّيّ الأسديّ ممَّن ناظر فيها عن مذهب أهل البيت عليهم السلام، وتمكَّن بالحجج والبراهين من إفحام مناظريه؛ فتأثَّر الأمير أسبان كثيرًا، واعتنق المذهب الشيعيّ، وأصبح موالِيًا لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وقد ألقى خطبة الجمعة باسم أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام، وسكَّ النقود بأسماء الأئمَّة الاثني عشر عليهم السلام، توفِّي الأمير أسبان سنة ٨٤٨هـ بعد إصابته بمرض أدَّى إلى وفاته[٣].

تولَّى الأمير الوند بن إسكندر الحكم خلفًا لعمِّه أسبان، فبدأت مرحلة جديدة من

(١) ابن حجر العسقلانيّ، أنباء الغمر بأنباء العمر، ج٣، ص٤٨٤-٤٨٥.
(٢) الغيَّاثيّ، التاريخ الغيَّاثيّ، ص٢٧٠، علاء محمود قدَّاوي، تاريخ العراق في عهد القرة قوينلو والآق قوينلو، ص٨٧.
(٣) محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، ج٦، دار التعارف، بيروت، د.ت، ج٣، ص١٤٧.

المنافسة بين أفراد الأسرة والأمراء حول السلطة في بغداد، إذ كانت وصيَّة أسبان بأن يخلفه ابن أخيه الأمير الوند بن إسكندر، وعدم تولية ابنه فولاذ؛ لصغَر سنِّه[١].

دعا أمراء القرة قوينلو الأمير الوند بالحضور إلى بغداد؛ ليتمَّ تنصيبه بحسب وصيَّة عمِّه، وكان الوند وقتها حاكمًا على الحِلَّة، إلَّا أنَّ الأمراء سرعان ما تنكَّروا لوصيَّة أسبان، وقرَّروا تنصيب ولده فولاذ خلفًا لـه؛ خوفًا من تعرُّض مصالحهم وامتيازاتهم للخطر، إذا تولى الوند مقاليد الحكم، لاسيما وأنَّ فولاذ صغير السنِّ، وسيكون أفضل انقيادًا وطاعةً لهم[٢].

إنَّ عمليَّة رفض الأمراء للوند لم تمرّ مرور الكرام، فأخذ الأخير يحشد الأعوان والأنصار، وضمَّ إليه قوَّات من أعوانه في كركوك وأربيل والموصل، وسار بهم نحو بغداد؛ لفرض سلطته عليها بالقوَّة، وتمكَّن أوَّل الأمر من هزيمة القوَّات التي خرجت من بغداد لقتاله، إلَّا أنَّ الأمراء سرعان ما أعادوا ترتيب قوَّاتهم، وهاجموا الوند في غفلة من أمره، فانهزمت قوَّاته، فرجع هاربًا إلى مقرِّ حكمه في الحِلَّة[٣]، عندئذٍ قرَّر الأمير جهان شاه بن قرة يوسف، حاكم القرة قوينلو في تبريز، أن يضع حدًّا لهذه الانقسامات بين أولاد إخوته وأمراء بغداد، فسار إليهم على رأس جيش كبير، فلم يجد أمراء بغداد بدًّا من مصالحة الأمير الوند، فجاؤوا به من الحِلَّة، واستقرَّ مع أتباعه في الجانب الغربيّ من بغداد، ثمَّ تداولوا في ما بينهم الموقف الحرج الذي آلت أليه أمورهم، وضرورة توحيد الجهود ضدَّ عمِّهم الأمير جهان شاه، واشترط الأمير الوند أن ينصِّبوه حاكمًا عليهم بحسب وصيَّة عمِّه، لكنَّ الأمراء رفضوا الطلب، ذلك فعاد إلى الحِلَّة خائبًا[٤].

(١) المقريزيّ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، ص٨٧٦.
(٢) علاء محمود قدَّاوي، تاريخ العراق في عهد القرة قوينلو وال‌ُق قوينلو، ص٨٩-٩٠.
(٣) العزَّاويّ، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالَين، مج٣، ص١٣٤.
(٤) بيداء عليوي هادي، المصدر السابق، ص٥١.

وفي أثناء ذلك وصل جيش الأمير جهان شاه إلى أسوار بغداد، وفرض الحصار على المدينة أواخر سنة (٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م)، ومن سياق الأحداث يبدو أنَّ الأمير الوند أصبح في موقف لا يحسد عليه، فقد يئس من إمكانيَّة التفاهم مع أمراء بغداد، فضلًا عن تخوُّفه من وصول عمِّه إلى المدينة، فقرر الانسحاب من الحِلَّة والنأي بنفسه عن هذا الصراع، وأن يأخذ طريقه إلى الشام لاجئًا فيها[١]، ولكنَّ الأمير جهان شاه علم بحراجة موقف ابن أخيه، وأراد أن يتقوَّى به، ومن ثمَّ راسله وأخذ يطمئنه ويغريه بالتعاون معه ضدَّ المتمرِّدين، ووعده بإعطائه الجانب الغربيّ من بغداد، فضلًا عن الحِلَّة، وقد أبدى الوند تردُّدًا في قبول عروض عمِّه، ولكن بعد أن دخل في بغداد سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م) بعد حصار استمرَّ أكثر من ثلاثة أشهر، لم يجد الأمير الوند بدًّا من الاستجابة لدعوات عمِّه، فقدِم إلى بغداد، وعيَّنه جهان شاه حاكمًا على الجانب الغربيّ منها مثلما وعده، وهكذا وُضِعَت مدينة بغداد تحت إدارتَين مستقلَّتَين، إحداهما للجانب الغربيّ، والأخرى للجانب الشرقيّ[٢].

ويبدو من سياق الحوادث أنَّ الأمير الوند قد ترك على حكم الحِلَّة أحد الأمراء، وهو الأمير بسطام، الذي اشترك في التصدِّي لهجمات المشعشعين على مدن الفرات الأوسط سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣ م)، وحشد فيها الجند تحسُّبًا لأيِّ هجوم قد يشنُّه المشعشعون، ولكن هذه الاستعدادات ما كانت تحول دون مهاجمة المشعشعين للمدينة مرَّة أخرى[٣].

(١) ابن العماد الحنبليّ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج٧، ص٢١٣، المقريزيّ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، ص٨٧٧.
(٢) الغيَّاثيّ، التاريخ الغيَّاثيّ، ص٢٨٢.
(٣) عليّ شاكر عليّ، العراق والغزو القرة قوينلو في القرن الخامس عشر، مجلَّة المؤرِّخ العربيّ، العدد ٢٨، السنة ١١، بغداد، ١٩٨٦، ص١٣١-١٣٢.

المبحث الثالث

الصراع مع المشعشعين ونهاية القرة قوينلو ٨٥٧-٨٧٤هـ

أوَّلًا: الصراع مع الإمارة المشعشعيَّة

إنَّ حسم الصراع على الحِلَّة لصالح القرة قوينلو لم يؤدِّ إلى تثبيت حكمهم عليها، إذ إنَّ هذا الحكم ظلَّ قلقًا وهشًّا، فما أن انتهوا من القضاء على الحكم الجلائريّ، حتَّى صار عليهم أن يواجهوا خصمًا جديدًا ينازعهم السيادة على الحِلَّة منذ منتصف ذلك القرن، تمثَّل الخصم الجديد بالأمارة المشعشعيَّة التي تزعَّمها محمَّد بن فلاح المشعشع.

ظهرت هذه الإمارة في منطقة الأحواز وجنوب العراق، إذ تمكن محمَّد المشعشعيّ، الذي ادَّعى المهدويَّة، ونزح إلى الأحواز، بعد أن جابهه العلماء، وفنَّدوا ادِّعاءاته الباطلة، من استقطاب جموع العشائر الساكنة على الحدود العراقيَّة الإيرانيَّة، ومنهم بنو تميم، وعبادة، وبني لام، والرزنان، والسودان، والسواعد، وغيرهم، مؤسِّسًا إمارة قويَّة الشكيمة، اتَّخذ الحويزة سنة ٨٤٠هـ مقرًا لها، ثمَّ سعى لمدِّ نفوذه على مدن العراق الجنوبيَّة، التي كانت بيد الجلائريِّين، وإخراج القرة قوينلو من العراق[١].

تمكَّن المشعشعون من بسط سيطرتهم على مدن العراق الجنوبيَّة باستثناء البصرة، ثمَّ اتَّجهوا شمالًا نحو واسط وبغداد، ودخلوا في صراع مع القرة قوينلو حول الحِلَّة ومدن

(١) جاسم حسن شبَّر، تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٥، ص١٤-٢٤.

الفرات الأوسط، لكنَّ القرة قوينلو تمكَّنوا من صدِّ هجماتهم في واسط، ولاحقوهم حتَّى مقرِّ إمارتهم، إلَّا أنَّهم لم يتمكَّنوا من القضاء عليها، إذ سرعان ما تجدَّدت الصراعات العسكريَّة بين الطرفَين بعد بروز شخصيَّة المولى عليّ بن محمَّد المشعشعيّ، الذي أصبح الحاكم الفعليّ للأمارة، وقاد عدَّة هجمات على بغداد والحِلَّة سنة ٨٥٧هـ، ودخل النجف وارتكب فيها مجازر كبيرة، ونهب محتويات مرقد الإمام عليّ عليه السلام[١].

قرَّر القرة قوينلو مواجهة المشعشعين، فأرسلوا قوَّة عسكريَّة من بغداد يقودها الأمير ديوه بيك، وانضمَّت لها قوَّة أخرى من الحِلَّة بقيادة حاكم الحِلَّة الشحنة بسطام، واشتبكت مع قوَّات المولى عليّ قرب الكوفة، إلَّا أنَّ هذه القوَّة خسرت أمام المشعشعين، ولم ينجُ من تلك الجيوش سوى عدد قليل، في مقدِّمتهم ديوه بيك قائد عسكر بغداد، الذي فرَّ من ساحة المعركة، على حين تراجع الأمير بسطام وأتباعه، وانسحب باتِّجاه الحِلَّة مع عدد قليل ممَّن بقي من قوَّاتها[٢].

لاحق المشعشعيُّون القوَّات المنهزمة التي لجأت إلى الحِلَّة، والتي سرعان ما تركت المدينة بعد أن وجد قادتها أن لا قِبَل لهم على مواجهة المشعشعين، فانسحبوا من المدينة ومعهم جزء كبير من سكان المدينة، بمن فيهم النساء والأطفال، باتِّجاه بغداد، فمات الكثير منهم في أثناء عبور الفرات غرقًا، ومات آخرون من الجوع والعطش؛ لأنَّهم غادروا المدينة دون التزوُّد بالطعام، فضلًا عن التعب وشدَّة البرد، ووصف الغيَّاثيّ ذلك الانسحاب بقوله: «.. وتوجَّه بسطام شحنة الحِلَّة وجميع أهل الحِلَّة إلى بغداد، الذي قدر على مركوب ركب، والباقي رجَّالة، الرجال والنساء والأطفال، بحيث هلك منهم خلق كثير، بعضهم من التزاحم على العبور من شطِّ الحِلَّة، وبعضهم في

(١) عبَّاس العزَّاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالَين، مج٣، ص١٤٦.
(٢) عبد الأمير الرفيعيّ، العراق بين سقوط الدولة العبَّاسيَّة وسقوط الدولة العثمانيَّة، مكتبة بستان المعرفة، بغداد، ٢٠١٠، ص٢٢٦.

الطريـق من التعب والجوع والعطـش، فإنَّهم خرجوا بغير زاد، ولكن من لطف الله على عبـاده أنَّه كان الفصل باردًا، فإنَّـه كان في ٣ تشرين الثاني، فلو كان حرًّا ما نجا منهم إلَّا قليل»[١].

وبعد دخول المولى عليّ إلى الحِلَّة سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، قام بارتكاب المجازر فيها، إذ أمر بقتل كلِّ من وُجِد فيها، وأمر بتخريبها ونهبها، وظلَّ فيها يمارس أعماله الوحشيَّة لمـدَّة ثمانية عشر يومًا، وخرج منها بعد أن نهبـوا المدينة، وتوجهوا إلى الحويزة حيث مقر إمارته[٢].

ثانيًا: نهاية دولة القرة قوينلو

أثارت هزيمة القرة قوينلو والدمار الذي ألحقه المشعشون بالحِلَّة والنجف وكربلاء حاكم القرة قوينلو في شيراز بيربوداق، فطلب من سيدي عليّ أحد قادته في بغداد بإعادة السـيطرة على المدينة وإعمارها، وكانت القبائل قد اسـتغلَّت الفراغ الذي أحدثه هجوم المشعشـعين، وفرضت سـيطرتها على المدينة، فدخلها سـيدي عليّ عـام ٨٥٩هـ، وأعاد سيطرة القرة قوينلو عليها[٣].

وفي عـام ٨٦١هـ، قُتـل المـولى عـليّ في أحـد المعـارك، وعاد نفـوذ والـده محمَّد المشعشـعيّ وسـيطرته، وخـاض أيضًا عـددًا من المعـارك مع القـرة قوينلو، ثـمَّ توفِّي سـنة ٨٦٦هـ، إن اختلفـت الروايـات في تحديد تـارخ وفاته، ثـمَّ تولَّى حكـم الإمارة ابنـه محسـن المشعشـعيّ، الـذي اتَّخـذ واسـط مقـرًّا لحكمـه، ومنهـا أخـذ يعمل على التوسُّـع نحـو مـدن العـراق الأخرى، وقـد امتدَّ نفـوذه وسـلطته إلى مناطق واسـعة

(١) الغياثيّ، التاريخ الغياثيّ، ص ٣٠٩.
(٢) يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة، ج١، ص١٣٢.
(٣) عبَّاس العزَّاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالَين، مج٣، ص١٤٨.

مـن عبَّـادان والبـصرة شرقًا، حتَّـى الأحسـاء والقطيف غربًـا، ومن بغداد شـمالًا إلى بنـدر عبَّـاس جنوبًا، ومـن بينها مدينـة الحِلَّة، التي اسـتمرَّت تحت سـيطرته حتَّى عام ٨٧٢هـ[١].

وبقيـت مدينة الحِلَّة محطَّ صراع، وأرض نزاع بين المشعشـعين والقرة قوينلو حتَّى قرَّر والي بغداد محمَّد الطواشي اسـتعادة السـيطرة على مدينة الحِلَّة، فجهَّز حملة عسكريَّة لإخـراج المشعشـعين منهـا نهاية سـنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧، بعـد أن تمكَّن مـن إبعاد خطر دولة الأق قويلو بقيادة حسـن الطويل بشـكل مؤقَّت، فتمكَّن من هزيمة المولى محسـن المشعشـعي لتعود المدينة لسـيطرة القـرة قوينلو، وترك عليها صهره حسـين عليّ زينل، الـذي آل حكم القـرة قوينلو إليه بعد وفاة محمَّد الطواشيّ، فترك الحِلَّة تحت حكم شـاه عليّ بن قراموس، الذي حاول الاستقلال بالحِلَّة، لكن الحكومة في بغداد أرسلت جيشًا لاستعادة السيطرة على المدينة، فتمكَّن من دخولها سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م، وقتل حاكمها شاه عليّ بن قراموس[٢].

مُنِحـت إدارة الحِلَّـة بعـد قتل شـاه عـليّ إلى الحاكم القـرة قوينلي الشـاه منصور، الذي اتَّصف بظلمه وسـوء إدارته للمدينة، وتعسُّـفه مع الكثيرين مـن أبنائها، والذي أصبـح تحت حكمة بغداد والحِلَّة سـنة ٨٧٤هـ[٣]، وفي هذه السـنة تمكَّنت قوات الآق قوينلو من احتلال بغداد، وهي إمارة تركمانيَّة تأسَّسـت على يد الشـيخ حسـن الطويل (أوزون حسـن) (٨٢٨-٨٨٢هـ/ ١٤٢٤-١٤٧٨م) ابـن عليّ بك بن قـره عثمان، إذ تمكَّن حسـن الطويل من توسـيع إمارته نحو الشرق، وقضى على دولة القرة قوينلو سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، واتَّخذ من تبريز عاصمة لدولته، ثمَّ مدَّ نفوذه إلى العراق والخليج،

(١) جاسم حسن شبَّر، تاريخ المشعشعين، ص٧٦-٧٧.
(٢) عبَّاس العزَّاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالَين، مج٣، ص١٨٦-١٨٧.
(٣) الغياثيّ، التاريخ الغياثيّ، ص٣٣٤-٣٣٦.

وتمكَّن من احتلال بغداد بلا قتال سـنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، بعد أن حاصرها لمدَّة قصيرة، ومنح حكمها إلى ولده منصور بيك الذي دخل المدينة في يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨٧٤هـ[١].

(١) فاطمة حسين فاضل المفرجي، الحِلَّة في عهد الآق قوينلو، ص٢٦٥-٢٦٦.

الخاتمة

١. عانت مدينة الحِلَّة من سلسلة من الصراعات والنزاعات بين عدَّة إمارات حكمت العراق.

٢. بقيت مدينة الحِلَّة مسرحًا للصراع بين الجلائريِّين والقرة قوينلو عدَّة سنوات، عانت فيها من نتائج هذا الصراع السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة.

٣. أثَّرت الأوضاع السياسيَّة والهجمات المسلَّحة في مدينة الحِلَّة، وعانى سكَّانها من هذه الهجمات، وكثيرًا ما اضطرُّوا لترك مدينتهم هربًا من الحملات العسكريَّة، وانتقام الأطراف المتنازعة.

٤. تردَّت الأحوال الاقتصاديَّة في المدينة؛ نتيجة لكثرة الصراعات في هذه المدَّة.

٥. برغم ما مرَّ بالمدينة من تردِّي في أوضاعها العامَّة بقيت الحركة العلميَّة مزدهرة، وكان لعلماء الحِلَّة، ومقدرتهم العلميَّة، وفي مقدِّمتهم الشيخ ابن فهد الحِلِّيّ الأثر الكبير في تشيُّع القرة قوينلو.

٦. لم يشهد عهد القرة قوينلو، لاسيما في مدينة الحِلَّة، تطوُّرًا في المجالات العمرانيَّة أو الاقتصاديَّة أو غيرها، ولعلَّ سبب ذلك يعود إلى انعدام الاستقرار السياسيّ، وكثرة الحروب بين القرة قوينلو، والإمارات المجاورة.

المصادر

١. ابن العماد الحنبليّ، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت،١٩٩٤م، ج٧.

٢. ابن حجر العسقلانيّ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ، أنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة لجنة إحياء التراث العربيّ الإسلاميّ، القاهرة، ١٩٩٨م، ج٣.

٣. بحرية أوج، النساء الحاكمات في التاريخ، ترجمة: إبراهيم الداقوقي، مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٧٣م.

٤. بيداء عليوي هادي، الحِلَّة في العهد الجلائريّ (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م-٨٣٥هـ/ ١٤٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كليَّة التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٩.

٥. جاسم حسن شبَّر، تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٥.

٦. جاسم حسين مهاوي، تاريخ الغزو التيموريّ للعراق والشام وآثاره السياسيَّة (١٣٨٥-١٤٠٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٦م.

٧. جميل أبو طبيخ، مذكِّرات بغداد- مراجعة في تاريخ الصراع الطائفيّ

والعنصريّ ٦٧٢م-٢٠٠٧م، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٨.

٨. السخاوي، شمس الدين محمَّد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مطبعة دار الجيل، بيروت،١٩٩٢م، ج٦.

٩. شعبان طرطور، الدولة الجلائريَّة، دار الهداية، سوهاج، ١٩٨٥.

١٠. عبَّاس العزَّاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالَين، الدار العربيَّة للموسوعات، بغداد، ٢٠٠٤، مج٣.

١١. عبد الأمير الرفيعيّ، العراق بين سقوط الدولة العبَّاسيَّة وسقوط الدولة العثمانيَّة، مكتبة بستان المعرفة، بغداد، ٢٠١٠.

١٢. علاء محمود قدَّاوي، تاريخ العراق في عهد القرة قوينلو والآق قوينلو (٨١٤-٩١٤هـ/ ١٤١١-١٥٠٨م)، دار غيداء، عمان، ٢٠١٢.

١٣. عليّ شاكر عليّ، العراق والغزو القرة قوينلو في القرن الخامس عشر، مجلَّة المؤرِّخ العربيّ، العدد ٢٨، السنة ١١، بغداد، ١٩٨٦.

١٤. الغياثيّ، عبد الله بن فتح الله، التاريخ الغياثي، تحقيق: طارق الحمدانيّ، مطبعة أسعد، بغداد،١٩٧٥م.

١٥. فاطمة حسين فاضل المفرجي، الحِلَّة في عهد الآق قوينلو (١٤٦٨-١٥٠٨)، مجلَّة الملويَّة للدراسات الآثاريَّة والتاريخيَّة، المجلَّد٤، العدد ٨، السنة الرابعة، حزيران، ٢٠١٧ م.

١٦. محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، ج٦، دار التعارف، بيروت، د.ت، ج٣.

١٧. المقريزيّ، أبو العبَّاس أحمد بن عليّ بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، مطبعة دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٧م، ج٤.

١٨. يوسف كاظم جغيل، الحياة الفكريَّة في الحِلَّة خلال القرن التاسع الهجريّ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كليَّة التربية، جامعة القادسيَّة، ٢٠٠٨م.

١٩. يوسف كاظم جغيل، الحياة الفكريَّة في الحِلَّة خلال القرن السابع الهجريّ/ الخامس عشر الميلادي، الحِلَّة، مطبعة دار الصادق، ط١، ٢٠١٠م.

٢٠. يوسف كركوش، تاريخ الحِلَّة، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٤٣٠هـ، ج١.

٢١. يونس عبَّاس نعمة، وميثاق عبيِّس حسين، الأوضاع السياسيَّة والاقتصاديَّة للحِلَّة في عهد الدولة التركمانيَّة (٨١٤هـ/ ١٤١١م-٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)، مجلَّة مركز بابل للدراسات الإنسانيَّة، المجلَّد ٥، العدد ١.

أسلوب الاستفهام
في ديوان تاج الدين الحسن بن راشد الحِلِّيّ
دراسة نحويَّة

أ.د. أمين عبيد جيجان الدليميّ
جامعة بابل/كليَّة التربية
عامر عبد نعمة عبدالله

Interrogative Style
in the Diwan of Taj Al-Din Al-Hasan bin
Rashid Al-Hilli
A Grammatical Study

Prof. Dr. Amin Obaid Jijan Al-Dulaimi
University of Babylon/College of Education
Amer Abd Nimah Abdullah

الملخَّص

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على أنماط أسلوب الاستفهام التي وردت في ديوان تاج الدين الحسن بن راشد الحلِّيّ، مع بيان أهم الخصائص النحويَّة التي تميَّزت بها، وقد استعمل الباحثان المنهج الوصفيّ، وهو منهج قائم على إحصاء عدد المرَّات التي استعمل فيها الشاعر الحِلِّيّ كلّ أداة من أدوات الاستفهام، وتحليل السياقات اللغويَّة التي وردت فيها تلك الأدوات.

الكلمات المفتاحيَّة: الاستفهام، الحسن بن راشد الحلِّيّ، أسلوب الاستفهام.

Abstract

This research aims to identify the types of interrogative style that appeared in the Diwan of Taj al-Din al-Hasan bin Rashid al-Hilli, with an explanation of the most important grammatical characteristics that distinguished them. The researcher used the descriptive method, which is a method based on counting the number of times that the poet al-Hilli used each of the interrogative tools, and analyzing the linguistic contexts in which those tools appeared.

Keywords: Interrogation, Al-Hassan Bin Rashed Al-Hilli, Interrogation manner.

المقدِّمة

الحمـدُ اللهِ خير معـين، وبه نسـتعين، والصلاة والسـلام على نبيِّـه الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أمَّا بعدُ:

فالشـاعر تاج الدين الحسـن بن راشد الحلِّيّ، من شـعراء الحِلَّة وأعلامها المبرَزين، ولِـد في هذه المدينة المعطاء بالعلماء والأدباء والشـعراء وشـتَّى العلـوم المختلفة، ولكن الذي ينقصنا في هذه الشخصيَّة الحلِّيّة أنَّنا لم نتعرَّف بالتحديد السنة التي ولِد فيها، وهذا ما بخلت به بعض المصادر، ولكن هناك مصادر ذكرت بأنَّ الشـاعر الحسـن بن راشـد الحلِّيّ كان حيًّا سنة (٨٣٠هـ).

درس الشـاعر عـلى يد كبـار العلـماء والفقهاء، وأخـذ عنهم العلـم والفقه، حتَّى صار فقيهًا كبيرًا في عصره، وكان من تلامذة المقداد السـيوريّ، وللشـاعر ديوان عُرِفَ باسـمِهِ (ديوان الحسـن بن راشـد الحلِّيّ)، وهذا الديوان حقَّقه الأسـتاذ الدكتور عبَّاس هاني الچرَّاخ، وتكلَّم الشـاعر في هـذا الديوان على أمور مختلفـة، منها أمور تخصُّ أهل البيت عليهم السلام، وأمور أخرى تخصُّ العبادات، كالصلاة والغسل والجنابة وغيرها.

وقد شرعنا في هذا البحث بتناول أسلوب الاستفهام في هذا الديوان؛ لكونه يمثِّل نمطًا تركيبيًّا من أنماط الجمل الإنشائيَّة التي يلجأ إليها المتحدِّثون باللغة في أثناء العلميَّة التواصليَّـة فيما بينهم، فأنت عندما تريد أن تسـتفهم، فإنَّك تكـون قد طلبت العلم عن

شيء أو أمر لم يكن معلومًا في ذهنك، أو تريد أن تستفهم عمَّا هو معلوم؛ لغرض التحقُّق والتثبُّت.

وتناولنا (أسلوب الاستفهام) في هذا الديوان، والتعرُّف إلى مفهوم الاستفهام في المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ، والأدوات والحروف التي ذكرها علماء اللغة لهذا الأسلوب، مع ذِكر الأسباب التي دفعت بالنُّحاة إلى أن تحتلَّ هذه الأدوات الصدارة في سياق الجملة الاستفهاميَّة.

تقديم للبحث

أوَّلًا: الاستفهام في اللغة

يمثِّل الاستفهام في اللغة نمطًا تركيبيًّا من أنماط الجمل الإنشائيَّة الطلبيَّة التي يلجأ إليها المتحدِّثون باللغة العربيَّة في أثناء العمليَّة التواصليَّة فيما بينهم، فأنت عندما تستفهم، تكون قد طلبت العلم عن شيء أو أمر لم يكن معلومًا في ذهنك، أو تستفهم عمَّا هو معلوم؛ لغرض التحقُّق والتثبُّت، ويكاد يتَّفق أغلب علماء اللغة على أنَّ حدَّ الاستفهام يكاد لا يخرج عن معنى الطلب الذي يُراد بهِ (الفهم).

وقال به الخليل بن أحمد الفراهيديّ: «فهم: فَهِمْتُ الشَّيء فَهَمًا وفَهْمًا: عَرَفْتُه وعَقَلْتُه، وفهَّمتُ فلانا وأَفْهَمْتُه: عَرَّفته، ورجلٌ فَهِمٌ: سريع الفهم»(١).

وقال ابن منظور: «فهم: الفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ. فَهِمَه فَهْمًا وفَهَمًا وفَهامة: عَلِمَه؛ الأَخيرة عَنْ سِيبَوَيْهِ. وفَهِمْت الشَّيْءَ: عَقَلْتُه وعرَفْته. وفَهَّمْت فُلَانًا وأَفْهَمْته، وتَفَهَّم الْكَلَامَ: فَهِمه شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. وَرَجُلٌ فَهِمٌ: سَرِيعُ الفَهْم، وَيُقَالُ: فَهْمٌ وفَهَمٌ. وأَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إِيَّاهُ: جَعَلَهُ يَفْهَمُه. واسْتَفْهَمه: سأَله أَنْ يُفَهِّمَه. وَقَدِ اسْتَفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تَفْهِيمًا»(٢).

ويُفهم من المعاني السابقة أنَّ الاستفهام في اللغة يتعلَّق بطلب الفهم، إلَّا

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، مادَّة (فهم): ٤/ ١٦.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادَّة (فهم): ١٢/ ٤٥٩.

أنَّ هنـاك من العلـماء من جمع بين الاسـتفهام والاسـتخبار بمعنًى واحـد، وهو طلب الفهم[١].

وهناك من فرَّق بين هذَين المعنَيين، فالاستخبار هو طلب الخبر، أمَّا الاستفهام فهو طلب الفهم، بعد أن تكون قد أُخبرت[٢].

ومـن النحويِّـين من يـرى أنَّ الاسـتفهام في اللغة الفصيحة يشـبه الأمـر، وذلك انطلاقًا من أنَّك تسـأل عن معرفة شيء يـدور في ذهنك، وقد تتحقَّق هذه المعرفة أو لا، وكذلـك الأمر قـد يقوم المأمور بتنفيذ مـا يُطلَب منه أو لا، يقول سـيبويهِ: «وإنَّما فعلوا ذلك بالاسـتفهام؛ لأنَّه كالأمر في أنَّه غير واجبٍ، وأنَّه يريد من المخاطب أمرًا لم يسـتقر عند السائل»[٣].

ثانيًا: الاستفهام في الاصطلاح

أسـلوب الاسـتفهام هـو مصطلـح أطلقـه النحويُّـون على جملـة مـن التراكيب الإنشـائيَّة التـي تـؤدَّى بأسـلوبٍ مخصـوصٍ لفظًـا أو تركيبًـا أو أداءً، أو باللفـظِ والتركيـب والأداء مجتمعـة، فحـدُّه في المفهـوم الاصطلاحـيّ يـكاد لا يخـرج عـمَّا هـو عليـه في اللغـة، فقد قيـل: هو الأسـلوب الـذي يُراد منـه طلب الفهـم على وجه الخصوص[٤].

وقيل أيضًا: «الاستفهام: استعلامُ ما في ضمير المخاطَب، وقيل: هو طلبُ حصول صورة الشيء في الذهن، فإنَّ كانت تلك الصورة وقوع نسـبة بين الشَّيئَين أو لا وقوعها

(١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ١/ ١٣٩.
(٢) ينظر: البرهان في علوم القران: ٢/ ٣٢٦.
(٣) الكتاب: ١/ ٩٩.
(٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ١٣.

فحصولها هو التصديق، وإلاَّ فهو التصوُّر»[١].

ومن النحويِّين من جمع بين مصطلَحَي الاستفهام والاستخبار، كابن فارس، إذ قال: «الاستخبار: طلبُ خبر ما ليس عند المستخبِر، وهو الاستفهام»[٢].

وبيَّن أيضًا أنَّ الاستخبار يأتي بمنزلة تسبق الاستفهام؛ لِأَنَّك تستخبر فتُجيب بشيء، فربَّما فهمته أو لم تفهمه، إلَّا أنَّك في حال السؤال مرَّة ثانية، فأنَّك مستفهم، فتقول: أفْهِمْني ما قلته لي[٣]، وقال عبد القاهر الجرجانّي عن هذَين المصطلَحَين: «إنَّ الاستفهامَ: استخبارٌ والاستخبارُ هو طلبٌ من المخاطَبِ أنْ يخبرك»[٤].

إلَّا أنَّ هناك من النحويِّين من زاد مصطلحًا آخر غير الاستفهام والاستخبار، وهو مصطلح الاستعلام، يقول ابن الشجريّ: «الاستخبارُ والاستفهامُ والاستعلامُ واحدٌ، فالاستخبارُ هو طلب الخبر، والاستفهامُ هو طلب الفهم، والاستعلامُ هو طلب العلم، فالاستفهام أدواته حروفٌ، وأسماء وظروف، فالحروف (الهمزة، وهل، وأم)، والهمزة أمُّ الباب»[٥].

وتابعهُ ابن يعيش بقوله: «الاستفهام والاستعلام والاستخبار بمعنًى واحد، فالاستفهام هو مصدر (استفهمت)، أي بمعنى طلبت الفهم، وهذه السين تفيد الطلب، وكذلك الحال بالنسبة إلى الاستعلام والاستخبار، فهما مصدرا (استعلمت) و(استفهمت)[٦].

(١) التعريفات: ٢٥.
(٢) الصاحبيّ في فقه اللغة: ٣٠٢.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٢.
(٤) دلائل الإعجاز: ١١٨.
(٥) أمالي ابن الشجريّ: ٣/ ٥٦٢.
(٦) شرح المفصَّل، لابن يعيش: ٥/ ٩٩.

ومثلما جاءت التعريفات عند النحويِّين بأنَّ أسلوب الاستفهام طلب الفهم عند أغلبهم، كان البلاغيُّون قد عرَّفوهُ بأنَّه: «طلبُ حصول ما في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إمَّا أن يكون حكمًا بشيء على شيء، أو لا يكون، فالأوَّل منهُ هو التصديق، ويمتنع انفكاكه من تصوُّر الطرفَين، والثاني هو التصوُّر، ولا يمتنع انفكاكه من التصديق»(١).

وعرَّفهُ العلويُّ أيضًا، إذ قال: «طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، فقولنا: طلب المراد، عام فيه، وفي الأمر، وقولنا: على جهة الاستعلام، يخرج منه الأمر، فإنَّه طلب المراد على جهة التحصيل والإيجاد»(٢).

أدوات الاستفهام

ذهب النحويُّون إلى أنَّ أدوات الاستفهام لها الصدارة في الكلام، إذ يقول ابن الشجريّ: «والاستفهام يقع صدر الجملة، وإنَّما لزم تصديره؛ لأنَّك لو أخَّرته، تناقض كلامك، فلو قلت: جلس زيد أين، وخرج محمَّد متى، جعلت أوَّل كلامك جملة خبريَّة، ثمَّ نقضت الخبر بالاستفهام، فذلك وجب أن تقدِّم الاستفهام، فتقول: أين جلس زيد؟ ومتى خرج محمَّد؟ لأنَّ مرادك أن تستفهم عن مكان جلوس زيد، وزمان خروج محمَّد، فزال بتقديم الاستفهام التناقض»(٣).

ويقول ابن يعيش في هذه الأدوات: «إن الاستفهام له صدر الكلام، من قِبَل أنَّه حرف دخل على جملة تامَّة خبريَّة، فنقلها من الخبر إلى الاستخبار، فوجب أن يكون متقدِّمًا عليها؛ ليفيد ذلك المعنى فيها، كما كانت (ما) النافية كذلك، حيث

(١) مفتاح العلوم: ١٢٣.
(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٣/ ١٥٨.
(٣) الأمالي الشجريَّة: ٢/ ٢٦٤.

دخلت على جملة إيجابيَّة، فنقلت معناها إلى السلب، فكما لا يتقدَّم على ما كان من جملة النفي، كذلك لا يتقدَّم على الهمزة شيء من الجملة المستفهَم عنها، فلا تقول: ضربت أزيدًا؟ هكذا مثل صاحب الكتاب، والجيِّد أن تقول: زيدًا أ ضربت؟ فتقدِّم المعمول على الهمزة؛ لأنَّك إذا قدَّمت شيئًا من الجملة، خرج عن حكم الاستفهام»[1].

والاستفهام هو سياق فعليّ يقتضي الفعل ويطلبه، يقول ابن يعيش: «اعلم أنَّ الاستفهام يقتضي الفعل ويطلبه، وذلك من قبل أنَّ الاستفهام في الحقيقة إنَّما هو عن الفعل؛ لأنَّك تستفهم عمَّا تشكُّ فيه وتجهل علمه، والشكُّ إنَّما وقع في الفعل، وأمَّا الاسم فمعلوم عندك، وإذا كان حرف الاستفهام إنَّما دخل للفعل لا للاسم، كان الاختيار أن يليه الفعل الذي دخل من أجله»[2].

والسبب الذي جعل هذه الأدوات تحتلُّ الصدارة في الكلام، ما قاله سيبويه: «وكَرِهُوا تقديمَ الاسم؛ لأنَّها حروفٌ ضارَعَتْ بما بعدها ما بعد حروف الجزاء، وجوابُها كجوابه، وقد يَصير معنى حديثها إليه، وهي غيرُ واجبٍ كالجزاء، فقَبُحَ تقديمُ الاسم لهذا، ألا ترى أنَّك إذا قلت: أَيْنَ عبدُ الله آتِهِ، فكأَنَّك قلتَ: حيثُما يَكُنْ آتِهِ»[3].

وقال أيضًا: «واعلم أنَّه إذا اجتمع بعد حروف الاستفهام نحو: (هل وكيف ومَن) اسمٌ وفعلٌ، كان الفعل بأن يلي حرف الاستفهام أولى؛ لأنَّها عندهم في الأصل من الحروف التي يُذكَر بعدها الفعل»[4].

(١) شرح المفصَّل لابن يعيش: ٨/ ١٥٥.
(٢) المصدر نفسه: ١/ ٨١.
(٣) الكتاب: ١/ ٩٩.
(٤) المصدر نفسه: ٣/ ١١٥.

فمشابهة أدوات الاستفهام أدوات الشرط أو الجزاء، كما سمَّاها سيبويه، هو العلَّة في تقديم الفعل على الاسم فكما أنّ أدوات الجزاء لا تدخل إلاَّ على الفعل كذلك حال هذه الأدوات.

ومن الملاحَظ أيضًا أنَّ هناك سببًا آخر جعل هذه الأدوات تحتلُّ الصدارة في الكلام، وهو أنَّ بعض هذه الأدوات الاستفهاميَّة ما هي إلَّا ظروف في أصل دلالتها اللغويَّة، فلمَّا نُقِلت من الظرفيَّة إلى طلب السؤال عن المظروف؛ استحقَّت هذه الظروف الصدارة في الكلام(١).

زيادةً على ذلك، ما لهذه الصدارة من قيمة معنويَّة تكمن في أنَّها أوَّل ما يطرق أسماع المتلقِّي، وقد فسَّر الرضي ذلك بقوله: «وإنَّما وجب تصدير متضمِّن معنى الإنشاء؛ لأنَّه مؤثِّر في الكلام، مُخرِج له عن الخبريَّة، وكلُّ ما أثَّر في معنى الجملة من الاستفهام والعرض والتمني والتشبيه ونحو ذلك، فحقُّه صدر تلك الجملة؛ خوفًا من أن يحمل السامع تلك الجملة على معناها قبل التغيير، فإذا جاء المغير في آخرها تشوَّش خاطره؛ لأنَّه يجوز رجوع معناه إلى ما قبله من الجملة مؤثِّرًا فيها»(٢)، وقال أيضًا في سبب صدارة هذه الأدوات: «كلُّ ما يغيِّر معنى الكلام، ويؤثِّر في مضمونه، وكان حرفًا، فمرتبته الصدر.. وكحروف التنبيه، والاستفهام، والتشبيه، والتحضيض، والعرض، وغير ذلك، وإنَّما لزم تصدير المغير، الدال على قسم من أقسام الكلام؛ ليبني السامع ذلك الكلام من أوَّل الأمر، على ما قصد المتكلِّم، إذ لو جوَّزنا تأخير ذلك المغير فأُخِّر، والواجب على السامع حمل الكلام الخالي عن المغير من أوَّل الأمر على كون مضمونه خاليًا عن جميع المغيرات، لتردُّد ذهنه في أنَّ هذا التغيير راجع إلى الكلام المتقدِّم الذي حمله على أنَّه خالٍ عن جميع

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٢٦.
(٢) شرح الرضيّ على الكافية: ٣/ ١٥٧.

المغـيرات، أو أنَّ المتكلِّم يذكر بعد ذلك المغـير كلامًا آخر يؤثِّر فيه ذلك المغير، فيبقى في حيرة»[١].

وتُقسَّـم هذه الأدوات على قسـمَين اثنين، الأوَّل: يشـمل حرفَي الاسـتفهام، وهما (الهمزة، وهل)، والقسـم الثاني: يشمل أسماء الاسـتفهام، وهي: (من، ما، كيف، أين، متـى، أنَّـى، إيَّان، كم، أي)، وهذه الأسـماء دلَّت على معنى في نفسـها بحكم الاسـميَّة فـ(أين) دلَّـت على المكان، و(كيف) دلَّت على الحال، وكذلك (من) دلَّت على ما يعقل، و(ما) دلَّت على ما يعقل وما لا يعقل[٢].

وهذ الأدوات تقسَّم أيضًا بحسب التصوُّر والتصديق على ثلاثة أقسام:

الأوَّل: مـا يُطلَب به التصديق فقط، وهذا يشـمل (هل) فقط، نحو قولنا: هل زيد منطلق؟[٣].

القسـم الثـاني: ما يُطلَب بهـا التصديق تـارةً، والتصوُّر تارةً أخرى، وهذا القسـم يشـمل الهمزة؛ لأنَّها أصل أدوات الاسـتفهام، نحو قولنا، إذا كان الاستفهام تصديقيًّا: أيُسـافر محمَّد؟ أو أ محمَّد مسـافر؟ أمَّا إذا كان الاسـتفهام تصوُّريًّا، نحو قولنا: أ يسافر محمَّد أم زيد؟ أو أ محمَّد مسـافر أم زيد؟ فالهمزة تُسـتَعمل في كلتا الحالتَين؛ لأنَّها الأصل في أدوات الاستفهام[٤].

القسـم الثالث: ما يُطلب به الاستفهام التصوُّري فقط، وهذا القسم يشمل أدوات الاستفهام الاخرى، التي هي: (من، ما، أيَّان، كيف، أنَّى، متى، كم، أي)[٥].

(١) شرح الرضيّ على الكافية: ٤/ ٣٣٦
(٢) ينظر: شرح المفصل: ٨/ ٥، وينظر: أسرار العربيَّة: ١٩٣.
(٣) ينظر: الطراز: ٣/ ٢٨٩.
(٤) ينظر: شروح التلخيص، عروس الأفراح: ٢/ ٢٤٧.
(٥) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣١.

وقد اعتمد النحويُّون على هذا التقسيم الذي وردت به أدوات الاستفهام، فابن هشام يقول في خصائص همزة الاستفهام: «أَنَّهَا ترِد لطلب التَّصَوُّر، نَحْو: أَزِيد قَائِم أم عَمْرو؟ ولطلب التَّصْدِيق، نَحْو: أَزِيد قَائِم؟ وَ(هل) مُخْتَصَّة بِطَلَب التَّصْدِيق، نَحْو: هَل قَامَ زيد؟ وَبَقِيَّة الأدوات مُخْتَصَّة بِطَلَب التَّصَوُّر، نَحْو: مَن جَاءَك؟ وَمَا صنعت؟ وَكم مَالك؟ وَأَيْنَ بَيْتك؟ وَمَتى سفرك؟»(١).

وقبل البدءِ في بيان معاني هذه الأدوات التي اختصَّ بها أسلوب الاستفهام، لا بدَّ من أنَّ نُبيِّن (المستفهَم عنه)، وهو الواقع بعد أداة الاستفهام في الجملة الاستفهاميَّة، فالمستفهَم عنه هو الاسم الواقع بعد أداة الاستفهام بإجماع النحويِّين والبلاغيِّين، سواء أكان ذلك المستفهَم فعلًا أم اسمًا، فإنَّ كان المستفهم عنه فعلًا، قُدِّم الفعل، وأمَّا إذا كان المستفهم عنه هو الفاعل، فعندئذ يقدَّم الفاعل، والذي يُحدِّد الاستفهام في الجملة هو التقديم والتأخير، وقد تطرق إلى ذلك الشيخ الجرجانيّ، إذ قال: «ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة، فإنَّ موضع الكلام على أنَّك إذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل، كان الشكُّ في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت: أأنت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشكُّ في الفاعل، مَن هو؟ وكان التردُّد فيه»(٢).

وهذا المستفهَم لا بُدَّ من أن يكون أحد الأمرَين: إمَّا مستفهمًا عن النسبة و إمَّا مستفهمًا عن المفرد، والفرق بينهما أنَّ الاستفهام عن النسبة غير معلوم لدى السائل، أي إنَّ السائل يشكُّ في مضمون الجملة، أو نسبة المسند والمسند إليه، يقول سيبويه: «تقول: ألقيتَ زيدًا أو عمرًا أو خالدًا؟ و: أعندك زيد أو خالدٌ أو عمروٌ؟ كأنَّك قلت: أعندك

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢١.
(٢) دلائل الأعجاز: ٣٣.

أحدٌ من هؤلاء؟، وذلك أنَّك لم تدَّعِ أنَّ أحدًا منهم، ثمَّ ألا ترى أنَّه إذا أجابك، قال: لا، كما يقول إذا قلت: أعندك أحدٌ من هؤلاء؟ واعلم أنَّك إذا أردت هذا المعنى، فتأخير الاسم أحسن؛ لأنَّك إنَّما تسأل عن الفعل بمَن وقع. ولو قلت: أزيدًا لقيت أو عمرًا أو خالدًا؟ و: أزيدٌ عندك أو عمروٌ أو خالدٌ؟ كان هذا في الجواز والحسن بمنزلة تأخير الاسم إذا أردت معنى أيِّهما، فإذا قلت: أزيدٌ أفضل أم عمرو؟ لم يَجُز ههنا إلَّا أم؛ لأنَّك إنَّما تسأل عن أفضلهما، ولست تسأل عن صاحب الفضل»[1].

أمَّا إذا كان المستفهَم عنه يخصُّ المفرد، فعندئذٍ ليس هناك أدنى شكّ لدى السائل في مضمون الجملة ووقوعها، وإنَّما يكتفي السائل بتعيين ما يسأل عنه بعيدًا عن النفي والإيجاب. يقول سيبويه: «وذلك قولك: أزيدٌ عندك أم عمروٌ؟ وأزيدًا لقيت أم بشرًا؟ فأنت الآن مدَّعٍ أنَّ عنده أحدهما، لأنَّك إذا قلت: أيّهما عندك؟ وأيّهما لقيت؟ فأنت مدَّعٍ أنَّ المسؤول قد لقي أحدهما، أو إنَّ عنده أحدهما، إلَّا أنَّ علمك قد استوى فيهما لا تدري أيُّهما هو، والدليل على أن قولك: أزيدٌ عندك أم عمروٌ بمنزلة قولك: أيّهما عندك؟ أنَّك لو قلت: أزيدٌ عندك أم أبشرٌ؟ فقال المسؤول: لا، كان محالًا، كما أنَّه إذا قال: أيهما عندك؟ فقال: لا فقد أحال»[2].

(١) الكتاب: ٣/ ١٧٩.
(٢) المصدر نفسه: ٣/ ١٦٩.

المبحث الأوَّل

حرفا الاستفهام

أوَّلًا: الهمزة

ذكر النحويُّون أنَّ (همزة الاستفهام) هي أُمَّ الباب في أسلوب الاستفهام[١]، والذي أحوج سيبويه إلى ذكر هذه الحروف في صدر هذا الباب، وهو باب الاستفهام؛ لأنَّ المعنى الذي من أجله يختار إضمار الفعل بعد حروف الاستفهام، هو موجود في هذه الحروف، وذلك أنَّ هذه الحروف حكمها أن تدخل على الأفعال لا غير، فإذا وليها الاسم، أضمر بعدها فعل، وكذلك حرف الاستفهام حكمه أن يدخل على الفعل، إذا اجتمع الاسم والفعل بعده، فإذا وليه الاسم، وقد وقع الفعل على ضميره، اُختير إضمار الفعل[٢].

ولما لها من أهميَّة كبيرة عند النحويَّين، ولما لها من الصدارة في الكلام، تناولها النحويُّون لما تملكه من هذه الخصائص، وميزَّوها من (هل)، والهمزة هي من الحروف التي يُستفهَم بها عن التصديق تارةً، وعن التصوُّر تارةً أخرى، فهمزة الاستفهام هي أصل أدوات الاستفهام جميعها، وهذه الأدوات لا تُفسَّر إلَّا بها[٣].

(١) ينظر: الكتاب ١/ ٩٩.
(٢) ينظر: شرح كتاب سيبويه، للسيرافيّ: ١/ ٤٠٦.
(٣) ينظر: شرح التسهيل: ٤/ ١٠٩.

وهناك من وصف الاستفهام بها بالشمول، ولا يخلو السؤال بها بأن يكون سؤالًا مطلقًا، غير مقيَّد بوقتٍ أو حالٍ، على العكس من الأدوات الأخرى التي يكون بها السؤال مقيَّدًا بوقتٍ أو حالٍ، كما هو الحال في الأداتَين (متى، وكيف) على سبيل التمثيل، فالأولى مقيَّدة بالوقت، والثانية مقيَّدة بالحال(١).

ومن الخصائص التي اختصَّت بها همزة الاستفهام، أنَّها تدخل على أدوات الشرط الأخرى، مثل أداة الشرط (مَن)، ولكن بشرط أن تكون من صلتها، يقول سيبويه: «ألا ترى أنَّك تُدخلها على (مَنْ) إذا تمَّت بصلتها، كقول الله ﷻ: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (فصِّلت: ٤٠)»(٢)، وجعل سيبويه لـ(همزة الاستفهام) منزلة كمنزلة (إن) في باب الجزاء(٣). ولا بدَّ من أن نذكر بأنَّ هناك ميزة أخرى انمازت بها (همزة الاستفهام)، وهي أنَّ همزة الاستفهام حال دخولها على همزة الوصل؛ فإنَّها تُثبَت في الكلام، وتُحذَف همزة الوصل(٤).

ويرى النحويُّون أنَّ اسماء الاستفهام الأصل فيها البناء، والسبب في بنائها هو تضمُّنها معنى الحرفيَّة، فلمَّا كانت همزة الاستفهام من الحروف، لم تبتعد عن أن تكون السبب في بناء أدوات الاستفهام، يقول الجرجانيّ: «وأمَّا سبب البناء، فتضمُّن الحرفيَّة في (كيف) و(أين).. ولـمَّا تضمَّن كلُّ واحدٍ منها حرف الاستفهام، بُني كما يكون الحرف مبنيًّا»(٥)، وهذا البناء الذي قاله الجرجانيّ في أسماء الاستفهام ليس واجبًا فيها، بل هو

(١) ينظر: بدائع الفوائد: ١/ ٢٠٩.
(٢) الكتاب: ١/ ٩٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٠٢.
(٤) ينظر: معاني الحروف: ٣٤.
(٥) المقتصد في شرح الإيضاح: ١/ ١٣٤، وكذلك ينظر: التذييل والتكميل في شرح التسهيل: ١٠/ ٣٥.

جائز، إذ يقول أيضًا: «وينبغي أن تعلم أنَّ الاسماء إذا حصل بينها وبين الحرف مشابهة، لم يجب بناؤها، وإنَّما يجوز ذلك؛ لأنَّه يصحُّ أن لا يعتدّ بالمشابهة، ويترك على الأصل، ألا ترى أنَّ (أيا) فيه معنى الاستفهام، كما أنَّ (كيف) كذلك، مع أنَّه مُعرب، فينبغي أن يُفصل بين الجواز والوجوب»[1]. والواضح من كلام الجرجانيّ أنَّ البناء الذي يتضمَّنه اسم الاستفهام، هو لتضمُّنه معنى همزة الاستفهام، وهذا البناء ليس واجبًا بل جائزًا، وقد وردت همزة الاستفهام في ديوان الحسن بن راشد الحلِّيّ في موضعٍ واحدٍ، إذ قال:

أَ سُمْرُ رِمَاحٍ أمْ قُدودٌ مَوَائسُ
وَبِيضُ صِفَاحٍ أم لِحاظٌ نَوَاعِسُ[2]

استعمل الشاعر (همزة الاستفهام)، وأراد بها الاستفهام التصوُّريّ؛ لأنَّ همزة الاستفهام من الأدوات التي يُستفهَم بها عن التصوُّر تارةً، وعن التصديق تارةً أخرى؛ لأنَّها أمّ الباب[3]، وجاء استعمال الشاعر لـ(همزة الاستفهام) مع المبتدأ المحذوف من الكلام، تقديره: أ هن سُمر، و: أ هن بيض؟ فـ(سمر وبيض) خبران لمبتدأ محذوف، وهمزة الاستفهام حرف مبني على الفتح لا محل لها من الإعراب، فالشاعر الحلِّيّ استعمل حرف الاستفهام (الهمزة) بعد الاسم؛ لأنَّه أراد أن يعلم صفة هذه السيوف، أ هن بيض أم سُمر، وأشار الجرجانيّ إلى ذلك، وبيَّن أن حرف الاستفهام إذا جاء بعده فعل كان الشكُّ في الفعل نفسه؛ لأنَّك تريد أن تعلم وجوده لا غير،أمَّا إذا جاء بعده اسم، فيكون الشكُّ في الفاعل نفسه في بيان مَن هو[4].

(١) المقتصد في شرح الإيضاح: ١/ ١٣١.
(٢) الديوان: ٤٩.
(٣) ينظر: الكتاب: ٣/ ٨٢، وشرح التسهيل: ٤/ ١٠٩.
(٤) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٤١.

وبالتأمُّل لقول الشاعر هذا، نجده أراد أن يحدِّد شيئًا واحدًا لا غير إمَّا أن تكون هذه الرماح بيضًا أو سُمرًا، فالشاعر كان يتردَّد في شيئَين، ويطلب تعيُّن احدهما، لذلك نرى أنَّ همزة الاستفهام يطلب بها معرفة المفرد، وتسمَّى معرفة المفرد تصوُّرًا[١].

ومن كلِّ ما تقدَّم يتَّضح أنَّ لهمزة الاستفهام استعمالين، أحدهما: أن يكون المعلوم هو النسبة، والمجهول هو المفرد، فيطلب بها معرفة المفرد. والآخر: أن يكون المجهول هو النسبة، فيطلب بها معرفة النسبة، فتسمَّى معرفة المفرد تصوُّرًا، ومعرفة النسبة تصديقًا[٢].

حذف همزة الاستفهام:

الأصل في (همزة الاستفهام) الذِّكر وعدم الحذف؛ لأنَّ حذفها هو خلاف القياس[٣]، إلَّا أنَّها وردت في كلام العرب محذوفة، وهذه خصيصة امتازت بها همزة الاستفهام عن سائر الأدوات الأخرى؛ لأنَّها من الأدوات التي لا يقدر عند الحذف سواها[٤].

فالنحويُّون تناولوا هذه المسألة بالبحث والدراسة، فأجازوا حذف همزة الاستفهام دون غيرها من الأدوات الاستفهاميَّة الأخرى، وقد بيَّنوا السبب من هذا الحذف الذي يلحق الهمزة؛ لأنَّها أمُّ الباب وأصل الأدوات، لذلك أجازوا الحذف معها[٥].

(١) ينظر: في البلاغة العربيَّة: ٨٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨٥-٨٦.
(٣) ينظر: المحتسب: ١/ ٥١.
(٤) ينظر: همع الهوامع: ٢/ ٤٨٢، وكذلك ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٠.
(٥) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ١٩.

وقـد اختُلِـف في أصل هذا الحذف، هـل هو حذف يحصل مع الشـعر أو النثر، أو كليهما؟ فقد ذهب سـيبويه إلى أنَّ حذفها هو للضرورة الشعريَّة[١]؛ لأنَّ همزة الاستفهام في نظر النحويِّين من حروف المعاني، وهذه الحروف، على ما يرون، إنَّما جيء بها اختصارًا للأفعـال، فلو ذهب المتكلِّـم إلى حذفها، لكان في ذلك مختصرًا لهـا، واختصار المختصر لا يجوز؛ لأنَّه يُعدُّ من الإجحاف[٢].

وهناك من أشار إلى أنَّ هذا الحذف من دلائل الاقتدار والفصاحة؛ لأنَّه يُثير مشاعر نفسيَّة مختلطة لدى المخاطَبين، وردود فعل واستجابة ينشدها المتكلِّم[٣]. وقد ورد حذف همزة الاستفهام في ديوان الحسن بن راشد الحلِّيّ في موضعٍ واحدٍ، إذ قال:

غَـرِيـرةُ سِرْبٍ أَم عَـزيـزَةُ معـشرٍ
غَـزِيـزةُ حُـسـنٍ لـلـقُـلـوبِ تُخـالِـس[٤]

فالشـاعر حـذف (همـزة الاسـتفهام)، والأصـل في كلامـهِ (أ عزيـزة سربٍ أم عزيـزة معـشرٍ)، وأنَّ الحذف الـذي لحق همزة الاسـتفهام جاء من بابِ جـوازِ حذفها، والاسـتغناء عنها بوجود الدليل، وهذا الدليل هو (أم) المعادلة: «وإنَّما يحسن حذفها مع (أم)»[٥].

وحذف همزة الاسـتفهام عدَّهُ الكثيرون من الأسـاليب البلاغيَّة التي غالبًا ما يلجأ إليهـا المتكلِّـم، لأن «للحـذف وظيفة مزدوجـة، إنَّهُ ينشِّـط الإيحاء ويقوِّيـه من ناحية، وينشِّـط خيـال المتلقِّي مـن ناحية أخرى، هـذا فضلًا عن فلسـفتهِ الكامنـة في خلافيَّة

(١) ينظر: الكتاب: ٣/ ١٧٣.
(٢) ينظر الخصائص: ٢/ ٢٧٥.
(٣) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن: ١٦٣.
(٤) الديوان: ٤٩.
(٥) خزانة الأدب: ٣/ ٤٢٩-٤٣٠.

الحضـور والغيـاب، أو النطق والصمت، فالمباينة بين كِلَا الطرفَين تعمل على اسـتدعاء الغائب الحاضر»[1].

استعمال همزة الاستفهام مع (أم) المتَّصلة:

ذكرنا سـابقًا أنَّ الاسـتفهام على نوعَين، الأوَّل: اسـتفهام تصديقيّ يختصُّ بصحَّة النسـبة، أي عن نسبة المسـند إلى المسـند إليه، أو عن مضمون الجملة، والثاني: استفهام تصوُّري يُسـتفهَم من به عن المفرد، وقد اشـار سـيبويه إلى هذا النوع من الاستفهام بأنَّه لا يطلب من المقابل تحديد نسبة المسند إلى المسند إليه، أو بيان مضمون الجلمة، وإنَّما بتعيَّن ما يُسـأل عنه المقابل، بدليل أنَّ هذا النوع من الاستفهام لا يُجاب عنه بالنفي والإيجاب، وذلـك إذا دخلت (أم) المتَّصلة، يقول سـيبويه في بـاب (أم)، إذا كان الكلام بها بمنزلة أيُّهـا و أيُّهم: «وذلك قولك: أ زيدٌ عندك أم عمروٌ؟ و: أ زيدًا لقيت أم بشرًا؟ فأنت الآن مدَّعٍ أنَّ عنده أحدهما؛ لأنَّك إذا قلت: أيَّهما عندك؟ وأيَّهما لقيت؟ فأنت مدَّعٍ أنَّ المسؤول قد لقي أحدهما، أو إنَّ عنده أحدهما، إلَّا أنَّ علمك قد استوى فيهما، لا تدري أيّهما هو، والدليل على أنَّ قولك: أ زيدٌ عندك أم عمروٌ؟ بمنزلة قولك: أيّهما عندك؟ أنَّك لو قلت: أ زيـدٌ عندك أم بشرٌ؟ فقال المسـؤول: لا، كان محالًا، كما أنَّـه إذا قال: أيُّهما عندك، فقال: لا، فقـد أحـال، واعلـم أنَّـك إذا أردت هـذا المعنـى، فتقديم الاسـم أحسـن؛ لأنَّك لا تسـأله عـن اللقـى، وإنَّـما تسـأله عن أحـد الاسـمَين، لا تـدري أيّهما هـو، فبدأت بالاسم»[2].

وقد جاءت (الهمزة) لإفادة معنى التصوُّر في ديوان الحسـن بن راشـد الحلِّيّ إلَّا أنَّ اسـتعماله لهذا النوع من استفهام التصوُّر يقع في قسـمَين، الأوَّل: استعمال الشاعر همزة

(١) البنيات الأسلوبيَّة في الشعر العربّي: ١٣٩.
(٢) الكتاب: ٣/ ١٦٩.

الاستفهام مذكورة، والثاني: استعمل فيه همزة الاستفهام محذوفة، وهو ما تطرَّقنا إليه في موضع حذفها، إذ قال في مطلع قصيدته السينيَّة:

أَ سُمرُ رِماحٍ أمْ قُدودٌ مَوائسُ
وبيضُ صفاحٍ أَمْ لحاظٌ نواعِسُ؟
وسِربُ جَوَارٍ عنَّ عَنْ أَيمنِ الحمى
لنا أَمْ جوارٍ نافراتٌ شَوَامِسُ؟[1]

نلحظ في هذَين البيتَين أنَّ السؤال كان عن تعيُّن أحد المسؤول عنهم «أهنَّ رماح سُمر باسقات في الاستقامة، أمْ هنَّ قدود مسخَّرات رائقات بأحسن العلامة؟»[2]، فالشاعر هنا أراد التعيين عن أحد الأمرَين؛ لأنَّ علمه قد استوى فيهما، فقد دخلت همزة الاستفهام مع أم المتَّصلة على جملَتَين اسميَّتَين، فالأصل في حروف الاستفهام هو دخولها على الأفعال، إلَّا أنَّ النحاة قد قالوا بدخولها على الأسماء[3].

لذا عدَّها النحاة من الأدوات التي تدخل على الجملة الاسميَّة[4]، وسمِّيت هذه (أم) المتَّصلة؛ لأنَّها تُقدَّر بـ(أي)، ولا يستغني أحد طرفَيها عن الآخر، ولا تحصل الفائدة إلَّا بهما[5].

ويبدو أنَّ الشاعر الحلِّيّ حذف همزة الاستفهام من البيت الثاني، على الرغم من وجود (أم المتَّصلة)، وذلك لدلالة الاستفهام في البيت الأوَّل؛ لأنَّ الكلام متَّصل.

(١) الديوان: ٤٨.
(٢) ينظر: شرح ديوان الحسن بن راشد الحلِّيّ.
(٣) ينظر: الكتاب: ١/ ٩٨.
(٤) ينظر: شرح الرضيّ على الكافية: ٤/ ٤٤٨.
(٥) ينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٣٥٩.

ومـن الواضح أنَّ مثل هذا السـؤال لا يُراد منـه الإجابة بـ(نعـم أو لا)، وإنَّما يُراد مـن ذلـك التعيُّن، يقول أبـو عليّ الفارسيّ: «فـإذا قال (لا، أو نعم) لم يكـن كلامًا؛ لأنَّ (لا، ونعم) إنَّما تقع عن الاستفهام الذي تعلم منه شيئًا»[1].

ثانيًا: هل

حرف استفهام مختصٌّ بطلب التصديق، إذ لا يُستفهَم به إلَّا عن مضمون الجملة أو عن نسـبة المسند إلى المسند إليه ولذلك لا يكون جوابها إلَّا بـ(نعم، أو لا)، ويُستفهَم بها عن الجملة الاسـميَّة، وكذلك الجملة الفعليَّة على حدٍّ سـواء[2]، ويتحدَّث الرمَّانيّ عن (هل)، مبيِّنًا لها موضعَين، الأوَّل: أنَّ تكون أداة اسـتفهام عن حقيقة الخبر، وجوابها هنا يكـون بـ(نعـم، أو لا)، وذلك نحو قولك: هل قام زيـد؟ و: هل عمرو خرج؟ والثاني: أن تكون (هل) بمعنى (قـد)، وذلك نحو قول الحقِّ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ (الإنسـان: ١)، والمعنى الذي خرجت إليـه (هل) هنا بمعنى (قد أتى على الإنسان)[3].

وقد علَّق المراديّ (ت٧٤٩هـ) على ما بيَّنه الرمَّانيّ من أنَّ (هل) هنا ليسـت بمعنى (قد)، بل هي استفهام تقريريّ يفيد التحقيق والتوكيد[4].

وتنفـرد (الهمزة) عن (هل) في أنَّها تُسـتعمل لطلب التصـوُّر، وذلك نحو قولك: أعـليّ في البيت أمْ خالد؟ ولذلـك نجد (الهمزة) قد انفردت بمعادلة (أمْ) المتَّصلة، فهي يُطلَب بها تعيُّن أحد الأمرَين، وهذا ما لا نجده مع (هل)، وتنفرد الهمزة عن (هل) أيضًا

(١) المسائل المنثورة: ٢٠٦.
(٢) ينظر: معاني الحروف للرمَّانيّ: ١٠٢.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٢.
(٤) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٤٤-٣٤٥.

في أنَّها تدخل على النفي، وهذا لا يجوز مع هل[1].

و(هل) من الحروف الاستفهاميَّة التي يأتي بعدها فعل، كما قلنا سابقا، نجد سيبويه ذهب إلى أنَّ (هل) قد يأتي بعدها اسم أو فعل، وليس الفعل فقط، وهذا الاستعمال خصَّه بالشعر، وحكم عليه بالشذوذ والقُبح[2].

وذكر ابن هشام أنَّ (هل) عندما تُستعمل للنفي؛ فإنَّها يأتي بعدها (إلَّا)، (والباء)، نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (النحل: ٣٥)، فيكون تقدير الكلام خارج السياق القرآنيّ (ما على الرسول إلَّا البلاغ)[3].

ولم يكن الأمر مقتصرًا على النحويِّين فقط في بيان هذا الحرف الاستفهاميّ، وكيفيَّة استعماله، والخصائص التي يتمتَّع بها، فقد كان للبلاغيِّين آراء وأقوال في هذا الحرف، وما له من سمات عندهم، فقد ذهب السكَّاكيّ إلى أنَّ (هل) تُستعمل للاستفهام كما استُعملت الهمزة في ذلك، وإن كانت (هل) أقل استعمالًا من (الهمزة)، إذ قال: «(هل) للاستفهام كالهمزة، إلَّا فيما يتفرَّع من الاستفهام، ثمَّ وفي الدخول على الواو والفاء وثمَّ»[4].

وقد وردت (هل) حرف استفهام في ديوان الحسن بن راشد الحلِّيّ، إذ قال:

يَا جدُّ هلْ جاءَكَ النَّاعِي بَفَقْدِ أَخِي
وَهلْ سَمِعْتَ بِما لاقَيْتُ مِنْ ذُهَلِ؟[5]

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٤١.
(٢) ينظر: الكتاب: ١/ ٩٩-١٠١.
(٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٤٥٩.
(٤) مفتاح العلوم: ٥٧-٥٨.
(٥) الديوان: ٨٤.

الشاهد في هذا البيت (هل جاءك، هل سمعت)، فإنَّ الشاعر استعمل فيه حرف الاستفهام (هل)، وأدخله على الجملة الفعليَّة التي فعلها ماضٍ، من دون أن تؤثِّر في إعرابه؛ لأن حرف الاستفهام (هل) عند النحويِّين هو حرفٌ مختصٌّ بالاستفهام عن مضمون الجملة، سواء كانت الجملة فعليَّة أو جملة اسميَّة[1].

وهناك مَن أشار إلى أنَّ الأصل في (هل) وبقيَّة أدوات الاستفهام لا يليها إلَّا فعل، فعلَّل سيبويه سبب اختصاصها بالفعل؛ لأنَّها تشبه أدوات الشرط في الدلالة على الاحتمال وعدم الوجوب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أنَّ أدوات الاستفهام لا يليها إلَّا الأفعال؛ لأنَّ الأفعال هي التي تدلُّ على الاحتمال، على العكس من الأسماء التي تدلُّ على معانٍ ثابتة لا تتغير[2].

وتحدَّث الرضيّ عن الفرق بين حرفَي الاستفهام (الهمزة، وهل)، وبيَّن أنَّ هذَين الحرفَين متَّفقان من حيث أنَّ لهما الصدارة في الكلام، إذ قال: «حرفا الاستفهام (الهمزة وهل) لهما الصدارة في الكلام»[3]، وبيَّن أيضًا أنَّهما يدخلان على الجملة الاسميَّة والفعليَّة، ولكلٍّ منهما خصيصة، فـ(الهمزة) تدخل على الجملة الاسميَّة، سواء كان الخبر فيها اسمًا أو فعلًا، أمَّا (هل) فإنَّها لا تدخل على الجملة الاسميَّة التي يكون خبرها فعلا[4].

ومن المواضع الاخرى التي ورد فيها استعمال (هل) حرف استفهام في هذا الديوان، ما قاله على لسان حال السيِّدة زينب عليها السلام:

(١) ينظر: معاني الحروف: ١١٥، وكذلك ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٤١.
(٢) ينظر: الكتاب: ١/ ٩٩-١٠٠.
(٣) شرح الرضيّ على الكافية: ٤/ ٤٤٦.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٤٤٧.

وَأَقبَلتْ تلثمُ النَّحرَ الشرَّيفَ، وهلْ
يُدَافَع القَدَرُ المحتومُ بالقُبَلِ؟[1]

فالشاعر قد استعمل في هذا البيت (هل) حرف استفهام مختصّ بالاستفهام التصديقيّ، وقد أدخله على الجملة الفعليَّة التي فعلها مضارع؛ لأنَّ حرف الاستفهام عندما يليه فعل أو اسم، فإنَّ للفعل الحقّ بأن يأتي بعد حروف الاستفهام، يقول سيبويه: «واعلم أنَّه إذا اجتمع بعد حروف الاستفهام، نحو (هل، وكيف، ومَن) اسمٌ وفعلٌ، كان الفعل بأن يلي حرف الاستفهام أولى؛ لأنَّها عندهم في الأصل من الحروف التي يُذكر بعدها الفعل»[2].

وفسَّر البلاغيُّون أنَّ سبب استعمال (هل) مع الجملة الفعليَّة يعود إلى أمرَين، الأوَّل: كون (هل) حرف استفهام يُستعمل لطلب التصديق فقط؛ وذلك لأنَّ التصديق هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء، والنفي والاثبات إنَّما يتوجَّهان إلى المعاني والأحداث التي هي مدلولات الأفعال، لا إلى الذوات التي هي مدلولات الأسماء، والثاني: إنَّ (هل) عند دخولها على الفعل المضارع؛ فإنَّها تخصِّصه إلى الاستقبال، وهي لـمَّا كانت كذلك، صار لها التأثير في هذا الفعل بما يوجِب اختصاصها[3].

وقال أيضًا:

ثُمَّ انثنتْ تَعذِلُ القَومَ اللئَّامَ، وَهَلْ
يُجدِي مَعَ النَّذْلِ نَفعًا كَثرةُ العَذلِ؟[4]

(١) الديوان: ٨٤.
(٢) الكتاب: ٣/ ١١٥.
(٣) ينظر: مفتاح العلوم: ١٤٨.
(٤) الديوان: ٨٥.

فالشاعر هنا استعمل حرف الاستفهام (هل) مع الجملة الفعليَّة التي فعلها مضارع؛ وذلك، كما قلنا، لأنَّ الأصل في (هل) هو دخولها على الجملة الفعليَّة، فالعلاقة بين (هل) والفعل علاقة لا يمكن لحرف الاستفهام (هل) أن يحيد عنها، وقد عبَّر الرضيّ عن هذه العلاقة بقوله: «فإن رأت فعلًا في حيِّزها، تذكَّرت عهودًا بالحمى، وحنَّت إلى الألف المألوف وعانقته، وإن لم ترَ في حيِّزها تسلَّت عنه ذاهلة، ومع وجود الفعل، لا تقنع به مفسّرًا أيضًا للفعل المقدر بعدها»[1].

ويبدو أنَّ الاستفهام الذي جاء به الشاعر الحلِّيّ في هذا البيت فيه معنى التوبيخ، أي توبيخ هؤلاء القوم الذين خرجوا لقتال الإمام الحسين عليه السلام يوم واقعة كربلاء.

(١) شرح الرضيّ على الكافية: ٤/ ٤٤٧.

المبحث الثاني

أسماء الاستفهام

تقدَّم أن أدوات الاستفهام لها الصدارة الكلام، لأنَّنا لو أخَّرنا هذه الأدوات؛ لتناقض الكلام معها، ولـمَّا كانت كذلك، لزم تصديرها، والإتيان بها في بدء الكلام.

وهذه الأدوات تُقسَّم إلى قسمَين:

الأوَّل: أدوات ظرفيَّة (متى، أين، كيف، أنى، أيان).

والثاني: أدوات غير ظرفيَّة، وهي خاصَّة بالأدوات (من، ما، أي، كم)، وهذه الأدوات يُستفهَم بها عن المفرد، اسمًا كان أو جملة، وجميعها حقُّها البناء، وقد يُستثنَى من ذلك الأداة (أي)، فهي من الأدوات المعربة غير المبنيَّة[1]، وعلَّة البناء فيها هي تضمُّنها مع الهمزة[2].

ومن استقراء أسلوب الاستفهام في ديوان الحسن بن راشد الحلِّيّ، فقد وجدنا أنَّ الحلِّيّ قد ذكر بعض من هذه الأدوات، مثل الأداة (من، ما، أين، متى)، أمَّا الأدوات الاخرى فلم نحظ بالعثور على شاهد عليها وهذه الأدوات على النحو الآتي:

(١) ينظر: التراكيب اللغويَّة في العربيَّة: ١٩.

(٢) ينظر: الأشباه والنظائر: ٤/ ٧٢، وينظر: كشف المشاكل في النحو: ٢٤٩، وينظر: أسرار العربيَّة: ١٩٣.

١. الاستفهام بـ(مَنْ):

وهي من الأدوات التي يُستفهَم بها عن العاقل، أي إنَّها أداة يُسأل بها عن الأنسي[١]، أو هي الأداة التي يُستفهَم بها عن كلِّ ما يعقل[٢]، فالأداة (مَنْ) هي اسم استفهام يُستفهَم بها عن العاقل، قال المبرِّد: «فَأَما (مَن)، فَأَنَّه لَا يَعْنِي بهَا فِي خبر وَلَا اسْتِفْهَام وَلَا جَزَاء إِلَّا مَا يعقل، لَا تَقول فِي جَوَاب مَن عنْدك فرس وَلَا مَتَاع، إِنَّمَا تَقول زيد أَو هِنْد، قَالَ الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، وَقَوله ﷻ يَعْنِي المَلَائِكَة»[٣].

وعرَّفها السكَّاكيّ من البلاغيِّين بأنَّها اسم استفهام يُستفهَم ويُسأل بها عن الجنس من ذوي العلم[٤]، غير أنَّ الخطيب القزوينيّ لم يذهب مذهب السكَّاكيّ من أنَّ هذه الأداة هي للسؤال عن الجنس من ذوي العلم، بل رأى أنَّ الأظهر فيها أن تكون «للسؤال عن العارض المُشخص لذي العلم.. لأنَّه إذا قيل: مَنْ فلان؟ يُجاب بـ(زيدٌ)، ونحوه ممَّا يفيد التشخيص، ولا نُسلِّمُ صحَّة الجواب بنحو: (بشر) أو (جنِّي)، كما زعم السكَّاكيّ»[٥].

وقد وردت هذه الأداة في ديوان الحسن بن راشد الحلِّيّ، ما قاله عن لسان حال السيِّدة زينب بنت الإمام عليّ عليهما السلام، عندما وقفت مخاطبة أخاها الإمام الحسين عليه السلام بعد معركة الطَّفِّ، إذ قال:

أَخي مَنْ لِأطفالِ النُّبُوَّةِ يَا أخي
ومَنْ لليَتَامَى إِنْ مَضَيتَ يُؤانِسُ؟

(١) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٨٨.
(٢) ينظر: المقتضب: ٢/ ٥٢.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٩٦.
(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٤٢٢.
(٥) الإيضاح في علوم البلاغة: ٩٨.

أخـي مَـنْ يُحـامِـي عَـن حـريـم مُحـمَّـدٍ
ويُصلـحُ أحـوالًا لهـا الـدَّهـرُ مـائِـس؟[1]

نلحظ في البيت أن الشـاعر الحلِّيّ قد استعمل أداة الاستفهام (مَنْ) مرَّتين في البيت الأوَّل مَنْ لِأطفال النبوَّة؟ ومَنْ لليتامى؟ ومرَّة في البيت الثاني، وفي كِلَا الاستعمالَين جاء بها الشـاعر للسؤال عن العاقل؛ لأنَّ الأصل في هذه الأداة أن يستفهم بها عن الشخص العاقل[2].

وأنَّ الاستفهام هنا قد خرج به الشاعر من الحقيقيَّة إلى المجاز، إذ جاء بمعنى النفي؛ لأنَّ هنـاك من ذَكَر أنَّ الاسـتفهام بـ(مَنْ) قد يفيد معنى النفـي، ففي قولك: مَنْ قام إلَّا زيـدٌ؟ فهـي في الحقيقة (مَنْ) الاسـتفهاميّ التي أشربت معنى النفـي، فالمعنى يكون ما قام إلَّا زيدٌ[3]، ويقول أبو حيَّان في تفسـير قوله تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ (البقرة: ١٣٨)، «هذا استفهامٌ، ومعناه النفي، أي: ولا أحد أحسن من الله صبغة»[4].

وعليه يكون الاستفهام في كلام الشاعر استفهامًا أُشرِب معنى النفي بـ(ما) النافية، فالمعنـى فيه «مـا لأطفال النبـوَّة غيرك يا أخـي»، وكذلك «مـا لليتامـى»، و«ما يحامي عـن حريمنـا غيرك»، فأداة الاسـتفهام (مَن) قـد أُشرِبت معنى النفـي في هذه الأبيات الشعريَّة.

ومـن المواضـع الأُخر التـي وردت فيهـا أداة الاسـتفهام (مَـنْ) في ديـوان الحلِّيّ ما قاله:

(١) الديوان: ٦٥.
(٢) ينظر: جامع الدروس العربيَّة: ٩٨.
(٣) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ١٠٧.
(٤) البحر المحيط: ١/ ٤١٢.

أَخِـي أَخِـي مَـنْ يَـرُدَّ الضَّيمَ عَـن حُـرَمِ الـ
ـهَـادِي النَّـبِيِّ فَـقَـد أَمسَـتْ بِـغَـيرِ وَلِي؟
أَخـي بِـمَـنْ أَتَّـقِـي كَـيـدَ الـعِـدَا وعـلى
مَـنِ اعـتِـمَادي وتَـعـويـلِي وَمُـتَّـكَـلِي؟[1]

فالشـاعر استخدم أداة الاسـتفهام (مَن) ثلاث مرَّات في كِلَا البيتَين (مَنْ يرد، مَنْ أتقي، من اعتمادي)، وفي كِلَا البيتَين اسـتعملها لما يُعقل، وقد جاء اسـتعمالها مع الفعل دون الاسـم، يقول سـيبويه: «واعلم أنَّ حروف الاسـتفهام كلُّها يقبح أن يصير بعدها الاسـم، إذا كان الفعل بعد الاسم، لو قلت: هل زيدٌ قام؟ وأينَ زيدٌ ضربتَه؟، لم يجز إلَّا في الشعر»[2].

ومـن الشـواهد الأُخـر التي اسـتعمل فيهـا الشـاعر (مَـنْ) أداة اسـتفهام، قوله واصفًا لسـان حال السـيِّدة فاطمة الصغرى بعد استشـهاد أبيها الامام الحسين عليه السلام، إذ تقول:

أَبي أَبي مَـنْ لِـدفـعِ الـضَّـيـمِ نَـأمـلـهُ
إِذا حَـوَاكَ الـثَّـرى، وَا خَيبَةَ الأَمَـلِ؟[3]

فالشاهد في هذا البيت قوله: (مَنْ لدفع الضيم؟)، إذ استعمل الشاعر أداة الاستفهام (مَن) مع العاقل، وهذا شـأنها[4]، فالشـاعر أراد أن يعبِّر عن لسان حال السيِّدة فاطمة الصغرى عليها السلام عندما أرادت أن تسـأل أباها الإمام الحسين عليه السلام، وتقول له: مَن لنا عندما يتوسَّد جسدك التراب؟ ومَن يدفع الضيم الذي حلَّ بنا بفقدك؟.

(١) الديوان: ٨٤.
(٢) الكتاب: ١/ ١٠١.
(٣) الديوان: ٨٣.
(٤) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٢٨.

ونلحظ أنَّ الاستفهام في هذا البيت فيه نوع من الحسرة وخيبة الأمل على فَقدِ الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنَّهُ الناصر والمعين لهم، ولا بدُّ من أن نُشير إلى أن أداة الاستفهام (مَن) تُعرَب بحسب موقعها من الجملة، فهي اسم استفهام مبني على السكون في محلِّ رفع أو نصب أو جر[1].

٢. الاستفهام بـ(ما):

من المعروف لدى النحويِّين أنَّ (ما) لها استعمالات مختلفة، فهي تستعمل موصولة، ونافية، وتعجبيَّة، وزائدة، واستفهاميَّة، وهذه الاستعمالات المختلفة والمتنوعة لها يمكننا أن نحدِّدها من السياق الذي تردُ فيه هذه الأداة، وما يعنينا في هذا المضمار هو (ما الاستفهاميَّة)، فهي أداة يُستفهَم بها عن الذات غير العاقل، وعن صفات العقلاء، يقول المبرِّد: «فأمَّا (ما) فتكون لذوات غير الآدميِّين، ولنعوت الآدميِّين إذا قال: ما عندك؟ قلت: فرسٌ أو بعيرٌ أو متاعٌ أو نحو ذلك، ولا يكون جوابه زيدٌ ولا عمرو، ولكن يجوز أن يقول: ما زيدٌ؟ فتقول: طويلٌ أو قصيرٌ أو عاقلٌ أو جاهلٌ»[2]. وقد وردت (ما) في ديوان الحسن بن راشد الحلّيِّ في موضعٍ واحد، إذ قال فيه:

مَا لي وَلِلْغِيدِ وَالخِلِّ البَعيدِ، ولِلْـ
ـعَيشِ الرَّغيدِ الَّذي وَلَّى ولَمْ يَؤُلِ؟[3]

فالشاهد في قول الشاعر هو (ما)، إذ استعملها الشاعر مع العاقل؛ لأنَّ (ما) يُسأل بها عن ما يعقل وما لا يعقل، إلَّا أنَّ استعمالها في معنى العاقل لم يرد إلَّا قليلًا،

(١) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ١٠٠-١٠٥.
(٢) المقتضب: ٢/ ٢٩٥.
(٣) الديوان: ٧٥.

والأصل في استعمالها هو لغير العاقل[١]، و(ما) الاستفهاميَّة هذه عبَّر عنها الدكتور مهدي المخزوميّ بأنَّها أداة استفهام تُستعمَل كناية عن غير العاقل من حيوان، أو أشياء، أو غيرها[٢].

ويبدو أنَّ الاستفهام هنا قد خرج من معناه الحقيقيّ إلى معنى أخر يُفهَم من السياق، وهو معنى التعجُّب، إذ يتعجَّب الشاعر عمَّا مضى زمنه من العيش الرغيد، ووصل الغيد والحسان.

٣. الاستفهام بـ(متى):

الأداة (متى) هي اسم استفهام يُستفهَم بها عن الزمان، وهي بمعنى (أي حين)، أو (في أيِّ حين)[٣]، وهي اسم استفهام مبني على السكون للسؤال عن أسماء الزمان عامَّة، أي جميعها، فأنت عندما تقول: متى السفر؟ يُغنيك هذا عن التكلُّف في الكلام فلا تقول: أيوم الجمعة السفر؟ أو أيوم السبت السفر؟ وقولك: أشهر حزيران السفر؟ فقد جاءت مختصرةً لكلِّ هذا الجهد، فهي في الزمان كمنزلة (أين) في المكان[٤]، ولا تقتصر هذه الأداة على زمن من الأزمان، فهي أداة يُستفهَم بها عن الزمن، ماضيًا كان أو مستقبلا[٥].

ومن الواضح أنَّ هذه الأداة لا يجوز معها السؤال عن الأشخاص، نحو قولنا: متى عمرو؟ وذلك كون الزمان لا يكون خبرًا عن اسم الشخص، وفي هذا يقول الجرجانيّ:

(١) ينظر: معاني الحروف: ٩٧.
(٢) ينظر: في النحو العربيّ نقد وتوجيه. د. مهدي المخزوميّ: ٢٧٠.
(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٣٣.
(٤) ينظر: شرح المفصَّل: ٤/ ١٠٢.
(٥) ينظر: تسهيل الفوائد: ٢٣٧.

«فـلا يجوز أن تقول: (متى زيد؟)؛ لأنَّ ظروف الزمان لا تكون خبرًا عن الأشـخاص؛ لعدم الفائدة في ذلك، لأنَّ أحوالها مع الأزمنة حالٌ واحد[1].

ولا بَـد لنا من أن نبـيِّن أنَّ الأداة (متى) ليسـت هي الأداة الوحيدة التي يُسـتفهَم بهـا عن الزمان، فقد يُسـتفهَم عـن الزمان بأداة أخـرى، وهي الأداة (أيَّان)، فالسـبب الـذي جعـل الأداة (متى) تتصدَّر وتحتل مكانة الاسـتفهام عن الزمـان بدلًا من الأداة (أيَّـان) مـا ذكره ابن يعيش من أنَّ الأداة (متى) هي أكثر اسـتعمالًا مـن (أيَّان)، ونتيجة لهذا الاسـتعمال الكثير لـلأداة (متى)، فقد سـمح لها الصدارة للاسـتفهام عن الزمان، وصارت أظهر من الأداة (أيَّان) في الاسـتفهام عن الزمان، وكذلك أنَّ (متى) تُستعمَل في كلِّ زمـانٍ يَـرِد، أمَّـا (أيَّان) فهي لا تسـتعمل إلَّا فيما يُـراد به التعظيـم والتفخيم في الأمور[2].

وقـد وردت هـذه الأداة في ديوان الحسـن بن راشـد الحلِّيّ في موضعَـين اثنين، إذ قال:

مَـتـى ظُـلَـمُ الـظُّـلْـمِ الـكَـثِـيـفـةِ تَـنجَـلي
وَيـبـسِـمُ دَهـرِي بَـعـدَ إذْ هُـوَ عَـابِـسُ؟[3]

اسـتعمل الشـاعر (متى)، وأراد بها الاسـتفهام عن الزمان، فالشـاعر هنا أراد أن يصوِّر لسـان حال السـيِّدة زينب بنت الإمام عليّ عليهما السلام، وهي تسـأل متى نصر الله ؟ أي في أيِّ زمـان ينكشـف الظلم والخلاص منه، والذي لحق بهم عليهم السلام بعد استشـهاد الإمام الحسين عليه السلام.

(١) المقتصد في شرح الإيضاح ١/ ٢٢٨، وينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٥٠٥.
(٢) ينظر: شرح المفصَّل: ٤/ ١٠٦.
(٣) الديوان: ٦٧.

ولا يقتصر استعمال هذه الأداة على الاستفهام، فقد تستعمل في غير الاستفهام، ومن ذلك استعمالها في الشرط[١]، وقد تكون هذه الأداة في بعض الاستعمالات بمعنى (وسط)، وذلك نحو قول العرب: أخرجهُ مِنْ متى كُمِّهِ، أي من وسط كمِّه، وهو استعمال خاص بلغة هذيل[٢].

٤. الاستفهام بـ(أين):

وهذه الأداة من الأدوات الظرفيَّة أيضًا، التي يُسأل بها عن المكان، فهي اسم استفهام يُستفهَم بها عن المكان، بمعنى (أي مكان)، أو (في أي مكان أنت)[٣]، بمعنى آخر أنَّ هذه الأداة يُستفهَم بها عن المكان الذي حلَّ فيه الشيء، نحو قولنا: أين أنت؟ وأين بيتك؟ وأين مدرستك؟ فهي في مثل هذا الحال تكون سؤالًا عن مكان ظهور الشيء[٤].

وتتضمَّن الأداة (أين) بعض الاستعمالات، منها استعمالها بمعنى الشرط، وهي هنا تجزم فعلَين، وقد تقترن بـ(ما) الزائدة للتوكيد، نحو قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (النساء: ٧٨)، أو لا تقترن بـ(ما) الزائدة للتوكيد، نحو قولنا: أين تجلس أجلس[٥].

وتخرج هذه الأداة من معناها الأصليّ إلى معانٍ أُخر، ومن ذلك مجيؤها بمعنى (حيث) نحو: جئتك أين لا تعلم. أي: من حيث لا تعلم، أو خروجها إلى معنى النفي،

(١) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٦.
(٢) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ٢٠٠-٢٠١.
(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٣٣.
(٤) ينظر: المقتضب: ٣/ ٥٥.
(٥) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٩.

ومعنى الأمر، ومعنى التعجب، ومعنى التوبيخ[١].

ومن شواهد الأداة (أين) في ديوان الحسن بن راشد الحلِّيّ، جاء ذكرها في موضعٍ واحدٍ، قال:

كشمسٍ تعالت عَن أكفٍّ لَوَامِسٍ
وأينَ مِنَ الشمس الأكُفُّ اللوامِسُ؟[٢]

فالشاعر استعمل أداة الاستفهام (اين)، وأراد بها المكان، فهي للسؤال عن المكان، سواء كان استفهامًا حقيقيًّا، نحو (أين أخوك؟)، أم مجازيًّا[٣]، ومن الواضح أنَّ الأداة (أين) يصحُّ بها الإخبار عن الشخص بعكس الأداة (متى) التي قلنا عنها بأنَّه لا يصحُّ معها الإخبار عن الشخص، فلا نقول: متى زيد؟ ولكن يصحُّ أن نقول: أين زيد؟ وذلك لاستقامة الكلام[٤].

(١) ينظر: الأدوات النحويَّة في كتب التفسير: ٦٦١.
(٢) الديوان: ٤٩.
(٣) ينظر: معاني النحو، د. فاضل السامرَّائيّ: ٤/ ٢٥٦.
(٤) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ١/ ٢٢٨، وفي النحو العربيّ نقد وتوجيه، الدكتور مهدي المخزوميّ: ٣٦.

الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على من خصَّه رَبُّ العرش بالرسالة على العالمين محمَّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه المنتجبين، فبعد أن منَّ الله علينا بإنهاء هذا البحث، توصَّلنا إلى بعض النقاط المتعلِّقة به، وعلى ما يأتي:

١. اقتصر الشاعر الحلِّيّ في ديوانه على بعض الأدوات الاستفهاميَّة، مثل (من، ما، متى، أين) ولم يرد ذكر للأدوات الأُخر، ولم يقتصر ذكره على هذه الأدوات، فقد ذكر الشاعر الحلِّيّ حرفَي الاستفهام (الهمزة، هل).

٢. من استقراء ديوان الشاعر الحلِّيّ، وجدنا أنَّ الشاعر قد لجأ إلى حذف حرف الاستفهام في بعض أبياته.

٣. جاءت تراكيب الجملة الاستفهاميَّة في هذا الديوان متنوِّعة من حيث دخول هذه الأدوات على جملة فعليَّة أو اسميَّة.

٤. ابتعد الشاعر في أبياته عن الاستفهام المجازيّ، الذي غالبًا ما يستعمله الشعراء لأغراض بلاغيَّة، واقتصر على الاستفهام الحقيقيّ.

المصادر والمراجع

١. الأزهيـة في علم الحروف، عليّ بن محمَّـد الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دمشق، ١٩٧١م.

٢. أسرار العربيَّـة، عبـد الرحمن بن محمَّد بـن عبد الله الأنصـاريّ، أبو البركات، كـمال الديـن الأنبـاريّ (ت٥٧٧هـ)، دار الأرقـم بـن أبي الأرقـم، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣. أمـالي ابن الشـجريّ، ضيـاء الدين أبو السـعادات هبـة الله بن عـليّ بن حمزة المعروف بابن الشجريّ (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمَّد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩١م.

٤. البحر المحيط في التفسـير، أبو حيَّان محمَّد بن يوسـف بن عليّ بن يوسـف بن حيَّـان أثـير الدين الأندلـسيّ (ت٧٤٥هـ)، تحقيـق: صدقي محمَّـد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥. بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب ابن قيم الجوزيَّة (٦٩١-٧٥١ هـ)، تحقيـق: عليّ بن محمَّد العمران، إشراف: بكـر بن عبد الله أبو زيد، دار الفوائد، مكَّة المكرَّمة، ط١، ١٤٠٥هـ.

٦. البرهان في علـوم القرآن، محمَّد بن بهادر بن عبد الله الزركشيّ، ، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.

٧. البيانات الأسلوبيَّة في الشعر العربيّ، الدكتور مصطفى السعدانيّ، مكتبة المعارف، الإسكندريَّة.

٨. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيَّان الأندلسيّ، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، ط١، دمشق، دار كنوز إشبيليا.

٩. التراكيب اللغويَّة في العربيَّة، الدكتور هادي نهر، بغداد، العراق، مطبعة الإرشاد.

١٠. التعريفات، عليّ بن محمَّد بن عليّ الزين الشريف الجرجانيّ (ت٨١٦هـ)، تحقيق وضبط وتصحيح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١١. تلخيص البيان في مجازات القرآن، لأبي الحسن محمَّد بن الحسين الموسويّ (الشريف الرضي) (ت٤٠٦ هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الغني حسن، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٢. جامع الدروس العربيَّة، مصطفى بن محمَّد سليم الغلاييني (ت١٣٦٤هـ)، النشر، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، ط٢٨، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م.

١٣. الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمَّد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله ابن عليّ المراديّ المصريّ المالكيّ (ت ٧٤٩ هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الاستاذ محمَّد نديم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٤. خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغداديّ، ط١، حققه: الشيخ عبد السلام هارون، المطبعة المصريَّة، بولاق، وطبعة دار الكتب العربيّ للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

١٥. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنِّي الموصلِّيّ (ت٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمَّد عليّ النجَّار، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ط٤.

١٦. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمَّد الجرجانيّ، تعليق وشرح: محمَّد عبد المنعم الخفاجيّ، ط١، القاهرة، ١٩٦٢م.

١٧. شرح الرضيّ على الكافية، الشيخ رضي الدين محمَّد بن الحسن الإسترآباديّ النحويّ (ت٦٨٦هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: أ.د. يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، ليبيا، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٨. شرح المفصَّل، عليّ بن يعيش بن أبي السرايا محمَّد بن عليّ، أبو البقاء، موفق الدين الأسديّ الموصلِّيّ، المعروف بابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٩. شرح تسهيل الفوائد، محمَّد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبدالرحمن السيِّد، د. محمَّد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٠. شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافيّ، الحسن بن عبدالله بن المرزبان (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن، عليّ سيِّد عليّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

٢١. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريَّا القزوينيّ الرازي، أبو الحسين، تحقيق: مصطفى الشويمي، القاهرة، ١٩١٠م، مطبعة بيروت، ١٩٦٤م.

٢٢. الطراز المتضمِّن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ (ت٧٤٩هـ)، مصر، ١٩١٤م.

٢٣. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن عليّ بن عبد الكافي، أبو حامد بهاء الدين السبكيّ (ت ٧٧٣ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٤. في البلاغة العربيَّة، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربيَّة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٢٥. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثيّ، أبو بشر، الملقَّب سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٦. اللغة العربيَّة معناها ومبناها، الدكتور تمَّام حسَّان، عالم الكتب، ط٥، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٧. المسائل المنثورة، أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفَّار الفارسيّ، تحقيق وتعليق: الدكتور شريف عبد الكريم النجَّار، دار عمان للنشر والتوزيع.

٢٨. معاني الحروف، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرمَّانيّ المعتزليّ (ت٣٨٤هـ)، تحقيق: د. عليّ عبد الفتَّاح إسماعيل شبلي، دار الشروق، جدَّة، ط٣، ١٩٨٤م.

٢٩. معجم العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ البصريّ (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرَّائيّ، دار ومكتبة الهلال.

٣٠. معجم لسان العرب، محمَّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الرويفعيّ الإفريقيّ (ت٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمَّد جمال الدين ابن هشام (ت٧٦١ هـ)، تحقيق: د. عبد الفتَّاح الحموز، دار عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٢. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمَّد عليّ السكاكيّ الخوارزميّ الحنفيّ، أبو يعقوب، سراج الدين (ت ٦٢٦هـ)، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ١٩٣٧م.

٣٣. المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، جمهوريَّة العراق، ١٩٨٢م.

٣٤. المقتضب، محمَّد بن يزيد بن عبد الأكبر الثماليّ الأزديّ، أبو العبَّاس المعروف بالمبرِّد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.

٣٥. همع الهوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبدالحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقيَّة، مصر.

أبنية المشتقَّات في كتاب
(مَنهج القصَّاد في شرح بانت سعاد)
للبجليّ الحِلِّيّ

الباحثة سارة عنيد حسوني

جامعة المثنَّى/كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

Derivative Structures in the book
(Manhaj Al-Qassad fi Sharh Banat Suad)
by Al-Bajali Al-Hilli

Researcher Sara Anid Hassouni

Al-Muthanna University/College of Education for Humanities

ملخَّص البحث

يتنـاول هذا البحث أبنية المشـتقَّات في كتاب منهج القصَّاد في شرح بانت سـعاد، وتكمن أهميَّته في معرفة طريقة الشارح الحِلِّيّ في تعامله مع المشتقَّات، سواء اسم الفاعل، أو اسم المفعول، أو غيرهما؛ للتعرُّف إلى طريقة دراسته للمستوى الصرفيّ، وكيف وظَّفه في شرحه لقصيدة بانت سـعاد، وتلمُّس منهجه فيه، بالوقوف على نماذجَ مختارة، ضمن منهجٍ يضمُّ الوصف والتحليل.

الكلمات المفتاحيَّة: أبنية المشتقَّات، قصيدة بانت سعاد، اسم الفاعل، اسم المفعول، صيغة المبالغة، الصفة المشبَّهة.

Abstract

This research studies the structures of derivatives in the book (Manhaj Al-Qassad fi Sharh Banat Su'ad) and its importance lies in knowing the method of the Hillian writer in dealing with derivatives, whether the active participle or the passive participle or others; to know the method of his study of the morphological level and how he employed it in his explanation of the poem Banat Su'ad, and to sense his method in it by examining selected models, within a descriptive and analytical method.

Keywords: Derivative structures, Banat Suad poem, active participle, passive participle, exaggerated form, adjective.

المقدّمة

يعـدُّ الاشـتقاق عنصرًا مهمًّا وفعَّـالًا في اللغة العربيَّة، ومصدرًا مـن مصادر ثرائها وغِناها؛ بحيث تجدُّ أحوال، وتُسـتحدث أفعال، وتتولَّد معانٍ، وهذا من شأنه أن يُسهم إسهامًا فاعلًا في حيويَّتها، ومواكبتها للتطوُّر اللغويّ[1]، هذا ما قال به الدكتور فايز الداية في حديثه عن الاشتقاق، قال: «إنَّ الاشتقاق أداة تطوريَّة دائمة للعربيَّة، وهي تقتضي منَّا أن نحسـن فهم حركتها في العربيَّة الفصحى أوَّلًا، ومن ثمَّ نتمكَّن من اسـتعمالها، وإنَّها تعطينـا طبقات متعدِّدة من الدلالات المميَّزة، إلَّا أنَّها غير منفصلة، ولا تحجب الواحدة منها الأُخريات عن المنبع الأوَّل»[2].

فالاشـتقاق هو «أخذ كلمة أو أكثر من أخرى لمناسـبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في الأصـل اللفظـيّ والمعنويّ؛ ليدلَّ بالثانية عـلى المعنى الأصليّ، مع زيـادة مفيدة لأجلها اختلفت بعض حروفها أو حركاتها، أو هما معًا»[3].

والمشـتقَّات عند الصرفيِّين متعدِّدة، تشـترك جميعًا في أنَّها أُخـذت من أصلٍ واحدٍ بمعنًى متشـابه، مع اختلافٍ تدلُّ عليه الصيغة، وهذه المشـتقَّات هي: (أسـماء الفاعل، والمفعول، وأسماء الزمان والمكان، والتفضيل، والآلة، والصفة المشبَّهة)[4].

(١) يُنظر: الدلالة الصرفيَّة في الصحيفة العلويَّة: ١٦٣.
(٢) علم الدلالة العربيّ النظريَّة والتطبيق، دراسة تاريخيَّة، تأصيليَّة، نقديَّة: ٢٣٧-٢٣٨.
(٣) أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه: ٢٤٦.
(٤) أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه: ٢٥٢.

أمَّا موقف الحِلِّيّ من الاشـتقاق، فإنَّه يُعدُّ من الوسـائل الرئيسة التي استعان بها في شرحه؛ إذ إنَّه اسـتعمل بعض تلك الأبنية، ووُظِّفت معانيها في تجسـيد بناء شرحه، مع التنوُّع في صيغ تلك الأبنية، وهذا التنوُّع يُكسِب النَّصَّ اللُّغويّ حُسنًا ورونقًا، ويُضفي عليه جماليَّة السَّـبك، فضلًا عن أنَّ هذه الأبنية أسـهمت في توليد تشـكيلٍ صوتيٍّ يُحقِّق الغاية المنشودة في القصيدة.

المشتقَّات التي وردت في شرح الحِلِّيّ

أوَّلًا: اسم الفاعل

لم يضع سيبويه له حدًّا، وإنَّما سمَّاه الاسم، إذ قال: «فالأفعال تكون من هذا على ثلاثة أبنية: على فَعَل يَفْعُل، وفَعَل يُفْعِل، وفَعَل يَفْعَل. ويكون المصدر فعلًا، والاسم فاعلا»[1]، وعرَّفه الرضيّ الاستراباديّ بقوله: «اسم الفاعل ما اشتُقَّ من فعل لمن قام به بمعنى الحدث»[2].

وقد اختلف اللغويُّون في أبنية اسم الفاعل، فذهب الزمخشريّ (٥٣٨هـ)، وابن الحاجب (٦٤٦هـ) إلى أنَّ له بناءً واحدًا، وهو (فاعل)[3]، وذهب آخرون إلى أنَّ له أبنيةً متعدِّدةً، وهي بناء (فاعل) الذي يكون قياسًا من (فَعَلَ)، متعدِّيًا كان أم لازمًا، ومن (فَعَلة) المتعدِّي، ويكون على (فعلان) إذا كان الفعل على وزن (فَعَل) اللازم، ويُصاغ اسم الفاعل من غير الثلاثيّ على زِنة المضارع المبنيّ للمعلوم، بعد إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، وكسرِ ما قبل الآخر[4]، فاسم الفاعل يدلُّ على الحدوث، كما قال الرضيّ، وهو بقوله هذا يخرج الصفة المشبهة؛ لأنَّها تدلُّ على الثبوت[5]، والحقيقة

(١) الكتاب: ٤/ ٥.
(٢) شرح الكافية: ٢/ ١٩٨.
(٣) ينظر: شرح المفصَّل: ٤/ ٨٤، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٥٩.
(٤) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ٨٨-٩٩، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٥٩، وشرح الكافية: ٢/ ١٩٨.
(٥) شرح الكافية: ٢/ ١٩٨.

أنَّ هذا لا يعدُّ تناقضًا؛ ذلك «إنَّما يقع اسم الفاعل وسطًا بين الفعل والصفة المشبَّهة، فالفعل يدلُّ على التجدُّد والحدوث، فإن كان ماضيًا، دلَّ على أنَّ حدثه تمَّ في الماضي، وإن كان حالًا أو استقبالًا، دلَّ على ذلك، أمَّا اسم الفاعل فهو أدومُ، ولكنَّه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبَّهة»[1].

وذُكر اسم الفاعل مرَّات عدَّة في قصيدة كعب بن زهير، لكنَّ الشارح لم يتطرَّق لها جميعًا، وهذا ربَّما يعود إلى منهجه الذي كان انتقائيًّا لبعض المفردات، فقد أورد من الثلاثيّ مرَّة، وبغير صيغته الأصليَّة مرَّة واحدة أيضًا.

أ. صيغة (فاعل)، وذلك في لفظة (الحادي) الواردة في البيت الحادي والثلاثين[2]:

وقالَ للقومِ حَادِيهِم وقد جَعَلَتْ
وُرْقُ الْجَنادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا قِيلُوا

قال: «والحادي: فاعلٌ من حَداهُ على كَذا، فهو حادٍ إذا حثَّه عليهِ وبعثَه، كأنَّ الحادي يحثُّ الإبل، ويبعثها على السَّير»[3]، فنجد الشارح عند تحليل اسم الفاعل ربط بين اسم الفاعل والسياق؛ لبيان دلالته.

ودلالة اسم الفاعل في هذا البيت تتأتَّى من المعنى العام للقصيدة؛ إذ إنَّ الحادي الذي يسيِّر الإبل، ويحفِّزها أمرهم بالقيلولة والراحة؛ وذلك إشفاقًا على إبله التي أخذ بها الحرُّ أيَّ مأخذ.

فهذا المعنى يبيِّن لنا الدلالة، وهي التوسُّط بين حدوثه، وتجديده، وثبوته، فإنَّ ثبوتهم مرهون بمدَّة راحتهم التي سيواصلون مسيرهم

(١) معاني الأبنية: ٤١.
(٢) منهج القصَّاد: ٢٩٦، والديوان: ٦٤.
(٣) منهج القصَّاد: ٢٩٦-٢٩٧.

بعدها[1]، فهو لا ينظر إلى حدوث الفعل، وتجديده، ولا إلى ثبوت الصفة المشبَّهة، كما قال بذلك الدكتور فاضل السامرَّائيّ من قبلُ[2].

ب. فعيل بمعنى فاعل، وذلك في لفظة (البِصيرِ) الواردة في البيت السادس والعشرين[3]:

قَنْوَاءُ في حُرَّتَيْها لِلْبَصِيرِ بِهَا
عِتْقٌ مُبِينٌ وفي الخَدَّيْنِ تَسْهيلُ

قال: «والبصير: العالم، فعيل من بَصُرَ يَبْصُرُ بضمِّ العين فيها إذا علم»[4]، والتبصُّر: التأمُّل والتعرُّف، والتبصير التعريف والإيضاح، ورجل بصيرٌ بالعلم: عالمٌ به[5].

فالشارح هنا ذكر (بصير) بزنة (فعيل)، بمعنى (مُبصر) بزنة (مُفعل)، وأراد به اسم الفاعل المشتق من الرُّباعيّ (أفعل)، وهذا من باب التبادل الدَّلاليّ بين الصيغ الصرفيَّة، فـ(فعيل) بمعنى(فاعل) من (أبصرت الشيء أبصره) إذا رأيته، وأيَّد هذا المحقِّق، وذلك إذا أُريد الدلالة على الكثرة والمبالغة في اتِّصاف الذات بالحدث حول بناء اسم الفاعل، ويجيء بـ(فعيل) بمعنى (فاعل)، وقد درس اللغويُّون ذلك، وقالوا به، ومنهم سيبويه، فقد أعمل (فعيل)، وقال: «وقد جاء: فَعيلٌ كَرحيمٍ وعَليمٍ وقَديرٍ وسَميعٍ وبَصيرٍ، يجوز فيهنَّ ما جاز في فاعِلٍ من التقديم والتأخير، والإضمار والإظهار»[6]، وكما أنَّ (بصير) بمعنى (مُبصِر)، الذي قال به شارحنا، فهنا نجده موافقًا لسيبويه في رأيه

(١) ينظر: كنه المراد: ٣١٩-٣٢٠.
(٢) ينظر: معاني الأبنية: ٤١.
(٣) منهج القصَّاد: ٢٧٢، الديوان: ٦٤.
(٤) منهج القصَّاد: ٢٧٣.
(٥) ينظر: لسان العرب: ٤/ ٦٤، ومقاييس اللغة: ١/ ٢٥٣-٢٥٤ مادَّة (بصر).
(٦) الكتاب: ١/ ١١٠.

هـذا[1]، وأيَّدهم في ذلك ابـن يعيش[2]، ومِن الذين خالفوه أبـو عمر الجرميّ، مع أكثر النَّحويِّـين[3]، في حـين أنَّ ابن هشـام اعتذر عن سـيبويه في قوله بمجـيء فعيل بمعنى فاعل، فهنا دلَّ اسم الفاعل على المبالغة والمعرفة؛ إذ أراد بالبصير العارف بالإبل، وجاء على زِنة (فعيل) للمبالغة والكثرة[4].

ثانيًا: اسم المفعول

هو اسـمٌ مشـتقٌّ يدلُّ على معنًى مجرَّد غير ملازم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، نحو (منظور)، و(مكتوب)[5]، وهو يدلُّ على الثبوت والحدوث، فهو يدلُّ على الحدوث إذا مـا قيـس بالفعل، وعلى الثبوت إذا ما قيس بالصفة المشـبَّهة، فقد تقول: (أترى أنَّك سـتنصر عليهم؟)، فيُقال: (أنا منصور)، أي إنَّ هـذا الوصف ثابت لي، وتقول: (أتظنُّه سيُغلَب؟)، فيُقال: (هو مغلوب)، أي هذا الوصف كأنَّه قد تمَّ وثبت له»[6]. ومن حيث الدلالة على الزمن، ذَكَر الدكتور محمود عكاشة ثلاث دلالات، وأضاف الدكتور فاضل السامرَّائيّ اثنتين، ليكون مجموعهنَّ خمس دلالات[7]:

١. **المـاضي**: نحـو قولـه تعـالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[8]، أي سُـمِّيَ، ونحـو (أدركنا وهو مقتول)، أي: قُتل.

(١) ينظر: منهج القصَّاد: ٢٧٣.
(٢) ينظر: شرح المفصَّل: ٦/ ٧٢ ٧٣..
(٣) ينظر: التبصرة والتذكرة: ١/ ٢٢٧.
(٤) ينظر: كنه المراد: ٣٠٤.
(٥) ينظر: المعجم المفصَّل في علم الصرف: ١٣٢.
(٦) معاني الأبنية في العربيَّة: ٥٢.
(٧) ينظر: التحليل اللغويّ في ضوء علم الدلالة: ٧٤، ومعاني الأبنية: ٥٢-٥٣.
(٨) الرعد: ٢.

٢. **الحال:** مثل (أقبل مسرورًا)، و(أنت مغلوب على أمرك).

٣. **الاستقبال:** نحو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾[١]، أي: سيُجمع له النَّاس ويشهد.

٤. **الاستمرار:** نحو قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[٢].

٥. **الدلالة على الثبوت:** كالصفة المشبهة، نحو: (هو مدوَّر الوجه، مقرون الحاجبَين).

وهذه الدلالات سوف نسلِّط الضوء عليها عند تحليلنا لما ورد من دلالاتٍ في شرح الحِلِّيّ على اسم المفعول.

أمَّا صياغته، فيُصاغ اسم المفعول قياسًا مطَّردًا من الفعل الثلاثيّ المجرَّد على زِنة (مفعول)، نحو: (منصور)، و(موعود)[٣]، ومن غير الثلاثيّ على زِنة الفعل المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وفتح ما قبل الآخر، وفي ذلك قال سيبويه: «وليس بين الفاعل والمفعول في جميع الأفعال التي لحقتها الزوائد إلَّا الكسرة التي قبل آخر حرف والفتحة، وليس اسمٌ منها إلَّا والميم لاحقته أوَّلًا مضمومة. فلمَّا قلت مُقاتِلٌ ومُقاتَلٌ؛ فجرى على مثال يُقاتِل ويُقاتَل، كذلك جاء على مثال يَتغافلُ ويُتغافل، إلَّا أنَّك ضمَمْت الميمَ، وفتحت العين»[٤].

ويرد على صيغ مشتركة أخرى، مثل (فعيل)، و(فَعِل).

(١) هود: ١٠٣.

(٢) هود: ١٠٨.

(٣) يُنظر: الكتاب: ٤/ ٦٧، وينظر: الصيغ الصرفيَّة في العربيَّة في ضوء علم اللغة المعاصر: ٩٤.

(٤) الكتاب: ٤/ ٢٨٢.

وُظِّف اسم المفعول في منهج القصَّاد من الفعل الثلاثيّ وغير الثلاثيّ، ومن الأوَّل أكثر، وهو من أكثر المشتقَّات ورودًا في الشرح، فقد جاء في أكثر من عشرين موضعًا، ويمكن تعليل ذلك بأنَّ بنية القصيدة، وحرف الرويّ كانا سببًا واضحًا لمجيء اسم المفعول أكثر من غيره، إذ إنَّنا نجد الكثير منه قد ورد في نهايات بعض الأبيات؛ تناسبًا بين قافية القصيدة، وصيغة اسم المفعول.

١. صيغة (مفعول):

على الرغم من كثرة ورود الألفاظ بصيغ اسم المفعول على هذه الصيغة في قصيدة كعب بن زهير، نجد الشارح قد وقف على اسم المفعول في هذه الصيغة في ثلاثة مواضع[١]، ونذكر منها:

- **(مَوْعودُ)** الواردة في البيت السابع من قول الشاعر[٢]:

أكْرِمْ بِها خُلَّةً لَوْ أنَّها صَدَقَتْ
مَوْعودَها أَو لَوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبولُ

قال: «ومَوْعودُهَا: اسم مفعُولٍ من وعدتُهُ، فهو موْعودٌ، وكأنَّه أراد بقوله: موعُودُها نفسه؛ لأنَّها وعدتْه بالوصلِ، وأضافهُ إلى الفاعِل، ويجوز أن يكون قد أقام اسم المفعول مقام المصدر المضاف إلى الفاعل، أي لو أنَّها صدقت وعدها»[٣]، فنجد الشارح مُصرِّحًا بأنَّ (موعود) اسم مفعول من الفعل الثلاثي الصحيح (وَعَدَ)، ثمَّ ختم كلامه بأنَّه ربَّما يكون أقام اسم المفعول مقام المصدر، ثمَّ إنَّ اللغويِّين قد تناولوا هذه اللفظة،

(١) ينظر: منهج القصَّاد: ١٧٤، ٣٢٨.
(٢) منهج القصَّاد: ١٩٠، والديوان: ٦١.
(٣) منهج القصَّاد: ١٩٣-١٩٤، وينظر أمثلة أخرى: ١٧٤، ٣٢٨، وينظر: مقاييس اللغة: ٦/ ١٢٥.

وقالوا بأنَّها تحتمل ثلاثة أمور[١]:

١. أن يكون اسم المفعول على ظاهره، ويكون المراد به الشخص الموعود.

٢. أن يكون على زنة (مفعول)، ولكنَّ المراد به الشيء الموعود.

٣. أن يكون مصدرًا، على رأي أبي الحسن الأخفش، الذي قال بفكرة مجيء المصدر على (مفعول)، كما في (ميسور)، و(معسور)، و(مفتون) الذي سبق الحديث عنها في باب المصادر، وأيَّد المحقِّق هذه الآراء.

وذهب الزبيديّ إلى مصدريَّة (موعود) في قوله: «أو يكون الموعود مصدر وعدته فهو موعود»[٢]، أمَّا الشارح، فقال بأنَّه اسم مفعول، مع جواز إقامته إقام المصدر، ودلَّ اسم المفعول هنا على الحال والاستقبال، أي إنَّ وعدها له بالوصل سيتحقَّق الآن، أو بعد مدَّة من الزمن، ولم يذكر المعجميُّون مجيء (موعود) بصيغة اسم المفعول[٣].

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾[٤]، وهو يوم القيامة الذي وعد الله به[٥].

٢. صيغة (مُفْعَل):

ورد بناءٌ واحدٌ لاسم المفعول على صيغة (مُفْعَل) من غير الثلاثي في منهج القصَّاد وهو لفظة (مُنْهَل) الواردة في البيت الرابع[٦]:

(١) ينظر: شرح ابن هشام ١٥٣، ومنهج القصَّاد: ١٩٣.
(٢) تاج العروس: ٣/ ١٣٣.
(٣) ينظر: مجمل اللغة: ٣/ ٩٣١، والمعجم الوسيط: ١٠٧٣.
(٤) البروج: ٢.
(٥) ينظر: تهذيب اللغة: ٣/ ١٣٤.
(٦) منهج القصَّاد: ١٧٢، والديوان: ٦١.

تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ
كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

فجاء تعليقه عليها: «ومُنْهَل: اسم مفعول من قولهم: أنهلهُ ينهلُهُ إنهالًا، بفتح الهاء للمفعول، إذا أورده للنَّهل، وهو الشرب الأوَّل»[1].

يتَّضح من كلامه أنَّه اشتقَّ اسم المفعول (مُنْهَل) من الفعل الثلاثيّ المزيد بهمزة (أنهل)، وهذا هو القياس فيه، أي في صياغة اسم المفعول من غير الثلاثيّ؛ إذ نقوم بإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، وفتح ما قبل الآخر، ودلَّ اسم المفعول على المبالغة بالوصف والتشبيه؛ تشبيه ريح فمها برائحة الراح (الخمر)، وخصَّ التشبيه بحال الابتسام؛ لأنَّ وقت الابتسام يُظهِر للعين محاسن الثَّغرِ[2]. وجاءت بصيغة المبالغة عند الزمخشريّ، حين قال: «نهل الشارب نهلًا، وسُقي النَّهل والعلل، ورجل مِنهال: كثير الإنهال»[3].

٣. صيغة (فعيل) بمعنى (مفعول):

تعدُّ هذه الصيغة من الصيغ المشتركة بين اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبَّهة، ووردت عند البجليّ الحِلِّيّ في تحليل لفظة (غضيض) الواردة في البيت الثاني[4]:

وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إذ رَحَلوا
إلَّا أَغَنُّ غَضيض الطَرفِ مَكحولُ

فعلَّق عليها الحِلِّيّ بقوله: «وغضيض: فعيلٌ، إمَّا بمعنى فاعل، أي غاضٍّ، وإمَّا

(١) منهج القصَّاد: ١٧٤.
(٢) ينظر: منهج القصَّاد: ١٧٥، وكنه المراد: ١٥٥.
(٣) أساس البلاغة: ٢/ ٣١٣.
(٤) منهج القصَّاد: ١٦٥، والديوان: ٦٠.

بمعنى مفعول، أي مغضوض»[1]، أمَّا (غضيض) بمعنى (مغضوض)، فقد أشار إليه اللغويُّون، ومنهم ابن منظور[2]، وقال السيوطيّ: «وغضيض بمعنى مغضوض، كذبيح بمعنى مذبوح، وكسير بمعنى مكسور، ونحو ذلك، وغضُّ الطرف معناه كفُّ البصر، وتركُ التحديق واستيفاء النَّظر»[3].

ومعنى البيت يحمل أمرَين، **الأوَّل**: أن يريد به كسر الجفون وفتورها على عادة الشعراء في مثل هذه المواضع، **والثاني**: أن يريد به الحياء والخفر، وكلاهما ممَّا يُمتَدح به، وهذا ما قال به ابن هشام في شرح قصيدة (بانت سعاد)[4].

وذكر ابن مالك هذا البناء، وقال: إنَّه سماعيّ، وهو ممَّا يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث، ولكنَّ ابن عقيل زعم أنَّ (فعيل) مقيس في كلِّ فعل ليس له (فعيل) بمعنى (فاعل)، فإن كان للفعل (فعيل) بمعنى (فاعل)، فهو لم يُنب قياسًا كعليم[5]، فبهذا نجد أنَّ (غضيض) بمعنى (مغضوض) قد جاءت سماعًا لا قياسًا؛ لأنَّ الشارح ذَكَر بجانبها (غضيض) بمعنى (غاضّ)، وفي ذِكرِهِ لها قصدُ السَّماع[6].

وهناك من ذهب إلى أنَّ صيغة (فعيل) تنوب عن المفعول في الدلالة على معناه، لا في العمل، فعلى هذا لا تقول: (مررت برجلٍ جريح عبده)، فترفع(عبده) بجريح؛ لأنَّه لـمَّا تغيَّرت الصيغة، ضعف عن اسم المفعول، فلم يعمل عمله[7]، ومثال هذا التناوب

(١) منهج القصَّاد: ١٦٧-١٦٨.
(٢) ينظر: لسان العرب: ٧/ ١٩٧.
(٣) ينظر: كنه المراد: ١٤٠.
(٤) ينظر: شرح قصيدة بانت سعاد: ١١١.
(٥) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ١١٥.
(٦) ينظر: منهج القصَّاد: ١٦٨.
(٧) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ١١٥.

ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[1]، فرأى الألوسّي أنَّ الوكيل، أي الموكول إليه، فـ(فعيل) بمعنى (مفعول)[2]، كما أنَّ (غضيض) بمعنى (مغضوض)، ومن ثمَّ فإنَّ (غضيض) أبلغ من (مغضوض)، كما أنَّ (قتيل) أبلغ من (مقتول)؛ لذا عدل عن الصيغة الأصليَّة لـ(مفعول)، وناب عنها بـ(فعيل)؛ لضربٍ من المبالغة[3]، ومن ثمَّ نجد من خلال تحليلنا للعدول من صيغة (مفعول) إلى (فعيل) غايات، وهي:

١. إضافة موسيقى صوتيَّة تنسجم مع الوزن، وتزيد من جماليَّة القصيدة؛ إذ إنَّ (أغنُّ غضيض) أكثر ملائمة من (أغنُّ مغضوض).

٢. إثبات الصفة لمحبوبته.

٣. انتقال المعنى من وصف الفاعل بالحدث على سبيل الدوام والاستقرار، إلى معنى وصف المفعول بالحدث على سبيل التجدُّد والانقطاع.

٤. صيغة (فَعْل) بمعنى (مفعول):

وذلك في لفظة (نَسْج) التي وردت في البيت الرابع والخمسين[4]:

شُمُّ العَرانينِ أَبطالٌ لَبوسُهُمُ
مِن نَسجِ داوُدَ في الهَيجا سَرابِيلُ

قال: و«النَّسج في الأصل: مصدر نسج الثوب ينسُجُه، وينسِجُه، نسجًا، بالضمِّ والكسر، إذا حاكه، وهو هنا بمعنى المنسوج، إقامةً للمصدر مقام اسم المفعول، كقولهم:

(١) آل عمران: ١٧٣.
(٢) ينظر: روح المعاني: ٤/ ١٢٧.
(٣) ينظر: معاني الأبنية: ٦٣.
(٤) منهج القصَّاد: ٣٨٣، الديوان: ٦٧.

هذا الدينار ضرب الأمير؛ أي مضروبه، وصيد البحر؛ أي مصيده، كما يقام اسم المفعول مقام المصدر في قولهم: ما له معقول، أي عقل»[1].

فنرى الشارح هنا قد فصَّل في هذه المسألة، وصرَّح بالتناوب، أي إنَّه قد يُقام اسم المفعول مقام المصدر كـ(معقول)، وأصلها (عقل)، أو قد يحدث العكس، ويُقام المصدر مقام اسم المفعول، كما في (نَسْج)، وأصلها (منسوج)، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[2].

ووصِف بالمصدر للمبالغة فيه، وقيل أيضًا إنَّه يجوز أن يكون مفعولا[3]، أي مكذوبًا، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[4]، جاء في الكشَّاف: «وحقيقته أنَّه من تسمية المفعول بالمصدر، وأصله من معزومات الأمور، أي مقطوعاتها ومفروضاتها»[5]، ومثاله ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾[6]، فقال الشوكانيّ: «والسكن: مصدر يوصف به الواحد والجمع، وهو بمعنى مسكون، أي تسكنون فيها، وتهدأ جوارحكم من الحركة»[7].

ثالثًا: صيغ المبالغة

وهي أبنية ملحقة باسم الفاعل تدلُّ على المبالغة والتأثير في حدث اسم الفاعل؛ لأنَّ اسم الفاعل محتملٌ للقلَّة والكثرة، أمَّا أبنية المبالغة فتأتي لتأكيد المعنى والمبالغة

(١) منهج القصَّاد: ٣٨٤-٣٨٥.
(٢) يوسف: ١٨.
(٣) ينظر: الكشَّاف: ٣/ ٢٦٢.
(٤) لقمان:١٧.
(٥) الكشَّاف:٥/ ١٦.
(٦) النحل: ٨٠.
(٧) فتح القدير: ٣/ ٢٥٤.

فيه[1]. وذكر سيبويه أوزانه: «فعول، وفعَّال، ومفعال، وفعل، وقد جاء فعيل كرحيم وقدير وبصير»[2]، وذكر لها المبرِّد أمثلة، فإذا أردت تكثير (قتَلَ) قلت: (قتَّال)، وفي (ضرب): (ضروب)، و(مضراب)[3].

وقد جمع السيوطيّ أبنية المبالغة على اثني عشر بناءً: «فُعَّال كوُضَّاء، وفُعَل كغُدر، وفُعَال كعُجَاب، وفَعُول كغدور، ومِفعيل كمِعطير، ومِفْعَال كمعطار، وفُعلة كهُمزة ولُمَزة، وفَعولة كمَلولة، وفعَّالة كبقَّاقة، لكثير الكلام، ومِفعالة كمِجزامة»[4]، وهي أوزان سماعيَّة لم تخضع للقياس، وتختلف صيغ المبالغة في الدلالة على معنى المبالغة من صيغة إلى أخرى، فمعنى (فَعَّال) مختلف عن (فِعَيل)، وهما مختلفان عن (فعل)، وهكذا[5].

وقد وقف الحِلِّيّ عند صيغ المبالغة في أربعة مواضع[6]، موزَّعة على صيغَتَين: **الأولى** منها سماعيَّة (فعَّالة)، **والثانية** قياسيَّة (مفعال)، وهذه الصيغ كالآتي:

(١) فعَّالة: وقد وردت هذه الصيغة مرَّتَين في شرح الحِلِّيّ، وذلك في لفظَين (نضَّاخة، نَوَّاحة)، ونذكر منها ما جاء في تحليل لفظة (نضَّاخة) الواردة في البيت السادس عشر[7]:

من كُلِّ نضَّاخة الذِّفْرَى إذَا عَرِقَتْ
عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأعلامِ مجْهُولُ

(١) ينظر: الكتاب: ١/ ١١٠، والمقتضب: ٢/ ١١٢.
(٢) الكتاب: ١/ ١١٠.
(٣) يُنظر: المقتضب: ٢/ ١١٢-١١٣.
(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢/ ٢٤٣.
(٥) ينظر: معاني الأبنية: ١٠٥-١٠٧.
(٦) ينظر: منهج القصَّاد: ٢٣٢، ٢٣٤، ٣٠٤، ٣٩٢.
(٧) منهج القصَّاد: ٢٣٤، والديوان: ٦٢.

فعلَّـق عليها بقوله: «ونضَّاخة فعَّالة للمبالغة في النَّضخ بالخاء المعجمة، وهو أغلظ من النَّضح بالحاء المهملة»[١]، إذ أشـار إلى وزن الكلمة، وصـرَّح بأنَّـها صيغة مبالغة من الفعل الثلاثيّ (نضخ)، وفيها دلالة الكثرة، وإن كانت ثلاثيَّة، وهذا ما درسه اللغويُّون، إذ جـاء في الصِّحـاح: «والنَّضخ أكثر من النَّضح بالحاء»[٢]، وهـذا ما جاء به ابن فارس أيضًـا، إلَّا أنَّه ذكر له صيغـة أخرى، فقال: «يُقال: غيثٌ نضَّـاخٌ: غزير، وعينٌ نضَّاخةٌ: كثيرة الماء»[٣]، وهذا المعنى المراد بالشَّـرح، ثمَّ إنَّ له صيغتَـي مبالغة، إلَّا أنَّه ذكر الثانية (نضَّاخـة) بزِنَة (فعَّالـة)؛ لأنَّها أكثر مبالغة من الأولى، ومنـه قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[٤]، أي: (فوَّارتان)[٥].

ومـن هذا يتَّضح لنا أنَّ لفظة (نضَّاخة) فيهـا مبالغَتان: الأولى من جهة الزِّنة؛ لأنَّها محوَّلة من (فاعل) إلى (فعَّال)؛ للتكثير والمبالغة، والثانية من جهة المادَّة؛ لأنَّ النَّضخ أشدّ وأقـوى من النَّضح بالحاء؛ إذ إنَّ الثانية (النَّضح) بمعنـى الرَّشِّ، أمَّا الأولى ففيها معنى الغزارة؛ لأنَّا نجد أنَّ في المبالغة دلالة على الكثرة والقوَّة[٦]، ومعنى البيت: يصف النَّاقة بأنَّ لها اهتمامًا بالسَّير، ومعرفةً الطرق المجهولة في وصفَين:

١. كثرة العرق من ذفرتها.

٢. المعرفة بالطرق الطامسة المندثرة والمجهولة.

(١) منهج القصَّاد: ٢٣٤.
(٢) الصِّحاح: ١/ ٤٣٣.
(٣) مقاييس اللغة: ٥/ ٤٣٨.
(٤) الرحمن: ٦٦.
(٥) ينظر: الصِّحاح: ١/ ٤٣٣.
(٦) ينظر: شرح ابن هشام: ٢١٥.
(٧) ينظر: كنه المراد: ٢٦٤.

(٢) مفعال: وتردُ هذه الصيغة عند اللغويِّين في مَن صار الفعل لديهم عادة؛ بسبب الاستمراريَّة والمداومة عليه، جاء في ديوان الأدب: «إذا كان الاسم على مِفعال أو مفعيل، فالجمع على مفاعيل، وهما لمن دام منه الفعل»[١].

قال ابن قتيبة (٢٧٦هـ): «يكون لمن دام منه الشيء، أو جرى على عادة فيه، تقول: رجل مضحاك ومهذار ومطلاق؛ إذا كان مديمًا للضحك والهذر والإطلاق»[٢].

وقال الثعالبيّ (٤٣٠هـ): «أكثر العادات في الاستكثار على مفعال»[٣].

وتعدُّ صيغة (مفعال) من الصيغ المشتركة بين المبالغة واسم الآلة، والسياقُ كفيلٌ بالتفريق بينهما، فهناك من يرى المبالغة أصلًا، والآخر يرى أنَّ اسم الآلة هو الأصل، وأيَّد بعض المتأخِّرين كون الصيغة للآلة في الأصل، كـ(المفتاح) الذي هو للفتح، و(المنشار) الذي هو آلة النشر، ثمَّ استُعِيرت للمبالغة، وإنَّما يُساغ ذلك؛ لأنَّ مَن اعتاد الفعل، وصار له كالآلة، يصدق عليه الوصف باسم الآلة (مفعال)، فيُقال: (مهذار) لكثير الهذر، الذي صار كأنَّه آلة للهذر، ويُقال (معطار) لكثير العِطر، الذي صار كأنَّه آلة للعطر[٤].

ووافقهم من المحدَثين الدكتور فاضل السامرَّائيّ[٥] الذي استدلَّ على ذلك بأنَّ صيغة المبالغة (مفعال) لا تُجمع جمع مذكَّر سالمًا ولا تأنيث، وإنَّما تُجمع جمع اسم آلة، فيُقال: (مهذار: مهاذير)، و(معطار: معاطير)، كما يقال: (مفتاح: مفاتيح)، وهي أيضًا من الصيغ المشتركة بين المذكَّر والمؤنَّث، وهذا ما جاء به الشارح في شرح قصيدة (بانت

(١) ديوان الأدب: ١/ ٨٣.
(٢) أدب الكاتب: ٢٥٥، وينظر: معاني الأبنية: ٩٧.
(٣) فقه اللغة وسرُّ العربيَّة: ٢/ ٦٣٧.
(٤) ينظر: الكليَّات: ٣٠٣.
(٥) ينظر: معاني الأبنية: ١١٢.

سعاد)؛ إذ وردت هذه الصيغة ثلاث مرَّات (مثكال، ومجزاع، ومِرقال)، ونذكر منها ما جاء في تحليل لفظ (مجزاع) الواردة في البيت السادس والخمسين[1]:

لا يفرَحون إذا نالتْ رِماحُهمُ
قومًا ولَيْسُوا مَجازِيعًا إذا نِيلُوا

قال: «ومجازيعًا خبرها جمعُ مجزاعٍ، من أمثلةِ المبالغَةِ، وهو الكثيرُ الجزَعِ، والجزَعُ نقيضُ الصَّبرِ، وقد جزِعَ من الشَّيء بالكسر، وأجزعهُ غيرهُ»[2].

فصرَّح الشارح بدلالته على الكثرة، وأنَّه من أمثلة المبالغة بزنة (مفعال)، ومن ناحية المعنى لا يخرج عمَّا جاء به أصحاب المعاجم، إذ ورد في مقاييس اللغة: «والجزَع: نقيض الصبر، وهو انقطاع المنَّة عن حمل ما نزل»[3].

وقد علَّق الشارح على ما جاء به الشاعر بقوله: «وقد أحسن كعب في هذا البيت، ومَدَحهُم بعالي الهمَّةِ، وطمأْنينة النفْس، والصَّبرِ على الشَّدائد، وفيه بهجةٌ منْ عينٍ، وقارب الشارح هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[4]، ومن ثمَّ حاول أن يردَّ على من عابَ على الشاعر قوله، قائلًا: «وربَّما عِيب على كعب قوله (وليْسُوا مجازيعًا)؛ لأنَّه نفى عنهم كثرة الجزع، والمبالغة فيه؛ وذلك لا ينفي مطلق الجزع؛ وكان الأبلغُ في المدح أنْ ينفيه بالكُلِّيَّة، ويمكن أن يعتذر له بأنَّ مراده نفي المعنى المشتقّ منه، وهو الجزع مطلقًا، بإيراد لفظ المشتقِّ من غير نظرٍ إلى دلالة المشتقِّ الخاصَّة، بحسب أحواله العارضة له من جهة الاشتقاقِ»[5].

(١) ينظر: منهج القصَّاد: ٣٩٢، والديوان: ٦٧.
(٢) منهج القصَّاد: ٣٩٢، وينظر أمثلة مشابهة: ٢٣٢، ٣٠٢
(٣) الصِّحاح: ٣/ ١١٩٦، وينظر: العين: ١/ ٢١٧، ومقاييس اللغة: ١/ ٤٥٣.
(٤) الحديد: ٢٣.
(٥) منهج القصَّاد: ٣٩٤.

ويُحتمل إجراء اللفظ على ظاهره، ويكون المعنى: أنَّهم؛ لعظمهم، وشرفهم، وشجاعتهم، ورئاستهم، لو وقع منهم القليل من الجزع، لكان كثيرًا بالنِّسبة إليهم، عظيمًا من أمثالهم؛ فيصحُّ أنْ يؤتى بمثال المبالغة؛ لأجل هذا، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1]، نفى كونه ظلاَّمًا، وهو من أبنية المبالغة، ولم ينفِ كونه ظالمًا؛ وما ذلك إلَّا لأنَّ قليلَ الظلمِ كثيرٌ بالنسبة إليه؛ لعدلهِ في العبادِ، ورأفتهِ ولطفهِ بهم، ورحمتهِ، وغنائهِ عنهم، وحكمتهِ؛ ولذلك قال بعضهم: «زلَّة العالم كبيرة (الجناية)»[2]، ومعنى هذا أنَّهم إذا أصابوا لا يفرحون، وإذا غُلِبوا لا يجزعون من لقاء عدوِّهم مرَّة أخرى، وفي كِلتَا الحالتَين مدح[3].

وقد وردت هذه اللفظة في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾[4]، بصيغة أخرى من صيغ المبالغة، هي (فعول)، ولكن أراد بها كثرة جزعهم، ومبالغتهم به[5].

وقد اختلفت المعاني بين (الجزع)، و(المجزاع)، و(الجزوع) باختلاف الصِّيغ، فنجد أنَّ أنسبها (مجزاع)، إذ نلتمس موسيقى صوتيَّة تنسجم مع الوزن، إضافة إلى ذلك، فأنَّ (مفعال) أكثر مبالغة من غيره (فعل، وفعول)، قال ابن جنِّي: «في المبالغة لا بدَّ أن تترك موضعًا إلى موضع، إمَّا لفظًا إلى لفظ، وإمَّا جنسًا إلى جنس»[6]، ومثله ابن الأثير (٦٣٧هـ) بقوله: «وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوَّة في اللفظ والمعنى، إلَّا بالنّقل من وزن إلى وزن أعلى منه»[7].

(١) فصِّلت: ٤٦.
(٢) منهج القصَّاد: ٣٩٤-٣٩٥.
(٣) ينظر: كنه المراد: ٤١٩.
(٤) المعارج: ٢٠.
(٥) ينظر: روح المعاني: ٢٩/ ٩٨.
(٦) الخصائص: ٣/ ٤٦.
(٧) المثل السائر: ٢/ ٤٤.

رابعًا: الصفة المشبَّهة

هـي ما اشـتُقَّ من مصدر فعل لازم لمن قام به على معنـى الثبوت[١]، فهي تدلُّ على الثبوت (ثبوت معناها لمن اتَّصف بها)، وهذا هو الفارق بينها وبين اسـم الفاعل، إذ إنَّ الثاني يفيد الاستمرار والحدوث، وهذا عكس الأوَّل[٢].

ويرى الرضيّ أنَّ الصفة المشـبَّهة ليست موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة؛ لأنَّ الحـدوث والاسـتمرار قيدان في الصفة، ولا دليل فيها عليهـما[٣]، وقال الدكتور فاضل السـامرَّائيّ: «والظاهر أنَّ الصفة المشبَّهة على أقسام، منها: ما يفيد الثبوت والاستمرار، نحـو: أبكم وأصم، وأسـمر، وأبيض، وقد تدلُّ على وجهٍ قريـبٍ من الثبوت، في نحو: سمين، ونحيف، وهي لا تدلُّ على الثبوت، كما في ظمآن وعطشان»[٤].

أمَّا أوزانها التي ذكرها الصرفيُّون، فإنَّها تُصاغ من بابَين، ولكلِّ بابٍ أوزانه الخاصَّة، وهما[٥]:

١. باب (فَعِلَ)، والأبنية الخاصَّة به هي:

أ. (فَعِل)، ومؤنَّثه (فَعِلَة).

ب. (أفْعَلُ)، ومؤنَّثه (فَعْلاء).

ت. (فَعْلان)، ومؤنثه (فَعْلَى).

(١) شرح الكافية: ٢/ ٢٠٥.
(٢) ينظر: المنهج الصوتيّ للبنية العربيَّة: ١١٧.
(٣) ينظر: شرح الكافية للرضيّ: ٢/ ٢٠٥.
(٤) معاني الأبنية: ٦٧.
(٥) ينظـر: اللباب في علل البناء والإعراب: ١/ ٤٤٣، وشرح المفصَّل: ٦/ ٨١، وأبنية الصَّـرف في كتاب سيبويه: ٢٧٥-٢٧٩.

٢. باب (فَعُلَ)، والأبنية الخاصة به هي:

أ. (فَعَل)، ومؤنثه (فَعَلَة).

ب. (فُعُلٌ)، ومؤنثه (فُعُلة).

ت. (فَعَالٌ)، ومؤنثها (فَعَالٌ).

والصيغ المشتركة بين البابَين هي: (فَعِيلٌ، ومؤنثها فَعِيلَة)، و(فَعْلٌ، ومؤنثها فَعْلَة)، و(فَعِل، ومؤنثها فَعِلَة)، و(فَاعِل، ومؤنثها فَاعِلة).

أمَّا ورودها في شرح الحِلِّيّ، فقد وردت ثلاث مرَّات[١]: اثنتان بزِنة (فعلاء)، وواحدة بزِنة (فَيْعَل)، ومثال ما جاء على وزن (فعلاء) في تعليق الحِلِّيّ على لفظ (قوداء) الواردة في البيت الحادي والعشرين[٢]:

حَـرفٌ أَخـوهـا أَبـوهـا مِـن مُـهَـجَّـنَـةٍ
وَعَـمُّـهـا خَـالُـهـا قَـوداءُ شِـمـلـيـلُ

قال: «والقَودَاءُ: فعلاءُ، وهي الطويلةُ، قالهُ التبريزيّ، وقيل: الطويلة العنقِ، وقال الصغَّانيّ: ناقة قوداء، أي الطويلة الظهر والعنق، وكذا قال صاحب العين»[٣].

فهنا ذكر وزن الصفة المشبَّهة (فعلاء) من الفعل الثلاثيّ (قود) دالَّة فيها على الصفة الثابتة، فهو يصف النَّاقة بأنَّها طويلة العنق، وهذا هو المعروف عنها، وطويلة الظهر.

(١) ينظر: منهج القصَّاد: ٢٧٢، ٢٥٤، ٣٠١.
(٢) منهج القصَّاد: ٢٥٣، والديوان: ٦٣.
(٣) منهج القصَّاد: ٢٥٥، وينظر: شرح التبريزيّ: ٢٢، و التكملة والذيل والصِّلة: ٢/ ٣٢٦، وينظر: العين: ٥/ ١٩٦. «والأقود من الدواب والإبل: الطويل القَرى والعنق، ومن الناس: الذي إذا أقبل على شيء، لم يكد يصرف وجهه عنه».

ومثالـه ما جاء على صيغة (فَيْعَل)، وذلك في لفظة (عَيْطَل) الواردة في البيت الثاني والثلاثين[1]:

شَـدَّ الـنـهـارُ ذِراعًـا عَـيـطـلٍ نَـصَـفٍ
قـامَـت فَـجـاوَبَـهـا نُـكـدٌ مَـثـاكـيـلُ

قـال: «فجاء في الصِّحاح: العيطل من النِّسـاء الطويلة العنـق، وكذلك من النُّوق والفرس»[2]، وجاء في العين: «والعيطل: الطويلة في حسن جسمٍ من النِّساء، والنُّوق»[3]، فهي تحمل معنى الطويلة، وهذا ما درسه العلماء وسلَّطوا الضوء عليه، وهو صفة مشبَّهة من الفعل (عطل) بزِنة (فعل) على (فيعل: عيطل).

والمعنـى أنَّ ذراعيها في سرعة السـير كذراعَـي امرأة طويلة قامـت تلطم وجهها؛ لشـدَّة حزنها على ولدهـا، ثمَّ إنَّه وصفها بـ(العيطـل)؛ لأنَّ الطويلة تكون أطول ذراعًا، فتكون أوسع خطوة[4]، ومن ثمَّ فهذه صفة حسنة وجميلة في النَّوع، فتحمل دلالة الجمال والسرعـة، وقـد زعم ابن فارس أنَّ هـذا المعنى خارجٌ عن الأصل، فقـال: «وكلُّ شيءٍ خـلا من حافظ، فقد عُطِّل.. يُقال امرأة عاطـل، إذا كانت لا حليَّ لها»[5]، وهذا خلاف المعنى الذي ذُكِر آنفًا.

(١) منهج القصَّاد: ٣٠٠، والديوان: ٦٤.
(٢) منهج القصَّاد: ٣٠١، وينظر: الصِّحاح: ٥/ ١٧٦٨.
(٣) منهج القصَّاد: ٣٠١، وينظر: العين: ٢/ ٩
(٤) كنه المراد: ٤٢٢-٣٢٣.
(٥) مقاييس اللغة: ٤/ ٣٥٢.

الخاتمة

بعد أن مَنَّ الله عليَّ بإنهاء هذا البحث، توصلت إلى مجموعة من النتائج، منها:

١. لمعرفة أبنية المشتقَّات أهميَّة بالغة وأثر كبير في تحديد المنهج الذي اتَّبعه البجليّ الحِلِّيّ في شرح قصيدة بانت سعاد، وبيان وظيفته في الكشف عن مقاصد الشاعر.

٢. لم يكن للبجليّ الحِلِّيّ منهج موحَّد في تحديد المشتقَّات أو بيان نوعها، فالناظر إلى منهجه فيها يراه اختياريًّا، وربَّما هذا يعود إلى أنَّها لم تكن أساسًا عنده.

٣. كان لاسم الفاعل حضور واسع في قصيدة بانت سعاد، إلَّا أنَّ الشارح لم يذكر إلَّا موضعًا واحدًا منه، أمَّا اسم المفعول فقد عُنيَ البجليّ الحِلِّيّ بدلالاته وصيغه المتنوِّعة، أمَّا صيغة المبالغة والصفة المشبَّهة، فالأولى صرَّح بها مع ذِكر وزنها، والثانية اكتفى بالوزن فقط.

٤. صيغة (فعيل) من الصيغ المشتركة التي ترِدُ بمعنى مفعول، أو بمعنى فاعل، إلَّا أنَّ البجليّ الحِلِّيّ جمع بينهما في تحليله للفظة (غضيض) على زِنة (فعيل)، فقال: إمَّا بمعنى فاعل، أي غاضٍّ، وإمَّا بمعنى مفعول، أي مغضوض[1].

(١) منهج القصَّاد: ١٦٧-١٦٨.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثيّ (ت٢٠٠٨م)، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٥هـ/ ١٣٨٥م.
- أدب الكاتب: لأبي محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (ت٢٧٦هـ)، حقَّقه وعلَّق حواشيه ووضع فهارسه: محمَّد الدالي، مؤسَّسة الرسالة.
- أساس البلاغة: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) تحقيق: محمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: للسيِّد محمَّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ/ ٩٧٠م)، تحقيق: عبد الستَّار أحمد فرَّاج، مطبعة حكومة الكويت.
- تهذيب اللغة: محمَّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنِّي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمَّد عليّ النجَّار، المكتبة العلميَّة، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م.

- الدلالـة الصرفيَّـة في الصحيفة العلويَّـة: هدى عبد الغني نايـف، دار الولاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٩م.
- ديوان الأدب: أبو إسـحاق بـن إبراهيم الفارابيّ (ت٣٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة، د. إبراهيم أنيس.
- روح المعـاني في تفسـير القرآن العظيم والسـبع المثاني: العلَّامة شـهاب الدين السـيِّد محمود الآلوسيّ البغـداديّ (ت١٢٧٠هـ)، دار إحيـاء التراث العربيّ، بيروت.
- شرح ابـن عقيـل إلى ألفيَّة ابن مالك: لقـاضي القضاة بهاء الديـن عبد الله بن عقيل، ومعـه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابـن عقيل: محمَّد محيي الدين عبد الحميد (ت١٣٩٢هـ)، دار الغدير، مطبعة المعراج، ط٢، ١٤٣٠م.
- شرح اختيارات المفضَّل: الخطيب التبريزيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- شرح الكافيـة في النحو: محمَّد بن الحسـن نجـم الملَّة والديـن المحقِّق الرضيّ الاسـترآباديّ، المكتبة المرتضويَّة لإحياء الآثار الجعفريَّة، المؤسِّس الشيخ عبد الكريم التبريزيّ، د.ط، د.ت.
- شرح المفصَّـل: للشـيخ العلَّامة جامع الفوائد موفق الديـن يعيش بن عليّ بن يعيش النحويّ (ت٦٤٣هـ)، إدارة الطباعة المنيريَّة، مصر.
- الصِّحـاح (تـاج اللغـة وصحـاح العربيَّـة): إسـماعيل بـن حمَّـاد الجوهريّ (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)، تحقيـق: أحمـد عبـد الغفـور بـن عطَّـار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م.

- الصيغ الصرفيَّة في العربيَّة في ضوء علم اللغة المعاصر، د. رمضان عبد التوَّاب، كليَّة بستان المعرفة، ط١.
- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرَّائيّ.
- فقه اللغة وسرُّ العربيَّة: عبد الملك بن محمَّد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبيّ (ت٤٢٩هـ) قرأه وقدَّم عليه: خالد فهمي، تصدير: د. رمضان عبد التوَّاب، مكتبة الخانجيّ، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- الكتاب: سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر البصريّ (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٢م.
- الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعُيون الأقاويل في وجُوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشريّ، جار الله (ت٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ عليّ محمَّد معوَّض، شارك في تحقيقه: د. فتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.
- الكليَّات: أبو البقاء اللغويّ (ت١٠٩٤هـ)، دراسات في فسلجة النحو والصرف والرسم، د. مصطفى جواد.
- كنه المراد في بيان بانت سعاد: جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. مصطفى عليَّان، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م
- لسان العرب: للأمام العلَّامة أبي الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم ابن

منظور الأفريقيّ المصريّ (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين ابن الأثير، قدَّمه وعلَّق عليه: الدكتور أحمد الحوفيّ، والدكتور بدوي طبانه، دار الرفاعيّ، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- مجمل اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريَّا اللغويّ (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، طبع بمساعدة اللجنة الوطنيَّة، مؤسَّسة الرسالة.
- المعجم الوسيط في علم العروض والقافية وفنون الشعر: إعداد: د. أميل يعقوب، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: العلَّامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، شرحه وضبطه وصحَّحه وعنون موضوعاته وعلَّق خواشيه: محمَّد أحمد جاد المولى بك، عليّ محمَّد البجَّاوي، محمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة، بيروت، ط٦، د.ت.
- معاني الأبنية: د. فاضل صالح السامرَّائيّ، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، درب الأتراك.
- المعجم المفصَّل في علم الصَّرف: الأستاذ راجي الأسمر، مراجعة: د، أميل يعقوب.
- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريَّا، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- المقتضب: أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد المبرِّد (ت٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، تحقيق: محمَّد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، د.ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- المنهج الصوتيّ للبنية العربيَّة: رؤية جديدة في الصَّرف العربيّ: د. عبد الصبور شاهين، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- منهج القصَّاد في شرح بانت سعاد: جمال الدين أحمد بن محمَّد بن الحدَّاد البجليّ الحِلِّيّ، تحقيق: د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ، مراجعة وضبط: مركز تراث الحِلَّة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، ط١، الحِلَّة، العراق، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م.

التَّحقيق والببلوغرافيا

رسالةٌ في أصولِ الدِّين

العلَّامة شرف الدِّين أبو عبد اللَّه الحسين بن القاسم الحسينيّ العوديّ (عفا اللَّه عنه)

المتوفَّى سنة ٥٨٠هـ

دراسة وتحقيق

ناصر سيِّد مزهر المرعبيّ الحسينيّ

A Treatise on the Fundamentals of Religion
The scholar Sharaf Al-Din Abu Abdullah
Al-Husayn ibn Al-Qasim Al-Husayni Al-Awdi
(may God forgive him) who died in 580 A.H

Study and Palaeography
Nasser Sayyid Mazhar Al-Marabi Al-Hussaini

المقدِّمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحَمدُ للهِ كَما هُوَ أَهلَهُ، وَكَما يَستَحِقُّهُ، وَالصَّلاةُ فِي أَرقَى مَراقيهَا وَأَسْمَا مَراتِبهَا عَلى هَادِينا مِنَ الضَّلالَةِ، وَمُخرجنَا مَنْ حَيرَةِ الجَهالَةِ، المَحْمُودُ الأَحْمَدُ، المُصطَفَى الأَمْجَدُ، أَبُو الزَّهراءِ مُحَمَّد، وَآلِهِ الأَخْيارِ الأَبْرارِ المُصْطَفينَ الأَطْهار.

أَميرُ المؤمنين وَسيِّد الوَصيين عليٌّ، والبِضعَةُ الزَّهراءِ فَاطِمَة، والحَسنين وَعَليّ وَمُحَمَّد وَجَعفَر وَمُوسَى وَعَليّ وَمُحَمَّد وَعَليّ والحَسَن وَالحُجَّةُ المَهدي إِمامُ العَصرِ والزَّمان صَلواتُ اللهِ عَلَيهم أَجمعين.

وَبَعد:

لم يألوا علماء الشِّيعة رضوان الله عليهم جهدًا في إثبات عقائدهم في مختلف صنوف العلوم والمعارف، واستلهام ما وصل إليهم من إرثٍ علميٍّ جمٍّ عظيم من سادتهم وأئمَّتهم عليهم السلام لبيان معتقادتهم، فأرسلوا واردهم، وأدلوا دلوهم في كلِّ شاردةٍ وواردةٍ؛ للتبليغ والنشر، وإيصال هذا الموروث الى أقصى الأصقاع، ومختلف الأنواع، بالاحتجاج به على مناوئيهم ومخالفيهم، فكانوا نِعمَ الأتباع، ومِن شمس الحقِّ شعاع، فاسفرت بعلومهم الظُّلَم، وتجلَّت ببياناتيهم البُهم، أطاعوا قول الأئمَّة، فتمَّت بهم على النَّاس النِّعمة، عن عبد السلام بن صالح الهرويّ، قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، يقول: **رحِم الله عبدًا أحيا أمرنا**. فقلت له: وكيف يحيى أمركم؟

قال: **يتعلَّم علومنا ويعلِّمها النَّاس؛ فإنَّ النَّاس لو علموا محاسن كلامنا لاتَّبعونا**[1].

فبيِّنوها بقدر ما أحسنوا منها؛ مناسبًا للزمان، وموافقًا للمكان، كي تكون منهجًا لائحًا، ومهيعًا واضحًا لمن ﴿أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2]، وإلى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3]، فكانوا دعاةً وحجَّةً إلى النَّاس من أئمَّتهم عليهم السلام إلى دين الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فقارعوا الحجَّة بالحجَّة، والدليل بالدليل، والبرهان بالبرهان، وتركوا ما سطَّروا وألَّفوا، من صغير الكتب أو كبيرها، منارةً يسعى إليها السائرون، ومنارًا يهتدي بها المهتدون، فمن صحائف قليلة صنَّفها شيخنا المصنِّف رحمه الله تعالى، كدت استخرج منها مؤلَّفات، لولا نفاد الوقت بالإضاعة، وقلَّة الحِرفة والصناعة.

منهجنا في التحقيق:

لدقَّة عبارات المؤلِّف رحمه الله، وسعة مضامينها وفحواها، فقد أثبتنا النَّص كما هو من هذه المخطوطة؛ لعدم وجود نسخة أخرى للمقابلة، واختيار الأصوب منها، سوى ما كان مهمًّا في كشف مراد المؤلِّف رحمه الله، فقد استخرجنا الآيات القرآنيَّة، وأثبتنا نصوصها من الكتاب الكريم.

ثمَّ أوكلنا بيان فقرات المصنِّف المختصرة إلى الروايات الشريفة الكاشفة عن المعنى والمضمون، على حسب ما أراد الأئمَّة عليهم السلام، وإن كان فيها من الإطناب غير المملِّ، وغايتنا جلاء المعاني وتوضيحها، وزدنا في ذلك بالرجوع إلى كتب علمائنا رحمهم الله في توضيح ما اختصره المصنِّف رحمه الله، وأمَّا بخصوص ما نقله من

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق: ٢ / ٢٧٥.
(٢) سورة ق: الآية: ٣٧.
(٣) سورة الزمر: الآية: ١٨.

كتب المخالفين، فقد أشرنا إلى مضانِّه، ولعلَّه أراد بذِكر بعض آرائهم الإلزام والاحتجاج.

نبذة عمَّن ذكر المؤلِّف رحمه الله وترجمته:

أعيان الشيعة[1]: الشَّيخ شهاب الدِّين إسماعيل بن الشَّيخ شرف الدِّين أبو عبد الله الحسين العوديّ العامليّ الجزينيّ.

في أمل الآمل[2]: فاضل عالم علَّامة شاعر أديب، له أرجوزة في شرح (الياقوت في الكلام) انتهى. هكذا في نسخة عندي مخطوطة كُتِبت عن مسوَّدة المؤلِّف، ومثله منقول عن كشف الحُجب، أمَّا ما في النُّسخ المطبوعة من الأمل من إبدال إسماعيل بأحمد، فهو خطأ قطعًا، ويزيد ذلك وضوحًا ذِكره بعد أحمد بن نعمة الله، مع التزامه الترتيب على حروف المعجم في الأسماء وأسماء الآباء، فكيف يذكر أحمد بن الحسين بعد أحمد بن نعمة الله؟.

وقال في الطليعة: إسماعيل بن الحسين العوديّ العامليّ، المعروف بشهاب الدِّين بن شرف الدِّين.

كان فاضلًا متضلِّعًا في العلم والفضل الجمِّ، وكان أديبًا شاعرًا، دخل العراق وزار المشاهد، وحضر على علماء الحِلَّة، ثمَّ رجع إلى بلده جزين، له نظم (الياقوت: أرجوزة نظم بها كتاب الياقوت لابن نوبخت في علم الكلام)، أورد له ابن شهرآشوب في المناقب، وكان معاصرًا له، أبياتًا من قصيدة علويَّة، وهي:

(١) أعيان الشيعة: السيِّد محسن الأمين: ٣ / ٣١٩.
(٢) ينظر: أمل الآمل: الحرُّ العامليّ: ١ / ٤١.

أمَـا قَـالَ إن الـيـوم أكـمـلـت دينكـم
وأتمـمـت بـالـنـعـماء مـنِّـي عـلـيـكـمُ
وقـــال أطـيـعـوا الله ثـــمَّ رسـولـه
تـفـوزوا ولا تـعـصـوا أولي الأمـر منكمُ
وقـــام رســـول الله في خـــم قـائـلا
وكـــلٌّ لـه مُـصـغٍ فـلا يـتـكـلَّـمُ
عـــليٌّ وصـــيِّـــي فـاتـبـعـوه فـإنَّـه
ولـيُّـكـم بـعـدي إذا غـبـتُ عـنـكـمُ
مَـــن ذا يـسـاميـه بـمـجـدٍ ولم يَـزلْ
يـقـول سـلـوني مـا يحـلُّ ويحـرمُ
سـلـوني فـفـي جـنـبـي عـلـمٌ ورثـتـه
عـن المصطفى مـا فـاه مـنِّـي بـه الـفـمُ
سـلـوني عـن طـرق الـسـمـوات إنَّـني
مـن سـلـوك الـطـرق في الأرض أعـلـمُ
فـلـو كَـشـفَ اللهُ الـغـطـا لم أزد به
يـقـيـنًـا عـلى مـا كـنـتُ أدري وأفـهـمُ
وابـــن كـــزوج الـطـهـر فـاطـمـة أبـو
الشـهـيـديـن أبـنـاء الـرسـول وهـــمُ هـمُ
هـمُ بـاهـلـوا نـجـران مـن داخـل العبا
فـعـاد المـبـادي عـنـهـم وهـــو مـفـحـمُ
وأقـبـل جـبـريـلُ يـقـول مـفـاخـرًا
لمـيـكـال مـن مـثـلي وقـد صـــرتُ منهمُ

فـمَـنْ مـثـلي في الـعـالـمين وقـد غـدا
لهـم سـيِّـدُ الأمـلاكِ جـبريـل يخـدمُ

وهي طويلة، منشورة في المناقب، وله غيرها.

تـوفِّي في الجبل سـنة خمسـمائة وثمانين تقريبًا، ولـه ذريَّة فضلاء، بقـوا إلى الألف في الجبل[1].

وذكره الشـيخ الطهرانيّ: الشيخ شهاب الدِّين أحمد بن الشيخ شرف الدِّين أبو عبد الله الحسـين العوديّ العامـليّ الجزينيّ، فاضل عالم علَّامة شـاعر أديب، وله أرجوزة في شرح (الياقـوت في الكلام، وغير ذلك)، والَّذي يقـوى في ظنِّي، أنَّه لم يكن مأخذ ما في كشـف الحجب إلَّا كلام صاحب أمل الآمل، وكانت صورة هذه الترجمة في نسخة رآها من أمل الآمل، شـهاب الدِّين إسـماعيل بن شرف الدِّين حسـين كما ذكره، والظاهر أنَّ نسخته هي الصحيحة؛ لانَّ شهاب الدِّين، وإن كان لقبًا أكثريًّا لمن كان اسمه أحمد، لكن شـدَّة مراعاة الشَّـيخ الحُرِّ لترتيب الحروف في أسـماء المترجمين في كتابه، كما يشاهَد منه، تُبعِـد جـدًّا احتمال وقوع خلاف الترتيـب عنه، كذلك بذكر أحمد بن الحسـين بعد أحمد ابن نعمة الله، وقبل إسـماعيل بن عليّ، بل تقرِّب جـدًّا احتمال أنَّه بعد الفراغ عن تراجم الأحمدَين، بدأ بإسماعيل بن الحسين، ثمَّ إسماعيل بن علي، وعلى كلٍّ، فلم نعلم طبقة هذا النَّاظم وعصره، والظَّاهر أنَّه من أقرباء ابن العوديّ المشـهور، الَّذي كان تلميذ الشَّـهيد الثَّـاني، وهو: محمَّد بن عليّ بن الحسـن العـوديّ الجزينيّ، مؤلِّف (بغيـة المريد في ترجمة أحوال أستاده الشَّيخ زين الدين الشهيد)[2].

لم نجد، بحسب اطِّلاعنا ومراجعتنا، في كتب التراجم المتوفِّرة في المكتبة المتخصِّصة

(١) الطليعه من شعراء الشيعة: الشيخ محمَّد السماوي: ١ / ١٨.
(٢) الذريعة: آقا بزرگ الطهراني: ١ / ٤٨٠.

بحياة المؤلِّفين والعلماء، بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ عن سنة ولادته ولا وفاته، ولا أساتذته ولا مؤلَّفاته، سوى ما ذكرته من نزرٍ فيها.

وقد أوردت أبرز ما قالوا، وأرجو من الله أن أكون قد وفِّقت لبيان جانب من ترجمة هذا العالم الكبير، والله الموفِّق.

فصلٌ في التَّوحيد

معرفةُ الله تعالى واجبةٌ[1]، لوجوب شكره على أصول النِّعم[2]، ولا طريق إلى معرفته إلَّا بالنَّظر، فوجبَ النَّظرُ؛ لوجوب ما لم يتمّ الواجب إلَّا به[3].

والنَّظرُ[4]: هو الفِكْر، والفِكْر[5]: تلون في الجَواهِر[6]، والأجسام[7]،

(١) ينظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلَّامة الحِلِّيّ: ٢٦٠.

(٢) وفي هذا المعنى إشاراتٌ كثيرة لوجوب شكره عليه السلام. ينظر: الكافي، الكلينيّ: ٢/ ٩٤، باب الشكر، وينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٢٥٣ (الفصل الرابع: في التنبيه على وجوب شُكر النِّعم).

(٣) ينظر: المسلك في أصول الدين، المحقِّق الحِلِّيّ: ٩٨.

(٤) النظر: هو تجريد الذهن عن الغفلات، بمعنى: إخلائه عن الصَّوارف والشواغل العائقة عن إشراق النُّور الإلهيّ الموجِب لفيضان المطلوب، أو تحديق العقل نحو المعقولات. ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازانيّ: ١/ ٣٢. وأيضًا ينظر: شرح المصطلحات الفلسفيَّة، مجمع البحوث الإسلاميَّة: ١/ ٤٠٥.

(٥) الفكر هو: حركة النفس في المعاني، واحترز بقيد المعاني عن التَّخيل، على ما قال في شرح الإشارات: إنَّ الفكر قد يطلق على حركة النَّفس بالقوة التي آلتها مقدم البطن الأوسط في الدماغ أي حركة كانت، إذا كانت تلك الحركة في المعقولات، وأمّا إذا كانت في المحسوسات فقد تسمى تخيلًا. شرح المقاصد في علم الكلام: التفتازاني: ١/ ٣٢- ٣١. ينظر: شرح المصطلحات الفلسفية: مجمع البحوث الإسلاميَّة: ١/ ٤٠٥.

(٦) الجوهر، قالوا في معناه: الجوهر الخارجيّ والذِّهنيّ والجوهر الفرد، والجوهر المجرَّد، والجوهر المحسوس والمعقول، والجوهر المفارق. يراجع: المصدر المتقدِّم: ١/ ٨٨.

(٧) الجسم: هو الجوهر القابل لفرض الأبعاد الثلاثة. الحكمة المتعالية في الأسفار العقليَّة الأربعة: صدر الدين محمَّد الشيرازيّ: ٦/ ٣. ينظر: شرح المصطلحات الفلسفيَّة: ١/ ٣٨٢.

والأَعراض[١]، التي لا تدخل تحت مقدورنا.

والأجسام مُحدَثة؛ لأنَّها لا تخلو من الحوادث، وما لم يخلُ من المُحدث، فهو مُحدث مثله[٢].

وكلُّ مُحدَث يحتاج إلى مُحدِث بالضرورة، كالبناء، والكتابة.

والصَّانع جلَّت عظمته قديم[٣]؛ لانتهاء الحوادث إليه.

ويجبُ أنْ يكون قادرًا[٤]؛ لوقوعِ الفعل منه على وجه الجواز.

وهو تعالى عالم[٥]؛ لوقوع الأحكام وتكرُّره منه.

(١) العرض الخاصّ كليَّة تحمل على ما تحت حقيقة واحدة فقط حملاً غير ذاتيّ.
و العرض العامُّ كلِّي يُطلق على حقائق مختلفة. شرح المصطلحات الفلسفية، مجمع البحوث الإسلاميَّة: ١/ ٢١٠. وأيضًا ينظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلَّامة الحِلِّيّ: ٢٠٨.

(٢) الحدوث قالوا: إنَّ الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون، وهما حادثان، وما لا يخلو عن الحوادث، فهو حادث، فالأجسام كلُّها حادثة، وكلُّ حادثٍ مفتقر إلى مُحدث، فمحدثها غير جسم ولا جسمانيّ، وهو الباري جلَّ ذِكرُه، دفعًا للدور والتسلسل. ينظر: الحكمة المتعالية في الأسفار العقليَّة الأربعة، صدر الدين الشيرازيّ: ٨/ ٤٧. شرح المصطلحات الفلسفيَّة، مجمع البحوث الإسلاميَّة: ١/ ٩٧.

(٣) هو الَّذي يكون على حالة واحدة لا يتغيَّر ولا يستحيل و لا يحدث له حال، وذلك ليس يوجد موجود هذا شأنه إلَّا الله الواحد الأحد. معجم المصطلحات الفلسفيَّة: ١/ ٢٨٠.

(٤) ينظر: المسلك في أصول الدين: المحقِّق الحِلِّيّ: ٤٣. ومعنى القادر: الذي يصحُّ أنْ يفعل وأنْ لا يفعل، إذا كان الفِعل ممكنًا، ولم يمنع منه مانع.
وفي التوحيد، الشَّيخ الصدوق: ١٩٨: إنَّ الأشياء لا تطيق الامتناع منه، وممَّا يريد الإنفاذ فيها، وقد قيل: إنَّ القادر من يصحُّ منه الفعل، إذا لم يكن في حكم الممنوع.

(٥) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٠١. العليم، معناه: أنَّه عليم بنفسه، عالم بالسرائر، مطَّلع على الضمائر، لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرَّة، عَلِمَ الأشياء قبل حدوثها، وبعد ما أحدَثَها، سرَّها وعلانيَتها، ظاهرها وباطنها، وفي عِلمه ﷻ بالأشياء، على خلاف عِلمِ الخَلق، دليل على أنَّه تبارك وتعالى بخلافهم في جميع معانيهم، والله عالم لذاته.=

وهو حيٌّ[1]؛ لثبوت كونه قادرًا عالمًا.

وهو موجود[2]؛ لاستحالة وقوع الفعلِ من المعدوم، ويستحقُّ هذه الصفات لنفسه، لا لمعانٍ قديمة؛ لبطلان قديم ثانٍ معه، ولا لمعانٍ محدثة؛ لاستحالة حصولها منه أو من غيره من دون حصولها[3].

وهو مُدرِك للمُدرَكات، سميعٌ بصير[4]؛ لثبوت كونه عالمًا بتفاصيل العلم، وهو: خلق المسموعات والمبصرات[5].

=والعالِمُ من يَصحُّ منه الفعل المُحكم المتقن، فلا يقال: إنَّه يَعلم الأشياء بعلم كما لا يثبت معه قديم غيرَه، بل يقال: إنَّه ذاتٌ عالمةٌ، وهكذا يقال في جميع صفات ذاته.

(١) الحي، معناه: أنَّه الفَعَّال المُدبِّر، وهو حيٌّ لنفسه، لا يجوز عليه الموت والفناء، وليس يحتاج إلى حياة بها يحيى. التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٠١.

(٢) ويجب أن يكون تعالى موجودًا؛ لاستحالة وقوع التأثيرات من معدوم؛ لأنَّه لو أثر معدومًا، لا يكن فرق بين وجوده وعدمه. ينظر: تقريب المعارف، أبو الصلاح الحلبيّ: ٧٥.

(٣) ينظر: تقريب المعارف، أبو الصلاح الحلبيّ: ٧٥.

(٤) ينظر: الاقتصاد، الشيخ الطوسيّ: ٣٠. ويجب أيضًا أن يكون سميعًا بصيرًا؛ لأنَّه حيٌّ لا آفة به. وفائدة السميع البصير أنَّه على صفة يجب معها أن يسمع المسموعات، ويبصر المبصرات، وذلك يرجع إلى كونه حيًّا لا آفة به. وعلى هذا يوصَف تعالى بذلك في الأزل، ولو كان له بكونه سميعًا بصيرًا صفة زائدة على ما قلناه؛ لجاز أن يكون الواحد منَّا حيًّا لا آفة به، ولا يوصَف بأنَّه سميعٌ بصيرٌ، والمعلوم خلاف ذلك.

وأمَّا سامعٌ مبصرٌ، فمعناه: أنَّه مُدرك للمسموعات والمبصرات، وذلك يقتضي وجود المسموعات والمبصرات؛ ولذلك لا يوصَف بهما في الأَزل.

(٥) عليّ بن إبراهيم عن محمَّد بن خالد الطيالسيّ عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: **لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم**.

قيل: علمه بالشيء قبل وجوده، هو العلم بأنَّه سيقع، لا العلم بأنَّه واقع؛ لأنَّه جهل.

أقول: الجهل إنَّما يلزم لو علم أنَّه واقع في غير وقته، والحقُّ أنَّ علمه بما وقع، وما هو واقع، وما سيقع على نحوٍ واحدٍ، من غير ترتُّب، بالنَّظر إلى ذاته المقدَّسة المنزَّهة عن الامتداد الزَّمانيّ ولواحقه من الماضويَّة والحاليَّة والاستقباليَّة والتقدُّم والتأخُّر. وإنَّما هذه الأمور تتحقَّق في=

وهو مريد[١] وكاره؛ لوقوع الفعل منه على وجه دون وجه وفي وقت دون وقت.

وهو غنيّ[٢]؛ لأنَّ الحاجة لا تكون ألَّا لنفع أو لدفع

=المعلومات المتغيِّرة الزَّمانيَّة المترتِّبة في حدِّ أنفسها، فعلمه بها في القيمة كعلمه بما هو واقع الآن، وعلمه بما هو واقع الآن كعلمه بما وقع في زمن الطوفان، من غير تغيُّر وتفاوت في علمه أصلًا.

(والسَّمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر) اختلف العلماء في أنَّ السَّمع والبصر نفس العلم بالمسموعات والمبصرات، أو صفة أُخرى غيره؟ فذهب المحقِّقون إلى الأوَّل، وذهب طائفة إلى الثاني.

وقالوا: ذكرهما مع العلم في كثير من الآيات والروايات، وإثباتهما بالدَّليل، بعد إثبات العلم بجميع المعلومات، دليل على المغايرة، والحقُّ هو الأوَّل؛ لدلالة كثير من الروايات الآتية عليه، وذِكر الخاصِّ مع العامِّ شائع، وإثباتهما بالدليل بعد إثبات عموم العلم للدلالة على تحقُّق هذا العلم المخصوص له سبحانه.

أَعني العلم بالمسموع والمبصر من حيث أنَّه مسموع ومبصر، حتَّى أنَّهما حاضران عنده على هذه الحيثيَّة بالمشاهدة الذاتيَّة بلا آلة، كما أنَّهما حاضران عندك بالمشاهدة العينيَّة والملاحظة الآليَّة، فإثبات السَّمع والبصر من حيث أنَّهما علم داخل تحت إثبات العلم مطلقًا، ومن حيث الخصوصيَّة المذكورة مفتقر إلى دليل على حِدَة، فإن قلت: كما أنَّه تعالى عالم بالمسموع والمبصر بالحيثيَّة المذكورة وكذلك هو عالم بالملموس مثلًا من حيث أنَّه ملموس، فلِمَ لا يُطلَق عليه اللامس للدلالة على أنَّه عالم بالملموسات بالحيثيَّة المذكورة؟ قلنا: لا ريب في أنَّه عالم بها من هذه الحيثيَّة، لكنَّ إطلاق الاسم عليه موقوف على الإذن، حتَّى أنَّه لو لم يقع الإذن على إطلاق السميع والبصير عليه، لما أطلقناهما عليه. ينظر: شرح أصول الكافي: المولى المازندرانيّ: ٣/ ٢٤١. وأيضًا مسألة في الإرادة، الشيخ المفيد: ١٥.

(١) الاقتصاد، الشيخ الطوسيّ: ٣٠. ويجب أيضًا أن يكون تعالى مريدًا وكارهًا؛ لأنَّه ثبت أنَّه آمرٌ وناهٍ ومخبِر؛ والأمر لا يقع إلَّا ممَّن هو مُريد للمأمور به؛ والنَّهي لا يقع نهيًا إلَّا مع كراهية المنهيّ عنه، والخبر لا يقع خبرًا إلَّا بإرادة كونه خبرًا؛ بدلالة أنَّ هذه الصيغ كلُّها توجد فيما ليس بأمرٍ ولا نهيٍ ولا خبرٍ.

(٢) التوحيد، الشَّيخ الصَّدوق: ٢٠٨، الغنيّ، معناه: أنَّه الغنيُّ بنفسه عن غيره، وعن الاستعانة=

ضرر[1]، وهما توابع اللَّذَّة والألم، وهما من توابع الشَّهوة والنَّفار، وهما عرضان يحتاجان إلى محل، وهو يتعالى عن ذلك.

ولا يصحُّ عليه الرؤية[2]؛ لا ستحالة المقابلة، أو حكمها عليه.

=بالآلات والأدوات وغيرها، والأشياء كلُّها سوى الله ﷻ متشابهة في الضَّعف والحاجة؛ لا يقوم بعضها إلَّا ببعض، ولا يستغني بعضها عن بعض.

وفي الكافي، أبو الصَّلاح الحلبي: ٤٤. ثبوت كونه تعالى قديمًا مقتضٍ لكونه سبحانه غنيًّا تستحيل عليه الحاجة؛ لأنَّ الحاجة لا تكون إلَّا لاجتلاب نفعٍ أو دفع ضررٍ، من حيث علمنا استحالة الحاجة على من يستحيل عليه الضرر والنفع، كالموات والجماد؛ والنفع والضرر لا يجوزان إلَّا على من يلذُّ ويألم؛ لأنَّ الحيَّ إنَّما ينتفع بما يلذُّ به أو يسرُّ له، ويستضرُّ بما يألم به، أو يغتمَّ لأجله، واللذة والألم لا يجوزان إلَّا على ذي شهوة ونفور؛ إذ معنى ملتذّ أنَّه أدرك ما يشتهيه، ومعنى ألم أنَّه أدرك ما ينفر عنه، ومعنى مسرور أنَّه اعتقد أو ظنَّ وصول نفعٍ إليه أو إلى من يجري مجراه، واندفاع ضرر، ومعنى مغتمّ أنَّه اعتقد أو ظنَّ وصول ضرر إليه، أو إلى من يجري مجراه، أو فوت نفع، فعاد معنى السرور والغمّ إلى النفع والضرر.

(١) الاقتصاد، الشيخ الطوسي: ٤١. ولا يجوز عليه تعالى الحاجة؛ لأنَّ الحاجة لا تجوز إلَّا على مَن يجوز عليه المنافع والمضار؛ والمنافع والمضار لا يجوزان إلَّا على من تجوز عليه الشهوة والنفار؛ وهما يستحيلان عليه تعالى. والَّذي يدلُّ على أنَّه يستحيل عليه الشَّهوة والنَّفار أنَّه ليس في الفعل، لا بنفسه ولا بواسطة، ما يدلُّ على كونه مشتهيًا ونافرًا، وقد بيَّنَّا أنَّه لا يجوز إثباته على صفة لا يقتضيها الفعل لا بنفسه ولا بواسطة. وأيضًا فالشَّهوة والنَّفار لا يجوزان إلَّا على الأَجسام؛ لأنَّ الشَّهوة تجوز على مَن إذا أدرك المشتهي، صلح عليه جسمه [وإذا أدرك ما ينفر عنه، فسدَ عليه جسمه]، وهما يقتضيان كون من وجدا فيه جسمًا، وقد بيَّنَّا أنَّه ليس بجسم، فيجب إذًا نفي الشَّهوة والنَّفار عنه. وإذا انتفيا عنه، انتفت عنه المنافع والمضار، وإذا انتفيا عنه، انتفت عنه الحاجة، ووجب كونه غنيًّا؛ لأنَّ الغنيَّ هو الحيُّ الَّذي ليس بمُحتاج.

(٢) عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، الشيخ الصَّدوق: ٢/ ١٧٨، كيف يجوز أن يكون كلَّم الله موسى بن عمران عليه السلام، ولا يعلم أنَّ الله تبارك وتعالى ذِكرُه لا يجوز عليه الرؤية حتَّى يسأله هذا السؤال؟.

قال الرِّضا عليه السلام: **إنَّ كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أنَّ الله تعالى أعزُّ أن يُرَى بالأبصار، ولكنَّه لـمَّا كلَّمه الله ﷻ، وقرَّبه نجيًّا، رجع إلى قومه، فأخبرهم أنَّ الله ﷻ كلَّمه وقرَّبه وناجاه، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ حتَّى نستمع كلامه، كما سمعت، وكان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم=**

ولا يجوز أن يكون جوهرًا أو جسمًا أو عرضًا؛ لثبوت قدمه وحدوثها أجمع[١].

ولا يجوز أن يُدرَك بشيء من الحواس[٢]؛ لأنَّها لا يدركها بها إلَّا ما كان جسمًا أو

=سبعين ألفًا، ثُمَّ اختار منهم سبعة آلاف، ثُمَّ اختار منهم سبعمائة، ثُمَّ اختار منهم سبعين رجلًا لميقات ربِّهم؛ فخرج بهم إلى طور سَيناء، فأقامهم في سفح الجبل، وصعد موسى إلى الطور، وسأل الله تعالى: أن يكلِّمه ويُسمِعهم كلامه؛ فكلَّمه الله تعالى ذِكرُه، وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام؛ لأنَّ الله ﷻ أحدثه في الشجرة وجعله منبعثًا منها، حتَّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ بأنَّ هذا الَّذي سمعناه كلام الله: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾، فلمَّا قالوا هذا القول العظيم، واستكبروا وعتوا، بعث الله ﷻ عليهم صاعقة فاخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا ربِّ ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنَّك ذهبت بهم فقتلتهم؟! لأنَّك لم تكن صادقًا فيما ادَّعيت من مناجاة الله ﷻ إيَّاك، فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: انَّك لو سَألْتَ اللهَ أن يُريك ننظر إليه؛ لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حقَّ معرفته؟ فقال موسى: يا قوم إنَّ الله تعالى لا يُرَى بالأبصار ولا كيفيَّة له، وإنَّما يُعرَف بآياته ويعلم بأعلامه، فقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ حتَّى تسأله، فقال موسى: يا ربِّ إنَّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل، وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله جلَّ جلاله: يا موسى سَلني ما سألوك، فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ وهو يهوي ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ بآيةٍ من آياته ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾، يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ منهم بأنَّك لا تُرَى.

(١) روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ: ٢٤. ولا يجوز أن يكون الله تعالى جسمًا، ولا جوهرًا ولا عرضًا، ولا من له صفات الأجسام والأعراض؛ لأنَّ هذه الأشياء محدثة، وقد ثبت إنَّه قديم.

(٢) الحواس الظَّاهرة: اللَّمس والبصر والسَّمع والشَّم والذَّوق. إنَّ القوَّة المدركة إمَّا أن تكون مدركة للجزئيَّات أو الكلِّيَّات. والمدركة للجزئيَّات إمَّا أن تكون من الحواسِّ الظَّاهرة، فقد عرفتها؛ وإمَّا أن تكون من الحواسِّ الباطنة. فالمدرك للصور الجزئيَّة يسمَّى حسًّا مشتركًا، وهو الَّذي تجتمع فيه صور المحسوسات الظَّاهرة كلُّها.

والمدرك للمعاني الجزئيَّة يسمَّى وهمًا. ثمَّ لكلٍّ واحدةٍ من هاتين القوَّتين خزانة، فخزانة الحسِّ المشترك هي الخيال، وخزانة الواهمة هي الحافظة، فهذه قوى أربع. قوَّة الحسِّ المشترك، قوَّة=

جوهرًا أو عرضًا، وهو يتعالى عن ذلك.

وليس له ماهيَّة[1]، ولا صفة زائدة على ما ذكرناه؛ لاستحالة أقامة دليل على ذلك، وهو واحد؛ لاستحالة وقوع الفعل، مع فرض الممانعة من اثنين أو أكثر من ذلك، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2].

وهو متكلّم لوقوع الكلام منه[3]، وكلامه محُدث، لأنّه: مؤلّف من الحروف والأصوات المعقولة، ولقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[4].

=الخيال، القوَّة الحافظة، القوَّة المتخيِّلة، قوَّة الوهم. شرح المصطلحات الفلسفيَّة: مجمع البحوث الإسلاميَّة: ١/ ٢٨٥.

(١) شرح المصطلحات الفلسفيَّة، مجمع البحوث الإسلاميَّة: ١/ ٣٤٣. هو: الهويَّة اللَّازمة للوجود. ماهيَّة الجسم مركَّبة، بحسب الوجود الخارجيّ، من جزأين، هما الهيولي و الصورة. ما به يُجاب عن السؤال بما هو.

قد يفسَّر بما به الشَّيء هو هو. كلُّ وجود له خصوصيَّة معنًا لازم له، من غير جعل يتعلَّق به بالذَّات، بل جعله تابع لجعل ذلك الوجود، إن كان مجعولًا. وذلك المعنى هو المسمَّى عند أهل الله بالعين الثَّابت، وعند الحكماء بالماهيَّة، وعند بعض العرفاء بالتَّعيُّن. ما به الشَّيء هو ما يُقال في جواب ما هو.

(٢) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٣) تقريب المعارف: أبو الصَّلاح الحلبيّ: ١٠٦، وهو تعالى متكلِّم، وكلامه فعله. وأولى ما حدَّ به الكلام أن يُقال: هو ما تألَّف من حرفَين فصاعدًا من الحروف المعقولة، إذا وقع ممَّن يصحُّ منه أو من قبيله الإفادة.

الدلالة على ذلك: أنَّه متى تكاملت هذه الصفات كان كلامًا، وإن اختلَّ شيء منها لم يكن كلامًا.

وإذا ثبت أنَّه من جنس الصوت، وعلمنا ضرورة تجدُّده بعد عدم؛ لإدراكنا له بعد أن كنَّا غير مُدركِين له، وعدمه بعد وجوده، لانتفاء كونه مدركًا في الثاني من حال إدراكه، إذ لو كان باقيًا لاستقرَّ إدراكنا له، فثبت أنَّه محدث. والمتكلِّم من فعل الكلام، بدليل وقوعه بحسب أحواله.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢.

وهـو قادرٌ على القبيح[١]؛ لأنَّه قادر لذاته، والقـادر للذات غير متناهي المقدور[٢]؛ ولأنَّه أقدر منَّا، وهو لا يفعله ولا يريده ولا يأمر به؛ لعلمه بقبحه وغناه عنه، فعلى هذا: جميع ما فعله وأمر به وأباحه حسن، لا وجه من وجوه القبح فيه[٣].

(١) الاقتصاد: الشـيخ الطوسـيّ: ٤٨. والقبيح: هو كلُّ فعلٍ إذا وقع من عالم بقبحه أو متمكِّن من العلم بقبحه، اسـتحقَّ عليه الذَّمَّ على بعض الوجوه. والعلم بقبـح القبائح ووجوب الواجبات يكـون عقليًّا وشرعيًّـا، فالعقليَّات؛ كالعلم بقبـح الظُّلم والجهل والكـذب، العاري من نفع أو ضرر، والعبـث، وغـير ذلك، والواجبـات: كالعلم بوجـوب ردِّ الوديعـة، والإنصاف وقضاء الدين والعلم بحسـن الإحسـان، وغـير ذلك. وأمَّا ما يُعلَم بالشَّـرع فكلُّ مـا لا يمكن معرفته بالعقـل، كالعبادات الشرعيَّة من الصـلاة والزكاة والصوم والحجِّ، وغـير ذلك، وكقبح شرب الخمر والزِّنا، وغير ذلك، فإنَّه لا مجال للعقل في العلم بذلك.
والذي يدلُّ على ما قلناه من أنَّ العلم بما تقدَّم، هو العقل دون الشَّـرع، هو أنَّ كلَّ عاقل مفطور العقـل يعلم قبـح الظلم وقبح الجهل والكذب والعبث، فلـو لا أنَّ طريق ذلك العقل؛ لما وجب شـمول العلم لجميع العقلاء، ولكان يقف على مَن علم صحَّة السمع. وفي علمنا باشتراك جميع العقـلاء من موحِّدٍ وملحـدٍ ومقرٍّ بالنبوَّات وجاحدٍ لها في العلم بذلك، دليل على أنَّ طريق ذلك العقل.

(٢) ينظر: عيون أخبار الإمام الرِّضا عليه السلام، الشَّيخ الصدوق: ٢/ ١٠٧ وما بعدها.

(٣) الـكافي، للحلبـيّ، أبـو الصَّـلاح: ٤٧. إنَّـه تعالى عـادلٌ، هو أنَّـه لا يخلُّ بواجـبٍ في حكمته، ولا يفعـل قبيحًـا، بالبرهان كونـه تعالى عالمًا لا يجهل شـيئًا وغنيًّا لا يحتـاج إلى شيء ثبت كونه عـادلًا مـن حيث كان وقوع القبيح لا يصحُّ إلَّا لجهلٍ به أو لسـهوٍ عنه أو حاجة إليه، وكلُّ ذلك مستحيلٌ فيه تعالى، فيجب القطع على كونه عادلًا، والحكم بجميع أفعاله وما يتعلَّق بها بالحسن.
وهذا القدر كافٍ في تنزيهه سـبحانه عن القبيح على جهة الجملة، وإن فقدنا العلم بوجه الحسـن في كلٍّ منها على جهة التفصيل، غير أنَّا نسلك منهج السَّلف رضي الله عنهم في بيان وجه الحكمة في جميع ما فعله سـبحانه، وأمر به وأباحه، على جهة التفصيل؛ لتكمل الفائدة، وتسـقط الشـبهة في ذلـك من كلِّ وجه. فـأوَّل ذلك إثبات العقل طريقًا إلى العلـم بوجوب واجبات وقبح قبائح وجبت وقبحت لما هي عليه؛ ليكون الكلام في العدل وفسـاد الجبر مبنيًّا على ذلك، وقد سـلف بيـان ذلـك، وأوضحنا أنَّ العلم بوجوب الصدق والإنصاف وسـائر الواجبـات الأولة، وقبح الظلم والكذب وسـائر القبائح الأولة، ضروري من أوائل العقول، لا تعلُّق للعبد به، وأنَّه إنَّما=

فصل النُّبوَّة

والنُّبوة[1] حسنةٌ لا ينفكُ حسنها من وجوبها؛ لأنَّه لا يمتنع أَن تكون في أفعالنا

=وجبت الأفعال؛ لكونها صدقًا و إنصافًا، وقبحت التروك؛ لكونها ظلمًا وكذبًا، فأغنى عن إعادتها ههنا. وإذا ثبت ذلك، وجب إثباته سبحانه قادرًا على القبيح؛ ليصحَّ تنزيهه عنه، والدالَّة على ذلك ثبوت كونه تعالى قادرًا لنفسه، وذلك يقتضي كونه سبحانه قادرًا على كلِّ ما يصحُّ كونه مقدورًا، والقبيح من جملة المقدورات بغير شبهة، فيجب أن يكون قادرًا عليه. وأيضًا فإنَّ صفة القبح وجهٌ للفعل، كالحسن، وليس بجنس، فيجب؛ لكونه تعالى قادرًا على سائر الأجناس، أنْ يكون قادرًا على وجوهها التي يحدث عليها.

(١) النُّبوَّة: النَّبيّ، هو الإنسان المُخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر.

وعرِّف النَّبيّ: بأنَّه الإنسان المُخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر، فبقيد الإنسان يخرج المَلك، وبقيد المُخبر عن الله يخرج المخبر عن غيره، وبقيد عدم واسطة بشر يخرج الإمام والعالم، فإنَّهما مُخبران عن الله تعالى بواسطة النبيّ ﷺ. إذا تقرَّر هذا، فاعلم أنَّ النبَّوة، مع حسنها، واجبة في الحكمة.

والدَّليل على ذلك، هو أنَّه لـمَّا كان المقصود من إيجاد الخلق هو المصلحة العائدة إليهم، كان إسعافهم بما فيه مصالحهم وردعهم عمَّا فيه مفاسدهم واجبًا في الحكمة؛ وذلك إمَّا في أحوال معاشهم، أو أحوال معادهم.

أَمَّا في أحوال معاشهم: فهو أنَّه لـمَّا كانت الضرورة داعية في حفظ النَّوع الإنسانيّ إلى الاجتماع الذي يحصل معه مقاومة كلِّ واحدٍ لصاحبه فيما يحتاج إليه، استلزم ذلك الاجتماع تجاذبًا وتنازعًا يحصلان من محبَّة كلِّ واحدٍ لنفسه، وإرادة المنفعة لها دون غيرها، بحيث يفضي ذلك إلى فساد النَّوع واضمحلاله.

فاقتضت الحكمة وجود عدل يفرض شرعًا يجري بين النَّوع، بحيث ينقاد كلُّ واحدٍ إلى أمره، وينتهي عند زجره.

ثمَّ لو فرض ذلك الشَّرع إليهم؛ لحصل ما كان أوَّلًا، إذ لكلِّ واحدٍ رأيٌ يقتضيه عقله،=

ما هو مفسدة مقرب إلى فساد، وما هو حسن مقرب إلى صلاح، ولا نعلم الفرق بينهما

=وميلٌ يوجبه طبعه، فلا بدَّ حينئذٍ من شارعٍ متميِّزٍ بآياتٍ ودلالاتٍ تدلُّ على صدقه، كي يشرع ذلك الشرع مبلِّغًا له عن ربِّه، يَعِدُ فيه المطيع، ويتوعَّد العاصي؛ ليكون ذلك أدعى إلى انقيادهم لأمره ونهيه.

وأمَّا في معادهم: فهو أنَّه لـمَّا كانت السعادة الأُخرويَّة لا تحصل إلَّا بكمال النَّفس بالمعارف الحقَّة والأعمال الصالحة، وكان التعلُّق بالأمور الدنيويَّة، وانغمار العقل في الملابس البدنيَّة مانعًا من إدراك ذلك على الوجه الأتمِّ والنَّهج الأصوب، أو يحصل إدراكه، لكن مع مخالجة الشكِّ، ومعارضة الوهم.

فلا بدَّ حينئذٍ من وجود شخصٍ لم يحصل له ذلك التعلُّق المانع؛ بحيث يقرِّر لهم الدَّلائل ويوضِّحها لهم، ويزيل الشبهات ويدفعها، ويعضد ما اهتدت إليه عقولهم، ويبيِّن لهم ما لم يهتدوا إليه، ويذكِّرهم خالقهم ومعبودهم، ويقرِّر لهم العبادات والأعمال الصالحة، ما هي، وكيف هي، على وجهٍ يوجِب لهم الزُّلفى عند ربِّهم، ويكرِّرها عليهم؛ ليستحفظوا التذكير بالتكرير، كي لا يستولي عليهم السَّهو والنسيان اللَّذان هما كالطبيعة الثانية للإنسان.

وذلك الشخص المُفتقر إليه في أحوال المعاش والمعاد، وهو النَّبيّ صلى الله عليه وآله، والنَّبيُّ واجبٌ في الحكمة، وهو المطلوب.

ينظر: النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر، العلَّامة الحِلِّيّ: ٨١.

محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد، عن الحسن بن محبوب، عن الأحول، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرَّسول والنَّبيِّ والمحدَّث، قال: **الرَّسول الَّذي يأتيه جبرئيل قبلًا فيراه ويكلِّمه، فهذا الرسول، وأمَّا النَّبيّ فهو الَّذي يرى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم، ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوَّة قبل الوحي، حتَّى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة، وكان محمَّد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوَّة وجاءته الرِّسالة من عند الله، يجيئه بها جبرئيل، ويكلِّمه بها قبلًا، ومن الأنبياء من جمع له النبوَّة، ويرى في منامه، ويأتيه الروح ويكلِّمه ويحدِّثه، من غير أن يكون يرى في اليقظة، وأمَّا المُحدَّث فهو الَّذي يحدَّث فيسمع، ولا يعاين ولا يرى في منامه.**

الكافي: الكليني: ١/ ١٧٦.

قال سيِّد البلغاء في النَّهج الشريف، يصف رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله: **حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتًا، وَأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِسًا، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ.=**

ضرورة؛ لأنَّ معرفة الله تعالى لا تكون ضروريَّة؛ وهذا أفرع عليها، والفرع لا يكون أقوى من الأصل، فلم يبقَ يتميَّز لنا إلَّا بالبعثة[1]، فوجب فيها البعثة لذلك[2]، ولم ينفكّ وجوبها عن حسنها، والنسخ حسن؛ لأنَّه من فعله تعالى، وهو تابع للمصالح؛ وهو جائزٌ عقلًا، وواقعٌ سمعًا[3]. والدَّليل على نبوَّة نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله ادِّعاؤه النبوَّة[4]،

=ثمَّ قال عليه السلام: **فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى، وسِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ؛ سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ، وحُكمُهُ العَدْلُ، أَرسَلَهُ عَلى حينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم.**

نهج البلاغة: الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: الخطبة ٩٤: ١/ ١٨٥.

والنبيُّ: هو الشَّخص المؤيَّد بالتَّأييد الإلهيّ الواضع للشَّرائع والأحكام، الَّتي يفيد انتظام أمور النَّاس في معاشهم ومعادهم، بحسب الاجتماع والانفراد، إذا أطاعوه، هو مَن اجتمع فيه خواصٌّ ثلاث:

الأوَّل: أن يكون له اطِّلاع على المغيَّبات الكائنة، والماضية، والآتية.

والثَّاني: ظهور الأفعال الخارقة للعادة، لكون هيولي عالم العناصر مطيعة له، وهذا بناءً على تأثير النُّفوس في الأجسام وأحوالها.

والثَّالث: أن يرى الملائكة مصوَّرة بصور محسوسة، ويسمع كلامهم وحيًا من الله تعالى إليه.

شرح المصطلحات الفلسفيَّة، مجمع البحوث الإسلاميَّة: ١/ ٤٠٣.

(١) المرويُّ عن أهل البيت عليهم السلام، وأهل البيت أدرى بما فيه، وأقرب إلى معرفة شؤون النَّبيّ صلى الله عليه وآله الخاصَّة، أنَّ بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله كانت في السابع والعشرين من شهر رجب، وهذا هو المشهور، بل أدَّعى المجلسيّ الأجماع عليه عند الشِّيعة.

الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله: السيِّد جعفر مرتضى: ٢/ ٢٤٤.

(٢) العبارة غير واضحة؛ لرداءة في المخطوطة، ويقوى في ظنِّي أنَّها كما بيَّنَّا.

(٣) والمراد في بيان العبارات الآنفة: لفعله الحسن سبحانه وتعالى أوجب النبوَّة؛ لأنَّها حسنة، لا ينفكُّ حسنها عن وجوبها، ولـمَّا كان من أفعالنا القبيح والحسن، أوجبها لمعرفة القبيح والحسن، فبدونها لا نعلم القبيح والحسن ضرورةً، فافرع عليه عدم معرفة الله سبحانه، والحال هذا إلَّا بها، والفرع في عدم المعرفة للقبح والحسن في أفعالنا لا يكون أقوى من الأصل، الذي هو فعله الحسن؛ لأنَّه لا يريد القبيح، ولا يأمر به، فأوجب النبوَّة.

(٤) وقال أمير المؤمنين عليه السلام من خطبةٍ له في النهج: **ولم يُخلِ سبحانه خلقه من نبيٍّ مُرسَل، أو كتابٍ=**

وظهور المعجزات عليه، ومعجزاته القرآن العظيم[1]، وغيره ممَّا ظهر على يده.

=منزَّل، أو حجَّة لازمة، أو محجَّة قائمة، رُسل لا تقصِّر بهم قلَّة عددهم، ولا كثرة المكذِّبين لهم، من سابق سمِّي له من بَعده، أو غابرٍ عَرفه من قَبله، على ذلك نسلت القرون، ومضت الدُّهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء، إلى أن بعث الله سبحانه محمَّدًا رسول الله ﷺ؛ لإنجاز عدَّته، وتمام نبوَّته. مأخوذًا على النبيِّين ميثاقه، مشهورة سماته، كريمًا ميلاده؛ وأهل الأرض يومئذ مِلَلٌ متفرِّقة، وأهواءٌ منتشرة، وطوائفَ متشتِّتة، بين مشبِّه لله بخلقه، أو ملحِد في اسمه، أو مشيرٍ إلى غيره، فهداهم به من الضَّلالة. وأنقذهم بمكانهِ من الجهالة.

نهج البلاغة: خطب الإمام عليّ عليه السلام: ١/ ٢٤ الخطبة الأولى.

وخلَّف فيكم ما خلَّفت الأنبياء في أُمَمها، إذ لم يتركوهم هملًا، بغير طريقٍ واضحٍ، ولا علمٍ قائمٍ، كتابُ ربِّكم فيكم مبيَّنًا حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصُّه وعامُّه، وعِبَره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسِّرًا مجمله، ومبيِّنًا غوامضه، بين مأخوذ ميثاقٍ في علمه، وموسَّع على العباد في جهله، وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنَّة نسخه، وواجب في السنَّة أخذه، ومرخَّص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته، وزائل في مستقبله، ومباين بين محارمه من كبيرٍ أوعد عليه نيرانه، أو صغيرٍ أرصد له غفرانه، وبين مقبولٍ في أدناه، موسع في أقصاه.

نهج البلاغة الشريف، المصدر السابق.

(١) ظهور معجزة القرآن وغيره، مع اقتران دعوة نبيِّنا محمَّد ﷺ يدلُّ على نبوَّته، والتحدِّي مع الامتناع، وتوفر الدَّواعي يدلُّ على الإعجاز، والمنقول معناه متواترًا من المعجزات يعضده.

كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلَّامة الحِلِّيّ: ١/ ٣٥٤.

أقول: لمَّا فرغ من البحث في النبوَّة مطلقًا، شرع في إثبات نبوَّة نبيِّنا محمَّد عليه وآله الصَّلاة والسَّلام، والدَّليل عليه: أنَّه ظهرت المعجزة على يده، وادَّعى النبوَّة؛ فيكون صادقًا، أمَّا ظهور المعجزة على يَدِهِ فلِوَجهَين:

الأوَّل: إنَّ القرآن معجزة، وقد ظهر على يده؛ أمَّا إعجاز القرآن، فقد تحدَّى به فصحاء العرب، لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ البقرة: ٢٣، ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ هود: ١٣، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الأسراء: ٨٨.

والتحدِّي مع امتناعهم عن الإتيان بمثله، مع توفر الدواعي عليه، إظهارًا لفضلهم، وإبطالًا لدعواه وسلامته من القتل، يدلُّ على عجزهم، وعدم قدرتهم على المعارضة، وأمَّا ظهوره على=

ووجـه إعجاز القرآن، أنَّه تحـدَّى به العرب، مع قدرتهم عـلى الفصاحة الزائدة في

=يده فبالتواتر.

الثاني: أنَّه نُقِل عنه معجزات كثيرة؛ كنبوع الماء من بين أصابعهﷺ، حتَّى اكتفى الخلق الكثير من الماء القليل، بعد رجوعه من غزوة تبوك، وكغور ماء بئر الحديبية لـمَّا استسـقاه أصحابه بالكلية، ونشفت البئر، ودفع سهمه إلى البراء بن عازب، وأمره بالنزول وغرزه في البئر، فغرزه؛ فكثر الماء في الحال، حتَّى خيف على البراء من الغرق.

وتفلعليه السلام في بئر قوم، شكوا إليه ذهاب مائها في الصيف، حتَّى انفجر الماء الزلال منها، فبلغ أهل اليمامة ذلك، فسألوا مسيلمة لـمَّا قلَّ ماء بئرهم ذلك، فتفل فيها؛ فذهب الماء أجمع.

ولـمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، قال لعليٍّعليه السلام: **شقَّ فخذ شاة وجئني بعسٍّ من لبن، وادع لي من بني أبيك بني هاشـم**؛ ففعل عليٌّ ذلك، ودعاهم، وكانوا أربعين رجلًا، وأكلوا حتَّى شبعوا، ما يُرى فيه إلَّا أثر أصابعهم، وشربوا من العسِّ حتَّى اكتفوا، واللبن على حاله، فلمَّا أراد أن يدعوهم إلى الإسـلام، قال أبو لهب: كاد أن يسـحركم محمَّد، فقاموا قبل أن يدعوهم إلى الله تعالى.

فقـال لعليٍّ: **افعل مثـل ما فعلت**؛ ففعل مثل ذلك في اليوم الثاني، فلـمَّا أراد أن يدعوهم، عاد أبو لهـب إلى كلامه، فقـال لعليٍّعليه السلام: **افعل مثـل ما فعلت**؛ ففعل مثـل ذلك في اليـوم الثالث، فبايع عليّعليه السلام على الخلافة بعده ومتابعته.

وذبـح لـه جابر بـن عبد الله عناقًـا يوم الخنـدق، وخبز له صاع شـعير، ثمَّ دعـاهﷺ، فقال: **أنا وأصحـابي؟** فقـال: نعـم، ثمَّ جـاء إلى امرأتـه وأخبرها بذلـك، فقالت لـه: أنت قلـت، امضِ وأصحابك؟ فقال لا: بل هو، لـمَّا قال: أنا وأصحابي، قلت: نعم، فقالت: هو أعرف بما قال.

فلمَّا جاء عليه وآله السـلام، قال: **ما عندكم؟** قال: ما عندنا إلَّا عناق في التنور، وصاع من شـعير خبزناه، فقال: **أقعِد أصحابي عشرة عشرة**، ففعل، وأكلوا كلَّهم.

وسـبَّح الحصا في كفِّهعليه السلام، وشـهد الذئب له بالرسـالة، فإنَّ رهبان بن أوس كان يرعى غنمًا له، فجاء ذئب فأخذ شـاة منها، فسـعى نحوه، فقال له الذئب: العجب من أخذي شـاة، هذا محمَّد يدعـو إلى الحـقِّ فلا تجيبونـه، فجاء إلى النبيِّ وأسـلم، وكان يدعى مكلِّم الذئـب، وتفل في عين عليّعليه السلام لـمَّا رمدت، فلم ترمد بعد ذلك أبدًا، ودعا له بأن يصرف الله تعالى عنه الحرَّ والبرد، وكان لباسـه في الصيف والشتاء واحدًا، وانشقَّ له القمر، ودعا الشجرة فأجابته، وجاءته تخدُّ الأرض مـن غير جـاذبٍ ولا دافعٍ، ثمَّ رجعت إلى مكانها، وكان يخطب عند الجـذع، فاتَّخذ منبرًا، فانتقل إليه، فحنَّ الجذع إليه حنين الناقة إلى ولدها، فالتزمه فسكن.=

النَّظم والنثر والخطب والشعر؛ فعجزوا عن معارضته، وعدلوا عنها إلى الحروب،

=وأخبرنا بالغيوب في مواضع كثيرة، كما أخبر بقتل الحسين عليه السلام، وموضع القتل به، فقُتِل في ذلك الموضع، وأخبر بقتل ثابت بن قيس بن شمَّاس، فقُتِل بعده، وأخبر أصحابه بفتح مصر، وأوصاهم بالقبط خيرًا، فإنَّ لهم ذمَّة ورحِمًا، وأخبرهم بادِّعاء مسيلمة النبوَّة باليمامة، وادِّعاء العبسيّ النبوَّة بصنعاء، وأنَّهما سيُقتَلان، فقُتِل فيروز الدَّيلميّ العبسيّ قرب وفاة النَّبي صلى الله عليه وآله، وقَتَل خالد بن الوليد مسيلمة، وأخبر عليًّا عليه السلام بخبر ذي الثدية وسيأتي، ودعا على عتبة بن أبي لهب لـمَّا تلا عليه السلام (والنَّجم)، فقال عتبة كفرت بربِّ (والنَّجم)، بتسليط كلب الله عليه، فخرج عتبة إلى الشَّام، فخرج الأسد، فارتعدت فرائصه، فقال له أصحابه: من أيِّ شيءٍ ترتعد، فقال: إنَّ محمَّدًا دعا عليَّ، فوالله ما أظلَّت السَّماء على ذي لهجةٍ أصدق من محمَّد، ثمَّ أحاط القوم بأنفسهم ومتاعهم عليه، فجاء الأسد يهمش رؤوسهم واحدًا واحدًا حتَّى انتهى إليه، فضغمه ضغمة، ففزع منه، وأخبر بموت النجاشيّ، وقتل زيد بن حارثة بمؤتة، فأخبر عليه السلام بقتله في المدينة، وأنَّ جعفرًا أخذ الرَّاية، ثمَّ قال: قتل جعفر، ثمَّ توقَّف وقفة، ثمَّ قال: وأخذ الرَّاية عبد الله بن رواحة، ثمَّ قال: وقتل عبد الله بن رواحة، وقام عليه السلام إلى بيت جعفر، واستخرج ولده، ودمعت عيناه، ونعى جعفرًا إلى أهله، ثمَّ ظهر الأمر كما أخبر عليه السلام.

وقال لعمَّار: تقتلك الفئة الباغية، فقتله أصحاب معاوية، ولاشتهار هذا الخبر، لم يتمكَّن معاوية من دفعه، واحتال على العوام، فقال: قتله من جاء به، فعارضه ابن عبَّاس، وقال: لم يقتل الكفَّار إذَن حمزة، وإنَّما قتله رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنَّه هو الَّذي جاء به إليهم، حتَّى قتلوه.

وقال لعليٍّ عليه السلام: ستقاتل بعدي النَّاكثين والقاسطين والمارقين، فالناكثون طلحة وزبير؛ لأنَّهما بايعاه ونكثا، والقاسطون هم الظالمون، وهم معاوية وأصحابه؛ لأنَّهم ظَلَمة بغاة، والمارقون هم الخارجون عن الملَّة، وهم الخوارج، وهذه المعجزات بعض ما نقل، واقتصرنا على هذا القدر؛ لكثرتها، وبلوغ الغرض بهذه، وقد أوردنا معجزات أخرى في كتاب نهاية المرام.

قال: وإعجاز القرآن، قيل لفصاحته وقيل لأسلوبه وفصاحته معًا، وقيل للصرفة، والكلُّ محتمَل.

واحتجَّ السيِّد المرتضى بأنَّ العرب كانوا قادرين على الألفاظ المفردة، وعلى التركيب، وإنَّما مُنِعوا عن الإتيان بمثله تعجيزًا لهم عمَّا كانوا قادرين عليه، وكلُّ هذه الأقسام محتمَلة.

قال: والنسخ تابع للمصالح.

أقول: هذا إشارة إلى الردِّ على اليهود، حيث قالوا بدوام شرع موسى عليه السلام، قالوا: لأنَّ النَّسخ باطل؛ لأنَّ المنسوخ إن كان مصلحة قُبِّح النَّهي عنه، وإن كان مفسدة، قُبِّح الأمر به، وإذا بطل النسخ لزم القول بدوام شرع موسى عليه السلام.=

وسفك الدِّماء.

والعاقل لا يعدل عن الأسهل إلى الأشقِّ إلَّا للعجز عنه، ولو عُورِضَ لنقلت المعارضة؛ لأنَّها كانت تكون حجَّتهم، فلمَّا لم تنقل؛ علمنا أنَّه

=وتقرير الجواب أن نقول: الأحكام منوطة بالمصالح، والمصالح تتغيَّر بتغيُّر الأوقات، وتختلف باختلاف المكلَّفين، فجاز أن يكون الحكم المعيَّن مصلحة لقوم، وفي زمان فيؤمر به، ويكون مفسدة لقوم، وفي زمان آخر فينهى عنه، قال: وقد وقع حيث حرَّم على نوح بعض ما أحلَّ لمن تقدَّم، وأوجب الختان بعد تأخُّره، وحرَّم الجمع بين الأُختَين، وغير ذلك.

أقول: هذا تأكيد لإبطال قول اليهود المانعين من النسخ، فإنَّه بيَّن أوَّلًا: جواز وقوعه، وههنا بيَّن وقوعه في شرعهم، وذلك في مواضع، منها: أنَّه قد جاء في التوراة: أنَّ الله تعالى، قال لآدم وحوَّاء عليهما السلام: قد أبحت لكما كلَّ ما دبَّ على وجه الأرض، فكانت له نفس حيَّة، وورد فيها أنَّه قال لنوح عليه السلام: خُذ معك من الحيوان الحلال كذا، ومن الحيوان الحرام كذا، فحرَّم على نوح عليه السلام بعض ما أباحه لآدم عليه السلام، ومنها: أنَّه أباح لنوح تأخير الختان إلى وقت الكِبَر، وحرَّمه على غيره من الأنبياء، وأباح لإبراهيم عليه السلام تأخير ختان ولده إسماعيل إلى حال كِبره، وحرَّم على موسى عليه السلام تأخير الختان عن سبعة أيَّام، ومنها: أنَّه أباح لآدم عليه السلام الجمع بين الأُختَين، وحرَّم على موسى عليه السلام.

قال: وخبرهم عن موسى عليه السلام بالتأبيد مختلق، ومع تسليمه؛ لا يدلُّ على المراد قطعًا.

أقول: إنَّ جماعة اليهود جوَّزوا عقلًا وقوع النَّسخ، ومنعوا من نَسخ شريعة موسى عليه السلام، وتمسَّكوا بما روي عن موسى عليه السلام، أنَّه قال: تمسَّكوا بالسبت أبدًا، والتأبيد يدلُّ على الدَّوام، ودوام الشرع بالسبت ينفي القول بنبوَّة محمَّد صلى الله عليه وآله.

والجواب من وجوه، الأوَّل: إنَّ هذا الحديث مُختَلق، ونُسِب إلى ابن الراونديّ، الثاني: لو سلَّمنا نقله؛ لكنَّ اليهود انقطع تواترهم؛ لأنَّ بخت نصر استأصلهم وأفناهم حتَّى لم يبقَ منهم من يوثَق بنقله، الثالث: إنَّ لفظة التأبيد لا تدلُّ على الدوام قطعًا؛ فإنَّها قد وردت في التوراة لغير الدَّوام، كما في العبد أنَّه يُستخدَم ستّ سنين، ثمَّ يُعرَض عليه العتق في السابعة، فإن أبى العتق، ثُقِب أذنه واستُخدمَ أبدًا، وفي موضع آخر يُستخدَم خمسين سنة، وأمروا في البقرة التي كُلِّفوا بذبحها أن يكون لهم ذلك سنَّة أبدًا، ثمَّ انقطع تعبُّدهم بها، وفي التوراة قرَّبوا إلى كلِّ يومٍ خروفَين، خروف غدوة وخروف عشيَّة بين المغارب، قربانًا دائمًا لاحقًا بكم، وانقطع تعبدهم به، وإذا كان التأبيد في هذه الصور لا يدلُّ على الدَّوام، انتفت دلالته هنا قطعًا. ينظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، (تحقيق الآمليّ): العلَّامة الحِلِّيّ: ٤٨٠.

لم تعارض[١].

والمعجزات الأُخر، مثل انشقاق القمر[٢]، وحنين الجذع[٣]، وتسبيح

(١) أمَّا دعواه النُّبوة فمتواتر، لا يدفعه إلَّا مكابر، وأمَّا ظهور المعجز؛ فلأنَّه تحدَّى العرب بالقرآن، ولم يعارضوه، فلو كانوا قادرين على معارضته لعارضوه، لأنَّ دواعيهم كانت متوفِّرة إلى إظهار غلبته، ومن كان داعيه متوفِّرًا إلى شيءٍ، وعلم أنَّه يحصل بما هو قادر عليه، فإنَّه يفعله لا محالة، فلمَّا لم يعارضوه، وعدلوا إلى حربه، مع صعوبة الحرب وشدَّتها، دلَّ على المعجز؛ لأنَّ العاقل لا يعدل من الأسهل إلى الأشقِّ إلَّا مع العجز.
المسلك في أصول الدين، المحقِّق الحِلِّيّ: ٣٠٤.

(٢) أجمع المفسِّرون والمحدثون في قوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ سورة القمر، الآية: ١، أنَّه قد اجتمع المشركون ليلة بدرٍ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقالوا: إن كنت صادقًا، فشقَّ لنا القمر فرقتَين، قال: **إن فعلت تؤمنون؟** قالوا: نعم، فأشار إليه بإصبعه؛ فانشقَّ شقَّتَين، رؤي حرى [أي جبل حِراء] بين فلقَيه.
وفي رواية نصفًا على أبي قبيس، ونصفًا على قعيقعان، وفي رواية نصفٌ على الصَّفا، ونصفٌ على المروة.
فقال صلى الله عليه وآله: **اشهدوا اشهدوا**، فقال ناس: سَحَرنا محمَّد، فقال رجل: إن كان سَحَركم، فلم يسحر النَّاس كلَّهم. وكان ذلك قبل الهجرة، وبقي قدر ما بين العصر إلى الليل، وهم ينظرون إليه، ويقولون: هذا سحرٌ مستمرٌّ، فنزل: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾. وفي رواية أنَّه قدم السفار من كلِّ وجه، فما من أحد قدِم إلَّا أخبرهم أنَّهم رأوا مثل ما رأوا، قال نصر بن المنتصر:

والقمر البدر المنير شقه فقيل سِحرٌ عجب لما رأى

وغرس صلى الله عليه وآله نوى، فنبت نخلًا، وحملت الذهب الذي دفعه إلى سلمان، وبارك فيه، ووفى بكلِّ ما كان عليه، وما نقص منه، وأرطبت في وقتٍ واحد.
ينظر: تفسير نور الثقَلَين، الحويزيّ: ٥/ ١٧٥.

(٣) حديث حنين العود، وفيه ما يدلُّ على فضل عليّ عليه السلام: وأمَّا حنين العود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخطب بالمدينة إلى جذع نخلةً في صحن مسجدها، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله إنَّ النَّاس قد كثروا، وأنَّهم يحبُّون النَّظر إليك إذا خطبت، فلو أذنت في أن نعمل لك منبرًا له مراقٍ ترقاها، فيراك النَّاس إذا خطبت. فأَذِن في ذلك.=

الحصاء[1]، وإنباع الماء من بين أصابعه[2]، وإطعام الخلق الكثير من الطعام اليسير[3].

=فلـمَّا كان يوم الجمعة، مرَّ بالجذع، فتجاوزه إلى المنبر فصعده، فلمَّا استوى عليه، حنَّ إليه ذلك الجذع حنين الثكلى، وأنَّ أنين الحبلى، فارتفع بكاء النَّاس وحنينهم وأنينهم، وارتفع حنين الجذع وأنينه في حنين الناس وأنينهم ارتفاعا بيِّنًا؛ فلمَّا رأى رسول الله ﷺ ذلك، نزل عن المنبر، وأتى الجذع فاحتضنه، ومسح عليه يده، وقال: أسكن فما تجاوزك رسول الله ﷺ تهاونًا بك، ولا استخفافًا بحرمتك، ولكن ليتمَّ لعباد الله مصلحتهم، ولك جلالك وفضلك، إذ كنت مستند محمَّد رسول الله، فهدأ حنينه وأنينه، وعاد رسول الله ﷺ إلى منبره، ثمَّ قال:

معاشر المسلمين هذا الجذع يحنُّ إلى رسول ربِّ العالمين، ويحزن لبُعده عنه، وفي عباد الله الظالمين أنفسهم، من لا يبالي قُربٌ من رسول الله ﷺ أو بُعد، [و] لولا أنِّي ما احتضنت هذا الجذع، ومسحت يدي عليه، ما هدأ حنينه وأنينه إلى يوم القيامة.

ينظر تفسير الأمام العسكريّ عليه السلام: ٨٨.

(١) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراونديّ: ١/ ٤٧: النبيّ ﷺ أخذ كفًّا من الحصى، فسبَّحن في يده، ثمَّ صبَّهنَّ في يد عليّ عليه السلام؛ فسبَّحنَ في يده، حتَّى سمعنا التسبيح في أيديها، ثمَّ صببهنَّ في أيدينا فما سبَّحت.

وينظر أيضًا: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ١/ ٨٠، البحار، المجلسيّ: ١٧/ ٣٧٧.

(٢) محمَّد بن سليمان قال: أخبرنا عليّ بن عبد العزيز، قال: حدَّثنا عليّ بن الجعد، قال: حدَّثنا شعبة عن عمرو بن مرَّة، وحصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله، قال: أصابنا عطش بالحديبية، فحشرنا إلى رسول الله ﷺ وبين يديه تور فيه ماء، فقال بإصبعه هكذا، فقال: **خُذوا**. فجعل الماء يتخلَّل من بين أصابعه كأنَّها عيون، قال عمرو (بن مرَّة) في حديثه: فوسعنا وكفانا. وقال حصين: فشربنا وتوضَّأنا.

ينظر: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمَّد بن سليمان الكوفيّ: ١/ ٧٥. وأيضًا: إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسيّ: ١/ ٧٥.

(٣) إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسيّ: ١/ ٦٥: حديث بحيراء الرَّاهب، فقد أورد محمَّد بن إسحاق بن يسار، قال: إنَّ أبا طالب خرج في ركبٍ إلى الشَّام تاجرًا، فلمَّا تهيَّأ للرحيل وأجمع السير، انتصب له رسول الله ﷺ، فأخذ بزمام ناقته، وقال: **يا عمُّ إلى من تَكِلُني، لا أبَ لي ولا أمَّ لي؟**.

فرقَّ له أبو طالب، فقال: والله لأخرجنَّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدًا. فخرج وهو معه. فلـمَّا نزل الرَّكب بصرى من أرض الشَّام، وبها راهب، يُقال له بحيراء، في صومعة له، وكان=

=أعلـم أهـل النصرانيَّة، وكان كثـيرًا ما يمرُّون به قبـل ذلك، لا يكلِّمهم ولا يعـرض لهم، فلمَّا نزلـوا ذلك العام قريبًا من صومعته، صنع لهم طعاما، وذلك فيما يزعمون عن شيءٍ رآه، وهو في صومعتـه، في الرَّكب حين أقبلـوا، وغمامة بيضاء تظلُّه من بين القوم، ثـمَّ أقبلوا حتَّى نزلوا بظلِّ شـجرة قريبًا منه، فنظر إلى الغمامة حتَّى أظلَّت الشـجرة، وتهصَّرت أغصان الشَّجرة على رسول الله ﷺ، حتَّـى اسـتظلَّ تحتها، فلمَّا رأى ذلـك بحيراء، نزل من صومعته، وقـد أمر بذلك الطعام فصُنِـع، ثمَّ أرسـل إليهم فقـال: إنِّي صنعت لكم طعامًا يا معشر قريـش، وإنِّي أحبُّ أن تحضروا كلُّكم، صغيركم وكبيركم، وحُرُّكم وعبدكم.

فقال له رجل منهم: يا بحيراء إنَّ لك اليوم لشأنًا، ما كنت تصنع لنا هذا الطعام وقد كنَّا نمرُّ بك كثيرًا، فما شـأنك اليوم؟ فقال له بحيراء: صدقت قد كان ما تقول، ولكنَّكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعامًا تأكلون منه كلُّكم.

فاجتمعوا إليه، وتخلَّف رسول الله ﷺ من بين القوم؛ لحداثة سنِّه، في رحال القوم تحت الشجرة، فلـمَّا رأى بحـيراء القوم، لم يجد الصفة التي يعرِف، فقال: يا معـشر قريش لا يتخلَّف أحد منكم عن طعامي هذا.

قالوا له: ما تخلَّف عنَّا أحد ينبغي له أن يأتيك إلَّا غلامٌ هو أحدث القوم سنًّا، تخلَّف في رحالهم.

قال: فألَّا تفعلوا، أدعوه حتَّى يحضر هذا الطعام معكم.

فقـال رجل من قريش مع القوم: واللَّات والعزَّى إنَّ هذا اللـوم بنا أن يتخلَّف ابن عبد المطَّلب عن الطعام من بيننا.

قال: ثمَّ قام إليه فاحتضنه، ثمَّ أقبل به حتَّى أجلسه مع القوم، فلمَّا رآه بحيراء، جعل يلحظه لحظًا شـديدًا، وينظر إلى أشـياء من جسـده قد يجدها عنـده في صفته، حتَّى إذا فرغ القـوم من الطَّعام وتفرَّقوا، قام بحيراء فقال له: يا غلام أسألك باللَّات والعزَّى إلَّا أخبرتني عمَّا أسألك عنه. وإنَّما قال ذلك بحيراء؛ لأنَّه سمع قومه يحلفون بهما.

فقال رسول الله ﷺ: **لا تسألني باللَّات والعزَّى، فوالله ما أبغضت كبغضهما شيئًا قطُّ.**

فقال بحيراء: فوالله إلَّا أخبرتني عمَّا أسألك، فقال: **سلني عمَّا بدا لك.**

فجعل يسـأله عن أشـياء من حاله من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلـك مـا عند بحيراء من صفته، ثمَّ نظر إلى ظهره، فرأى خاتـم النبوَّة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

قال: لـمَّا فرغ منه، أقبل على عمِّه أبي طالب، فقال: ما هذا الغلام منك؟=

والعلم بهذه المعجزات كون نقلها متواترًا [1].

=قال: ابني.

قال بحيراء: وما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا.

قال: فإنَّه ابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟.

قال: مات وأمُّه حبلى به.

قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده؟ احذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عارفت منه؛ ليبغينَّه شرًّا، فإنَّه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ، فأسرع به إلى بلده.

فخرج به عمُّه أبو طالب سريعًا حتَّى أقدمه مكَّة، حين فرغ من تجارته بالشام.

ينظر: الاقتصاد، الشيخ الطوسيّ: ١٨١. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراونديّ: ٣/ ١٠٢٩. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى: ٣/ ٢١٣.

(١) معنى التواتر والمتواتر.

أمَّا التواتر في اللغة، فعبارة عن تتابع أشياء واحدًا بعد واحدٍ، بينهما مهلة. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ سورة المؤمنون: الآية: ٤٤، أي واحدًا بعد واحدٍ بمُهلة.

وأمَّا في اصطلاح الأصوليِّين، فقد قال بعض أصحابنا: إنَّه عبارة عن خبر جماعة بلغوا في الكثرة إلى حيث حصل العلم بقولهم. وهو غلط، فإنَّ ما ذكره إنَّما هو حدُّ الخبر المتواتر، لا حدَّ نفس التواتر، وفرَّق بين التواتر والمتواتر، وإنَّما التواتر في اصطلاح المتشرِّعة عبارة عن تتابع الخبر عن جماعة، مفيد للعلم بمخبره.

وأمَّا المتواتر، فقد قال بعض أصحابنا أيضًا: إنَّه الخبر المفيد للعلم اليقينيّ بمخبره، وهو غير مانع لدخول خبر الواحد الصادق فيه، كيف وفيه زيادة لا حاجة إليها، وهي قوله: «العلم اليقينيّ»، فإنَّ أحدهما كافٍ عن الآخر. والحقُّ أنَّ المتواتر في اصطلاح المتشرِّعة عبارة عن خبر جماعة، مفيد بنفسه للعلم بمخبره.

فقولنا: (خبر) كالجنس للمتواتر والآحاد، وقولنا: (جماعة) احتراز عن خبر الواحد، وقولنا: (مفيد للعلم) احتراز عن خبر جماعة لا يفيد العلم، فإنَّه لا يكون متواترًا، وقولنا: (بنفسه) احتراز عن خبر جماعة وافق دليل العقل، أو دلَّ قول الصَّادق على صدقهم، كما سبق، وقولنا: (بمخبره) احتراز عن خبر جماعة أفاد العلم بخبرهم، لا (بمخبره)، فإنَّه لا يسمَّى متواترًا.

وإذ أتينا على بيان المقدِّمة، فلا بدَّ من ذكر المسائل المتعلِّقة بخبر التواتر، وهي ستُّ مسائل:

المسألة الأولى: اتَّفق الكلُّ على أنَّ خبر التواتر مفيد للعلم بمخبره، خلافًا للسمنيَّة والبراهمة في=

وهو معصوم عن المعاصي، كما لظهور المعجزات على يده من حصول

=قولهم: لا علم في غير الضروريَّات إلَّا بالحواس دون الأخبار وغيرها، ودليل ذلك ما يجده كلُّ عاقل من نفسه من العلم الضروريّ بالبلاد النائية، والأمم السالفة، والقرون الخالية، والملوك، والأنبياء، والأئمَّة، والفضلاء المشهورين، والوقائع الجارية بين السَّلف الماضين، بما يرد علينا من الأخبار حسب وجداننا، كالعلم بالمحسوسات، عند إدراكنا لها بالحواس. ومَن أنكر ذلك، فقد سقطت مكالمته، وظهر جنونه أو مجاحدته.

فإن قيل ما ذكرتموه فرع تصوُّر اجتماع الخلق الكثير والجمّ الغفير على الأخبار بخبرٍ واحدٍ، وذلك غير مسلَّم، مع اختلافهم في الأمزجة والآراء والأغراض وقصد الصدق والكذب، كما لا يتصوَّر اتِّفاق أهل بلد من البلاد على حبِّ طعامٍ واحدٍ معيَّن، وحبّ الخير أو الشرِّ. وإن سلَّمنا تصوُّر اتِّفاق الخلق الكثير على الإخبار بشيءٍ واحدٍ، إلَّا أنَّ كلَّ واحدٍ منهم يجوز أن يكون كاذبًا في خبره، بتقدير انفراده، كما يجوز عليه الصدق.

فلو امتنع ذلك عليه حالة الاجتماع؛ لانقلب الجائز ممتنعًا، وهو محال، وإذا جاز ذلك على كلِّ واحد واحد. والجملة لا تخرج عن الآحاد، كان خبر الجملة جائز الكذب، وما يجوز أن يكون كاذبًا، لا يكون العلم بما يخبر به واقعًا. وإن سلَّمنا أنَّه لا يلزم أن ما ثبت للآحاد يكون ثابتًا للجملة، غير أنَّ القول بحصول العلم بخبر التواتر يلزم منه أمر ممتنع فيمتنع، وبيانه من ستَّة أوجه:

الأوَّل: أنَّه لو جاز أن تُخبر جماعة بما يفيد العلم؛ لجاز على مثلهم الخبر بنقيض خبرهم، كما لو أخبر الأوَّلون بأنَّ زيدًا كان في وقت كذا ميتًا، ونقل الآخرون حياته في ذلك الوقت بعينه، فإن حصل العلم بالخَبَرَين، لزم اجتماع العلم الضروريّ بموته وحياته في وقت واحد معيَّن، وهو محال، وإن حصل العلم بأحد الخبرَين دون الآخر، فلا أولويَّة، مع فرض تساوي المخبرين في الكميَّة والكيفيَّة.

الثاني: أنَّه لو حصل العلم بخبر الجماعة الكثيرة؛ لحصل العلم بما ينقله اليهود عن موسى، والنصارى عن عيسى، من الأمور المكذِّبة لرسالة نبيِّنا، الَّتي دلَّت المعجزة القاطعة على صدقه فيها، ووجوب علمنا بها، واجتماع علمَين متناقضَين مُحال.

الثالث: أنَّه لو حصل العلم الضروريّ بخبر التواتر؛ لما خالف في نبوَّة نبيِّنا أحد؛ لأنَّ ما علم بالضرورة لا يخالف، وحيث وقع الخلاف في ذلك من الخلق الكثير، علمنا أن خبر التواتر لا يفيد العلم.

الرابع: أنَّه لو كان العلم الضروريّ حاصلًا بخبر التواتر، لما وقع التفاوت بين علمنا بما أخبر به=

=أهـل التواتر من وجود بعض الملوك، وعلمنا بأنَّه لا واسـطة بين النفي والإثبات، واسـتحالة اجتـماع الضدَّيـن، وأنَّ الجسـم الواحـد لا يكـون في آنٍ واحـدٍ في مكانَـين؛ لأنَّ الضروريَّـات لا تختلف، ولا يخفى وجه الاختلاف في سكون النفس إليهما.

الخامـس: هو أن ما يحصل من الاعتقاد الجازم بما يخبر به أهل التواتر، لا يزيد على الاعتقاد الجازم بأنَّ ما شـاهدناه بالأمس من وجود الأفلاك الدائرة، والكواكب السـيَّارة، والجبال الشـامخة، أنَّه الذي نشـاهده اليوم، مع جواز أن يكون الله تعالى قد أعدم ذلك، وما نشـاهده الآن قد خلقه الله تعالى على مثاله، فإذا لم يكن هذا يقينيًّا، فما لا يزيد عليه في الجزم والاعتقاد أيضًا لا يكون يقينيًّا.

السـادس: أنَّه لو كان العلم الضروريّ حاصلًا من خبر التواتر، لما خالفناكم فيه؛ لأنَّ الضروريّ لا يخالف. والجواب من جهة الإجمال والتفصيل.

أمَّا الاجمال: فهو أنَّ ما ذكروه تشكيك على ما علم بالضرورة، فلا يكون مقبولًا، وأمَّا التفصيل: فأمَّا السؤال الأوَّل، فجوابه بما سبق في بيان تصوُّر الاجماع، فيما تقدَّم.

وأمَّـا السـؤال الثاني، فلأنَّه لا يلزم أنَّ مـا كان ثابتًا لآحاد الجملة، وجائزًا عليهـا، أن يكون ثابتًا للجملة، وجائزًا عليها. ولهذا فإنَّه ما من واحد من معلومات الله إلَّا وهو مُتناهٍ، وجملة معلوماته غـير متناهية، وكذلك كلُّ واحدٍ من آحـاد الجملة، فإنَّه جزء من الجملة، والجملة ليسـت جزءًا من الجملة، وكذلك كلُّ لبنة أو خشـبة داخلة في مسـمَّى الدار، وهي جزء منها، وليسـت دارًا، والمجتمع من الكلِّ دار.

وكذلك العشرة مركَّبة من خمسـة وخمسـة، وكلُّ واحدة من الخمسَـتَين ليست عشرة، والمجموع منهما عشرة، ونحوه.

وأمَّـا مـا ذكروه في السـؤال الثالث من الإلـزام الأوَّل، فهو فرض محال، فإنَّـه مهما أخبر جمع بما يحصـل منه العلم بالمخبر، فيمتنـع إخبار مثلهم في الكميَّة والكيفيَّـة وقرائن الأحوال بما يناقض ذلك.

وأمَّا الإلزام الثاني، فإنَّما يصحُّ أن لو قلنا إنَّ العلم يحصل من خبر كلِّ جماعة، وأنَّ خبر كلِّ جماعة تواتـر، وليس كذلك، وإنَّما دعوانا أنَّ العلم قد يحصل مـن خبر الجماعة، ولا يلزم أن يكون خبر كلِّ جماعة محصِّلًا للعلم.

وأمَّـا الإلـزام الثالـث، فغـير صحيـح؛ لأنَّ التواتر إنَّما يفيـد العلـم في الإخبار عن المحسَّـات والمشاهدات، والنبوَّة حكم، فلذلك لم يثبت بخبر التواتر، كيف وإنَّا لا ندَّعي أنَّ كلَّ تواتر يجب حصـول العلم بمخبره مطلقًا لكلِّ أحد؛ لتفاوت النَّاس في السـماع وقوَّة الفهم والاطِّلاع على=

النفير عن قبول قوله عند وقوع العصمة منه، والمعنى منه واجبة عقلا[1]، بشرطَين، أحدهما: ارتفاع العصمة عن الأنبياء[2]، والآخر: هو شرف

=القرائن المقترنة بالأخبار المفيدة للعلم، فمخالفة من يخالف غير قادحة فيما ندَّعيه من حصول العلم به لبعض الناس.

وأمَّا الإلزام الرابع والخامس، فإنَّما يصحُّ أن لو ادَّعينا أن ما يحصل من العلم بخبر التواتر من الأمور البديهيَّة، وليس كذلك، بل إنَّما ندَّعي العلم العادي. وعلى هذا، فلا يخرج عن كونه علمًا بتقاصره عن العلوم البديهيَّة، ولا بمساواته لما قيل من العلوم العاديَّة.

وأمَّا الالزام السادس، فحاصله يرجع إلى المكابرة والمجاحدة، وذلك غير متصوَّر في العادة، في خلق لا يتصوَّر عليهم التواطؤ على الخطأ. ثمَّ لو كان الخلاف ممَّا يمنع من كونه علمًا ضروريًّا، لكان خلاف السوفسطائيَّة في حصول العلم بالمحسوسات، ممَّا يخرجه عن كونه علمًا ضروريًّا، وهو خلاف مذهب السمنيَّة.

وما بعده، ينظر: الأحكام، الآمديّ: ٢/ ١٤.

وما هو اعتذارهم في خلاف السوفسطائيَّة في العلم بالمحسوسات، يكون عذرًا لنا في خلافهم لنا في المتواترات.

(١) نهج الحقِّ وكشف الصدق، العلَّامة الحِلِّيّ: ١٤٢: إنَّ الأنبياء معصومون: ذهبت الإماميَّة كافَّة إلى أنَّ الأنبياء معصومون عن الصغائر والكبائر، ومنزَّهون عن المعاصي قبل النبوَّة وبعدها، على سبيل العمد، والنسيان، وعن كلِّ رذيلة ومنقصة، وما يدلُّ على الخسَّة والضِّعة، وخالفت الأشاعرة في ذلك، وجوَّزوا عليهم المعاصي.

(٢) فإن قيل بما علمتم أنَّه ادَّعى النبوَّة وظهر المعجز على يده؟ فالجواب: علمنا ذلك بالتواتر، فإنَّه لا يشكُّ أحد في أنَّ رجلًا اسمه محمَّد بن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف ظهر بمكَّة، وأدَّعى النبوَّة.

وأمَّا ظهور المعجز على يده ﷺ، فأكثر من أن يُحصى، حتَّى ضبط المسلمون له ألف معجزة، من جملتها القرآن، وانشقاق القمر، وحنين الجذع، ونبوع الماء من بين أصابعه، وختم الحصا في كفِّه، وشكاية البعير، وسلام الغزالة، وكلام الذئب، وكلام الذراع المسمومة، وإشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، وإحياء الميت، والإخبار بالغيب، وأمثال ذلك.

فإن قيل: ما الدَّليل على أنَّ كلَّ من أدَّعى النبوَّة، وظهر المعجز على يده، فهو نبيّ؟ فالجواب: هذه مقدَّمة ضروريَّة لا تفتقر إلى دليل، لكنَّا ننبِّه عليها، فنقول: المعجز فعل الله تعالى، وهو قائم مقام=

التكليف[1]، بدليل أنَّ الناس متى كان لهم رئيس مهيب، متصرِّف، مبسوط اليد، كلَّما كانوا إلى الصلاح أقرب، وعن الفساد أبعد، وهذا معلوم ضرورة[2].

=التصديق، ومن صدقه الله تعالى، فهو صادق؛ لاستحالة أن يصدق الله الكذَّاب.

فإن قيل: هذا النبيّ الذي أثبتموه معصوم أم لا؟.

فالجواب: معصوم من أوَّل عمره إلى آخره، عن السهو والنسيان والذنوب الكبائر والصغائر، عمدًا وسهوًا.

فإن قيل: ما حدُّ العصمة؟.

فالجواب: العصمة لطفٌ يفعله الله تعالى بالمكلَّف، بحث يمتنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة، مع قدرته عليهما.

فإن قيل: ما الدليل على أنَّه معصوم من أوَّل عمره إلى آخره؟.

فالجواب: الدَّليل على ذلك أنَّه لو عهد منه في سالف عمره سهو أو نسيان؛ لارتفع الوثوق عن إخباراته، ولو عهد منه خطيئة؛ لنفرت العقول من متابعته، فتبطل فائدة البعثة.

ينظر: النكت الاعتقاديَّة، الشيخ المفيد: ٣٦.

(١) تقريب المعارف، أبو الصلاح الحلبيّ: ١٥٠: وهذا اللطف لا يتمُّ إلَّا بوجود رئيس أو رؤساء لا يد على أيديهم، ترجع إليه أو إليهم الرئاسات، ولا يكون كذلك إلَّا بكونه معصومًا، لأنَّا قد بيَّنا وجوب استصلاح كلِّ مكلَّف غير معصوم بالرئاسة، فاقتضى ذلك وجوب رجوع الرئاسات إلى رئيس معصوم، وإلَّا اقتضى وجود ما لا يتناها من الرؤساء، أو الاخلال بالواجب في عدله تعالى، وكِلَاها فاسد.

ولنا تحرير الدلالة على وجهٍ آخر، فنقول: العلم بوجوب الحاجة إلى رئيس لا ينفصل من العلم بوجه الحاجة، لأنَّا إنَّما علمنا حاجة المكلَّفين إلى رئيس من حيث وجدناه لطفًا في فعل الواجب، واجتناب القبيح، وهذا لا يتقدَّر إلَّا في مَن ليس بمعصوم، فصار العلم بالوجوب لا ينفصل من العلم بوجهه.

(٢) الاقتصاد، الشيخ الطوسيّ: ١٨٣: إنَّه قد ثبت أنَّ الناس متى كانوا غير معصومين، ويجوز منهم الخطأ، وترك الواجب، إذا كان لهم رئيس مُطاع، منبسط اليد، يردع المعاند، ويؤدِّب الجاني، ويأخذ على يد السفيه والجاهل، وينتصف للمظلوم من الظالم، كانوا إلى وقوع الصلاح وقلَّة الفساد أقرب، ومتى خَلَوا من رئيس على ما وصفناه، وقع الفساد، وقلَّ الصلاح، ووقع الهرج والمرج، وفسدت المعايش.=

والإمام يجب أن يكون معصومًا؛ لأنَّه لو لم يكن كذلك، احتاج إلى إمامٍ آخر، وذلك يؤدِّي إلى القول بأئمَّة لا نهاية لهم، وهو مُحال[١].

ويجب أن يكون حاويًا صفات الكمال بأسرها؛ لقبح تقديم المفضول على الفاضل[٢]،

=وفي الأرشاد، الشيخ المفيد: ٢/ ٣٤٢: على ذلك ما يقتضيه العقل بالاستدلال الصحيح، من وجود إمام معصومٍ كاملٍ، غنيٍّ عن رعاياه في الأحكام والعلوم، في كلِّ زمان؛ لاستحالة خلوِّ المكلَّفين من سلطانٍ يكونون بوجوده أقرب إلى الصلاح، وأبعد من الفساد، وحاجة الكلِّ من ذوي النقصان إلى مؤدِّبٍ للجناة، مقوِّمٍ للعصاة، رادع للغواة، معلِّمٍ للجهَّال، منبِّهٍ للغافلين، محذِّرٍ من الضَّلال، مقيم للحدود، منفِّذٍ للأحكام، فاصل بين أهل الاختلاف، ناصبٌ للأمراء، سادٍّ للثغور، حافظٍ للأموال، حامٍ عن بيضة الإسلام، جامعٍ للناس في الجمعات والأعياد.

(١) الاقتصاد، الشيخ الطوسيّ: ١٨٩: يجب أن يكون الإمام معصومًا من القبائح، والإخلال بالواجبات؛ لأنَّه لو لم يكن كذلك، لكانت علَّة الحاجة قائمة فيه إلى إمامٍ آخر؛ لأنَّ النَّاس إنَّما احتاجوا إلى إمامٍ؛ لكونهم غير معصومين، ومحالٌ أن تكون العلَّة حاصلة، والحاجة مرتفعة؛ لأنَّ ذلك نقص العلَّة.

ولو احتاج إلى إمام، لكان الكلام فيه كالكلام في الإمام الأوَّل، وذلك يؤدِّي إلى وجود أئمَّة لا نهاية لهم، أو الانتهاء إلى إمام معصوم، ليس من ورائه إمام، وهو المطلوب.

وإنَّما قلنا: إنَّ علَّة الحاجة هي ارتفاع العصمة؛ لأنَّ الذي دلَّنا على الحاجة دلَّنا على جهة الحاجة؛ ألا ترى أنَّ دليلنا في وجوب الرئاسة، هو أنَّ الفساد تقلُّ عند وجوده وانبساط سلطانه، وتكثر الصلاح، وذلك لا يكون إلَّا ممَّن ليس بمعصوم؛ لأنَّهم لو كانوا معصومين، لكان الصَّلاح شاملا أبدًا، والفساد مرتفعًا، فلم يحتج إلى رئيس يعلِّل ذلك. فبانَ أنَّ علَّة الحاجة هي ارتفاع العصمة، ويجب أن تكون مرتفعة عن الإمام، وإلَّا أدَّى إلى ما بيَّنَّا فساده، وليس يلزم على ذلك عصمة الأمراء والحكَّام، وإن كانوا رؤساء؛ لأنَّهم إذا لم يكونوا معصومين، فلهم رئيس معصوم، وقد أشرنا إليه، فلم ينتقض علينا، والإمام لا إمام له، ولا رئيس فوق رياسته، فلذلك وجبَ أن يكون معصومًا.

(٢) رسائل المرتضى، الشريف المرتضى: ٣/ ٢٠: وأوجب في الإمام عصمته؛ لأنَّه لو لم يكن كذلك، لكانت الحاجة إليه فيه، وهذا يتناهى من الرؤساء، والانتهاء إلى رئيس معصوم.

وواجب أن يكون أفضل من رعيَّته وأعلم، لقُبح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه في العقول، فإذا وجبت عصمته، وجبَ النَّصُّ من الله تعالى عليه، وبطل اختيار الإمامة؛=

ويجبُ أن يكون منصوصًا عليه؛ لعدم العلم بمن هذه صفته إلَّا لعلَّام الغيوب، أو يظهر على يده معجز يدلُّ على صدقه[1].

=لأنَّ العصمة لا طريق للأنام إلى العلم بمَن هو عليها.

(١) ومن حقِّ المبعوث أن يكون معصومًا فيما يؤدِّيه من المصالح والمفاسد، من حيث كان تجويز الخطأ عليه في شيء من ذلك عن سهو أو عمد، ترفع الثقة بشيء ممَّا جاء به، ويمنع من امتثاله؛ لوقوف الامتثال على علم المكلَّف، كون ما أمرَ به صلاحًا، وما نهى عنه فسادًا، وتجويز الخطأ عليه يرفع الثقة بشيء ممَّا أتى به، فوجب لذلك القطع على عصمته فيما يؤدِّيه، ولهذا الاعتبار أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء عليهم السلام في الأداء، لعلمهم بأنَّ تجويز الخطاء فيه يُسقِط فرض الشرائع فعلًا وتركًا.

ومن حقِّه أن يكون معصومًا من جميع القبائح، صغائرها وكبائرها؛ لأنَّ تجويز القبيح عليه يقتضي التنفير عنه؛ لأنَّ من علم مواقعًا للقبيح، أو جوَّز عليه ذلك، تنفر النفوس عن اتِّباعه، ولا تسكن إليه سكونها إلى من لا يجوز منه القبيح، إذا كان الغرض في بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله العمل بما يأتي به، وكان ذلك فرعًا لصدقه الموقوف على النَّظر في معجزة المتعلِّق بحصول داعٍ إليه، وجبَ تنزيهه عن كلِّ شيءٍ نفر عنه.

ولهذا الاعتبار نزَّهه الكلُّ عن الفظاظة والغلظة والجنون والجذام والبرص، وإن كان ذلك حسنًا، من حيث كان مقتضيًا للتنفير عنه، وله وجب تنزيهه عن كفر الآباء وخساستهم في الناس، وعهر الأزواج من حيث كان المرء يعيَّر بكفر آبائه وخساستهم، وأنَّ رتبة من تسأله الفضلاء الأبرار في النفوس، بخلاف رتبة من تسأله الفجَّار وذوو الدنائة.

ولذلك نجد العقلاء يتمدَّحون بفضل آبائهم، وعلوِّ قدرهم، ويذمُّون من تسأله الأراذل، ويصغِّرون به، وإن كان فاضلًا، وكذلك الحكم في عهر الأزواج، وكونه غاضًّا من قدر أزواجهنَّ بغير شبهة، وإذا وجب تنزيههم عليهم السلام مِن كلِّ منفِّر، وإن كان حسنًا، فأولى بالتنزيه المنفِّر القبيح.

وأيضًا فإنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله يستحقُّ التعظيم على الإطلاق، والاستخفاف به كفر، ولو كان ممَّن يصحُّ منه القبيح لوجه، توجَّه الاستخفاف إليه متى أوقعه، وكونه مستحقًا لمطلق التعظيم، مانع من ذلك، فاقتضى هذا الاعتبار أن لا يبعث الله تعالى من يعلم من حاله إيثار شيء من القبيح؛ لقبح تحريم الاستخفاف والحكم بكفر فاعله، مع وجوب فعله.

ولا طريق إلى معرفته إلَّا ظهور المعجز عليه، أو نصّ من علم صدقه عليه، لتعلُّق دعوته بما لا يعلمه إلَّا القديم سبحانه، فيجب وقوف تصديقه عليه سبحانه، ولا أمر يصحُّ كونه برهانًا من قِبَله تعالى على صدقه، إلَّا فعل مختصّ بمقدوره تعالى، ينوب مناب قوله تعالى، صدق هذا=

=علي فيما يؤدِّيه عنِّي مختصٌّ بدعوته أو دعوة من نصَّ على نبوَّته، إذ لا فرق في تصديق من أدَّعى الإرسال من بعض الملوك الحكماء بين أن يقول: صدقَ هذا المدعي، أو يفعل ما يجعله دلالة على صدقه ممَّا لم تجرِ عادته به وكذلك حكم النصِّ المدلول على صدقه في كونه نائبًا مناب التصديق بنفس القول أو الفعل الخارق للعادة.

ويفتقر المعجز الدَّالُّ على صدق المدَّعي إلى شروطٍ ثلاثة:

أحدها: أن يكون خارقًا للعادة.

وثانيها: أن يكون مختصًّا بمقدوراته سبحانه.

وثالثها: أن يكون متعلِّقًا بدعواه.

واعتبرنا الشرط الأوَّل؛ لأنَّ المعتاد، وإن كان مختصًّا به سبحانه، كخلق الولد عند الوطي، ونبات الحبّ عند الحرث والسقي، وطلوع الشمس من المشرق، لا يقف على مدَّعٍ ولا يميِّز صادقًا من كاذب، ومن شرط المعجز الإبانة، وطريق ذلك اعتبار ما جرت العادة به، وكون الحادث خارجًا عنها، كفلْق البحر، وحمل الجبل، وقلب العصا حيَّة.

واعتبرنا الشرط الثاني؛ لأنَّ مَن عداه سبحانه يصحُّ منه إيثار القبيح، فلا يؤمن منه تصديق الكذَّاب، وبعثة الصادق بالمفاسد، وذلك مانع من اتِّباع الداعي، وطريق العلم بذلك أن يكون الخارق للعادة ممَّا يختصُّ جنسه بمقدوره، كالجواهر والحياة وغيرهما.

واعتبرنا الشرط الثالث؛ لأنَّه لو تكامل الشرطان، ولم يتعلَّق الحادث بدعوة مدَّعٍ معيَّن لم يكن مدَّعٍ بالتصديق أولى من مدَّعٍ، من حيث علمنا أنَّه لو حدث في السماء أو في الأرض حادث لم تجرِ العادة به ممَّا يختصُّ القديم سبحانه بالقدرة عليه، غير متعلِّق بدعوة مدَّعٍ، لم يصحَّ من أحد أن يجعله دلالة؛ لعدم التعلُّق بينه وبين كلِّ مدَّعٍ، وطريق العلم بالمعجزة المشاهدة، والخبر المعلوم صحَّته؛ لاستناده إلى قول صادق لا يجوز كذبه أو تواتر، وهو على ضربَين:

أحدهما: بسبق العلم بمخبره لحال النَّظر في صفات ناقله، كوجود بغداد والبصرة، ووجود بدر وحنين وصفِّين والجمل، وما هذه حاله يجري مجرى العلم الحاصل بالمدرك في البعد عن الشبهة، وإن اختلف الطريقان.

والضرب الثاني: من التواتر، هو ما يقف العلم به على العلم بصدق ناقليه، وإنَّما يعلم صدقهم لتعذُّر الكذب عليهم، وإنَّما يعلم ذلك من واحد وجهَين:

أحدهما: بشاهد الحال، كالجماعة التي تنقل ركوب الأمير أو قتل الوزير على صفة لا يصلح معها اتِّفاق ولا تواطؤ، وهذا الضرب من التواتر لا يفتقر إلى بلوغ الناقلين حدًّا متواترة، من الكثرة وتنائي الديار، بل كلُّ مَن تأمَّله علِم صحَّة المخبِر عنه، وإن لم يبلغوا عشرة.=

=**الثاني**: أن يبلغوا حدًّا من الكثرة، واختلاف الدواعي، وتنائي الدِّيار، ينقلون لفظًا واحدًا عن معروف غير ملتبس، كنقل الناقلين من المسلمين معجزات نبيِّنا ﷺ، ومن الشيعة النصّ الجليّ من حيث علمنا أنَّ مثل هذَين الفريقَين، مع ما نجد كلّ فريق منها عليه من الكثرة، وتنائي الديار، وتباين الأغراض، لا يصحُّ فيهم افتعال لفظٍ واحدٍ على جهة الاتِّفاق، كما لا يصحُّ لكلِّ شاعر من إقليم واحد أن ينظم بيتًا من الشعر، فيتَّفق لكلِّ شاعر فيه، والتواطؤ بالاجتماع في مكانٍ واحدٍ فرع لثبوت التعارف بينهم، وقد علم ارتفاعه ممَّن ذكرناه من ناقلي الفريقَين، ولو وقع؛ لارتفع الريب فيه؛ لأنَّ أهل البلاد المتباعدة، وذوي الأغراض المتباينة، إذا رحلوا من أماكنهم إلى مكانٍ واحدٍ ليبرموا أمرًا، لم يخفَ ذلك من حالهم على أحد عَنِي بالأخبار.

وكثرة هؤلاء الناقلين بعدُ قلَّة، يجوز منهم لها الافتعال، يمنع منه سببان:

أحدهما: إنَّ النقل الذي بينَّا صِدق ناقله يتضمَّن أمرَين.

الأوَّل: لفظ الخبر، **والثاني**: صفة المنقول عنه، فما له آمنا الكذب في أحد الأمرَين، يجب أن نأمنه في الآخرة.

وثانيهما: عدم العلم بأعيان مفتعله وزمانه، كالعلم بابتداء الخوارج، والقول بالمنزلة بين المنزلَتَين، ونحلة النَّجار والأشعري وابن كرام.

فمتى عري النقل من الأوصاف المذكورة التي يصحُّ معها الكذب والصدق، ثبت صدق الناقلين، وإن كان الأمر بخلاف ذلك، تعذر العلم بصدق الناقلين، ووجب الحكم على خبرهم بكونه واحدًا يصحُّ دخول الصدق والكذب فيه، وإن كثر الناقلون، فإن كانوا ينقلون عن طبقة أخرى، وجب أن يثبت لها ما ثبت لهذه من الصفة التي يتعذَّر معها الكذب، ثمَّ هكذا حال كلِّ طبقة تنقل عن أخرى، قلُّوا أم كثروا، وذلك فرع العلم بأعيان الأزمنة المتَّصلة بالمنقول حاله كلّ زمان فيه ناقلون، لا يجوز عليهم الكذب.

وقلنا ذلك؛ لأنَّ الجهل بالزمان يقتضي الجهل بمن فيه، والعلم بالزمان مع الجهل بمن فيه، ومن أعيان الناقلين يمنع من القطع باتِّصال الطبقات في النقل، وتجويز انقطاعه يرفع الثقة بصحَّته.

فمتى علم ظهور المعجز على يد مدَّعي الإرسال من أحد الطرق المذكورة، وجب النظر فيه؛ لحصول الخوف الشديد بتركه، ومتى يفعل مكلَّف النظر فيه ما يجب عليه منه بشروطه، ينكشف له حال الصادق المصدق، من الكاذب المخرق، ولا طريق إلى نبوَّة أحد من الأنبياء إلَّا من جهة نبيِّنا محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ؛ لانسداد طريق العلم باتِّصال أعيان الأزمنة، مشتملة على متواترين بمعجزاتهم من الآن وإلى حين دعوتهم، وتعذُّر العلم بصحتها من دون ذلك، بحسب ما دلَّلنا عليه.=

فصل الإمامة

والإمام[1] بعد النَّبيّ صلى الله عليه وآله، عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ لحصول النَّصِّ عليه من الله بقوله

=وهذا برهانٌ واضحٌ على سقوط فرض العمل بشرائعهم، إذ لو كان تكليفا ثابتًا؛ لوجب أن يكون لمكلّفها طريقٌ إلى العلم بها، لقُبح تكليف العمل، مع تعذُّر العلم به.

والدلالة على نبوَّته صلى الله عليه وآله من وجهَين: **أحدهما**: القرآن المعلوم ضرورة اختصاصه به، **والآخر**: المعجزات الخارجة عنه.

ينظر: الكافي، أبو الصلاح الحلبيّ: ٦٧. وأيضًا: النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر: العلّامة الحِلِّيّ: ٩٣ وما بعدها.

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ٢٠٣، محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن الحسن ابن محبوب، عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام، في خطبة له يذكر فيها حال الأئمَّة عليهم السلام وصفاتهم: **إنَّ الله عزّ وجلّ أوضح بأئمَّة الهدى من أهل بيت نبيِّنا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أمَّة محمَّد صلى الله عليه وآله واجب حقِّ إمامه، وَجَد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى نصب الإمام علمًا لخلقه، وجعله حجَّةً على أهل مواده وعالمه، وألبسه الله تاج الوقار، وغشَّاه من نور الجبَّار، يمدُّ بسببٍ إلى السَّماء، ولا ينقطع عنه موادَّه، ولا ينال ما عند الله إلَّا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلَّا بمعرفته، فهو عالم بما يردُ عليه من ملتبسات الدُّجى ومعميَّات السُّنن، ومشبهات الفتن، فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كلِّ إمام، يصطفيهم لذلك ويجتبيهم، ويرضى بهم لخلقه ويرتضيهم، كلُّ ما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إمامًا، علما بيِّنًا، وهاديًا نيِّرًا، وإمامًا قيِّمًا، وحجَّةً عالمًا، أئمَّة من الله يهدون بالحقِّ وبه يعدلون، حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد، وتستهلُّ بنورهم البلاد، وينمو ببركتهم التلاد، جعلهم الله حياةً للأنام، ومصابيح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها.**

فالامام: هو المنتجب المرتضى، والهادي المنتجى، والقائم المترجى، اصطفاه الله بذلك، واصطنعه=

=على عينه في الذرِّ حين ذرأه، وفي البريَّة حين برأه، ظلًّا قبل خلق نسمة عن يمين عرشه، محبوًّا بالحكمة في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، وانتجبه لطهره، بقيَّة من آدم عليه السلام، وخيرة من ذريَّة نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل، وصفوة من عترة محمَّد صلى الله عليه وآله، لم يزل مرعيًّا بعين الله، يحفظه ويكلؤه بستره، مطرودًا عنه حبائل إبليس وجنوده، مدفوعًا عنه وقوب الغواسق ونفوث كلِّ فاسق، مصروفًا عنه قوارف السُّوء، مبرءًا من العاهات، محجوبًا عن الآفات، معصومًا من الزلَّات، مصونًا عن الفواحش كلِّها، معروفًا بالحلم والبرِّ في يفاعه، منسوبًا إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسندًا إليه أمر والده، صامتًا عن المنطق في حياته.

فإذا انقضت مدَّة والده إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته، وجاءت الإرادة من الله فيه إلى محبَّته، وبلغ منتهى مدَّة والده عليه السلام، فمضى وصار أمر الله إليه من بعده، وقلَّده دينه، وجعله الحجَّة على عباده، وقيِّمه في بلاده، وأيَّده بروحه، وآتاه علمه، وأنبأه فصل بيانه، واستودعه سرَّه، وانتدبه لعظيم أمره، وأنبأه فضل بيان علمه، ونصبه علمًا لخلقه، وجعله حجَّةً على أهل عالمه، وضياءً لأهل دينه، والقيِّم على عباده، رضي الله به إمامًا لهم، استودعه سأرَّه، واستحفظه علمه، واستخبأه حكمته، واسترعاه لدينه، وانتدبه لعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحيُّر أهل الجهل، وتحيير أهل الجدل، بالنُّور الساطع، والشفاء النافع، بالحقِّ الأبلج، والبيان اللائح من كلِّ مخرج، على طريق المنهج، الَّذي مضى عليه الصَّادقون من آبائه عليهم السلام، فليس يجهل حقَّ هذا العالم إلَّا شقيّ، ولا يجحده إلَّا غوي، ولا يصدُّ عنه إلَّا جريٌّ على الله جلَّ وعلا.

البرسيّ في مشارق الأنوار، عن طارق بن شهاب، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: **يا طارق، الإمام كلمة الله، وحجَّة الله، ووجه الله، ونور الله، وحجاب الله، وآية الله، يختاره الله، ويجعل فيه ما يشاء، ويوجِب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه، فهو وليُّه في سماواته وأرضه، أخذ له بذلك العهد على جميع عباده، فمن تقدَّم عليه كفر بالله من فوق عرشه، فهو يفعل ما يشاء، وإذا شاء الله شاء.**

ويكتب على عضده: وتمَّت كلمة ربِّك صدقًا وعدلًا، فهو الصِّدق والعدل، وينصب له عمود من نور من الأرض إلى السَّماء، يرى فيه أعمال العباد، ويلبس الهيبة وعلم الضمير، ويطَّلع على الغيب، ويرى ما بين المشرق والمغرب، فلا يخفى عليه شيء من عالم الملك والملكوت، ويُعطى منطق الطير عند ولايته.=

=فهذا الَّذي يختاره الله لوحيه، ويرتضيه لغيبه، ويؤيِّده بكلمته، ويلقِّنه حكمته، ويجعل قلبه مكان مشيَّته، وينادى له بالسلطنة، ويذعن له بالإمرة، ويُحكم له بالطاعة؛ وذلك لأنَّ الإمامة ميراث الأنبياء، ومنزلة الأصفياء، وخلافة الله، وخلافة رسل الله، فهي عصمة وولاية وسلطنة وهداية، وإنَّه تمام الدِّين ورجح الموازين.

الإمام دليلٌ للقاصدين، ومنارٌ للمهتدين، وسبيل السالكين، وشمسٌ مشرقةٌ في قلوب العارفين، ولايته سببٌ للنجاة، وطاعته مفترَضة في الحياة، وعدَّة بعد الممات، وعزّ المؤمنين وشفاعة المذنبين ونجاة المحبين وفوز التابعين؛ لأنّها رأس الأسلام وكمال الايمان ومعرفة الحدود والأحكام، وتبيين الحلال من الحرام، فهي مرتبة لا ينالها إلَّا من اختاره الله وقدَّمه وولَّاه وحكَّمه.. إلى أن يقول:

والإمام يجب أن يكون عالمًا لا يجهل، وشجاعًا لا ينكل، لا يعلو عليه حسَب، ولا يدانيه نسَب، فهو في الذروة من قريش، والشرف من هاشم، والبقيَّة من إبراهيم، والنهج من النبع الكريم، والنفس من الرسول، والرضى من الله، والقول عن الله.

فهو شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، عالم بالسياسة، قائم بالرياسة، مفترَض الطاعة إلى يوم الساعة، أودع الله قلبه سرَّه، وأطلق به لسانه، فهو معصوم موفق، ليس بجبان ولا جاهل، فتركوه يا طارق، واتَّبعوا أهواءهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ سورة القصص: ٥٠.

والإمام يا طارق بشر ملكيّ، وجسد سماويّ، وأمرٌ إلهيّ، وروحٌ قدسيّ، ومقامٌ عَلِيّ، ونورٌ جليّ، وسرٌّ خفيّ، فهو ملكيّ الذات، إلهيّ الصفات، زائد الحسنات، عالم بالمغيَّبات خصَّا من ربِّ العالمين، ونصًّا من الصادق الأمين.

وهذا كلُّه لآل محمَّد، لا يشاركهم فيه مشارك؛ لأنّهم معدن التنزيل، ومعنى التأويل، وخاصَّة الرَّبِّ الجليل، ومهبط الأمين جبرئيل، صفوة الله وسرّه وكلمته، شجرة النبوَّة، ومعدن الصفوة، عين المقالة، ومنتهى الدلالة، ومحكم الرسالة، ونور الجلالة، جنب الله ووديعته، وموضع كلمة الله ومفتاح حكمته، ومصابيح رحمة الله وينابيع نعمته، السبيل إلى الله، والسلسبيل، والقسطاس المستقيم، والمنهاج القويم، والذِّكر الحكيم، والوجه الكريم، والنور القديم، أهل التشريف والتقويم والتقديم والتعظيم والتفضيل، خلفاء النَّبيِّ الكريم، وأبناء الرؤوف الرحيم، وأمناء العليِّ العظيم، ذريَّة بعضها من بعض، والله سميع عليم.

السنام الأعظم، والطريق الأقوم، مَن عرفهم وأخذ عنهم فهو منهم، وإليه الإشارة بقوله:=

تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[1].

هذه الآية نزلت في عليّ عليه السلام بإجماع الأمَّة[2].

=﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ سورة إبراهيم: ٣٦، خلقهم الله من نور عظمته، وولَّاهم أمر مملكته، فهم سرُّ الله المخزون، وأولياؤه المقرَّبون، وأمره بين الكاف والنون، إلى الله يدعون، وعنه يقولون، وبأمره يعملون.

علمُ الأنبياء في علمهم، وسرُّ الأوصياء في سرِّهم، وعزُّ الأولياء في عزِّهم، كالقطرة في البحر، والذرَّة في القفر، والسماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته، يعرف ظاهرها من باطنها، ويعلم برّها من فاجرها، ورطبها ويابسها؛ لأنَّ الله علَّم نبيَّه علم ما كان وما يكون، وورث ذلك السرَّ المصون الأوصياء المنتجبون، ومن أنكر ذلك فهو شقيٌّ ملعون، يلعنه الله، ويلعنه اللاعنون، وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض؟.

ينظر: مشارق أنوار اليقين، للحافظ رجب البرسيّ: ١٧٤.

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٢/ ٢٠٨، قال: باب النصوص على إمامته عليه السلام، فصل، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ اجتمعت الأمَّة أنَّ هذه الآية نزلت في عليّ عليه السلام، لـمَّا تصدَّق بخاتمه وهو راكع، لا خلافَ بين المفسِّرين في ذلك.

ذكره الثعلبيّ والماورديّ والقشيريّ والقزوينيّ والرازيّ والنيسابوريّ والفلكيّ والطوسيّ والطبريّ في تفاسيرهم، عن السديّ ومجاهد والحسن والأعمش وعتبة بن أبي حكيم وغالب بن عبد الله وقيس بن الربيع وعباية الربعيّ وعبد الله بن عبَّاس وأبي ذرٍّ الغفاريّ، وذكره ابن البيع في معرفة أصول الحديث، عن عبد الله عبيد الله بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، والواحديّ في أسباب نزول القرآن، عن الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبَّاس، والسمعانيّ في فضايل الصحابة عن حميد الطويل عن أنس، وسلمان بن أحمد في معجمه الأوسط عن عمَّار، وأبو بكر البيهقيّ في المصنَّف، ومحمَّد الفتَّال في التنوير، وفي الروضة عن عبد الله بن سلَّام وأبي صالح والشعبيّ ومجاهد، وزرارة بن أعين عن محمَّد بن عليّ، والنطنزيّ في الخصايص عن ابن عبَّاس، والإبانة عن الفلكيّ عن جابر الأنصاريّ، وناصح التميميّ وابن عبَّاس، والكلبيّ في روايات مختلفة الألفاظ متَّفقة المعاني، وفي أسباب النزول عن الواحديّ: إنَّ عبد الله ابن سلَّام أقبل ومعه نفر من قومه، وشكَوا بعد المنزل عن المسجد، وقالوا: إنَّ قومنا لـمَّا رأونا أسلمنا، رفضونا ولا يكلِّمونا=

=ولا يجالسونا ولا يناكحونا، فنزلت هذه الآية، فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المسجد، فرأى سائلا، فقال: **هل أعطاك أحدٌ شيئًا؟** قال: نعم، خاتم فضَّة. وفي رواية خاتم ذهب، قال: **من أعطاكه؟** قال: أعطانيه هذا الراكع.

تفسير الثعلبيّ، في رواية أبي ذر: إنَّ السائل قال: اللَّهمَّ اشهد أنِّي سألت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يعطني أحد شيئًا، وكان عليّ عليه السلام راكعًا، فأومى بخنصره اليمنى، فأقبل السائل حتَّى أخذه من خنصره، وذلك بعين رسول الله، فلمَّا فرغ رسول الله من صلاته، رفع رأسه إلى السماء، وقال: **اللهمَّ إنَّ أخي موسى سألك، فقال:** ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ إلى قوله: ﴿قَوْلِي﴾ سورة طه: ٢٥، **فأنزلت عليه قرآنًا:** ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ سورة القصص: ٣٥، **اللهمَّ وأنا محمَّد نبيّك وصفيّك، اللهمَّ اشرح لي صدري، ويسِّر لي أمري، واجعل لي وزيرًا من أهلي، عليًّا أشدُد به ظهري.** قال أبو ذر: فوالله ما استتمَّ رسول الله صلى الله عليه وآله الكلمة، حتَّى نزل جبريل من عند الله، فقال: يا محمَّد اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال أقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ..﴾ الآية.

الأمالي: الشيخ الصدوق: ١٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام: أنَّ رهطًا من اليهود أسلموا، منهم عبد الله ابن سلَّام وأسيِّد وثعلبة وبنيامين وسلام وابن صوريا، فقالوا: يا رسول الله إنَّ موسى أوصى إلى يوشع ابن نون، فمن وصيّك يا رسول الله؟ ومَن ولَّيت بعدك؟ فنزلت هذه الآية، ثمَّ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: **قوموا**، فقاموا، فأتوا المسجد، فإذا السَّائل خارج، فقال: **يا سائل ما أعطاك أحد شيئًا؟** قال: نعم، هذا الخاتم، قال: **من أعطاكه؟** قال: أعطانيه ذلك الرَّجل الذي يصلِّي. قال: **على أي حالٍ أعطاك؟** قال: راكعًا، فكبَّر النبيّ، وكبَّر أهل المسجد، فقال صلى الله عليه وآله: **عليّ بن أبي طالب وليّكم بعدي**، فقالوا: رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمَّد نبيًّا وبعليّ وليًّا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ..﴾ سورة المائدة: ٥٦.

فروي عن عمر بن الخطَّاب: لقد تصدَّقت بأربعين خاتمًا وأنا راكع؛ لينزل فيَّ ما نزل في عليّ بن أبي طالب، فما نزل.

كتاب أبي بكر الشيرازيّ: أنَّه لمَّا سأل السائل، وضعها عليه السلام على ظهره، إشارة إليه أن ينزعها، فمدَّ السائل يده ونزع الخاتم من يده، ودعا له، فباهى الله تعالى ملائكته بأمير المؤمنين، وقال: **ملائكتي أما ترون عبدي، جسده في عبادتي، وقلبه معلَّق عندي، وهو يتصدَّق بماله طلبًا لرضاي، أُشهدكم أنِّي رضيت عنه وعن خَلَفِهِ** (يعنى ذريَّته)، ونزل جبرئيل بالآية.

وفي المصباح: تصدَّق به يوم الرَّابع والعشرين من ذي الحجَّة، وفي رواية أبي ذر: كان عليه السلام في=

وبنصِّ النّبيّ صلى الله عليه وآله عليه السلام[1].

=صلاة الظهر، وروي أنَّه كان في نافلة الظهر. مصباح المتهجِّد، الشيخ الطوسيّ: ٧٥٨.

ورواه أيضًا في روضة الواعظين: الفتال النيسابوري: ١٠٢.

الكافي: جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: لمَّا نزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ..﴾، اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد المدينة، وقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ قال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية كفرنا بسايرها، وإن آمنَّا فإنَّ هذا ذلٌّ، حين يسلِّط علينا عليَّ بن أبي طالب، فقالوا: قد علمنا أن محمَّدًا صادق فيما يقول، ولكن نتولَّاه ولا نُطيع عليًّا فيما أمرنا، فنزل: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾، يعني: ولاية محمَّد، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ سورة النحل: ٨٣، بولاية علي.

ورواه في كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكيّ: ١٥٦.

المواقف: الإيجيّ: ٣/ ٦١٤: والوليُّ إما المتصرِّف، أي: الأولى والأحقُّ بالتصرُّف، كوليِّ الصبيّ والمرأة، وأمَّا المحبُّ والناصر تقليلًا للاشتراك في لفظ الوليّ، وأيضًا لم يعهد له في اللغة معنى ثالث، والناصر غير مراد في هذه الآية؛ لعموم النصرة والمحبَّة في حقِّ كلِّ المؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ سورة التوبة: ٧١، أي بعضهم محبُّ بعض وناصره، فلا يصحُّ حصرها بكلمة إنَّما في المؤمنين الموصوفين بالصِّفة المذكورة في الآية، فهو المتصرِّف، والمتصرِّف في الأمَّة هو الإمام، وقد أجمع أئمَّة التفسير على أنَّ المراد بالذين يقيمون الصلاة إلى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، عليٌّ، فإنَّه كان في الصلاة راكعًا، فسأله سائل، فأعطاه خاتمه، فنزلت الآية، وللإجماع على أنَّ غيره، كأبي بكر مثلًا، غير مراد، فتعيَّن أنَّه المراد، فتكون الآية نصًّا في إمامته.

وذكره القمِّيّ عليّ بن إبراهيم في تفسيره: ١/ ١٧٠. وتفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسيّ: ٣/ ٣٥٩. وجامع البيان: ابن جرير الطبريّ: ٦/ ٣٨٩.

(١) المسلك في أصول الدِّين، المحقِّق الحِلِّيّ: ٢٢١.

الدليل الرابع: أنَّ الإماميَّة نُقِلت نقلًا متواترًا عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنَّه نصَّ على عليّ عليه السلام بالإمامة نصًّا جليًّا.

فيكون إمامًا، أمَّا أنَّه صلى الله عليه وآله نصَّ على عليٍّ عليه السلام، فلأنَّ الإماميَّة نقلت من صريح الألفاظ ما اتَّفق معناها على النصِّ عليه عليه السلام، نقلًا يزيد عن عدد التواتر، فيكون القدر المشترك بين تلك الأخبار متواتر، وذلك: كقوله صلى الله عليه وآله: يوم الدَّار: **أنت أخي ووزيري ووصيِّي وخليفتي من بعدي.**

وروي عن ابن عبَّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله، إنَّه قال: **قال لي ربِّي جلَّ جلاله، لمَّا عرَّج بي إلى السَّماء:=**

=يا محمَّد هلَّا اتَّخذت من الآدميِّين وزيرًا وأخًا ووصيًّا من بعدك؟ فقلت: ومن أتَّخذ؟ فأوحى الله جلَّ جلاله: يا محمَّد قد اخترت لك من الآدميِّين عليّ بن أبي طالب.

وعن جعفر بن محمَّد عليه السلام: عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنَّه قال: أوحى إليَّ ربِّي جلَّ جلاله، فقال: يا محمَّد إنِّي اطَّلعت إلى الأرض اطِّلاعة، فاخترتك منها، فجعلتك نبيًّا، ثمَّ اطَّلعت الثانية، فاخترت منها عليًّا، وجعلته وصيَّك وخليفتك وزوج ابنتك.

وعن جابر بن عبد الله، قال: لمَّا نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، قلت: يا رسول الله، عرفت الله ورسوله، فمن أولوا الأمر الذين قرنَ الله طاعتهم بطاعتك، فقال صلى الله عليه وآله: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي، أولهم علي بن أبي طالب.

وعن عبد الرحمان بن سمرة الأسديّ، قال: قلت: يا رسول الله أرشدني إلى النَّجاة، قال: يا بن سمرة إذا اختلفت الأهواء، وتفرَّقت الآراء، فعليك بعليّ بن أبي طالب، فإنَّه إمام أمَّتي وخليفتي من بعدي، وهو الفاروق الذي يميِّز بين الحقِّ والباطل.

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الله اطَّلع إلى الأرض اطِّلاعة، فاختارني منها، فجعلني نبيًّا، واطَّلع ثانيةً، فاختار منها عليًّا، ثمَّ أمرني أن أتَّخذه أخًا ووصيًّا وخليفةً ووزيرًا، فعليٌّ منِّي وأنا من عليّ.

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: خرج علينا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويده في يد ابنه الحسن عليه السلام، وهو يقول: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله، ويدي في يده هكذا، وهو يقول: خير الخلق بعدي وسيِّدهم أخي هذا، وهو إمام كلِّ مسلم، وأمير كلِّ مؤمن بعد وفاتي، ألا وإنِّي أقول: إنَّ خير الخلق بعدي وسيِّدهم ابني هذا، وهو إمام كلِّ مسلم، ومولى كلِّ مؤمن بعد وفاتي.

وعن سلمان الفارسيّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: إنَّ الله اطَّلع إلى الأرض اطِّلاعة فاختار منها أباك، ثمَّ اطَّلع اطِّلاعة ثانية فاختار منها زوجك، فأوحى إليَّ أن أزوِّجك إيَّاه، وأن أتَّخذه وليًّا ووزيرًا، وأن أجعله خليفتي في أمَّتي، فأبوك خير الأنبياء، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أوَّل من يلحق بي من أهلي.

وعن عبد الله بن جعفر، قال: كنَّا عند معاوية، ثمَّ ذكر حديثًا جرى بينه وبين معاوية، فإنَّه قال لمعاوية: سمعت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: إنِّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قال: فشهد بذلك الحسن، والحسين، وعبد الله بن عبَّاس، وعمر بن أبي سلمة، وأسامة بن زيد.

وعن أنس بن مالك في خبر طويل، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوحى الله إليَّ: يا محمَّد، إنِّي اطَّلعت=

= إلى الأرض اطِّلاعة فاخترتك منها، فجعلتك نبيًّا، ثمَّ اطَّلعت ثانيًا فاخترت منها عليًّا، فجعلته وصيَّك، ووارث علمك، والإمام بعدك.

وعن أبي هريرة، قال: دخلت على رسول الله ﷺ، وقد نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فقرأها علينا رسول الله ﷺ، ثمَّ قال: أنا المنذر، أتعرفون الهادي؟ قلنا: لا يا رسول الله، قال صلوات الله عليه: هو خاصف النعل، فطولت الأعناق، إذ خرج علينا عليّ صلوات الله عليه وآله من بعض الحجر، وبيده نعل رسول الله ﷺ، ثمَّ التفت إلينا، فقال: أَلَا إِنَّه المبلِّغ عنِّي، والإمام بعدي، وزوج ابنتي، وأبو سبطيَّ، فنحن أهل البيت، أذهب الله عنا الرِّجس، وطهَّرنا من الدَّنَس.

وعن زيد بن أرقم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ عليه السلام: أنت الإمام والخليفة بعدي.

وعن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لمَّا عرج بي إلى السَّماء، وبلغت سدرة المنتهى، ناداني ربي عزَّ وجلَّ: يا محمَّد، قلت: لبَّيك سيِّدي، قال: إنِّي ما أرسلت رسولًا فانقضت أيَّامه، إلَّا قام بالأمر من بعده وصيُّه، فاجعل عليّ بن أبي طالب الإمام والوصيّ بعدك، فإنِّي خلقتكما من نورٍ واحد.

وعن الزبير، وقد سُئِل عمَّا سمع من رسول الله ﷺ في عليّ عليه السلام، قال: سمعته يقول: علي مع الحقّ والحقّ معه، وهو الإمام والخليفة بعدي، يُقاتل على التأويل، كما قاتلت على التنزيل. وعن عمَّار بن ياسر، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، وقتَل عليّ بن أبي طالب أصحاب الألوية، وفرَّق جمعهم، أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إنَّ عليًّا قد جاهد في الله حقَّ جهاده، فقال: لأنَّه منِّي وأنا منه، وإنَّه وارث علمي، وقاضي ديني، ومنجز وعدي، والخليفة بعدي، حربه حربي، وحربي حرب الله، وسلمه سلمي، وسلمي سلم الله.

عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت عمران بن حصين يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ ابن أبي طالب عليه السلام: أنت وارث علمي، وأنت الإمام والخليفة بعدي.

وعن حذيفة بن اليمان، في جملة خبر، قلت: يا رسول الله، على من تخلفنا ؟ قال: على مَن خلّف موسى بن عمران قومه؟ فقلت: على وصيِّه يوشع بن نون، قال: فإنِّ وصيي وخليفتي من بعدي عليّ بن أبي طالب قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله.

وغير ذلك من الأحاديث التي لو استقصيناها؛ لكانت أضعاف ما نقلنا، وإنَّما قلنا إنَّ الناقلين لهذه الأخبار بالغون إلى حدِّ التواتر، فلأنَّ من اتَّبع الإنصاف، واطَّرح العناد، يعرف أنَّ طائفة الإماميَّة مالؤون الآفاق والأصقاع، فقهاء وشعراء وأدباء ومتكلِّمين، وأشياع من أتباع كلّ=

النصّ الجليّ المنقول بالتواتر يوم الدار(١).

=صنف ما لا يضبطهم عدد لبشر، ولا ينتهي بهم حصر الحاصر، ثمَّ هم بأجمعهم تارةً ينقلون لفظًا متَّفقًا، وهو النصُّ عليه عليه السلام، من غير تعيين لفظ، وتارةً ينفرد كلُّ جماعة منهم بنقل ألفاظ تشترك في التنصيص الصَّريح، وكلُّ واحدٍ منهما يكفي في كونه متواترًا، فإذا ثبت أنَّه صلى الله عليه وآله نصَّ على عليّ عليه السلام بالإمامة، وجبَ القول بكونه إمامًا.

(١) فيما ذكرناه من الأخبار، ما تواتر بنقله الخاصَّة والعامَّة، ومنها ما تواترت به الشيعة، وضامها على نقله بعض أصحاب الحديث. فالأوَّل: خبر الدَّار، وهو: جمع النبيّ صلى الله عليه وآله لبني هاشم أربعين رجلًا، فيهم من يأكل الجذعة، ويشرب الفرق، ويصنع لهم فخذ شاة بمدٍّ من قمح، وصاع من لبن، فأكلوا بأجمعهم وشربوا، والطَّعام والشراب بحاله. ثمَّ خطبهم، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: **إنَّ الله تعالى أرسلني إليكم يا بني هاشم خاصة وإلى النّاس عامة، فأيكم يوازرني على هذا الأمر وينصرني، يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي والخليفة من بعدي؟**.

فأمسك القوم، وقام عليّ عليه السلام فقال: **أنا أوازرك يا رسول الله على هذا الأمر**، فقال: **أجلس، فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي والخليفة من بعدي**، وقد أطبق النَّاقلون من الفريقَين على هذا كنقلهم المعجزات، إذ كان من جملتها إطعام الخلق الكثير باليسير من الطعام، وهو هذا اليوم، وكلُّ من روى هذا المقام روى القصَّة كما شرحناها.

وأيضًا فقد أجمع علماء القبلة على يوم الدَّار وطريق العلم به النقل، وكلُّ نقل ورد به منقول على ما ذكرناه من النصِّ على عليّ عليه السلام بالاخوَّة والوصيَّة والوزارة وشدِّ الأزر والخلافة من بعده، فلحق هذا التفصيل بتلك الجملة، إذ جحده جحد لها.

ومن ذلك: أمره لأصحابه بالتسليم على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين في غير مقام، وقد تناصر الخبر المتواتر بذلك من طريقَي الشيعة وأصحاب الحديث. مَن تأمَّل النقل وجد ذلك ظاهرًا في العامَّة.

وقد قيل في ذلك أشعار معلوم إضافتها إلى قائليها، كأشعار الشعراء في الجاهليَّة والإسلام.

فمنه: قول حسَّان بن ثابت يوم الراية: وكان عليّ أرمد العين يبتغي دواء، فلمَّا لم يحس مداويًا إلى قوله: «فأصفى بها دون البريَّة كلِّها عليًّا)، وسمَّاه الوزير المواخيا، والوزارة في عُرف النبوَّة خلافة بغير إشكال، بدليل قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾، أي: خليفةً وإمامًا باتِّفاق المفسِّرين.

ولأنَّ اللفظ الذي تضمَّن الوزارة والأخوَّة هو اللفظ الذي تضمَّن الخلافة، وإنَّما اقتصر على ذِكر بعض المنطوق به؛ اختصارًا وتعويلًا على علم السامع.

ومنه: قول بريدة الأسلميّ، وقد ركز رايته في بني أسلم، وقال: لا أبايع إلَّا من أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أسلِّم عليه بإمرة المؤمنين.

وبقول النبيّ صلى الله عليه وآله، له عليه السلام: **أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى ألَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**[1].

ومن جملة منازل هارون من موسى الإمامة[2].

وبقوله صلى الله عليه وآله: **من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**[3]، والإمام بعد عليّ عليه السلام ولده الحسن عليه السلام،

(١) الأمالي، الطوسيّ: ٢٥٣، والشافي في الإمامة، الشريف المرتضى: ٣/ ٥، وذخائر العقبى، أحمد ابن عبد الله الطبريّ: ٦٣، ومعاني الأخبار، الصدوق: ٧٤، والكافي، الكلينيّ: ٨/ ١٠٧، والطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ابن طاووس: ٥٣، ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٢/ ٣٣، والمسترشد، محمَّد بن جرير الطبريّ (الشيعيّ): ٣٣٥، والفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، ابن الصبَّاغ: ١/ ٢٢٨.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٧٤.

حدَّثنا الحسن بن محمَّد بن سعيد الهاشميّ بالكوفة، قال: حدَّثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، قال: حدَّثنا محمَّد بن عليّ بن معمَّر، قال: حدَّثنا أحمد بن عليّ الرَّمليّ، قال: حدَّثنا محمَّد ابن موسى، قال: حدَّثنا يعقوب بن إسحاق المروزيّ، قال: حدَّثنا عمرو بن منصور، قال: حدَّثنا إسماعيل بن أبان، عن يحيى بن كثير، عن أبيه، عن أبي هارون العبديّ، قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاريّ عن معنى قول النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: **أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**، قال: استَخلَفه بذلك والله على أمَّته في حياته، وبعد وفاته، وفرض عليهم طاعته، فمن لم يشهد له بعد هذا القول بالخلافة، فهو من الظالمين.

حدَّثنا أحمد بن الحسن القطَّان، قال: حدَّثنا الحسن بن عليّ بن الحسين السكريّ، قال: أخبرنا محمَّد بن زكريَّا، قال: حدَّثنا جعفر بن محمَّد بن عمارة، عن أبيه، عن أبي خالد الكابليّ، قال: قيل لسيِّد العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام: إنَّ النَّاس يقولون إنَّ خير النَّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ عليّ عليه السلام. قال: **فما يصنعون بخبر رواه سعيد بن المسيّب، عن سعد ابن أبي وقاص، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال لعليّ عليه السلام: أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**.

(٣) ذكره في معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٦٥، والإرشاد، الشيخ المفيد: ١/ ٣٥١، وتفسير فرات الكوفيّ (فرات بن إبراهيم الكوفيّ): ١٣٠، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ٦/ ٢٨٢، والكافي، الشيخ الكلينيّ: ١/ ٤٢٠.

والمصادر التي تقول بذلك، ومناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، وما نزل من القرآن في عليّ عليه السلام: أبي بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهانيّ: ٢٣١ والأمالي، الشيخ الصدوق: ١٨٥، وقرب=

بنصِّ أبيه عليه السلام عند وفاته.

وبنصّ النَّبي صلَّى الله عليه وعلى أخيه الحسين عليهما السلام[١].

بقوله صلى الله عليه وآله: **ولداي هذان إمامان، قاما أو قعدا، صمتا أو نطقا.**

والأمام بعد الحسن عليه السلام أخوه الحسين، بنصِّ أخيه عليه عند وفاته[٢].

وبهذا النصّ المذكور عن النبيّ صلى الله عليه وآله عليهما، وبنصِّ النبيّ أيضًا عليه بقوله: **ولدي هذا إمام ابن إمام، أخو إمام، أبو أئمَّة تسعة، تاسعهم قائمهم**، وهذا بعينه دليل على إمامة التِّسعة من ولده[٣].

وصحيفة جابر[٤] الأنصاريّ تعيِّن أسماءَهم.

=الإسناد، الحميريّ القمِّيّ: ٥٧، وذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبريّ: ٦٧، وينابيع المودَّة لذوي القربى، القندوزيّ: ١/ ١٠٨.

(١) الكافي، الشيخ الكلينيّ: ١/ ٢٨٦، وتقريب المعارف، أبو الصلاح الحلبيّ: ١٨٢، وكمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الجليل الأقدم الصدوق: ١/ ٩٦، والفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، ابن الصبَّاغ: ٢/ ١٠٣٣، والمحتضر، حسن بن سليمان الحِلِّيّ: ٢٦٦، والهداية، الشيخ الصدوق: ٣٠، وكفاية الأثر، الخزَّاز القمِّيّ: ٧.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسيّ: ١٥٩، وكفاية الأثر، الخزَّاز القمِّيّ: ٢٢٣.

(٣) الكافي، الشيخ الكلينيّ: ١/ ٢٨٦، إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسيّ: ١/ ٤٢١، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ١٤١.

(٤) ينظر: معجم رجال الحديث، السيِّد الخوئيّ: ٤/ ٣٣٠، ابن رئاب (رباب) السلميّ: سكن المدينة، روى عن أنس حديثَين، كنيته أبو ياسر، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

ابن عمرو (عمر) بن حزام (حرام): نزل المدينة، شهد بدرًا وثماني عشرة غزوة مع النبيّ صلى الله عليه وآله، مات سنة ٧٨هـ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، رجال الشَّيخ.

وذكره مع توصيفه بالأنصاريّ المدنيّ العربيّ (العرنيّ) الخزرجيّ، في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وفي أصحاب الحسن عليه السلام، وفي أصحاب الحسين عليه السلام، وفي أصحاب السجَّاد عليه السلام، وفي أصحاب الباقر عليه السلام، قائلًا: أبو عبد الله الأنصاريّ، صحابيّ.

وعدَّه البرقيّ في أصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام،=

ونصُّ كلِّ واحدٍ منهم على ولده أيضًا، دليلٌ على أمامته[1].

=ومن شرطة خميسه، ومن أصحاب الحسنَين والسجَّاد والباقر عليهم السلام.

(١) الكافي، الشيخ الكلينيّ: ١/ ٥٢٧.

محمَّد بن يحيى ومحمَّد بن عبد الله، عن عبد الله بن جعفر، عن الحسن بن ظريف وعليّ بن محمَّد، عن صالح بن أبي حمَّاد، عن بكر بن صالح، عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاريّ: إنَّ لي إليك حاجة، فمتى يخفُّ عليك أن أخلو بك، فأسألك عنها، فقال له جابر: أي الأوقات أحببته، فخلا به في بعض الأيَّام، فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الَّذي رأيته في يد أمِّي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وما أخبرتك به أمِّي أنَّه في ذلك اللوح مكتوب؟.**

فقال جابر: أشهد بالله أنِّي دخلت على أمِّك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهنَّيتها بولادة الحسين، ورأيت في يديها لوحًا أخضر، ظننت أنَّه من زمرُّد، ورأيت فيه كتابًا أبيض، شبه لون الشَّمس، فقلت لها: بأبي وأمِّي يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ما هذا اللوح؟ فقالت:

هذا لوح أهداه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابنيَّ واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليبشِّرني بذلك، قال جابر: فأعطتنيه أمُّك فاطمة عليها السلام، فقرأته واستنسخته، فقال له أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه عليَّ، قال: نعم، فمشى معه أبي إلى منزل جابر، فأخرج صحيفة من رق، فقال: يا جابر أنظر في كتابك لأقرأ [أنا] عليك، فنظر جابر في نسخته، فقرأه أبي فما خالف حرفٌ حرفًا، فقال جابر: فأشهد بالله أنِّي هكذا رأيته في اللوح مكتوبًا.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، هذا كتابٌ من الله العزيز الحكيم لمحمَّد نبيِّه ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند ربِّ العالمين، عظِّم يا محمَّد أسمائي، واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، إنِّي أنا الله إله إلَّا أنا، قاصم الجبَّارين، ومديل المظلومين، وديَّان الدين، إنِّي أنا الله لا إله إلَّا أنا، فمن رجَا غير فضلي، أو خاف غير عدلي، عذَّبته عذابًا لا أعذِّبه أحدًا من العالمين، فإيَّاي فاعبد، وعليَّ فتوكَّل، إنِّي لم أبعث نبيًّا فأكملت أيَّامه، وانقضت مدَّته، إلَّا جعلت له وصيًّا، وإنِّي فضَّلتك على الأنبياء، وفضَّلت وصيَّك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك وسِبطيك حسن وحسين، فجعلت حسنًا معدن علمي، بعد انقضاء مدَّة أبيه، وجعلت حسينًا خازن وحيي، وأكرمته بالشَّهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشُّهداء درجة، جعلت كلمتي التَّامَّة معه، وحجَّتي البالغة عنده، بِعترَته أثيب وأعاقب، أوَّلهم عليّ سيِّد العابدين، وزين أوليائي الماضين، وابنه شبه جدِّه المحمود، محمَّد البَّاقر علمي، والمعدن لحكمتي=

وقول النبيّ صلى الله عليه وآله: خلَّفت فيكم الثَّقلَين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان، لن يفترقا حتَّى يردا عليّ الحوض[١].

والأمَّة بين قائلَين: قائل يقول بصحَّة الأمامة بالاختيار[٢].

=سيهلك المرتابون في جعفر، الرَّادُّ عليه كالرَّادِّ عليَّ، حقَّ القول منِّي لأكرمن مثوى جعفر ولاسرنَّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، أتيحت بعده موسى فتنة عمياء حندس؛ لأنَّ خيط فرضي لا ينقطع، وحجَّتي لا تخفى، وأنَّ أوليائي يُسقَون بالكأس الأوفى، من جحد واحدًا منهم فقد جحد نعمتي، ومَن غيَّر آية من كتابي فقد افترى عليَّ، ويلٌ للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدَّة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في عليٍّ وليِّي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوَّة، وأمتحنه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر، يُدفَن في المدينة الَّتي بناها العبد الصالح إلى جنب شرِّ خلقي، حقَّ القول منِّي لأسرنَّه بمحمَّد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه، فهو معدن علمي، وموضع سرِّي، وحجَّتي على خلقي، لا يؤمن عبد به إلَّا جعلت الجنَّة مثواه، وشفَّعته في سبعين من أهل بيته كلُّهم قد استوجبوا النَّار، وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليِّي وناصري، والشَّاهد في خلقي، وأميني علي وحيي، أُخرج منه الدَّاعي إلى سبيلي، والخازن لعلمي الحسن، وأكمل ذلك بابنه (م ح م د) رحمة للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيُّوب، فيذلُّ أوليائي في زمانه، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيُقتلون ويُحرقون ويكونون خائفين، مرعوبين، وجِلين، تُصبَغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرَّنا في نسائهم، أولئك أوليائي حقًّا، بهم أدفع كلَّ فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل، وأدفع الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربِّهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون.

قال عبد الرحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك إلَّا هذا الحديث؛ لكفاك، فصنهُ إلَّا عن أهله.

وينظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصَّدوق: ٢/ ٤٨، الإمامة والتبصرة، ابن بابويه القمِّيّ: ١٠٣، إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسيّ: ٢/ ١٧٤.

(١) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق: ١/ ٢٦٦، مع مقدِّمة عن هذا الحديث، وينظر: ينابيع المودَّة، القندوزيّ: ١/ ١٢٣. كنز العمَّال، المتَّقي الهنديّ: ١/ ١٨٧، السرائر، ابن إدريس الحِلِّيّ: ٢/ ٦٧٩.

(٢) ينظر: الفصول المختارة، الشريف المرتضى: ٥٧، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، الباقلَّانيّ: ٤٦٧.

وقائل يقول بالنصِّ والعصمة [١].

وكلُّ مَن قال بالعصمة والنصِّ، قال: إنَّ الأئمَّة هؤلاء[٢].

فالقول بالعصمة والنصِّ، وأنَّ الأئمَّة عبر هؤلاء، وقول ثالث يبطله الإجماع.

وقد ثبت وجوب اعتبار النصِّ والعصمة، فتعيَّن القول بأمامتهم، وإلَّا خرج الحقُّ عن الأمَّة[٣].

وغيبة الإمام حسنة؛ لأنَّها من فعله، وهو معصوم[٤]، ولا تخلو؛ إمَّا أن يكون شأنها

(١) ينظر: إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسيّ: ١-٢.

(٢) ينظر: الاقتصاد، الشيخ الطوسيّ: ٢٣٢.

(٣) تقدَّم بيانه.

(٤) أصلان موضوعان للغيبة: الإمامة والعصمة.

وبيان هذه الجملة: إنَّ العقل قد دلَّ على وجوب الإمامة، وإنَّ كلَّ زمان كُلِّف فيه المكلَّفون الَّذين يجوز منهم القبيح والحسن، والطاعة والمعصية لا يخلو من إمام، وأنَّ خلوَّه من إمام إخلال بتمكينهم، وقادح في حسن تكليفهم.

ثمَّ دلَّ العقل على أنَّ ذلك الإمام لا بدَّ من كونه معصومًا من الخطأ والزلل، مأمونًا منه فعل كلِّ قبيح.

وليس بعد ثبوت هذَين الأصلَين (إلَّا إمامة) من تشير الإماميَّة إلى إمامته، فإنَّ الصفة الَّتي دلَّ العقل على وجوبها، لا توجد إلَّا فيه، ويتعرَّى منها كلُّ من تُدعى له الإمامة سواه، وتنساق الغيبة بهذا سوقًا حتَّى لا تبقى شبهة فيها.

وهذه الطريقة أوضح ما اعتمد عليه في ثبوت إمامة صاحب الزَّمان، وأبعد من الشبهة.

فإنَّ النَّقل بذلك، وإن كان في الشيعة فاشيًا، والتواتر به ظاهرًا، ومجيؤه من كلِّ طريق معلومًا، فكلُّ ذلك يمكن دفعه وإدخال الشبهة فيه، الَّتي يحتاج في حلِّها إلى ضروب من التكليف.

والطريقة الَّتي أوضحناها بعيدة من الشبهات، قريبة من الأفهام.

وبقي أن ندلَّ على صحَّة الأصلَين اللَّذين ذكرناهما:

أصل وجوب الإمامة: أمَّا الَّذي يدلُّ على وجوب الإمامة في كلِّ زمان؛ فهو مبني على الضَّرورة، ومركوز في العقول الصحيحة، فإنَّا نعلم علمًا، لا طريق للشكِّ عليه ولا مجال، أنَّ وجود الرئيس المطاع المهيب مدبِّرًا ومتصرِّفًا أردع عن القبيح، وأدعى إلى الحسن، وأنَّ التهارج بين النَّاس=

من الله أو منه، أو من النَّاس، لا جابر أن تكون من الله؛ لأنَّه لا يفعل قبيحًا، ولا منه لهذه

=والتَّباغي إمَّا أن يرتفع عند وجود من هذه صفته من الرؤساء، أو يقل وينزر، وأنَّ النَّاس عند الأهمال وفقد الرؤساء وعدم الكبراء يتتابعون في القبيح، وتفسد أحوالهم، وينحلُّ نظامهم.

وهذا أظهر وأشهر من أن يدلَّ عليه، والإشارة فيه كافية.

وما يسأل عن هذا الدَّليل من الأسئلة قد استقصيناه وأحكمناه في الكتاب الشافي؛ فليرجع فيه إليه عند الحاجة.

أصل وجوب العصمة (وأمَّا الَّذي يدلُّ على وجوب عصمة الإمام)؛ فهو أنَّ علَّة الحاجة إلى الإمام هي أن يكون لطفًا للرعيَّة في الامتناع من القبيح، وفعل الواجب على ما اعتمدناه ونبَّهنا عليه.

فلا يخلو من أن تكون علَّة الحاجة إليه ثابتة فيه، أو تكون مرتفعة عنه.

فإن كانت موجودة فيه، فيجب أن يحتاج إلى إمام كما احتيج إليه؛ لأنَّ علَّة الحاجة لا يجوز أن تقتضيها في موضع دون آخر؛ لأنَّ ذلك ينقض كونها علَّة.

والقول في إمامته كالقول فيه في القسمة التي ذكرناها.

وهذا يقتضي إمَّا الوقوف على إمام ترتفع عنه علَّة الحاجة، أو وجود أئمَّة لا نهاية لهم، وهو محال.

فلم يبقَ بعد هذا إلَّا أنَّ علَّة الحاجة إليه مفقودة فيه، ولن يكون ذلك إلَّا وهو معصوم، ولا يجوز عليه فعل القبيح.

ينظر: المقنع في الغيبة، الشريف المرتضى: ١/ ٣٤.

انحصار الإمام في الغائب: وإذا بطلت إمامة من أُثبتت له الإمامة بالاختيار، والدَّعوة في هذا الوقت لأجل فقد الصفة الَّتي دلَّ العقل عليها، (وبطل قول من راعى هذه الصفة في غير صاحبنا؛ لشذوذه) وانقراضه، فلا مندوحة عن مذهبنا، ولا بدَّ من صحَّته، وإلَّا خرج الحقُّ عن جميع أقوال الأمَّة.

علَّة الغيبة والجهل بها: فأمَّا الكلام في علَّة الغيبة وسببها، والوجه الَّذي يحسنها فواضح، بعد تقرُّر ما تقدَّم من الأصول؛ لأنَّا إذا علمنا بالسياقة الَّتي ساق إليها الأصلان المتقرِّران في العقل، أنَّ الإمام ابن الحسن عليهما السلام دون غيره، ورأيناه غائبًا عن الأبصار، علمنا أنَّه لم يغِب، مع عصمته، وتعيُّن فرض الإمامة فيه وعليه، إلَّا لسبب اقتضى ذلك، ومصلحة استدعته، وضرورة قادت إليه، وإن لم يعلم الوجه على التفصيل والتعيين؛ لأنَّ ذلك ممَّا لا يلزم علمه.

وجرى الكلام في الغيبة ووجهها وسببها، على التفصيل، مجرى العلم بمراد الله تعالى من الآيات=

الحجَّة أيضًا، فلم يبق ألَّا أن يكون من النَّاس، والسبب فيها الخوف على النَّفس، فمتى

=المتشابهة في القرآن، الَّتي ظاهرها بخلاف ما دلَّت عليه العقول، من جَبرٍ أو تشبيهٍ أو غير ذلك.

فكما أنَّا ومخالفينا لا نوجِب العلم المفصَّل بوجوه هذه الآيات وتأويلها، بل نقول كلُّنا: إنَّا إذا علمنا حكمة الله تعالى، وإنَّه لا يجوز أن يخبر بخلاف ما هو عليه من الصفات، علمنا- على الجملة- أن لهذه الآيات وجوهًا صحيحة بخلاف ظاهرها، تطابق مدلول أدلَّة العقل، وإن غاب عنَّا العلم بذلك مفصَّلًا، فإنَّه لا حاجة بنا إليه، ويكفينا العلم على سبيل الجملة، بأنَّ المراد بها خلاف الظاهر، وأنَّه مطابق العقل.

فكذلك لا يلزمنا ولا يتعيَّن علينا العلم بسبب الغيبة، والوجه في فقد ظهور الإمام على التفصيل والتعيين، ويكفينا في ذلك علم الجملة الَّتي تقدَّم ذكرها، فإن تكلَّفنا وتبرَّعنا بذكره، فهو فضلٌ منَّا.

كما أنَّه من جماعتنا فضل وتبرُّع إذا تكلَّفنا ذِكر الوجوه المتشابه، والأغراض فيه على التعيين.

الجهل بحكمة الغيبة لا ينافيها، ثمَّ يقال للمخالف في الغيبة: (أتجوز أن يكون للغيبة) وجه صحيح اقتضاها، ووجه من الحكمة استدعاها، أم لا تجوز ذلك؟.

فإن قال: أنا لذلك مجوِّز.

قيل له: فإذا كنت له مجوِّزا، فكيف جعلت وجود الغيبة دليلًا على أنَّه لا إمام في الزمان، مع تجويزك أن يكون للغيبة سبب لا ينافي وجود الإمام؟!

وهل تجري في ذلك إلَّا مجرى من توصَّل بإيلام الأطفال إلى نفي حكمة الصانع تعالى، وهو معترف بأنَّه يجوز أن يكون في إيلامهم وجهٌ صحيحٌ لا ينافي الحكمة.

أو مجرى من توصَّل بظواهر الآيات المتشابهات إلى أنَّه تعالى مشبِّه للأجسام، وخالق لأفعال العباد، مع تجويزه أن يكون لهذه الآيات وجوه صحيحة لا تنافي العدل، والتوحيد، ونفي التشبيه.

وإن قال: لا أجوِّز أن يكون للغيبة سبب صحيح موافق للحكمة، وكيف أجوِّز ذلك، وأنا أجعل الغيبة دليلًا على نفي الإمام الَّذي تدَّعون غيبته؟!.

قلنا: هذا تحجُّر منك شديد، فيما لا يحاط بعلمه، ولا يقطع على مثله.

فمن أين قلت: إنَّه لا يجوز أن يكون للغيبة سبب صحيح يقتضيها؟!.

ومن هذا الَّذي يحيط علمًا بجميع الأسباب والأغراض حتَّى يقطع على انتفائها؟!.

وما الفرق بينك وبين من قال: لا يجوز أن يكون للآيات المتشابهات وجوه صحيحة تطابق أدلَّة=

زال الخوف ظهر.

والله الموفِّـق للصواب، تمَّت والحمـد للهِ ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله الطاهرين.

=العقل، ولا بدَّ من أن تكون على ما اقتضته ظواهرها؟!.

فـإن قلـت: الفرق بيني وبين من ذكرتـم أنَّني أتمكَّن من أن أذكر وجوه هذه الآيات المتشـابهات ومعانيها الصحيحة، وأنتم لا تتمكَّنون من ذِكر سبب صحيح للغيبة!.

قلنـا: هـذه المعارضة إنَّما وجَّهناها على من يقـول: إنَّه غير محتاج إلى العلم عـلى التفصيل بوجوه الآيات المتشابهات وأغراضها، وإنَّ التعاطي لِذكر هذه الوجوه فضل وتبرُّع، وإنَّ الكفاية واقعة بالعلم بحكمة القديم تعالى، وإنَّه لا يجوز أن يخبر عن نفسه بخلاف ما هو عليه.

وإذا كنَّـا قـد وعدنـا بأن نتبرَّع بذكر سـبب الغيبـة عـلى التفصيـل، وإن كان لا يلزمنا، ولا يخل الإضراب عـن ذكـره بصحَّة مذاهبنـا، فنحن نفعـل ذلك ونتبعه بالأسـئلة التي تسـأل عليها، ونجيب عنها.

فإن كان كلُّ هذا فضلًا منا، اعتمدناه اسـتظهارًا في الحجَّة، وإلَّا فالتمسُّـك بالجملة المتقدِّمة مُغنٍ كافٍ.

الغيبة استتارًا من الظلمة: أمَّا سبب الغيبة، فهو إخافة الظالمين لهعليه السلام، وقبضهم يده عن التصرُّف فيـما جعل إليه التصرُّف والتدبير له؛ لأنَّ الإمام إنَّما ينتفع به إذا كان ممكَّنًا، مطاعًا، مخلى بينه وبين أغراضه، ليقوِّم الجناة، ويحارب البغاة، ويقيم الحدود، ويسدّ الثغور، وينصف المظلوم من الظالم، وكلُّ هذا لا يتمُّ إلَّا مع التمكين، فإذا حيل بينه وبين مراده، سقط عنه فرض القيام بالإمامة، فإذا خاف على نفسه، وجبت غيبته، ولزم استتاره.

ومن هذا الَّذي يلزم خائفًا- أعداؤه عليه، وهم حنقون- أن يظهر لهم، وأن يبرز بينهم؟!.

والتحرُّز من المضارِّ واجب عقلًا وسمعًا. وقد استتر النبيّصلى الله عليه وآله في الشِّعب مرَّة، وأخرى في الغار، ولا وجه لذلك إلَّا الخوف من المضارِّ الواصلة إليه.

المصدر السابق: ٥١. وينظر أيضًا: الغيبة، الشيخ الطوسيّ: ١/ ٣٨.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. نهج البلاغة الشريف.

٢. الإرشاد، الشَّيخ المفيد، تحقيق، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية.

٣. إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسيّ، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى.

٤. السيِّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، حقَّقه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات.

٥. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، الشَّيخ الطوسيّ، منشورات مكتبة جامع چهلستون، طهران.

٦. الأمالي، الشَّيخ الطوسيّ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، الطبعة الأولى.

٧. الأمالي، الشَّيخ الصَّدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، الطبعة الأولى.

٨. الإمامة والتبصرة، ابن بابويه القمِّيّ، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدَّسة.

٩. أمل الآمل، الحرُّ العامليّ، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، مكتبة الأندلس، شارع المتنبِّي، بغداد.

١٠. البحار، العلَّامة محمَّد باقر المجلسيّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان.

١١. تفسير الأمام العسكريّ عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى محقَّقة، ربيع الأوَّل، ١٤٠٩هـ.

١٢. تفسير القمِّيّ، عليّ بن إبراهيم القمِّيّ، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: السيِّد طيِّب الموسويّ الجزائريّ، الطبعة الثالثة، صفر، ١٤٠٤هـ.

١٣. تفسير فرات الكوفيّ (فرات بن إبراهيم الكوفيّ)، تحقيق: محمَّد الكاظم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٤. تفسير مجمع البيان، الشَّيخ الطبرسيّ، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقِّقين الأخصَّائيِّين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٥. تقريب المعارف، الشيخ أبو الصلَّاح تقي بن نجم الحلبيّ، تحقيق: فارس تبريزيان الحسُّون، ١٤١٧هـ.ق/ ١٣٧٥هـ.ش.

١٦. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، الباقلَّانيّ، تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافيَّة، مؤسَّسة الكتب الثقافيَّة.

١٧. التوحيد، الشَّيخ الصَّدوق، صحَّحه وعلَّق عليه: السيِّد هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة في قم المقدَّسة.

١٨. جامع البيان، ابن جرير الطبريّ، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطَّار، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٩. نهج الحقِّ وكشف الصدق، الحسن بن يوسف المطهَّر الحِلِّيّ، علَّق عليه: الشَّيخ عين الله الحسنيّ الأرمويّ، قدَّم له: السيِّد رضا الصدر، من منشورات دار الهجرة، إيران، قم.

٢٠. الحكمة المتعالية في الأسفار العقليَّة الأربعة، صدر الدين الشيرازيّ، على نفقة شركة دار المعارف الإسلاميَّة في مطبعة قم.

٢١. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراونديّ، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، بإشراف: السيِّد محمَّد باقر الموحِّد الأبطحيّ، الطبعة الأولى، ذي الحجَّة، ١٤٠٩هـ.

٢٢. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الحافظ محب الدين الطبريّ، عن نسخة دار الكتب المصريَّة، ونسخة الخزانة التيموريَّة، عنيت بنشره: مكتبة القدسيّ لصاحبها حسام الدين القدسيّ، بالقاهرة، ١٣٥٦هـ.

٢٣. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، العلامة الشَّيخ آقا بزرگ الطهرانيّ، دار الأضواء، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٤. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى، تحقيق وتقديم: السيِّد أحمد الحسينيّ، دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ.

٢٥. روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، منشورات الرضيّ، قم، إيران.

٢٦. كتاب السرائر، الشيخ ابن إدريس الحِلِّيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، الطبعة الثانية.

٢٧. الشافي في الإمامة، الشريف المرتضى، مؤسَّسة الصادق، طهران، الطبعة الثانية، مؤسَّسة إسماعيليان، قم.

٢٨. شرح أصول الكافي، للمولى محمَّد صالح المازندرانيّ، ضبط وتصحيح: السيِّد عليّ عاشور، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

٢٩. شرح المصطلحات الفلسفيَّة، مجمع البحوث الإسلاميَّة.

٣٠. شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازانيّ، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣١. الصحيح من سيرة النَّبي صلى الله عليه وآله، السيِّد جعفر مرتضى، الطبعة الرابعة، ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٩٩٥م/ ١٤١٥هـ.

٣٢. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيِّد رضي الدين أبي القاسم عليّ بن موسى بن طاووس الحِلِّيّ، الطبعة الأولى، مطبعة الخيام، قم ١٣٩٩هـ.

٣٣. الطليعة من شعراء الشيعة، الشيخ محمَّد السماويّ، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١.

٣٤. عيون أخبار الإمام الرِّضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلميّ، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٣٥. الأمالي، الشيخ محمَّد بن الحسن الطوسيّ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٦. الغيبة، الشيخ محمَّد بن الحسن الطوسيّ، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهرانيّ،

والشيخ عليّ أحمد ناصح، مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، قم المقدَّسة، الطبعة الأولى.

٣٧. الفصول المختارة، الشريف المرتضى، تحقيق: السيِّد عليّ مير شريفي، دار المفيد طباعة- نشر- توزيع، ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٨. الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، علي بن محمَّد أحمد المالكيّ المكِّيّ الشهير بابن الصبَّاغ، حقَّقه ووثَّق أصوله وعلَّق عليه: سامي الغريري.

٣٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناويّ، ضبطه وصحَّحه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٤٠. الكافي في الفقه، أبو الصلاح الحلبيّ، تحقيق: رضا أستادي، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام العامَّة.

٤١. الكافي، الشَّيخ محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ ش.

٤٢. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الحسن بن يوسف المطهَّر (العلَّامة الحِلِّيّ)، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم.

٤٣. كفاية الأثر في النصِّ على الأئمَّة الاثني عشر، أبو القاسم عليّ بن محمَّد بن عليّ الخزَّاز القمِّيّ الرازيّ، حقَّقه: السيِّد عبد اللطيف الحسينيّ الكوه كمريّ الخوئيّ، انتشارات بيدار، قم.

٤٤. كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق بن بابويه القمِّيّ، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، بقم المشرَّفة، إيران.

٤٥. كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، للعلَّامة علاء الدين عليّ المتَّقي الهنديّ، ضبطه وفسَّر غريبه: الشيخ صفوة السقَّا، مؤسَّسة الرسالة، بيروت.

٤٦. كنز الفوائد، أبو الفتح محمَّد بن عليّ الكراجكِّيّ، الطبعة الثانية.

٤٧. المحتضر، الشيخ عز الدين أبو محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحِلِّيّ، تحقيق: سيِّد عليّ أشرف، انتشارات المكتبة الحيدريَّة، ١٣٨٢/ ١٤٢٤هـ.

٤٨. مسألة في الإرادة، الإمام الشيخ المفيد محمَّد بن محمَّد النعمان ابن المعلم أبي عبد الله، العكبريّ البغداديّ، الطبعة الثانية.

٤٩. المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، العلَّامة الحافظ حمد ابن جرير بن رستم الطبريّ الإماميّ، تحقيق: الشيخ أحمد المحموديّ، مؤسَّسة الثقافة الإسلاميَّة لكوشانبور، مؤسَّسة الواصف، قم.

٥٠. المسلك في أصول الدين، أبو القاسم جعفر بن الحسن المحقِّق الحِلِّيّ، تحقيق: رضا الأستادي، مجمع البحوث الإسلاميَّة، إيران.

٥١. مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، الحافظ رجب البرسيّ، تحقيق: العلَّامة السيِّد عليّ عاشور، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٥٢. مصباح المتهجِّد، للشيخ الطوسيّ، تحقيق: عليّ أصغر مروارید، الطبعة الأولى، مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٥٣. معاني الأخبار، الشيخ الصَّدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، انتشارات إسلاميّ وابسته بجامعة مدرِّسين.

٥٤. معجم رجال الحديث، السيِّد الخوئي، الطبعة الخامسة، طبعة منقَّحة ومزيدة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٥٥. مناقب آل أبي طالب، الإمام الحافظ ابن شهرآشوب، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدَّة نسخ خطيَّة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، قام بطبعه محمَّد كاظم الكتبيّ صاحب المكتبة والمطبعة الحيدريَّة، طبع في المطبعة الحيدرية في النجف.

٥٦. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الحافظ محمَّد بن سليمان الكوفيّ، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة.

٥٧. مناقب عليّ بن أبي طالب، ابن مردويه الأصفهانيّ، تحقيق: عبد الرزاق محمَّد حسين حرز الدين، الطبعة الثانية، ١٤٢٤/ ١٣٨٢ش.

٥٨. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للميرزا حبيب الله الخوئيّ، منشورات المكتبة الإسلاميَّة، طهران.

٥٩. المواقف، الإيجيّ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦٠. النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر، جمال الدين الحسن بن يوسف، العلَّامة الحِلِّيّ، تحقيق: المقداد السيوريّ، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٦١. النكت الاعتقاديَّة، الشيخ المفيد، محمَّد بن محمَّد النعمان، تحقيق: رضا المختاريّ، دار المفيد للطباعة والنشر.

٦٢. الهداية في الأصول والفروع، الشَّيخ الصدوق، تحقيق: مؤسَّسة الإمام الهادي عليه السلام، الطبعة الأولى، رجب المرجَّب ١٤١٨هـ.

٦٣. قرب الإسناد، الشيخ الجليل أبي العبَّاس عبد الله بن جعفر الحميريّ، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٦٤. ينابيع المودَّة لذوي القربى، للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ، تحقيق: سيِّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ.

إجازات فخر المحقِّقين

م.م. عليّ عبيِّس حسين المعموريّ

رئاسة جامعة بابل/قسم شؤون الطلبة

Authorizations of Fakhr Al-Muhaqqiqin

Asst. Lect. Ali Obayes Hussein Al-Maamouri

Presidency of the University of Babylon/

Department of Student Affairs

ملخَّص البحث

تميَّزت مدرسة الحِلَّة باستقطاب كبير لطلَّاب العلوم الدينيَّة، وما قام به العلَّامة الحِلِّيّ وابنه فخر المحقِّقين من توطيد العلاقة مع السلاطين المغول، الذي انعكس على الهدوء الأمنيّ والاستقرار السياسيّ، ممَّا أتاح لهذه المدرسة أن تكون محطَّ رِحال طلَّاب العلوم الدينيَّة؛ لذلك قصدها العلماء من أطراف العراق وخارجه، كجبل عامل، والمدينة المنوَّرة، وغيرهما؛ رغبةً في التتلمذ على أيدي علمائها، وتحمل نقل الحديث عنهم بالإجازة، وقد كان فخر المحقِّقين من أبرز علماء الحِلَّة في القرن الثامن الهجريّ/ الرابع عشر الميلاديّ؛ لما نال من ثقة والده العلَّامة، فسعى العلماء للتعلُّم عنده، وقراءة كتب والده عليه، فأجاز الكثير من العلماء، وهذه الإجازات كان فخر المحقِّقين يمنحها لبعض من يقرؤون عليه كتب الفقه والعقيدة، خصوصًا مصنَّفات والده.

إنَّ أخذ الأشخاص للإجازات المختلفة من مشايخهم، باعتباره أسلوبًا متداولًا لنقل روايات المتقدِّمين وأحاديثهم وكتبهم وآثارهم المختلفة، كان يحظى بأهميَّة كبيرة في التاريخ الإسلاميّ، وهؤلاء الرواة الذين كانوا ينشغلون بتلقِّي الحديث في أسفارهم، وعند الحضور في حلقات دروس أساتذة عصرهم، قاموا من أجل نقل ما تعلَّموه بشكلٍ موثَّق ، بتدوين كتبٍ شرحوا وبيَّنوا فيها طرقهم الروائيَّة المختلفة، ومنها الإجازة، ولا شكَّ في أنَّ كثرة الطلاب، واشتياقهم إلى تلقِّي الحديث، وكذلك تأسيس المدارس المختلفة، كان له أثرٌ مهمٌّ في تدوين هذه المجموعة من الكتب، لذا تنبَّه العلماء إلى

ما في الاجازات من ثمرات تعود في مجموعها إلى حفظ تواتر الأحاديث، وضبط متونها وأسانيدها، ممَّا أكَّده أغلب المشايخ ضمن إجازاتهم لتلاميذهم، وقد حدّد للإجازة عدَّة فوائد منه.

Abstract

The Hilla School was distinguished by its large attraction of students of religious sciences and what Al-Allama Al-Hilli and his son Fakhr Al-Muhaqqiqin did to consolidate the relationship with the Mongol sultans, which was reflected in the security calm and political stability, which allowed this school to be a destination for students of religious sciences. Therefore, scholars from all parts of Iraq and outside it, such as Jabal Amel, Medina and others, came to it, desiring to study at the hands of its scholars and to bear the transmission of hadith from them with authorization. Fakhr Al-Muhaqqiqin was one of the most prominent scholars of Hillah in the eighth century A.H/fourteenth century AD, because he gained the trust of his father, Al-Allama, so scholars sought to learn from him and read his father's books to him, so he granted many scholars authorization, and Fakhr al-Muhaqqiqin granted these authorization to some of those who read books of jurisprudence and doctrine to him, especially his father's works.

The granting of different authorization by their sheikhs to people, as a common method for transmitting the narrations, hadiths, books and various works of the predecessors, was of great importance in Islamic history. These narrators who were busy receiving hadith during their travels, and when attending the classes of the masters of their time, in order to transmit what they learned in a documented manner, wrote books in which they explained and clarified their different methods of narration, including the authorization. There is no doubt that the large number of students, their eagerness to receive hadith, as well as the establishment of different schools played an important role in writing down this group of books. Therefore, scholars have become aware of the fruits of the authorization, which in their entirety return to preserving the frequency of hadiths and controlling their texts and chains of transmission, which most sheikhs have emphasized in their authorization for their students. Several benefits have been identified for the authorization.

المقدِّمة

مثَّلت مدرسة الحِلَّة، لاسيما في بداية القرن السابع الهجريّ حتَّى نهاية القرن الثامن الهجريّ، وباتِّجاهاتها الفكريَّة المختلفة، تحوُّلًا بارزًا في مسار الفكر الإسلاميّ بشكلٍ عام، والمذهب الإماميّ بشكلٍ خاصّ، وقد ظهر عدد كبير من العلماء في هذه المدرسة، منهم هبة الله بن نما الحِلِّيّ (حيًّا ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م)، ومحمَّد بن إدريس الحِلِّيّ (ت٥٩٨هـ/ ١١٩٣م)، ويحيى بن البطريق الحِلِّيّ (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، والسيِّد رضي الدين عليّ بن طاووس (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)، والمحقِّق الحِلِّيّ (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م).. وغيرهم، وما أحدثوه من نقلة نوعيَّة على مستوى الدراسات العقائديَّة والكلاميَّة للمذهب الإماميّ، كان لهم أثر كبير في جعل هذه المدرسة لها سماتها وخصائصها الواضحة، التي جعلتها تختلف عن غيرها من المدارس.

ويمكن القول إنَّ الجهد الذي قدَّمه العلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، وولده فخر المحقِّقين (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، كان له الأثر الأكبر في ترسيخ أبعاد هذه المدرسة وهويَّتها، ذلك أنَّ جهد العلَّامة الحِلِّيّ لا يتمثَّل فقط بزعامته للمرجعيَّة الدينية الشيعيَّة في عصره، بل إنَّ توجُّهاته العقائديَّة، وما أحدثه من تحوُّل منهجيّ في دراسة عقائد الشيعة الإماميَّة وأصولهم، جعله يشكِّل ظاهرة لها توجُّهاتها، وحركة لها أتباعها ومؤيِّدوها، الذين واصلوا من بعده عمليَّة البناء والتأسيس والتأصيل للمنطلقات والأسس التي بنى عليها العلَّامة الحِلِّيّ منظومته الأصوليَّة والفقهيَّة والعقائديَّة، ومن بين أهمِّ مَن كان له الأثر في حفظ التراث الفكريّ والعقائديّ

لمدرسة الحِلَّة وإغنائه وإثرائه، ممثَّلة بإسهامات العلَّامة الحِلِّيّ، هو ابنه محمَّد ابن الحسن الحِلِّيّ، الملقَّب بـ(فخر المحقِّقين).

قُسِّم البحث على ثلاثة محاور:

الأوَّل: إجازات قراءة كتب الفقه والعقائد، سلِّط الضوء فيه على أهمِّ الإجازات التي منحها فخر المحقِّقين إلى من يقرَؤون عليه كتب الفقه والعقيدة، ولاسيما المصنَّفات التي صدرت سابقًا عن والده. أمَّا **المحور الثاني** فقد حمل عنوان إجازات المسائل الفقهيَّة والعقائديَّة، وعملنا فيه على دراسة الإجازات التي نالها التلاميذ من داخل مدرسة المحقِّقين، نتيجةً لما قدَّموا من صبر وتحمُّل للعلوم الشرعيَّة والعقائديَّة. أمَّا **المحور الثالث** فقد عُني بدراسة إجازات عامَّة في الرواية والفقه، وهذه الإجازات تختلف عمَّا سبقها، فلم يتبيَّن فيها أنَّ المجاز قرأ كتابًا أو أُملي عليه كتاب من المجيز، ولعلَّ ذلك قد حصل ولم يذكره المؤرِّخون وأصحاب التراجم.

اعتمدنا في كتابة بحثنا هذا على مصادر عدَّة، خُصِّصت لها قائمة في نهاية البحث، ضمَّت مصادر وكتب عربيَّة وفارسيَّة متنوِّعة، أغنت البحث بمعلومات وافية وكبيرة عن فخر المحقِّقين، ودراساته وإجازاته التي منحها إلى طلبته داخل المدرسة، أو خارجها.

توطئة

تميَّزت مدرسة الحِلَّة باستقطاب طلبة العلوم الدينيَّة، وما قام به العلَّامة الحِلِّيّ وابنه فخر المحقَّقين من توطيد العلاقة مع السلاطين المغول، بعد الهدوء الأمني والاستقرار السياسيّ، ممَّا أتاح لهذ المدرسة أن تكون محطَّ رحال طلَّاب العلوم الدينيَّة، لذلك قصدها العلماء من أطراف العراق وخارجه، كجبل عامل، والمدينة المنوَّرة، وغيرهما، رغبةً في الدراسة على أيدي علمائها، وتحمُّل نقل الحديث عنهم بالإجازة.

ووُصِف فخر المحقِّقين بأنَّه أبرز علماء الحِلَّة في القرن الثامن الهجريّ/ الرابع عشر الميلاديّ؛ لما نال من ثقة والده العلَّامة، فسعى العلماء للتعلُّم عنده، وقراءة كتب والده عليه، فأجاز الكثير من العلماء، ويمكن تقسيم إجازاته على ثلاثة محاور:

المحور الأوَّل

إجازات قراءة كتب الفقه والعقائد

وهـذه الإجازات كان فخر المحقِّقين يمنحها لبعـض من يقرؤون عليه كتب الفقه والعقيدة، خصوصًا مصنَّفات والده، ومن هذه الإجازات:

١. إجازته للسيِّد غياث الدين عبـد الكريم بن محمَّد بن الأعرجيّ الحسـينيّ (كان حيًّا ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)[١]

تلميـذ فخر المحقِّقـين، والمجاز منه، كتب بخطِّه وامضائـه المذكور كتاب (تحصيل النجـاة) لفخر المحقِّقين[٢]، وذكر في آخره أنَّه فرغ من نسـخهِ بالحضرة الشريفة الغرويَّة في آخر نهار السـبت ٢٤ رجب ٧٣٦هـ، وكتب فخر المحقِّقين بخطِّه في هامش النسخة، بجنـب اسـم الكاتـب ما صورتـه: [أنهاه أيَّـده الله تعـالى قـراءة وبحثًا وفهـمًا وضبطًا واسـتشراحًا، وذلك في مجالس آخرها ٢٧ رجب ٧٣٦، والحمد لله وحدهُ، وصلَّى الله.. وآله، وكتب محمَّد بن المطهَّر]. وعلى ظهر الورقة الأُولى من هذه النسـخة إجازة أُخرى مفصَّلـة من فخر المحقِّقين لنـاصر الدين حمزة[٣]، وهذه النسـخة موجودة بمكتبة (مجد

(١) الأفندي، رياض العلماء: ٣/ ٢٤٣، الأمين، أعيان الشيعة: ١/ ١٣٨، القمِّيّ، الكنى والألقاب: ٢/ ٤٩٧، كمال الدين، فقهاء الفيحاء: ١/ ٢٣٢.

(٢) الطهرانيّ، الذريعة: ٢/ ٣٩٨، اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ٨٧.

(٣) الأمين، أعيان الشـيعة: ٦/ ٢٧١، الطهرانـيّ، الذريعة: ١/ ٢٣٥، اللجنة العلميَّة، موسـوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ٨٧.

الدين النصيريّ)[1].

٢. إجازته للشيخ تقي الدين إبراهيم بن الحسين بن عليّ الآمليّ[2] (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)

قال الأفندي: ورأيت نسخة من الإرشاد في أردبيل[3]، وعليها إجازة العلَّامة وولده له، بخطَّيهما، وكان خطَّاهما رديئَين، سيما خطُّ العلَّامة، ونص إجازة ولده[4] له، هي:

«قرأ عليَّ الشيخ الأجلّ الأوحد، العالم الفاضل الفقيه الورع المحقِّق، رئيس الأصحاب، تقي الدين إبراهيم بن الحسين بن عليّ الآمليّ أدام الله فضله، وأمتع ببقائه الدين وأهله، كتاب (إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان)، تصنيف والدي أدام الله أيَّامه، من أوَّله إلى آخره، قراءة مطَّلع على مقاصده، عارف بمصادره وموارده، باحث عن دقائق أغواره، غير قانع بدون الوقوف على حقائق أسراره، مُناقِش على الألفاظ

(١) الطهرانيّ، الحقائق الراهنة: ١٢٠، كمال الدين، فقهاء الفيحاء: ١/ ٢٣٢.

(٢) الآمليّ: نسبة إلى آمل بالألف الممدودة والميم المضمومة واللام، قال ياقوت الحمويّ: آمُل، بضمِّ الميم واللام، اسم أكبر مدينة بطبرستان، في السهل؛ لأنَّ طبرستان سهل وجبل، وهي في الإقليم الرابع. ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ١/ ٥٧.

(٣) أَرْدَبِيلُ، بالفَتْحِ فالسكونِ وفتحِ الدَّالِ وكسرِ المُوَحَّدَة: من أَشْهَرِ مُدُنِ أَذرَبيجانَ، بينَها وبينَ تَبرِيزَ سَبعَةُ أَيَّام. الزبيديّ، تاج العروس: ١٤/ ١٥، ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ١/ ١٤٥.

(٤) أمَّا نصُّ اجازة العلّامة له، فهي: «قرأ عليَّ هذا الكتاب الموسوم بإرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان في الفقه، الشيخ العالم الفاضل الزاهد الورع، أفضل المتأخِّرين، تقي الدين إبراهيم بن الحسين الآمليّ أدام الله تعالى أيَّامه وحفظه، قراءة بحثٍ وإتقانٍ، وسأل في أثناء قراءته وتضاعيف مباحثه عمَّا أشكل عليه في فقه الكتاب، فبيَّنت له ذلك بيانًا واضحًا، وأجزت له رواية هذا الكتاب وغيره من مصنَّفاتي ورواياتي وإجازاتي وجميع كتب أصحابنا المتقدِّمين رضوان الله عليهم أجمعين، على الشروط المعتبرة في الإجازة، وكتب الحسن بن يوسف بن المطهَّر في المحرَّم سنة ٧٠٩هـ حامدًا مصلِّيًا». رياض العلماء: ١/ ١٣.

المتضمِّنة للعقائد، مُطالب لما لا يرتاب فيه من الدلائل والشواهد، فأخبر مشمِّرًا عن ساق الاجتهاد، مشيرًا إلى ما عليه الاعتماد وإليه الاستناد، فأخذ ذلك ضابطًا لعيونه وغرره، جامعًا لتمدُّده ومنتشره، وأجزت له رواية الكتاب عن والدي المصنِّف أدام الله أيّامه، فليرو ذلك متَّى شاء وأحبَّ، لمن شاء وأحبَّ، محتاطا لي وله، وكتب العبد الفقير إلى الله الغني به عمَّن سواه محمَّد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهَّر الحِلِّيّ في ثاني عشر شهر رمضان المبارك، سنة ستَّة وسبعمائه، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد النبيّ الأمين، وآله الطيِّبين»[1].

لقد أكَّد فخر المحقِّقين في هذه الاجازة سبيل الاحتياط للطَّرفَين، المجاز والمجيز، بقوله: «محتاطًا لي وله»، فاحتياط المجاز لشيخه أن ينقل عنه ما سمعه حرفًا بحرف، واحتياطه لنفسه أن يكون ضابطًا ومتمكِّنًا من الرواية، ولا ينقل إلَّا بهذه الصفة من الموثوقيَّة، كما أنَّ هذه الإجازة تدلُّ على أنَّ الدرس في حوزة الحِلَّة مستمرٌّ في ليالي شهر رمضان، وليس هناك تعطيل، كما هو الآن في حوزة النجف الأشرف.

٣. إجازته لجمال الدين أبو الفتوح أحمد بن أبي عبد الله بلكو بن أبي طالب الآويّ (كان حيًّا ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)[2]

قرأ على فخر المحقِّقين كتاب (مبادئ الوصول إلى علم الأصول)، فكتب له الإجازة على ظهر الكتاب في شهر رجب من سنة (٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م)[3]، ووُصِفت

(١) البحرانيّ، الكشكول: ١/ ٢٢٨، الأفندي، رياض العلماء: ١/ ١٣-١٤، الأمين، أعيان الشيعة: ٢/ ١٣٥، مجلَّة ميراث حديث شيعة: ٩/ ٥١٥، الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٣٤، الغرويّ، معجم أعلام جبل عامل: ٩٥.

(٢) اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء: ١٠/ ١٦٩.

(٣) العلَّامة الحِلِّيّ، أرشاد الأذهان إلى أحكام الأيمان: ١/ ١٠٠، الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٦٩.

هذه الإجازة بإنَّها مختصرة[1]، جاء فيها:

«أنهاه أيَّده الله تعالى قراءةً وبحثًا وفهمًا وضبطًا واستشراحًا، وفَّقه الله لمراضيه، وذلك في مجالس آخرها الحادي والعشرين من رجب سنة خمسٍ وسبعمائة، وكتب محمَّد ابن المطهَّر حامدًا لله تعالى، مصلِّيًا على نبيِّه صلى الله عليه وآله»[2].

ثمَّ بعد ذلك استجاز فخر المحقِّقين بعد أن قرأ عليه كتاب (نهج المسترشدين في أصول الدين)[3]، ونصُّ الإجازة:

«قرأ عليَّ مولانا الشيخ العالم العلَّامة المعظَّم، ملك الفضلاء، جمال الملَّة والدين، عماد الإسلام والمسلمين، أبو الفتوح أحمد بن عبد الله بلكو بن أبي طالب بن عليّ الآويّ، هذا الكتاب من أوَّله إلى آخره، قراءة مرضية تشهد بفضله، وتدلُّ على نبوغه وعلمه، وأجزت روايته عنِّي عن والدي مصنِّف الكتاب، أدام الله أيَّامه، فليروِ ذلك لمن يشاء وأحبَّ، محتاطًا له ولي، وكتب محمَّد بن المطهَّر في آخر سنة خمسين وسبعمائة، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله الطيِّبين»[4].

وحصل على إجازة ثالثة مشتركة من العلَّامة الحِلِّيّ وفخر المحقِّقين، بعد أن قرأ عليهما كتاب (تبصرة المتعلِّمين في أحكام الدين) للعلَّامة الحِلِّيّ، وكتبوا له الإجازة بنهاية القراءة، برواية الكتاب عنهم[5].

(١) الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ١٧٦، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٨/ ٥.

(٢) الأشكوريّ، فهرست نسخة هاي كتابخانة عمومي حضرت آية الله العظمى نجفي مرعشي: ١/ ١٩، مصطفى درايتي، دنا: ١٠/ ٩٠٥.

(٣) الطهرانيّ، الذريعة: ٢٥/ ٢٢٤.

(٤) الأشكوريّ، فهرست نسخة هاي كتابخانة عمومي حضرت آية الله العظمى نجفي مرعشي: ١/ ١٩. ينظر الملحق (١).

(٥) العلَّامة الحِلِّيّ، إرشاد الأذهان: ١/ ٧٩، قواعد الأحكام: ١/ ٦٠، الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة: ٧٢.

٤. إجازته إبراهيم بن عليّ بن الحسن الطريحيّ (ت٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م)

قرأ على فخر المحقِّقين كتاب (قواعد الأحكام) للعلَّامة الحِلِّيّ، وعند أتمام قراءته، أجازه فخر المحقِّقين في (٢٠ جمادي الأولى سنة ٧١٧هـ/ ٥ نيسان ١٣١٧م)، برواية الكتاب عنه، وعلى النسخة بلاغات وحواشي[١].

٥. إجازته لعزِّ الدين حسن بن قاسم بن بلبل (كان حيًّا ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)

توجد هذ الإجازة ضمن مخطوطة كتاب (تحرير الأحكام الشرعيَّة على مذهب الإماميَّة) للعلَّامة الحِلِّيّ، كتبه منصور بن عليّ، وفرغ في رجب سنة (٧٣٠هـ)، وكتب عليه إجازة بخطِّه برواية الكتاب عن فخر المحقِّقين عن والده مصنِّف الكتاب، قال فيها: «أجزت للشيخ الفقيه العالم الفاضل الزاهد الورع عزّ الدين حسن بن قاسم بن بلبل كتاب التحرير بتمامه»[٢].

٦. إجازته لمحمَّد بن محمَّد الاسفندياريّ الآمليّ (كان حيًّا ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)

محمَّد بن محمَّد الأسفندياريّ الآمليّ، من تلاميذ فخر المحقِّقين، والمجاز منه بإجازة كتبها له على نسخه من (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد)[٣] لوالده العلَّامة الحِلِّيّ، كتبها فخر المحقِّقين لنفسه في سنة ٧٤٥ هـ، ثمَّ قرأه على فخر المحقِّقين. والنسخة

(١) أحمد الحسينيّ، تراجم الرجال: ١/ ١٩، الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة: ١٣٩. وانظر: محمَّد تقي، فهرست كتابخانه مركزي دان شكاه تهران: ٨/ ٨٤، بالرقم: ١٤٠٧.

(٢) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ٧٩.

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، للشيخ جمال الدين أبي منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن المطهَّر الحِلِّيّ (المتوفَّى ٧٢٦هـ)، وهو شرحٌ بالقول. أوَّله: [الحمد لله الذي جعل الإنسان الكامل أعلى من الملك..].. وهو أوَّل شروحه.. ولولا شرحه لما شرح هذا المتن، وفرغ من تأليفه ١٥ ع١ ٦٩٦هـ، يوجد في الأستانة الرضويَّة في مشهد بخطِّ محمَّد بن محمَّد الاسفندياريّ الآمليّ، كتبه لنفسه في ٧٤٥هـ، وقرأه على فخر المحقِّقين، فكتب هو له إجازة في آخره بخطِّه، مع تاريخ الفراغ. الطهرانيّ، الذريعة: ١٨/ ٦٠.

موجـودة في الأسـتانة الرضويّـة في مشـهد، بخطِّ المجـاز لـه[1]، أجازه بعـد أن قرأها عليه[2].

٧. إجازته للشيخ زين الدين عليّ بن عزِّ الدين حسن بن أحمد بن مظاهر الحِلِّيّ (كان حيًّا ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)[3]

الحـاج زيـن الدين عليّ بن عزِّ الدين حسـن بن أحمد بن مظاهر الحِـلِّيّ، كان فقيهًا، محقِّقًـا، متكلِّمًا، مـن تلامذة العلَّامة الحِلِّيّ وولده فخر المحقِّقـين، وهو من أكابر العلماء، قرأ عليه الشـيخ عليّ بن دقماق الحسـينيّ الحِلِّيّ (كان حيًّا ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)، كان عالـمًا فقيهًا، جمع بين فضيلَتَي العلم والأدب، صاحب كتاب (نزهة العشَّاق في الأدب)، ونال منـه الإجازة بما قـرأ عليه، وقرأ عليه الشـيخ جمال الدين أحمد بن حسـين بن مطهَّر كلَّ رواياته، وقراءاته وإنشاءاته، فكتب له الإجازة بكلِّ تلك القراءات[4].

كتب له ثلاث إجازات:

الأولى: بعد أن قرأ عليه كتاب (قواعد الأحكام) في سنة ٧٥٤هـ[5]

وجـاء في بعـض فقرات هذه الاجازة: «قرأ عليَّ الشـيخ المعظَّـم والفاضل المكرَّم، الفقيـه المحقِّق المتكلِّـم المدقِّق، الإمـام العلَّامة زين الديـن عليّ بن الفقيه العالم السـيِّد المرحوم عزِّ الدين حسن بن أحمد ابن مظاهر أدام الله أيَّامه، جميع كتاب قواعد الأحكام..

(١) الطهرانيّ، الذريعـة: ١/ ٢٣٨-٢٦/ ١٣٥، العلَّامة الحِلِّيّ، قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام: ١/ ٧٨، الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٦٤.

(٢) الطهرانـيّ، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٢٠٨، الحكيم، مدرسة الحِلَّة: ٣٤١.

(٣) الصدر، تكملة أمل الآمل: ٣٠٩، ميراث حديث شيعة: ١٤/ ٤٣٢.

(٤) ينظـر: الأفندي، رياض العلـماء: ٣/ ٣٩٣، كمال الدين، فقهاء الفيحاء: ٢٣١، محمَّد جسَّـاب عـزُّوز، الإجـازة العلميَّة عند علماء الحِلَّة حتَّى نهاية القرن الثامن الهجريّ»، رسـالة ماجسـتير، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠١٤، ٩٦.

(٥) الحسيني، تراجم الرجال، ١/ ٣٦٠.

وأجزت له جميع ما صنَّفه الشيخ الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، أبو القاسم جعفر بن سعيد (٦٧٦هـ/ ١٧٦٥م)، فمن ذلك كتاب الشرائع، فإنِّي سمعته على والدي سماعًا، وقُرِئ عليه بحضوري، وأجاز لي روايته، وكذا النافع في مختصر الشرائع، وباقي كتبه، أجاز لي والدي إليها عنه عن المصنِّف»[1].

وذكر الطهرانيّ أنَّه كتب هذه الإجازة على ظهر كتاب القواعد متوسطة، تاريخها ذي الحجَّة سنة (٧٤١هـ)، أدرجها الشيخ عليّ بن محمَّد بن يونس البياضيّ (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م) في إجازته للشيخ ناصر بن إبراهيم البويهيّ (٨٥٢هـ/ ١٤٤٧م)، وأورد شطرًا من أوَّلها في الرياض[2].

وقد أدرج هذه الأجازة الشيخ علي بن محمَّد بن يونس البياضي[3] ضمن إجازته للشيخ ناصر البويهي[4].

وقد وردت صيغة أخرى لهذه الاجازة، وهي:

«وقد أجزت ذلك لمولانا وشيخنا الإمام العلَّامة زين الدين عليّ بن مظاهر، رواية هذه المسائل عنِّي، فإنَّه قرأها عليَّ حرفًا حرفًا، وأجزت له جميع ما قرأه عليَّ ونقله عنِّي في

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٤/ ٢٢٢، شرح إحقاق الحقِّ: ١/ ٥١.

(٢) الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٢١، و٢٣٨، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٣٦.

(٣) الشيخ عليّ بن محمَّد بن عليّ بن محمَّد بن يونس البياضيّ النباطيّ، صاحب (الصراط المستقيم إلى مستحقِّي التقديم)، المتوفَّى سنة ٨٧٧هـ، للشيخ ناصر بن إبراهيم البويهيّ الحساويّ، متوسطة، أوَّلها: «الحمد لله الذي دلَّ على وجوب وجوده»، تاريخها ليلة الجمعة الحادي عشر من شعبان سنة ٨٥٢هـ. ينظر: الذريعة: ١/ ٢٢١.

(٤) فإنَّ السيِّد عليّ بن دقماق له إجازة من الشيخ عليّ بن مظاهر (كان حيًّا ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)، وهي ضمن إجازة الشيخ عليّ بن يونس البياضيّ للشيخ ناصر البويهيّ، بتاريخ ليلة الجمعة الحادي عشر من شعبان ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م، أدرج فيها تمام إجازة فخر المحقِّقين للشيخ زين الدين عليّ ابن مظاهر المتوسِّطة التي كتبها على ظهر كتاب قواعد والده سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، وذكر فيها أنَّ الشيخ عليّ بن مظاهر أجاز السيِّد زين الدين عليّ بن دقماق. ينظر: الذريعة: ١/ ٢٢١.

هذه القواعد وغيرها، وممَّا صنَّفته وألَّفته، وجميع ما حقَّقه والدي قدَّس الله سرَّه، فليروِ ذلك لمن أراد وأحبَّ، وأجزت له جميع ما أمليت عليه من الحواشي والأوراق في هذا الكتاب، فليروِ ذلك عنِّي، وكتب محمَّد بن الحسن بن المطهَّر في الخامس والعشرين من ذي الحجَّة من شهور سنة أربع وخمسين وسبعمائة»[1].

والملاحَظ في هذه الإجازة أنَّ فخر المحقِّقين لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلَّا وأكَّدها في الإجازة، حتَّى في الشروحات في أثناء القراءة والحواشي، فقد شملها في إجازته، وهو يؤكِّد ما ذهب إليه الباحث من سعي الفخر إلى توسيع الدائرة العلميَّة بالإجازة والقراءة.

الثانية: مختصرة، على كتاب (نهاية الإحكام في معرفة الأحكام) للعلَّامة، تاريخها عاشر ربيع الأوَّل سنة ٧٥٥هـ[2]، بقوله: «قرأ عليَّ مولانا الشيخ الإمام العلَّامة أفضل العلماء، شيخ الشيعة، ركن الشريعة، مقتدى الإماميَّة، الحاج زين الدين عليّ ابن الشيخ الإمام السعيد عزّ الدين حسن بن مظاهر أدام الله أيَّامه.. وأجزت له روايته عنِّي عن مصنِّفه والدي الإمام العالم خاتم المجتهدين، جمال الحقِّ والدين، الحسن بن المطهَّر أدام الله فضائله التي أفادها للمستعدين قبل وفاته رحمه الله وقُدِّس سرُّه، فإنِّي سمعته عليه درسًا درسًا بقراءة بعض فضلاء تلامذته عليه، وأجزت له أيضا رواية جميع مصنَّفات والدي قدَّس الله سرَّه وجميع مصنَّفاتي، وجميع ما صنفه أصحابنا المتقدِّمون رضيَ الله عنهم أجمعين. وكتب محمَّد بن الحسن بن يوسف بن المطهَّر في عاشر ربيع الأوَّل لسنة خمس وخمسين وسبعمائة، ببلدة الحِلَّة، بمجلس والدي الذي كان في حياته يدرِّس به، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّد المرسلين محمَّد النبيّ،

(١) فهرست نسخة هاي كتابخانة عمومي حضرت آية الله العظمى نجفي مرعشي: ١٧/ ٣١٨، مجلَّة تراث الحِلَّة، العدد الثالث: ٤٠٥.

(٢) الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٣٨، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٣٦-١٣٦.

وآله الطاهرين»[1].

الثالثة: على المسائل المظاهريَّة المعروف بـ(الحواشي الفخريَّة)[2].

وقد كتب فخر المحقِّقين لابن مظاهر إجازة في حاشية هذه المسائل، بل في مواضع منها متعدِّدة، والنسخة المنقولة عن خطِّ المجيز في خزانة أبي محمَّد الحسن صدر الدين (١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م)[3].

٨. إجازته لنظام الدين محمَّد بن علاء بن الحسن (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)

كان من تلامذة فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن الحِلِّيّ، وقرأ عليه إرشاد الأذهان لوالده[4]، من أوَّله إلى آخره، فكتب له فخر المحقِّقين إجازة بخطِّه على النسخة العتيقة الموجودة في مكتبة الأمينيّ لأمير المؤمنين في النجف، وتوجد هذه الإجازة ضمن مخطوطة كتاب إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان للعلَّامة الحِلِّيّ، تعود إلى القرن الثامن الهجريّ، قرأها نظام الدين على فخر المحقِّقين، فكتب له عليها إجازة، وأطراه فيها بقوله: «قرأ عليَّ مولانا السيِّد الفقيه الطاهر الأعظم.. صاحب النفس القدسيَّة، والأخلاق المرضيَّة، جامع المقول والمنقول، نظام الحقِّ والدين، محمَّد بن علاء بن الحسين.. أدام الله أيَّامه، جميع هذا الكتاب من أوَّله إلى آخره، قراءة بحثٍ وتحقيقٍ، وأجزت له روايته عنِّي عن والدي المصنِّف قدَّس الله سرَّه، وأجزت له أيضًا رواية مصنَّفات والدي في المعقول والمنقول، وجميع ما صنَّفته أنا أيضًا، فليروِ ذلك.. كتب محمَّد بن الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهَّر في ١٤ ذي الحجَّة الهلاليَّة بالحِلَّة سنة ٧٥٧هـ، والحمد لله وحده، وصلَّى

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٤/ ١٨١.

(٢) الطهرانيّ، الذريعة: ٧/ ١٠٤، ٢٠/ ٣٦٨، اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ١٣٧.

(٣) الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٣٨.

(٤) الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٥١٠.

الله عـلى نبيِّنا محمَّد وآله الطاهريـن»[1]. ومن وصف الفخر له بالفقيه، وإجازته له يظهر أنَّـه من المتقدِّمـين في علوم الشريعة في زمانه، وأنَّ نسـخة هذه الإجـازة تعود إلى زمان المجيز (القرن الثامن الهجريّ)، فهي، والحال هذه، تعدُّ وثيقة علميَّة نادرة.

٩. إجازته لولده أبو المظَّفر يحيى بن محمَّد بن الحسـن بن يوسـف بـن المطَّهر الحِلِّيّ (حيًّا ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)

كتب له هذه الإجازة بعد أن قرأ عليه كتاب خلاصة الأقول، والنسخة توجد بخطِّ والده فخر المحقِّقين، عليها إجازته له بخطه، وصورة تلك الإجازة مدرجة في مستدرك إجازات البحار[2].

فكتـب له: «قرأ عليَّ الولـد العزيز أبو المظفَّر يحيى، ولدي لصلبي، طوَّل الله عمره، كتـاب (خلاصـة الأقوال في معرفـة الرجال) القسـمَين بتمامه، وأجزت لـه روايته عن والدي المصنِّف الحسـن.. وكتب محمَّد بن الحسـن بن يوسـف بن عـليّ بن المطهَّر في ٢٩ ذي الحجَّة سنة ٧٤٧هـ [/ ٢٣ مايس ١٣٤٦م] بالحِلَّة»[3].

١٠. إجازتـه لعماد الدين يحيى بن الإمام السـعيد فخر الدين أحمد حسـين الكاشيّ (حيًّا ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)[4]

مُجاز من فخر المحقِّقين بثلاث إجازات، وذكر في الإجازة في وصفه: أنَّه ابن الإمام السعيد عماد الدين الحسين بن الإمام السعيد محمَّد بن أحمد الكاشيّ[5].

(١) الطهرانـيّ، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ١٩٠، الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ٣٤.
(٢) المجلسـيّ، بحـار الأنـوار: ١٠٤/ ١٨١، الطهرانـيّ، الحقائـق الراهنة في المائـة الثامنة: ٢٤، الذريعة: ٧/ ٢١٥.
(٣) الأمين، أعيان الشيعة: ١٠/ ٣٠٣، الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٢٢.
(٤) الأمين، أعيان الشيعة: ٢/ ٣٥٥.
(٥) الطهرانـيّ، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٦٧.

قـرأ عليه (التبصرة) لوالده الحِلِّيّ، فكتب الفخر في آخره (إجازة) له في سـلخ ربيع الآخر سـنة ٧٥٩هـ، ونصُّ الإنهاء بقوله: «والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة على سيِّدنا محمَّـد المصطفى ووصيِّه عليّ المرتـضى، وآلهما الطيِّبين الطاهرين، تمَّ ذلك في ليلة الثلاثاء خامس عشرين ربيع الثاني لسـنة تسـع وخمسـين وسـبعمائة، بمدينة الحِلَّة حماها الله من الآفات»[١].

ثـمَّ قرأ عليه رسـالة (ثلاثة وأربعين حديثًـا) لفخر المحقِّقين، فكتـب هو في آخره إجازة له في سلخ شعبان ٧٥٩هـ في الحِلَّة، وجاء في إجازته في الورقة الأولى:

«قـرأ عليَّ مولانا المعظَّـم، أفضل العلماء، وأعلم الفضلاء، المؤيَّد بالقوَّة القدسـيَّة، والأخـلاق النبويَّة، جامع الفضائل النفسـانيَّة، المطَّلع عـلى الأسرار الروحانيَّة، مولانا تاج الحقِّ والدين..»[٢].

وبعد سلسلة من الأوصاف والألقاب، يقول في إجازته له بأنَّه قرأ هذه الأحاديث، ويصـف طريقة الإجـازة له، يقول: «ورويتهـا له مناولة بالأسـانيد المذكورة، فله ذلك لمن أحبَّ[٣]، وكتب العبد محمَّد بن الحسـن بن يوسـف بن عليّ ابن المطهَّر، والحمد لله وحده، وصلواته على سـيِّدنا محمَّد النبيّ واله، وذلك في سلخ شعبان سنة تسع وخمسين وسبعمائة في الحِلَّة»[٤].

ومـن الملاحَظ في هـذه الإجازة أنَّ الفخر قـد ذكر طريقة الإجـازة ونوعها، وهي المناولـة ضمن إجازة مكاتبة، فقـد بيَّن نوعَين من الإجازة في إجازة واحدة، ثمَّ قرأ عليه

(١) الأشـكوريّ، فهرسـت نسـخة هاي كتابخنة عمومي حضرة آية الله العظمـى نجفي مرعشي: ٧/ ٥٨٩٠، حيدر الخفاجيّ، النسَّاخ الحِلِّيُّون، السنة الثالثة، العدد الثامن: ٣٨٤.

(٢) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ، ٧٢، كمال الدين، فقهاء الفيحاء: ١/ ٤٠٢.

(٣) يظهر أنَّ هناك سقط في النسخة، إذ ينبغي أن يُقال: فلهُ أن يروي ذلك لمن أحبَّ.

(٤) كمال الدين، فقهاء الفيحاء: ١/ ٤٠٢.

الرسالة (الفخريَّة) في النيَّة له، فكتب إجازة[1]. وتوجد هذه الإجازة ضمن مخطوطة (تبصرة المتعلِّمين في أحكام الدين) للعلَّامة الحِلِّيّ، فرغ منها الكاتب في ٢٥ ربيع الأوَّل سنة ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٧ م، وقُرأت على فخر المحقِّقين، فكتب له بآخرها الإنهاء مع الإطراء الكثير، وذلك في سلخ ربيع الآخر سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)[2].

وقد حصل السيِّد محسن الأمين على نسخة هذه الاجازة، أرسلها إليه الشيخ فضل الله الزنجانيّ (كان حيًّا سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)، وقال: إنَّه نقلها عن ظهر نسخة من كتاب (تبصرة المتعلمين) للعلَّامة، وكان بآخر النسخة: «تمَّ ذلك في ليلة الثلاثاء خامس عشري ربيع الثاني لسنة تسع وخمسين وسبعمائة بمدينة الحِلَّة حماها الله عن الآفات»[3]، وبآخرها أيضًا بخطِّ فخر المحقِّقين: «أنهاه أيَّده الله تعالى وأدام فضائله، قراءةً وبحثًا وفهمًا وضبطًا واستشراحًا في مجالس آخرها تاسع عشري ربيع الآخر لسنة تسع وخمسين وسبعمائة، والحمد لله وحده، وصلى على سيِّدنا محمَّد النبيّ وآله الطاهرين وأصحابه الأكرمين، وكتب محمَّد بن الحسن بن المطهَّر»[4]، وجاء في نصِّ الاجازة: «قرأ عليَّ مولانا الامام الأعظم، أفضل المحقِّقين، سلطان الحكماء والمتكلِّمين، تاج الحقِّ والدين، عماد الإسلام وفخر المسلمين، أبو سعيد بن الإمام السعيد عماد الدين الحسين بن الإمام السعيد محمَّد بن أحمد الكاشيّ أدام الله فضائله، وأسبغ فواضله، هذا الكتاب من أوَّله إلى

(١) الطهرانيّ، الحقائق الراهنة: ٦٧.

(٢) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ٧٢. وهي ضمن المجموعة رقم ٦٣٤٢، في مكتبة البرلمان الإيراني، ذكرت في فهرسها: ١٤/ ٢٢٩، كما توجد نسخة عليها إجازة المؤلِّف وإجازة ابنه فخر المحقِّقين في مكتبة البرلمان الإيرانيّ السابق، رقم ٤٩٥٣، معروضة في معارضها.

(٣) الأمين، أعيان الشيعة: ٢/ ٣٥٥، الأشكوريّ، فهرست نسخة هاي كتابخنة عمومي حضرة اية الله العظمى نجفي مرعشي: ٧/ ٥٨٩٠. ينظر الملحق رقم (٤٣).

(٤) الأشكوريّ، فهرست نسخة هاي كتابخنة عمومي حضرة اية الله العظمى نجفي مرعشي: ٧/ ٥٨٩٠.

آخره قراءة محقِّقة قواعده، مقرِّرة دلائله، كاشفة مسائله، وكانت الاستفادة منه أكثر من الإفادة له، وقد أجزت له رواية هذا الكتاب وغيره من مصنَّفات والدي مصنِّف هذا الكتاب في العلوم العقليَّة والنقليَّة الفروعيَّة والأصوليَّة، عنِّي عنه، وأجزت له رواية جميع كتب السالفين من أصحابنا رضي الله عنهم أجمعين، فله ذلك لمن شاء وأحبَّ، وهو أهلٌ لذلك، وكتب محمَّد بن الحسن بن يوسف المطهَّر في سلخ ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وسبعمائة، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على محمَّد وآله»[1].

كشفت عبارات الفخر في هذه الإجازة عدَّة أمور:

- إنَّ طريقة القراءة على الشيوخ في زمان المجيز لا تقتصر على بعض فصول الكتاب، بل جميع الكتاب، كما قال: «هذا الكتاب من أوَّله إلى آخره قراءة..»، وأنَّها تعتمد الدقَّة والتمحيص في القراءة، وربَّما تخلَّل هذه القراءة مناقشات علميَّة جادَّة؛ لقوله: «مُحقِّقة قواعده، مُقرِّرة دلائله، كاشفة مسائله».
- إنَّ المجازين من فخر المحقِّقين كانوا علماء من الطبقة الأولى في حوزة الحِلَّة، وكانوا في الغالب من تلامذة العلَّامة والد الفخر، لذا نجده دائمًا يقول: «وكانت الاستفادة منه أكثر من الإفادة له، وأجزت له».
- إنَّ فخر المحقِّقين يمتلك الاتِّصال بجميع كتب علماء الشيعة الذين سبقوه، وهذا واضح؛ لأنَّ والده العلَّامة أجازه، وكما هو معروف عن العلَّامة في إجازة بني زهره، فهو يروي معظم مصنَّفات الإماميَّة، والكثير من مصنَّفات الجمهور، ومن خلال هذا الطريق استطاع فخر المحقِّقين أن يوصِل سلسلة

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ٢/ ٣٥٥، الطهرانيّ، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٨٧-٢٣٥، رسول جعفريان، تاريخ تشيع در ايران: ٢/ ٦٧١، الجنابيّ، ثلاثة وأربعون حديثًا، مجلَّة تراث الحِلَّة، السنة الأولى، المجلَّد الأوَّل، العدد الثاني: ٣٧١.

الرواية والإسناد إلى الكثير من علماء الشيعة في عصره، ومن هنا نعرف حرص فخر المحقِّقين على الإكثار من منح الإجازات لمن يقرؤون عليه، خصوصًا مصنَّفات والده العلَّامة.

وتوجد نسخة أخرى لهذه الإجازة على ظهر كتاب فخر المحقِّقين (ثلاث وأربعون حديثًا عن النبيّ ﷺ)، وأكَّد الطهرانيّ أنَّها كُتبت في سلخ شعبان سنة ٧٥٩هـ بالحِلَّة[١]، فلعلَّها منقولة عن النسخة التي في آخر التبصرة، لكونها محرَّرة في السنة نفسها، وهذا كثيرًا ما يصدر من المجاز، وهو أن يكتب نسخة أخرى من إجازة شيخة على كتاب آخر، تكثيرًا للنسخ، حفظًا من الضياع والتلف في تلك الظروف العصيبة.

١١. أحمد بن حسن بن يحيى الفراهانيّ[٢] (حيًّا ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)

من تلاميذ فخر المحقِّقين، كتب نسخة من كتاب (تحرير الأحكام الشرعيَّة على مذهب الإماميَّة) للعلَّامة الحِلِّيّ، وفرغ من كتابتها في ٢٢ ربيع الأوَّل سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، وقرأ ها على فخر المحقِّقين، فأجازه بروايته عنه في ١٠ ذي القعدة سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)[٣]، وعليها خطُّ محمَّد بن يحيى بن إبراهيم بن محمَّد بن حسن ابن إبراهيم البابليّ، تاريخها خامس ذي القعدة سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٦٠م)[٤]، وهذه النسخة في مكتبة مشهد السيِّد عبد العظيم الحسنيّ بالري، رقم: ٤٥، وتوجد لها نسخة

(١) الذريعة: ٢٦/ ٢٤٤.

(٢) نسبة إلى فراهان من رستاق همذان، وهي بحيرة إذا كانت أيَّام الخريف، واستغنى أهل الرساتيق عن المياه للزراعة، صوبت سائر المياه إلى هذه البحيرة في الخريف والشتاء، وفي وقت الربيع عندما يحتاج الناس إلى الماء قطع عنها، فصار ماؤها كلُّه ملحًا، فيأخذه الناس إلى البلدان فيُباع. ابن الفقيه، البلدان: ٥٠٣، ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ٣/ ٨٨٧، ٤/ ٢٤٥-٢٥٨.

(٣) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٨٤، رسول جعفريان، تاريخ تشيُّع در ايران: ٢/ ٦٧١.

(٤) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ٧٩.

أخرى ضمن الكتاب نفسه، تاريخها في ١٠ ذي القعدة سنة (٧٥٩ هـ)، وعليها خطُّ محمَّد بن يحيى بن إبراهيم بن محمَّد بن عليّ بن إبراهيم البابليّ، في ٥ ذي القعدة سنة (٧٦٠ هـ)، وهي من مخطوطات مكتبة مشهد السيِّد عبد العظيم الحسنيّ بالري، نشرة المكتبة المركزيَّة لجامعة طهران: ٣/ ٧٣[١].

١٢. إجازته لزين الدين عليّ بن فخر الدين أبو طالب الطبريّ (حيًا ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م)

قرأ على محمَّد بن الحسين المزيديّ (٧٦١هـ/ ١٣٥٩م) كتاب (قواعد الأحكام) للعلَّامة الحِلِّيّ، بعد أن كتبه بخطِّه، فحصل منه على اجازة[٢]. ثمَّ بعد ذلك قرأ الكتاب نفسه على فخر المحقِّقين، فكتب له الإجازة في (٢ صفر سنة ٧٦٠هـ/ ٥ كانون الأول ١٣٦١م)، قال فيها:

«قرأ عليَّ.. زين الدين عليّ بن فخر الدين أبي طالب الطبريّ.. كتاب القواعد تصنيف والدي.. من أوَّله إلى آخره.. وأجزت له روايته ورواية جميع مصنَّفات والدي عنِّي عنه، وأجزت له رواية جميع مصنَّفاتي ومؤلَّفاتي..»[٣]. إنَّ هذ الإجازة تدلُّ على حرص فخر المحقِّقين متابعة قراءة المصنَّفات عليه، وإن قُرِأت سابقًا على شيخٍ غيره، ربَّما رغبةً منه في ضبط النصوص، لاسيما أنَّه أعرف الناس بمصنَّفات والده العلَّامة.

١٣. إجازته للسيِّد حيدر الآمليّ (ت بعد ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م)[٤]

السيِّد ركن الدين حيدر بن تاج الدين عليّ بن تاج شاه بن السيِّد ركن الدين

(١) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ٨٤.
(٢) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ٢٤.
(٣) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٤١، رسول جعفريان، تاريخ تشيع در ايران: ٢/ ٦٦٩.
(٤) الأفندي، رياض العلماء: ٢/ ٢١٨-٢١٩، ٢٢٥، الخوانساريّ، روضات الجنَّات: ٢/ ٣٧٧، القمِّيّ، الفوائد الرضويَّة: ١٦٥-١٦٦، الأمين، أعيان الشيعة: ٦/ ٢٧٣، التبريزيّ، ريحانة الأدب: ٢/ ٤٩٨.

حيدر[١] العلويّ الحسينيّ[٢]، له اوصاف وألقاب كثيرة، منها ركن الحقِّ والملَّة والدين[٣]، وركن الدين[٤]، ولقِّب أيضًا بالمازندرانيّ[٥]، والعبيدليّ[٦] والآمليّ[٧]، وترجم الآمليّ لنفسه في كتابة المحيط الأعظم، وصولًا إلى الإمام عليّ عليه السلام بقوله: «أنا ركن الدين حيدر تاج الدين بادشاة ابن السيِّد ركن الدين حيدر ابن السيِّد تاج الدين بادشاة ابن السيِّد محمَّد أمير بن عليّ بادشاة، بن أبي جعفر محمَّدبن ابراهيم بن محمَّد بن الحسين الكوسج، بن ابرهيم سناء الله، بن علي بن الحسين زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب»[٨]، ودرس واجتهد عند فخر المحقِّقين، وشهد له بالعلم والفضل، وذكر الآمليّ صيغة إجازة فخر المحقِّقين له بقوله: «وكنت قد قرأت على الشيخ الأعظم الأكمل سلطان العلماء والمحقِّقين، فخر الحقِّ والملَّة والدين، ابن المطهَّر الحِلِّيّ، من علوم أهل البيت، خلاف الذي قرأت في العجم كتبًا كثيره في الفروع والأصول، تقليدًا واستجازةً، وكان يخاطبني بزين العابدين الثاني، ويعتقد في

(١) الآمليّ، نصُّ النصوص: المقدِّمة، جامع الأسرار: المقدِّمة، أسرار الشريعة: المقدمة. إلَّا أنَّ كحالة انفرد بذكر حيدر بن حيدر، ولم أتعرَّف على مصدره. معجم المؤلِّفين: ٢٢٦.

(٢) الأفندي، رياض العلماء: ٢/ ٢١٨، الخوانساريّ، روضات الجنَّات: ٢/ ٣٧٧. ذكر الطهرانيّ أنَّه غير السيِّد حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسينيّ الآمليّ العبيدليّ المعروف الصوفيّ، وغير صاحب الكشكول فيما جري لآل الرسول، المؤلَّف سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م). الذريعة: ١/ ٢٣٨.

(٣) الآمليّ، المحيط الأعظم، مخطوطة في مكتبة المرعشيّ النجفيّ، قم، إيران، بالرقم: ٣٠١. ورقة ٦٤-٦٥.

(٤) المسائل المهنَّائيَّة، مخطوطة مكتوبة بخطِّ الآمليّ محفوظة ضمن مجموعة في كتابخانة دانشكاة تهران، رقم: ١٠٢٢.

(٥) الأفندي، رياض العلماء: ٢/ ٢٢٠-٢٢١، ٢٨١، التستريّ، مجالس المؤمنين: ٢/ ٥١.

(٦) التستريّ، مجالس المؤمنين: ٢/ ٥١، الخوانساريّ، روضات الجنَّات: ٢/ ٣٧٧.

(٧) الطهرانيّ، الذريعة: ٣/ ٣٠٧.

(٨) الطهرانيّ، الذريعة: ٣/ ٣٠٧.

أنَّني دون العصمة، ممَّا كان شاهد من حسن سيرتي، ولطف طريقتي، وكتب لي إجازات متعدِّدة، منها إجازة طويلة جامعة في جميع العلوم»[1].

وقد أجازه فخر المحقِّقين بعدَّة إجازات، منها:

الاولى: سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م، كتبها فخر المحقِّقين بخطِّه ضمن جملة من المسائل الفقهيَّة والكلاميَّة[2]، سألها من فخر المحقِّقين، بالحِلَّة في آخر رجب (سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، فكتب فخر المحقِّقين أجوبتها مصحوبة بإجازة مختصرة له في رواية الأجوبة عنه، قال في الرياض: إنِّي رأيت المسائل والأجوبة مع الإجازة[3].

وذكر الطهرانيّ أنَّه رأى في كتب الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ[4] بكربلاء نسخة أخرى تاريخ أوَّل الأسئلة آخر رجب سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م، وأوَّل مسائله عن بيان مراد العلَّامة في أوَّل الباب الحادي عشر من إجماع العلماء على وجوب المعرفة بالدليل، ومن مميِّزات هذه النسخة أنَّ الكاتب لها كتب في آخر الجوابات صورة إجازة فخر المحقِّقين، نقلًا عن خطِّه الذي رآه في الخزانة الرضويَّة مكتوبًا على آخر نسخة من

(1) Corbin, en islam iranien, t3, ch. 1, p. 165.

المحيط الأعظم، ورقة: ٦٤.

(٢) قال في الذريعة: المسائل الحيدريَّة لفخر المحقِّقين الشيخ أبي طالب محمَّد بن الحسن بن يوسف ابن مطهَّر الحِلِّيّ، المتوفَّى سنة ٧٧١هـ، سألها عنه تلميذه السيِّد حيدر بن عليّ بن حيدر الحسينيّ الآمليّ، موجود في خزانة الحسن صدر الدين: ٢٠/ ٣٤٥.

(٣) نصُّ ما ذكره الأفندي في هامش آخر الجوابات، كتب ما صورته: «هذا صحيح، قرأ أطال الله عمره ورزقنا بركته وشفاعته عند أجداده الطاهرين، وأجزت له رواية الأجوبة عنِّي، وكتب محمَّد بن الحسن بن المطهَّر»، ورأى صاحب الرياض تلك النسخة مع الإجازة، ووصفها كما ذكرناه. الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٥٣.

(٤) الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ الحائريّ، الملقَّب شيخ العراقَين، توفِّي في الكاظميَّة في ٢٢ رمضان ١٢٨٦هـ، ونقل إلى كربلاء فدفن في حجرة بجانب الباب الجديد المسمَّى بالباب السلطانيّ على يسار الداخل إلى الصحن الشريف، وقد تجاوز عمره الستِّين. الأمين، أعيان الشيعة: ٣٦/ ٤٥٠.

جوابات المسائل المهنَّائيَّة، تأليف والده العلَّامة، وهي: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه المسائل وأجوبتها صحيحة، سُئِل والدي عنها، فأجاب بجميع ما ذكره هاهنا، وقرأتها أنا على والدي، ورويتها عنه، وقد أجزت لمولانا السيِّد الإمام العالم العامل المعظَّم المكرَّم، أفضل العلماء، أعلم الفضلاء، الجامع بين العلم والعمل، شرف آل الرسول، مفخر أولاد البتول، سيِّد العترة الطاهرة، ركن الملَّة والحقِّ والدين، حيدر ابن السيِّد السعيد تاج الدين عليّ پادشاه ابن السيِّد السعيد ركن الدين حيدر العلويّ الحسينيّ أدام الله فضائله، وأسبغ فواضله، أن يروي ذلك عنِّي عن والدي، وأن يعمل بذلك ويفتي به، وكتب محمَّد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهَّر الحِلِّيّ في أواخر ربيع الآخر سنة ٧٦١ هـ، والحمد لله تعالى، وصلَّى الله على سيِّد المرسلين محمَّد النبيّ وآله الطاهرين»[١].

وقد قرأ على فخر المحقِّقين كتاب استقصاء النظر في البحث عن القضاء والقدر، وكتب الفخر الإنهاء بخطِّه في ١٢ شهر رمضان سنة ٧٥٩هـ، جاء ما نصُّه: «أنهاه أيَّده الله وأدام فضائله، قراءةً وبحثًا، وكانت الاستفادة منه أعظم من الإفادة له، وكتب محمَّد ابن الحسن بن يوسف ابن المطهَّر في ثاني عشر رمضان سنة تسع وخمسين وسبعمائة، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد النبيّ وآله الطاهرين»[٢].

الثانية: كتبها بالحِلَّة في شهر رمضان المبارك سنة ٧٦١هـ[٣].

والثالثة: كتبها له على ظهر كتابه (رافعة الخلاف عن وجه سكوت أمير المؤمنين عليه السلام عن الاختلاف) للآمليّ، والذي كتبه بأمر أستاذه فخر المحقِّقين، وبعد فراغه، كتب

(١) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ، ٣١، الطهرانيّ، الذريعة: ٢/ ٧٣.
(٢) الطهرانيّ، طبقات أعلام الشيعة: ٥/ ٧٦، الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ٤٩.
(٣) الأمين، مستدركات أعيان الشيعة: ٤/ ٢٣٢، النوريّ، خاتمة المستدرك: ١/ ٣٤.

أستاذة على ظهره إجازةً له بخطِّه[1].

١٤. إجازته لعليّ بن الحسن بن الرضيّ الحسينيّ السرابشنويّ[2] (ت٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)[3]

توجد ضمن مخطوطة كتاب (مبادئ الوصول إلى علم الأصول)، كُتبت سنة (٧١٥هـ/ ١٣١٦م)، كتبها عليّ بن الحسن بن الرضيّ العلويّ الحسينيّ السرابشنويّ، وفرغ منها سلخ رجب سنة خمس عشرة وسبعمائة، وعليها بلاغات لعلَّها بخطِّ المؤلِّف، ثمَّ قرأها على فخر المحقِّقين ابن المصنِّف، فكتب له بخطِّه في أوَّلها: «قرأ عليَّ المولى السيِّد المعظَّم، الحسيب النسيب، شرف آل أبي طالب، العالم الفاضل الزاهد العابد الورع، زين الدين عليّ بن الحسن بن الرضيّ العلويّ الحسينيّ السرابشنويّ كتاب مبادئ الوصول إلى علم الأصول، قراءة تشهد بفضله، وتدلُّ على علمه، وقد أجزت له رواية هذا الكتاب عنِّي، عن والدي المصنِّف أدام الله أيَّامه، وكذلك أجزت له رواية جميع ما قرأته ورويته وأُجيز روايته، فليرو ذلك على الشرائط المقرَّرة، وكتب محمَّد بن الحسن بن يوسف ابن المطهَّر في غرَّة جمادى الأولى سنة (٧١٥هـ)»[4]. ثمَّ قابلها وصحَّحها هو أو غيره، وكتب في آخرها: «بلغت المقابلة مع نسخة قُرِأت على الإمام العالم، فخر الملَّة والدين، ابن الإمام العالم الكامل، مصنِّف الكتاب، الحسن

(١) حيدر آملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٥٢، الطهرانيّ، الذريعة: ١٠/ ٦١.

(٢) السرابشنوايّ، مضبوطًا بضمِّ السين المهملة المفتوحة، ثمَّ ألف ساكنة، وبعدها الباء الموحدة المفتوحة، والشين المعجمة، ثمَّ النون المفتوحة، وآخرها الواو؛ نسبةً إلى قرية بالعراق اسمها سرابشنوا. الأفندي، رياض العلماء: ١/ ١٧٥، ٣/ ٣٩٩.

(٣) الأفندي، رياض العلماء: ٣/ ٣٩٩، الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ١٧٧، يوسف الشمَّريّ، الحياة الفكريَّة في الحِلَّة، ١٢١.

(٤) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٧٠، رسول جعفريان، تاريخ تشيع در ايران: ٢/ ٦٧١.

ابن يوسف بن المطهَّر أدام الله ظلّهما»[1]، وذكر السيِّد عبد العزيز الطباطبائيّ أنَّه رآها في المتحف البريطانيّ، في المجموعة رقم (or ٩٦٣/ ١٠)[2]. ويظهر من هذه الإجازة أنَّ الفخر يذكر أنَّ جميع ما قرأه على والده من مصنَّفات هي داخلة في إجازاته لمن أجازهم.

١٥. إجازته للشهيد الأوَّل شمس الدين محمَّد بن مكِّيّ العامليّ الجزينيّ (ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م):

هاجر الشهيد الأوَّل إلى الحِلَّة من جبل عامل؛ للاستفادة والدرس، رغبةً في النفقة على العديد من علمائها، لاسيما العلَّامة الحِلِّيّ، فصادف أن وجده قد توفِّي، فقرأ على ولده فخر المحقِّقين، وأصبح من المعتمدين عنده[3]. لقد قرأ عليه الشهيد الأوَّل، مع أنَّه كان عالمًا محيطًا بالكثير من العلوم، ولذلك قال فخر المحقِّقين: استفدت منه اكثر ممَّا استفاد منِّي[4]. وللفخر إجازتان منحهما للشهيد الأوَّل، **الأولى**: في داره بالحلَّة، آخر نهار العشرين من شعبان عام (٧٥١هـ/ ١٣٥١م)[5]، **والثانية**: ذكرها العلَّامة المجلسيّ في مجلَّد إجازات البحار[6]، نقل من خطٍّ من نقلهُ من خطِّه الذي كتبه على ظهر الجزء الأوَّل من كتاب إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد، والجزء المذكور كان بخطِّ الشهيد الأوَّل، وذكر فخر المحقِّقين في مستهلِّ الإجازة قراءة الشهيد عليه، مردفًا كلامه

(١) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٧٠.
(٢) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٧٠.
(٣) الكركيّ، رسائل الكركيّ: ٣/ ٢١.
(٤) بحر العلوم، الفوائد الرجاليَّة: ٢/ ٢٥٧، الأمين، أعيان الشيعة: ١٠/ ٦٠.
(٥) العلَّامة الحِلِّيّ، أرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان: ٨٢، جابر، الحلقة الضائعة من تاريخ جبل عامل: ٤٢٥، سامي المعموريّ، الإجازة العلميَّة عند علماء جبل عامل: ١٢٩.
(٦) بحار الأنوار: ١٠٤/ ٧٨.

بالأوصاف والنعوت الكبيرة لشخص الشهيد، يقول:

«قرأ عليَّ مولانا الإمام العلَّامة الأعظم، أفضل علماء العالم، سيِّد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحقِّ[1] والدين، محمَّد بن مكِّي بن محمَّد بن حامد، أدام الله أيَّامه، من هذا الكتاب مشكلاته، وحقَّق وأفاد كثيرًا من المسائل المشكلات، بفكره الصائب، وذهنه الثاقب..»[2].

فبيَّن فخر المحقِّقين أنَّ المجاز من العلماء الأفذاذ، وممَّن ينبغي أن يجازون بلا اختبار أو قراءة على شيخ بعد ذلك؛ لأنَّه حلَّ مشكلات كتاب الإيضاح، فبادر بإجابة طلبه وأجازه بقوله: «.. وقد أجزت له روايته عنِّي، وأجزت جميع ما صنَّفته وألَّفته وقرأته ورويته، وأجزت له رواية جميع كتب والدي، في المعقول والمنقول والفروع والأصول، وجميع ما صنَّفه أصحابنا المتقدِّمون عنِّي عن والدي عنهم، بالطرق المذكورة لها، وقد ذكر والدي بعض تلك الطرق في كتاب خلاصة الأقوال في معرفة الرجال..»[3].

وقد أوجز فخر المحقِّقين في بيان طرق والده؛ لأنَّها مشهورة، لاسيما في بلد المجاز [بلاد الشام وجبل عامل]؛ لأنَّ العلَّامة عرف بإجازته الكبيره لبني زهرة الحلبيِّين، لذا نراه يركِّز على طرق الرجال، كون المادَّة التي قرأها الشهيد في هذا الباب من العلوم أيضًا، ثمَّ بعد ذلك ذيَّل الإجازة بالتاريخ، قائلا: «..وكتب محمَّد بن الحسن بن يوسف

(١) هذا الوصف للشهيد الأوَّل، ذكره كذلك شمس الأئمَّة الكرمانيّ الشافعيّ، حيث أجاز الشهيد في جمادى الأولى عام ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م، فوصفه بقوله: «المولى الأعظم الأعلم، إمام الأئمَّة، صاحب الفضلَين، مجمع المناقب والكمالات الفاخرة، جامع علوم الدنيا والآخرة، شمس الملَّة والدين..». غاية المراد في شرح نكت الإرشاد: ١/ ٨٩، وينظر: المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٤/ ١٨٣، اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ٢٣٣.

(٢) المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٤/ ٢٨٤.

(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٤/ ٢٨٤.

ابن المطهَّر في سادس شوَّال سنة ستٍّ وخمسين وسبعمائة بالحِلَّة، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله»[1].

١٦. إجازته لمحمود بن محمَّد بن عليّ بن يوسف الطبريّ (حيًّا سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٨م):

تلميذ العلَّامة الحِلِّيّ ومجد الدين عبَّاد بن أحمد بن إسماعيل الحسينيّ مؤلِّف (توضيح الوصول في شرح تهذيب الأُصول)[2]، وقد كتب فخر الدين إجازة لهذا التلميذ في سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م، على ظهر كتابه (كاشف المعاني في شرح حرز الأماني)[3]، وصفه فيها بقوله: «البدر المنير الزاهر، الكامل الفاضل، المعظَّم المفخَّم، جامع محاسن الشِّيم، الفائز بالقدح المعلَّى من ضروب العلوم، وصبوب الحِكَم، أفضل الفضلاء، تاج الأُدباء، بدر الملَّة والحقِّ والدين، أبو المحاسن محمود بن الشيخ الكامل البارع الورع، الفائز في عصره بقصبات السَّبق من أقرانه، شمس الملَّة والدين محمَّد بن عليّ بن يوسف الأنزانيّ أدام الله علوَّه، وزاد في باب الفضائل علوَّه، بعدما سمع من المجيز كتابه (كاشف المعاني) من أوَّله إلى آخره، فأجازه أن يرويه عنه وسائر مؤلَّفاته، ومستجازاته ومنقولاته، مراعيًا للشروط المعتبرة عند أهل النقل. حرَّره بخطِّه في أواسط جمادى الثانية، سنة ثمان وسبعمائة»[4].

والملاحَظ أنَّ فخر المحقِّقين حين يُجيز أحد قرأ عليه كتابًا ما، يشير في إجازته أنَّ الإجازة لا تقتصر على الكتاب المقروء، إنَّما جميع كتب الفخر، وربَّما بعض أو كل كتب والده، كما هو واضح في هذه الإجازة.

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٤/ ٢٨٤، الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٣٨. وحصل الباحث على نسخة من الإجازة.
(٢) الطهرانيّ، الذريعة: ٤/ ٤٩٩.
(٣) الطهرانيّ، الذريعة: ١٧/ ٢٣٩.
(٤) الطهرانيّ، الحقائق الراهنة: ٢١١.

١٧. إجازته للمقداد السيوريّ (ت٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)

المقداد بن عبد الله بن محمَّد بن الحسين بن محمَّد الأسديّ، شرف الدين أبو عبد الله السيوريّ، الحِلِّيّ، ثمَّ النجفيّ، المعروف بالفاضل المقداد، وبالفاضل السيوريّ، أحد أعيان الإماميَّة. كان متكلِّمًا متبحِّرًا، وفقيهًا كبيرًا، ذا معرفة بفنون شتَّى، تلمذ على الفقيه المتضلِّع الشهيد الأوَّل محمَّد بن مكِّي العامليّ (ت٧٨٦/ ١٣٨٤م)، واختصَّ به، وأخذ عنه العلم، وروى عنه، وسأله عن مسائل في الفقه، فأجاب عنها شيخه، فسُمِّيت تلك المسائل مع أجوبتها بـ(المسائل المقداديَّة)[١].

سكن النجف الأشرف، وأنشأ بها مدرسة، وحدَّث وأقرأ، والتفَّ حوله الطلبة، وتخرَّج فيه جمع من الفقهاء، وسمع منه كثير من العلماء[٢].

قام المقداد بشرح كتاب مبادى الوصول للعلَّامة الحِلِّيّ، وسمَّاه (نهاية المأمول في شرح مبادئ الوصول)، وذكر في أوَّله أنَّ فخر الدين هو أستاذه وشيخه في جميع ما استفاد من العلم، وقرأ عليه فنونًا، منها مبادئ الوصول لوالده الحِلِّيّ، وقد كشف له الأستاذ عن معضلاته، فأراد أن يُملي تلك الفوائد، فعمل هذا الكتاب الموسوم (نهاية المأمول) في حياة فخر الدين، والنسخة منضمًّا إلى شرح العميديّ في خزانة الصدر الدين[٣].

(١) موسويان، انديشة سياسى متفكِّران مسلمان: ٤/ ٣٣٨، اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء: ٩/ ٢٨٥.

(٢) الحرُّ العامليّ، أمل الآمل: ٢/ ٣٢٥، الأفندي، رياض العلماء: ٥/ ٢١٦، البحرانيّ، لؤلؤة البحرين: ١٧٢، الخوانساريّ، روضات الجنَّات: ٧/ ١٧١، الأمين، أعيان الشيعة: ١٠/ ١٣٤، الطهرانيّ، طبقات أعلام الشيعة: ٤/ ١٣٨، الخوئيّ، معجم رجال الحديث: ١٨/ ٣٢١.

(٣) ينظر: الطهرانيّ، الذريعة: ٢٥/ ٤٠٥.

المحور الثاني

إجازات المسائل الفقهيَّة والعقائديَّة

النوع الآخر من الإجازات التي صدرت عن فخر المحقِّقين كانت إجازات فقهيَّة، وهي ليست إجازات بعد قراءة كتاب، وإنَّما هي إجازات لفقهاء تتلمذوا في مدرسة فخر المحقِّقين، ولـمَّا وجد فيهم القدرة العلميَّة لتحمُّل العلـوم الشرعيَّة والعقائديَّة، أهَّلهم لتعليـم هـذه العلوم ونشرها في بلدانهـم، من خلال حملهم إجازات عنه تعدُّ شـهادات تخرُّج ووثائق لعموم الناس، تشـهد لهم بأنَّهم أهـلٌ لأن يؤخَذ عنهم العلم والفُتيا، وقد رصد الباحث مجموعة من هؤلاء العلماء الذين أجازهم، ومنهم:

١. اجازته للسـيِّد ناصر الدين حمزة بن حمزة بن محمَّد العلويّ الحسينيّ[١] (حيًّا ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)

ويظهـر أنَّ فخر المحقِّقـين إجازةُ بإجازَتَين، منها ما كتبها له على ظهر كتابٍ له، هو (تحصيل النجاة في أصول الدين) بخطِّه، بقوله: «أجزت رواية أجوبة هذه المسـائل عنِّي للسيِّد المعظَّم العالم الزاهد ناصر الدين حمزة بن حمزة.. رجب سنة ٧٣٦هـ»[٢].

(١) حمـزة بن حمزة بن محمَّد ناصر الدين العلويّ الحسـينيّ، من تلاميذ فخـر المحقِّقين، وقد صنَّف باسـتدعائه (تحصيل النجاة في أُصول الدين) سـنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م، ثـمَّ كتب له (إجازة) على ظهـره. الطهـرانيّ، الذريعـة: ١/ ٢٣٥، وصفه في الإجازة بقولـه: [مولانا السـيِّد المعظَّم ملك السادة، ناصر المِلَّة والدين حمزة.. الخ]. الطهرانيّ، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٦٥.

(٢) الطهرانيّ، الذريعة: ٣/ ٣٩٨، ٢٦/ ١٥٧.

والأسئلة والجوابات مع الإجازة بخطِّ فخر الدين منضمَّة إلى كتاب (تحصيل النجاة)، رآها الأفندي، واستظهر أنَّ لابن حمزة أسئلة أخرى سألها من العلَّامة الحِلِّيّ، وكتب هو جواباتها، ورأى الطهرانيّ له رسالة الطهارة، كتابتها سنة ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م، وعليها حواشٍ منقولة من الكتب المتفرِّقة، منها ما نُقِلت من كتاب جوابات مسائل ابن حمزة للعلَّامة الحِلِّيّ[١].

وذكر الأفندي نصًّا آخر لهذه الإجازة، وهو: «أجزت رواية أجوبة هذه المسائل عنِّي للسيِّد المعظَّم العالم الزاهد ناصر الدين حمزة بن حمزة بن محمَّد العلويّ الحسينيّ أدام الله أيَّامه، فليرو ذلك لمن شاء وأحبَّ، وليُفتي بذلك لجماعة المؤمنين، وينبغي أن يقبلوا قوله فيما ينقله عنا من الاحكام الشرعية، وكتب محمَّد بن المطهَّر في سابع عشري رجب لسنة ستٍّ وثلاثين وسبعمائة، بالحضرة المقدَّسة الغرويَّة، صلوات الله على مشرِّفها، حامدًا مصلِّيًا»[٢].

ويورد الطهرانيّ لهذه الإجازة نصًّا آخر، جاء فيه: «وكذلك أجزت له رواية جميع ما صنَّفته وألَّفته ورويته وأُجيز لي روايته، وكذا أجزت له أن يروي عنِّي جميع مصنَّفات والدي عنه، وكذا أجزت له رواية جميع مصنَّفات كتب أصحابنا الفقهاء المتقدِّمين رضي الله عنهم أجمعين، وكتب محمَّد بن الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهَّر الحِلِّيّ في ١٧ رجب المبارك لسنة ٧٣٦هـ، والحمد لله، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله»[٣].

وقد سأل ابن حمزة الحسينيّ فخر المحقِّقين مجموعة من المسائل، فكتب له جواباتها،

(١) الطهرانيّ، الذريعة: ٢/ ٧٤.

(٢) رياض العلماء: ٢/ ١٩٩-٢٠٠، وانظر أيضًا: الطهرانيّ، الذريعة: ٢٦/ ٢٤٤، الأمين، أعيان الشيعة: ٦/ ٢٤١.

(٣) الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٦٥.

وأجـاز له روايتها بمشـهد أمير المؤمنين عليه السلام بالنجف، وأذنَ له بالإفتـاء، ونَقْل الأحكام الشرعيَّة عنه[1].

ومن اتِّحاد تاريخ صدور هذه الإجازة، يظهر أنَّها واحدة، إلَّا أنَّ المؤرِّخين لم يعثروا عليها كاملة، وإنَّما كلٌّ ينقل عن المصدر الذي وصل إليه وما فيه منها، وأنَّ هذه الإجازة تتضمَّن سعي فخر المحقِّقين إلى إيصال صوت العلماء إلى عموم المكلَّفين ممَّن يتبعهم بأنَّ عليهـم قبول ما يلقونه إليهم من عقائد وأحـكام؛ رغبةً في تمتين الروابط وتوطيدها بين العلـماء والعوام، حيث يقول في إجازته له: «وليُفتـي بذلك لجماعة المؤمنين، وينبغي أن يقبلوا قوله فيما ينقله عنَّا من الأحكام الشرعيَّة»[2].

(١) اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ٨٨.

(٢) الأفندي، رياض العلماء: ٢/ ١٩٩-٢٠٠.

المحور الثالث

إجازات عامة في الرواية والفقه

وهـذه الإجازات لم تـرد فيها أنَّ المجاز قـرأ كتابًا، أو أُملي عليه كتـاب من المجيز، ولعـلَّ ذلك قـد حصل ولم يذكـره المؤرِّخون وأصحـاب التراجم، فمن هـؤلاء الذين أجازهم فخر المحقِّقين:

١. محمَّد بن أبي طالب بن الحاج محمَّد الأوي (حيًّا ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)[١]

يعدُّ من العلماء الذين رحلوا في طلب العلم، فقَدِم إلى الحِلَّة، وتتلمذ في بداية دراسته عـلى يد العلَّامـة الحِلِّيّ وولده فخر المحقِّقـين في مدينة الحِلَّة سـنة (٧٠٥هـ/ ١٣٠٧م)، وأجـازة العلَّامة الحِـلِّيّ[٢]، ثمَّ بعد ذلك حصل على إجازة من ولده فخر المحقِّقين سـنة (٧١٠هـ/ ١٣٠٥م)[٣]، والإجازتان معًـا كُتِبَتا على كتاب (مراصـد التدقيق ومقاصد التحقيـق في المنطـق والطبيعيّ والإلهيّ) للعلَّامة الحِلِّيّ[٤]، ومدح فخر المحقِّقين شـمس

(١) العلَّامة الحِلِّيّ، مراصد التدقيق ومقاصد التحقيق: ٤٩.

(٢) العلَّامـة الحِلِّـيّ، إرشـاد الأذهـان: ١/ ١١٥، مختلـف الشـيعة في أحكام الشريعـة: ١/ ٩٥، الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٨٥.

(٣) الطهرانـيّ، الحقائـق الراهنة: ١٨٩، الطباطبائـيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّـيّ: ٨٠، ٢١٤-٢١٥، رسول جعفريان، تاريخ تشيع در إيران: ٢/ ٦٧٥.

(٤) توجد منه مخطوطة تحتوي قسـم المنطق منه، من عهد المصنِّف في القرن الثامن، عليها بلاغات، وعليها إجازة المصنِّف بخطِّ شـمس الدين محمَّد بـن أبي طالب ابن الحاج محمَّد الآوي، كتبها له في السلطانيَّة في جمادي الآخرة سنة ٧١٠ هـ، وعليها إجازة فخر المحقِّقين أيضًا في رابع جمادى=

الديـن الآوي بقوله: «قرأ عليَّ مولانـا ملك الأئمَّة والعلماء، سـيِّد الأفاضل والفقهاء، جامع الفضائل والأخلاق، رئيس الأصحاب، شمس الملَّة والدين، محمَّد بن أبي طالب ابـن الحاج محمَّـد الآوي أدام الله فضائله، كتاب مراصد التدقيـق ومقاصد التحقيق في العلوم الثلاثة، تصنيف والدي أدام الله أيَّامه، قراءة كاشـفة أسـتاره، موضِّحة أسراره، مقـرِّرة دلالاته، فهم ما ألقي إليـه وضبطه، وقدأجزت له رواية هـذا الكتاب.. وكتب محمَّد بن الحسـن بن يوسـف بن عليّ بن المطهَّر الحِلِّيّ، في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة بالسلطانيَّة»[1].

وكتب له فخر المحقِّقين إجازة مختصرة بخطِّه على كتاب (مبادئ الوصول) في سنة (٧٠٥هـ)، والنسـخة الأصليَّـة في مكتبة الإمام عليّ عليه السلام العامَّة[2]، والنسـخة في الخزانة الرضويَّة، كتابتها سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م)[3].

والملاحَـظ في هذه الإجـازات أنَّ فخر المحقِّقين لم يكن يُفرِدها بقرطاسٍ مسـتقلٍّ، بـل كان في الغالـب يكتبها على كتاب يقع ضمن درس المجـاز، وإن لم يكن قد قرأه على المجيز.

وأجـازه فخـر المحقِّقـين أيضًـا عـام (٧٠٥هـ)، مـع أبي الفتـوح أحمد بـن بلكو (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، وقـد وصفـه بقوله: «المـولى المعظَّـم الكبير، المحقِّـق المدقِّق،

=الآخرة سـنة ٧١٠ هـ، وملكها فتح الله الخواجكِّي الشـيرازيّ الأنصـاريّ، ووهبها لابنه همام الديـن محمَّـد في ذي الحجَّة سـنة ٧٦٧ هـ، وهـي في جامعة طهـران، رقـم ٢٣٠١، مذكورة في فهرسها: ٩/ ٩٣٤-٩٣٥، الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ١٨٥.

(١) العلَّامة الحِلِّيّ، مراصد التدقيق ومقاصد التحقيق، مخطوطة محفوظة في جامعة طهران بالرقم: ٢٣٠١.

(٢) ينظر: الملحق رقم (٢)، رقم ٢٨٣٢.

(٣) الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٣٨، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ١٩٠.

ملـك العلـماء، ورئيـس الفضـلاء، محاسـن المتكلِّمـين والحكـماء، أفضـل المحقِّقـين، المؤيَّـد بالنفـس القدسـيَّة والأخـلاق المرضيَّـة، شـمس الدين أبـو يوسـف محمَّد بن هلال»[1].

٢. إجازته لمحمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ صاحب (القاموس المحيط) (٧٢٩-٨١٧هـ)

محمَّـد بـن يعقوب بن محمَّد بـن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر بـن أحمد بن محمود بن إدريس بن فضل الله الفيروزآباديّ، الشيرازيّ، الشافعيّ (مجد الدين، أبو الطاهر)، لغويّ مشـارك في عدَّة علوم، ولد بكازرون من أعمال شـيراز، ونشـأ بها، وانتقل إلى شـيراز، وأخذ الأدب واللغة عن والده وغيره من علماء شيراز، وانتقل إلى العراق[2].

يـروي الفيروزآبادي في بعـض إجازاته ما لفظه: «.. عن شـيخي ومولاي علَّامة الدنيـا، بحـر العلوم وطود العـلى، فخر المحقِّقـين، أبي طالب محمَّد ابن الشـيخ الإمام الأعظم، برهان علماء الأمم، جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهَّر الحِلِّيّ، بحقِّ روايته عن والده، بحقِّ روايته عن مؤلِّفه الإمام الحجَّة..»[3].

وأنَّ فـارس الشـدياق نقـل في كتابه الجاسـوس عـلى القاموس، إجـازة من فخر المحقِّقين لصاحب القاموس، وفيها إجازته لرواية مرويَّاته عن والده[4].

إن روايـة صاحـب القاموس عـن فخـر المحقِّقين فيهـا دلالة كبيرة على الشـهرة الواسـعة والعلميَّة العالية التي تمتَّع بها في جميع الممالك الإسـلاميَّة، بحيث عدَّه صاحب القامـوس (بحر العلـوم، وطود العلى، فخـر المحقِّقين)، وبحقِّ سـمِّي فخر المحقِّقين،

(١) الطهرانيّ، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٢٠٨.
(٢) كحالة، معجم المؤلِّفين: ١٢/ ١١٨، الزركليّ، الأعلام: ٧/ ١٤٦.
(٣) الطهرانيّ، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ١٨٥.
(٤) أحقاق الحقِّ وأزهاق الباطل: ١/ ٥١.

إذ يُطلق عليه الفيروزآباديّ هذا اللقب، وهو المعروف في تتبُّعه في اللغة ودرايته بدلالات الألقاب ومفاهيمها، وأنَّ رواية صاحب القاموس، وإجازه فخر المحقِّقين له، يدلُّ على انفتاحه على باقي المذاهب الإسلاميَّة.

٣. إجازته الشيخ عز الدين الحسن بن شمس الدين محمَّد بن إبراهيم بن الحسام العامليّ (حيًّا ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)[١]

ذكر صورة إجازة فخر المحقِّقين له في (٧٥٣هـ)، على ظهر (القواعد) للعلَّامة الحِلِّيّ، فقال: «قرأ عليَّ مولانا الشيخ الأعظم الإمام المعظَّم شيخ الطائفة مولانا الحاج عزّ الحقِّ والدين الحسن ابن الشيخ الإمام السعيد شمس الدين محمَّد بن إبراهيم بن الحسام الدمشقي»[٢].

٤. إجازته لنجم الدين مهنَّا بن سنان بن عبد الوهَّاب الحسينيّ المدنيّ (ت٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)

يروي عن العلَّامة الحِلِّيّ وعن ولده فخر المحقِّقين، ويروي الشهيد الأوَّل، عنه عن العلَّامة الحِلِّيّ، ووصفه نعمة الله بن خاتون العامليّ في إجازته لجدِّه السيِّد بدر الدين حسن بن عليّ بن شدقم الحسينيّ المدنيّ بالسيِّد العالم نجم الدين مهنَّا بن سنان الحسينيّ المدنيّ، حليف ديوان القضاء بالمدينة المنوَّرة[٣]. ومثله في إجازة أخرى له، إلَّا أنَّه قال: «حليف دار الحكم والقضاء بمدينة سيِّد الشفعاء»[٤].

(١) الحرُّ العامليّ: أمل الآمل: ١/ ٦٦، مروة، موسوعة علماء الشيعة: ٥٠.
(٢) الحرُّ العامليّ: أمل الآمل: ١/ ١١٦، الطهرانيّ، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٤٥، سليمان ضاهر، صلة العلم (بين دمشق وجبل عامل)، مجلَّة المجمع العلميّ العربيّ: ١/ ٩.
(٣) الحرُّ العامليّ: أمل الآمل: ١/ ٣٢٠، النوريّ، خاتمة مستدرك الوسائل: ١/ ٤٤٧.
(٤) الحرُّ العامليّ: اعيان الشيعة، ١٠/ ١٧٠.

وإجازة فخر المحقِّقين له متوسطة، كتبها له بالحِلَّة في ذي الحجَّة سنة (٧٠٩ هـ) في ذيل إجازة والده العلَّامة له[١]. وجاء في هذه الإجازة: «وقد أجزت له أن يروي عنِّي جميع مصنَّفاتي ومؤلَّفاتي ومقرواتي، فليروِها لمن شاءَ وأحبَّ..»[٢].

وبعد أن أجاز له رواية مصنَّفاته، تحوَّل إلى إجازته له بمصنَّفات والده، وهذا هو دأب فخر المحقِّقين في منح الإجازات يضع نصب عينيه توسعة دائرة البحث في مؤلَّفات العلَّامة بين العلماء من خلال الإجازة، فيقول: «وأجزت له أن يروى عنِّي جميع مصنَّفات والدي، عنِّي عنه..»[٣].

ثمَّ بعد ذلك يُجيزه برواية مصنَّفات العلماء، كالخواجة الطوسيّ وغيره، يقول: «.. وجميع ما صنَّفه جدِّي في الأصول والحديث، وجميع ما صنَّفه قدماء علمائنا بطريق استنادي إليهم، وجميع مصنَّفات الإمام الأعظم أفضل المحقِّقين خواجة نصير الملَّة والحقِّ والدين الطوسيّ عنِّي عن والدي عنه، وجميع مصنَّفات أفضل المتأخِّرين فخر الدين الرازي، عنِّي عن والدي عن نجم الدين دبيران عن أثير الدين الأبهريّ عنه، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله الطاهرين وسلَّم تسليمًا»[٤].

٥. إجازته لمحمَّد بن صدقة (كان حيا ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م)[٥]:

محمَّد بن صدقة، شمس الدين، كان من تلاميذ فخر المحقِّقين المجاز منه ١٥ ذي

(١) الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ١٧٨.
(٢) المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٤/ ١٥١.
(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٠٤/ ١٥١.
(٤) الطهرانيّ، الأنوار الساطعة في المائة السابعة: ٢٠٩.
(٥) له على ظهر نسخة من (مصباح الأرواح) للبيضاويّ، والنسخة موجودة في (الغرويَّة)، وهي: [أنهى قراءة هذا الكتاب من أوَّله إلى آخره، وبحثَهُ وتفحَّص عن مشكلاته، وتحقَّق معضلاته، الأخ في الله، الشيخ الصالح الفقيه العالم شمس الدين محمَّد بن صدقة، نفع الله به وبأمثاله=

القعدة ٧٥٨هـ[١].

أجاز فخر المحقِّقين تلميذه شمس الدين محمَّد بن صدقة في ١٥ ذي القعدة عام (٧٥٨هـ)، وقد أدرج الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفيّ النجفيّ (ت ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) هذه الإجازة في إجازته للشيخ محمَّد بن تركي في السادس من محرَّم الحرام عام (٩١٥هـ)[٢]، وجاء فيها: «أجزت له رواية جميع ما صنَّفه ابن أبي الحديد، شارح نهج البلاغة، عن والدي، عن جدِّي سديد الدين يوسف، عنه»[٣].

وتدلُّ هذه الإجازة على العلاقة بين العلَّامة الحِلِّيّ وابن أبي الحديد، وأنَّ فخر المحقِّقين يروي جميع مصنَّفات ابن أبي الحديد عن أبيه العلَّامة، لاسيما إذا عرفنا أنَّ الخواجة نصير الدين الذي عاصر ابن أبي الحديد، أيَّام محنة المغول، قد التقى به العلَّامة الحِلِّيّ، وتناقشا في بعض المسائل الفقهيَّة.

٦. إجازته للشيخ جمال الدين إسكندر الاسترآبادي (ت ق ٨هـ/ ١٤م)

الشيخ جمال الدين من تلاميذ فخر المحقِّقين، وصفه تلميذ تلميذه، وهو عبدالمطَّلب ابن فخر بن عبد المطَّلب المسيِّبيّ الخزاعيّ القاري، بقوله: المولى الفاضل الكامل مولانا جمال الدين إسكندر الاسترآبادي. وذكر أنَّه أخذ العلمَ عن فخر الدين عن والده الحِلِّيّ إلى آخر سنده. وذكر أيضًا أنَّه أخذ من صاحب الترجمة تلميذه العلَّامة الأوحد نصير

=وأوصله إلى رتب كماله، في مجالس آخرها ٥ ج١ سنة ٢٢٥، وكتبه أفقر العباد إلى الله تعالى عليّ ابن محمَّد الكاشي، عرَّفه الله عيوب نفسه، وجعل يومه خيرًا من أمسه، حامدًا مصلِّيًا مسلِّمًا]. الطهرانيّ، الذريعة:١/ ٢٢٠.

(١) الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٣٦.

(٢) الطهرانيّ، الذريعة: ١٣٤.

(٣) الخوانساريّ، روضات الجنَّات: ٥/ ٢٣، الطهرانيّ، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٨/ ١٩٨، اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ١٩٨.

الديـن محمَّد الطبريّ المدفون بسـبزوار[1]، وقد رآى الشـيخ الحـرُّ العاملي هذه الإجازة بخطِّ الشيخ فخر المحقِّقين[2].

٧. إجازته لابن زهرة السيِّد أبي طالب أحمد بن محمَّد بن الحسن بن زهرة الحلبيّ الحسينيّ (ت٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م)[3]

روى عن العلَّامة الحِلِّيّ، وهو أحد المجازين منه في إجازته الكبيرة لبني زهرة، سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)[4]، وحضر بحث فخر المحقِّقين سـنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)[5]، وله إجازتـان من فخر المحقِّقين، فكتـب له إجازة في ذيل إجازة والـده لبني زهرة، تاريخها (٢٤ ربيـع الأوَّل ٧٥٦هـ/ ٩شـباط ١٣٥٥م)[6]، جاء فيها: «الحمـد لله أجزت لمولانا السـيِّد الطاهر مفخر آل طه وياسين سـيِّد الطالبيين، شرف الأسرة النبويَّة، فخر العترة العلويـة، الإمام الأعظـم، أفضل علماء العـالم، أعلم فضلاء بني أدم، أمـين الدين، أبي طالب بن محمَّد بن زهرة الحسينيّ.. أن يروي جميع ما في هذه الإجازة من كتب أصحابنا ورواياتهم، وجميع المشـايخ، عن والدي، عنهم، فليروا ذلك لمن شـاء وأحبَّ، فهو أهلٌ لذلك..»[7].

(١) سـبزوار: هي مدينة تقع ضمن مقاطعة نيسابور، وهي (بيهق) القديمة. الحكيم، مدرسة الحِلَّة العلميَّة: ٣٣١.

(٢) الطهرانيّ، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ١٦، الحكيم، مدرسة الحِلَّة العلميَّة: ٣٣١.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة: ١/ ٢٩٩، الحرُّ العامليّ، أمل الآمل: ٢/ ٢٢، الأمين، أعيان الشيعة: ٣/ ١٤٩.

(٤) الحرُّ العامليّ، أمل الآمل: ٢/ ٢١، البحرانيّ، لؤلؤة البحرين: ٢٠٤.

(٥) المامقانيّ، تنقيح المقال: ٧/ ٢٤٢.

(٦) الطهرانيّ، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٧.

(٧) ابـن زهرة الحلبـيّ، غاية الاختصار في البيوتات العلويَّة المحفوظة من الغبار: ٥٧، المجلسـيّ، بحار الأنوار: ١٠٤/ ٥٩، الأمين، أعيان الشيعة: ٣/ ١٤٠، الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٣٥.

وإنَّ له مسائل ابن زهرة، قرأها على فخر المحقِّقين، فكتب له إجازة في أواخر شهر ربيع الآخر سنة (٧٧١هـ)[١].

وهـذا يدلُّ على وثوق الصلـة العلميَّة بـين العلَّامة الحِلِّيّ وابنه فخـر المحقِّقين من جهـة، وبـين بني زهرة مـن جهة ثانيـة، وعمق العلاقـة المتوارثة بين التلميذ وشـيخه، علـمًا أنَّ أحـد بنـو زهرة له مسـائل جمـع فيهـا إجابـات العلَّامـة وفخـر المحقِّقين في كتـاب، ممَّا يـدلُّ على تواصـل بني زهرة مـع علماء الحِلَّة، لاسـيما العلَّامـة وولده فخر المحقِّقين[٢].

٨. إجازته لرضيِّ الدين عليّ بن محمَّد بن عبد الحميد النيليّ (حيًّا ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م)

أحـد العلماء الذين تتلمذوا عـلى فخر المحقِّقين، وحصلوا منه عـلى إجازة، كما أنَّه مجـاز أيضًا من رضيِّ الدين عليّ بن جمال الدين أحمـد المزيديّ (حيًّا ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، وعن السيِّد شمس الدين محمَّد بن أبي المعالي[٣].

(١) الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٣٥.

(٢) ذكر الطهرانيّ أنَّ هناك مسـائل السـيِّد علاء الدين أبي الحسـن عليّ بن زهرة الحلبيّ، سـألها عـن العلَّامة الحِـلِّيّ وولده فخر المحقِّقـين، فأجابا عنها، أو أجاب عنها أحدهما، فرتَّب المسـائل والجوابـات على ثلاثة أنواع، منها ما أجاب عنـه العلَّامة، وما أجاب عنه الفخر، وما أجابا عنه، والجامع لها بهذا الترتيب أخذ الجميع عن خطِّ السائل والمجيب، هو ابن أخي السيِّد علاء الدين ابـن زهرة المذكور، حيث يعبِّر عنه كثيرًا بالشـيخ العمِّ، فهو إمَّا أنَّه أمـين الدين أبو طالب أحمد، أو هو عزّ الدين أبو محمَّد الحسـن، أبناء بدر الدين محمَّد، أخو السـيِّد علاء الدين عليّ، وهما ابنا إبراهيم بن محمَّد بن عليّ بن الحسن بن أبي المحاسن زهرة. الذريعة: ٢٠/ ٣٦٣.

(٣) ابـن أبي جمهور الأحسـائيّ، عوالي اللئـالي: ١/ ٨، الحرُّ العامليّ، أمل الآمـل: ٢/ ٢١، ١٩٢، المجلسيّ، بحار الأنـوار: ١٠٥/ ٩، الأفنديّ، رياض العلماء: ٤/ ٢٠٩، الزنوزيّ، رياض الجنَّة: ١/ ٣٤٢، الخوانسـاريّ، روضـات الجنَّـات: ٢/ ١٦٩، البروجرديّ، طرائـف المقال: ١/ ٩٧، الكلبـاسيّ، الرسـائل الرجاليَّة: ١/ ٦٠٥، القمِّيّ، الكنى والالقـاب: ١/ ٤٣٥، الخوئيّ، معجم رجال الحديث: ١٣/ ٧٤.

وقد كتب النيليّ إجازة للشيخ أبي العبَّاس أحمد بن محمَّد بن فهد الحِلِّيّ المتوفَّى سنة (٨٤١هـ)، مختصرة، تاريخها العشرون من جمادى الثانية سنة (٧٩١هـ)، يروي فيها عن فخر المحقِّقين [١].

٩. إجازته لأبي سعيد الحسن بن الحسين السبزواريّ (حيًّا ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)

هو الفاضل العالم الفقيه[٢]، أُجيز من فخر المحقِّقين في غرَّة ذي القعدة سنة ٧١٨هـ، على كتاب إرشاد الأذهان، والنسخة موجوده في مكتبة السيِّد المرعشيّ العامَّة، برقم ٤٣٥٧[٣].

١٠. إجازته لمنصور بن عليّ (حيًّا ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)

أُجيز من فخر المحقِّقين على كتاب والده العلَّامة الحِلِّيّ تحرير الأحكام الشرعيَّة على مذهب الإماميَّة، في رجب سنة ٧٣٠هـ[٤].

١١. إجازته لعليّ بن حسن بن أحمد بن إبراهيم المطهَّر

وهو الذي نسخ كتاب قواعد الأحكام في مسائل الحلال والحرام، في سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م)، وعليها إنهاء قراءه بخطِّ فخر المحقِّقين، ولم يذكر اسم المجاز، ويبدو أنَّها لأحد أقرباء العلَّامة الحِلِّيّ (عليّ بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم المطهَّر) سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، بقوله: «أنهاه قراءةً وبحثا وفهمًا.. سنة ثلاث وأربعون وسبع مائة»، والنسخة محفوظة في مكتبة مؤسَّسة آية الله البروجرديّ في قم المقدَّسة، رقمها: ٨٤[٥].

(١) موسويان، انديشه سياسى متفكران مسلمان: ٤/ ٣٣٨، الطهرانيّ، الذريعة: ١/ ٢٢٠.
(٢) الأفندي، رياض العلماء: ١/ ١٧٦.
(٣) العلَّامة الحِلِّيّ، إرشاد الأذهان: ١/ ١٩٤.
(٤) الطباطبائيّ، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ: ٨٠.
(٥) حصل الباحث على نسخة ضوئيَّة من المخطوط. ينظر ملحق رقم (٣).

وعلى أساس كلِّ ما تقدَّم، يمكن لنا تسجيل أهمِّ الخصائص التي تميَّزت بها إجازات فخر المحقِّقين، بما يأتي:

١. من الناحية العلميَّة، خصوصًا ما تعلَّق منها بالإجازات في مجال العلوم الدينيَّة، فقد تميَّزت إجازات فخر المحقِّقين بأنَّها كانت شاملة لأغلب المجالات الدينيَّة، من فقه، وعلم أصول، وعلم كلام، وحديث.. الخ، وهذا التعدُّد يُظهِر الأبعاد والخلفيَّات والمؤهِّلات العلميَّة لفخر المحقِّقين، من حيث امتلاكه للجداول العلميَّة التي أهَّلته إجازاته في مثل هذه المجالات المختلفة.

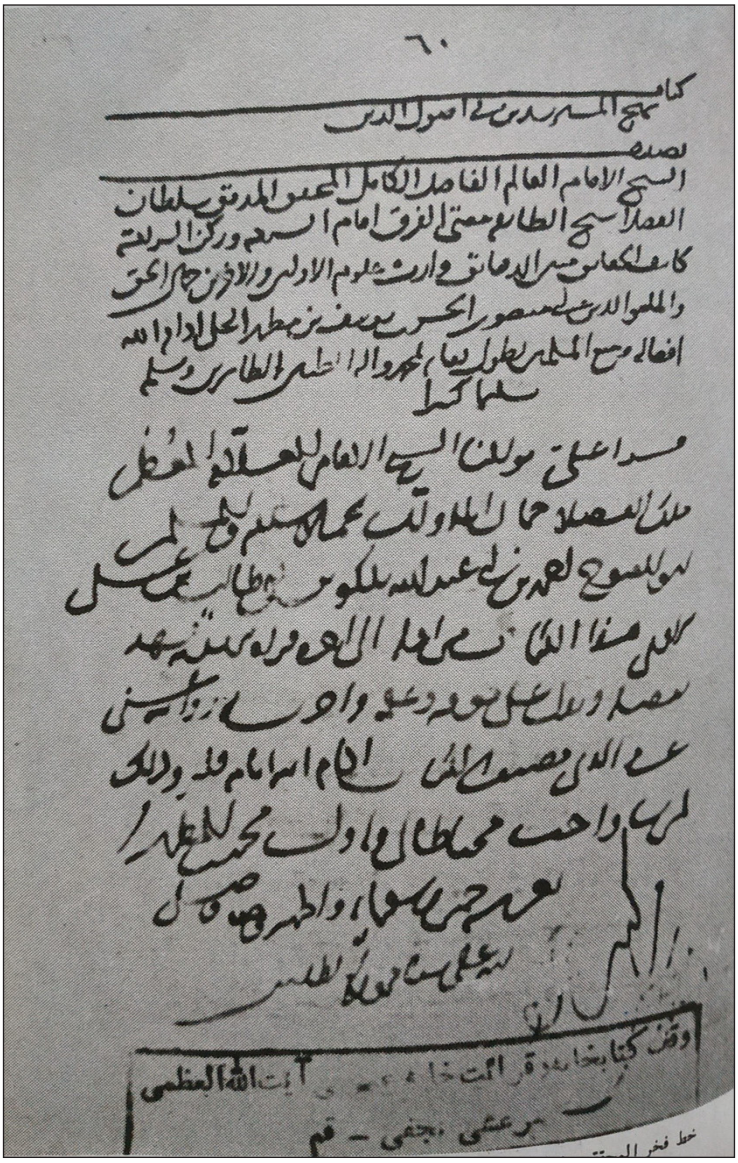
٢. أمَّا من الناحية المكانيَّة، فإنَّ ما يلفت النظر في إجازات فخر المحقِّقين، هو عدم اختصارها على علماء الحِلَّة، ولاسيما تلاميذ والده العلَّامة الحِلِّيّ، ولا على علماء العراق بشكلٍ عام، بل شملت إجازاته علماء من مدن في العالم الإسلاميّ، متباينة من حيث المكان، فنجد مثلًا إجازته لابن زهرة السيِّد أبي طالب أحمد بن محمَّد بن الحسن بن زهرة الحلبيّ (ت٧٩٥هـ)، وهو من مدينة حلب، وإجازته للشهيد الأوَّل شمس الدين محمَّد بن مكِّي العامليّ الجزينيّ (ت٧٨٦هـ)، وهو من مدينة جزين في جبل عامل، وكذلك إجازته لتقي الدين إبراهيم بن حسين بن عليّ العامليّ (ت٧٠٩هـ)، وهو من طبرستان، وكذلك إجازته لمحمَّد بن يعقوب الفيرزآباديّ (ت٨١٧هـ)، وهو أصلًا من شيراز، ثمَّ انتقل في مرحلة متأخِّرة إلى العراق.

ودلالة مثل هذا الأمر بتقديرنا أنَّ فخر المحقِّقين أصبح في عصر يتمتَّع بنوع من المركزيَّة العلميَّة، بحيث جعل كثير من علماء الشيعة من مناطق وأمكنة مختلفة يشدُّون الرِّحال إليه؛ لاستحصال الإجازات العلميَّة التي تُكسبهم الصفة الشرعيَّة والعلميَّة لمزاولة حقول اختصاصاتهم.

٣. أمَّا من الناحية الزمنيَّة، فيمكن لنا مقاربة إجازات فخر المحقِّقين بالقول إنَّها غطَّت نطاقًا زمنيًّا كبيرًا، وبدأت عنده في زمن مبكِّر، وهذا الأمر يحمل في دلالاته بُعدَين، الأوَّل: أثر والده العلَّامة الحِلِّيّ، وأهليَّة فخر المحقِّقين للتصدِّي لخلافته، والمحافظة على ميراثه العلميّ في شخصه، والبُعد الثاني أن هذا الميراث قد قام بأحيائه وتصنيفه وتحقيقه، فأصبحت أهميَّة إجازاته العلميَّة، وكأنَّها امتداد طبيعيّ لإجازات والده العلَّامة، وهذا الذي يفسِّر تهافت كثير من العلماء وطلبة العلوم الدينيَّة لأخذ الإجازة منه، إلى جانب المدَّة الزمنيَّة التي غطَّتها مرجعيَّته.

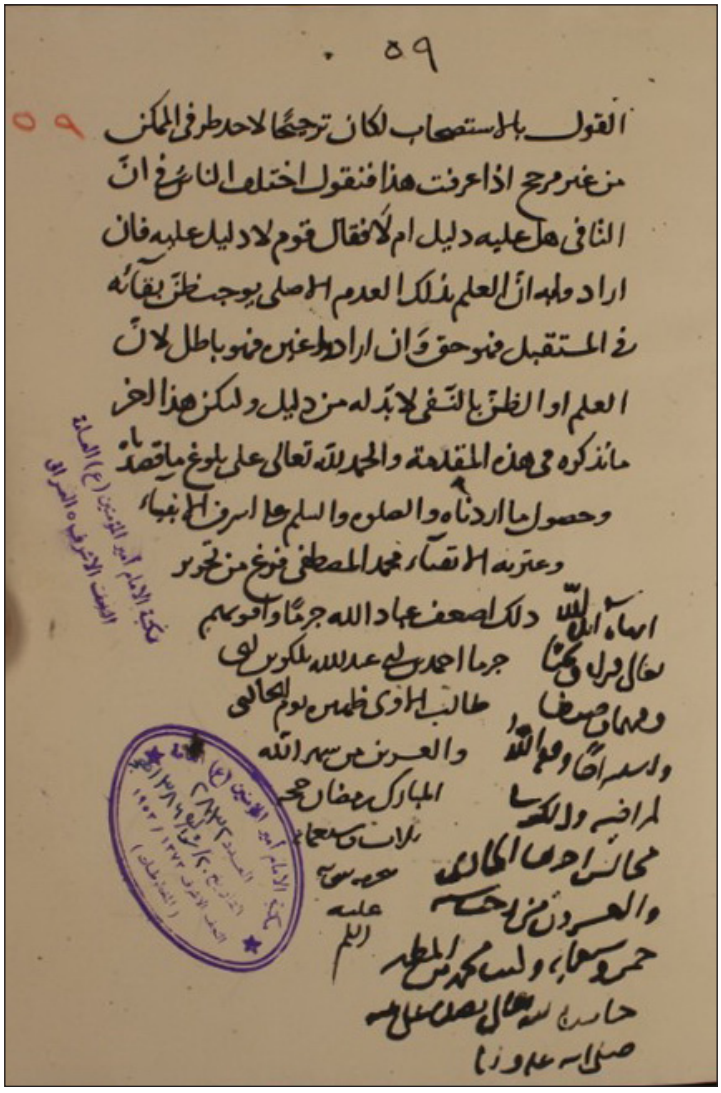
٤. وهنالك بُعد آخر يتجلَّى في ما أوردناه سابقًا حول إجازات فخر المحقِّقين، يرتبط بالبُعد الإسلاميّ، وهذا الأمر يعني بمعطياته أنَّ إجازات فخر المحقِّقين لم تقتصر على العلماء من أبناء طائفته من المذهب الإماميّ، بل شملت كثيرًا من علماء المذاهب الإسلاميَّة الأخرى، وهذا الأمر يحمل بدلالته عدَّة أبعاد ومؤشِّرات، منها أنَّه يكشف لنا طبيعة علاقات المذاهب والفرق الإسلاميَّة في عصر فخر المحقِّقين، إذ يتَّضح أنَّ الانفتاح، وليس الانغلاق، كان هو السمة المميِّزة لمثل هذه العلاقات، متمثِّلة بشخص فخر المحقِّقين بالمقام الأوَّل، والبُعد الآخر يتعلَّق بشخصيَّة فخر المحقِّقين نفسه، إذ إنَّ توجُّهاته العقائديَّة امتازت بالمرونة والانفتاح، أي إنَّه كان كوالده العلَّامة الحِلِّيّ، لم يكن متعصِّبًا ومصادِرًا لآراء الفرق والمذاهب الأخرى، بل كان يؤمن بالحوار والتقريب بين المذاهب.

ملحق رقم (١)



إجازة بخطِّ فخر المحقِّقين على كتاب نهج المسترشدين لأبي الفتوح أحمد بن عبد الله بكلو بن أبي طالب، سنة ٧٠٥هـ، المحفوظة في مكتبة المرعشيّ، قم

ملحق رقم (٢)



إجازة فخر المحقِّقين، بخطِّ يده، لأحمد بن أبي عبد الله بكلو بن أبي طالب الآوي، على كتاب والده العلَّامة الحِلِّيّ (مبادى الوصول) في سنة ٧٠٥هـ، في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، رقمها: ٢٨٣٢، التسلسل الإلكترونيّ: ٣٤٣٨

ملحق رقم (٣)



النسخة الأخيرة من كتاب قواعد الأحكام للعلَّامة الحِلِّيّ، وعليها إنهاء قراءة بخطِّ فخر المحقِّقين، ولم يذكر اسم المجاز، ويبدو أنَّها لأحد أقرباء العلَّامة الحِلِّيّ (عليّ بن الحسن ابن أحمد بن إبراهيم المطهَّر) سنة ٧٤٣هـ، في مكتبة مؤسَّسة آية الله البروجرديّ (قم)، رقمها: ٨٤

المصادر

الأفندي، عبد الله الأصفهانيّ (حيًّا ١١٣١هـ/ ١٧١٨م).

١. رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، مؤسَّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ١٩٨٢م، القاهرة، دار الكتب، القاهرة، د.ت.

الأمين، السيِّد محسن.

٢. أعيان الشيعة، تحقيق وإخراج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

القمّيّ،الشيخ عبَّاس (ت ١٣٥٩/ ١٩٤٠م).

٣. فوائد الرضويَّة في أحوال علماء المذهب الجعفريّ،تحقيق: ناصر باقر بيدهندي، قم، مؤسَّسة بوستان كتاب (مركز جاب ونشر دفتر تبليغات اسلامي حوزة علميَّة).

٤. الأنوار البهيَّة في تواريخ الحجج الإلهيَّة، تقديم: محمَّد كاظم الخرسان، دار الأضواء، لبنان، د.ت.

٥. الكنى والألقاب، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط٢، قم، ٢٠٠٤م.

القمّيّ أبو الحسن عليّ بن الحسين (ت٣٢٩هـ.ق).

٦. الإمامة والتبصرة، مدرسة الإمام المهدي، قم المقدَّسة.

الطهرانيّ، محمَّد محسن أغا بزرك (ت١٣٨٩هـ).

٧. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣م.

٨. طبقات أعلام الشيعة، تحقيق: عليّ تقي، ط٢، مطبعة إسماعيليان، قم، د.ت.

٩. الأنوار الساطعة في المائة السابعة، تحقيق: علي نقي منزوي، دار أحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠م.

الحمويّ، ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٧م).

١٠. معجم البلدان، ط٢، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

البحرانيّ، يوسف بن إبراهيم بن أحمد (ت ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م).

١١. لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم الحديث، تحقيق: السيِّد صادق بحر العلوم، مطبعة النعمان، النجف د.ت.

البحرانيّ، السيِّد هاشم (ت١١٠٧هـ).

١٢. البرهان، الدراسات الإسلاميَّة، قم.

البروجرديّ، عليّ أصغر بن محمَّد شفيع الجابلقيّ (ت١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م).

١٣. طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، مطبعة بهمن، قم، ١٩٨٩م.

العلَّامة الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف بن المطهَّر الأسديّ (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م).

١٤. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تحقيق: الشيخ السبحانيّ، د.س.

١٥. نهاية المرام في علم الكلام، مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام.

١٦. نهج الحقِّ وكشف الصدق، تحقيق وتقديم: السيِّد رضا الصدر، تعليق: الشيخ عين الله الحسنيّ الأرمويّ، ذي الحجَّة، ١٤٢١.

١٧. خلاصة الأقوال، مختلف الشيعة، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، قم، ١٤١٩هـ.

١٨. تفضيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: رضا الحسينيّ الهلاليّ، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٤هـ.

الحرُّ العامليّ (ت١١٠٤هـ).

١٩. أمل الآمل، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ الأشكوريّ، نشر دار الكتاب الإسلاميّ، قُم المقدَّسة، ١٣٦٢ش.

المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

٢٠. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، ط٢، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٢م.

التستريّ، نور الله .

٢١. أحقاق الحقِّ وأزهاق الباطل، تحقيق: شهاب الدين النجفيّ، مطبعة منشورات مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، قم، د.ت.

الخوانساريّ، محمَّد باقر الموسويّ (ت١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م).

٢٢. روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسادات، مطبعة دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت.

الطبرسيّ الميرزا حسين بن محمَّد تقي النوريّ.

٢٣. خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة ستاره، قم، ١٤١٥هـ.

الطبرسيّ، الفضل بن الحسن.

٢٤. أعلام الورى، مؤسَّسة آل البيت، قم، ١٤٧٧هـ.

البحوث المترجمة

عرفان السيِّد ابن طاووس
دراسةٌ تحليليَّةٌ في الأفكار العرفانيَّة
للسيِّد ابن طاووس (القسم الأوَّل)

الدكتور محمَّد هادي فلاح

ترجمة : أيُّوب ناصر نعمة

مراجعة : أ.د عليّ عبَّاس الأعرجيّ

مركز تراث الحِلَّة

The Mysticism of Sayyid Ibn Tawus
An Analytical Study of Sayyid Ibn Tawus›s Mystical Thoughts (Part One)

Dr. Muhammad Hadi Falah

Translated by: Ayyub Nasser Ne›mah

Reviewed by: Prof. Ali Abbas Al-Araji

Hilla Heritage Center

القسم الأوَّل

الفكر العرفانيّ

الفصل الأوَّل

العرفان العلميّ

١ - مدخل

نسعى في هذا القسم إلى بيانِ المفاهيم المتعلِّقة بالعِرفان، وهي على النَّحو الآتي: ما العرفانُ؟ وما أبعادُه العلميَّة والعمليَّة في فكر السيِّد ابن طاووسٍ؟.

١-١. ما العرفان؟

نلاحظ في آثار السيِّد ابن طاووس استعماله للفظ (عرف) ومشتقَّاتها، مع أنَّه لم يُعرِّف (العرفان)، و(العارف) بتعريفٍ خاصٍّ؛ فهو لم يصرِّح بذلك في أسفاره.

قال بعض المحقِّقين في هذا السياق: «مع أنَّ ابن طاووس لم يعرضْ عقائده بنحوٍ منظَّم في جميع آثاره، ولكن يمكن رصدُ ذلك بوضوحٍ عبر ما كتبه في مسفوراتِه؛ فإنَّه يدورُ في المسائل المهمَّة في فلك الفكر الشيعيّ الإماميّ الاثني عشريّ»[1].

(١) كتابخانه ابن طاووس وأحوال وآثار أو (كلبرگ، اتان): ٤٥.

ولكن ثمَّة ملاحظة ينبغي الإشارةُ إليها: عبر متابعة ما جاء في آثار السيِّد، يمكن أن نحصل على رسم صورة حول العرفان، والعارف في نظر السيِّد.

فيمكن أن نفهم العرفان في نظر ابن طاووس بأنَّه: معرفة ذات الله، وصفاته، وأفعاله[1].

وأيضًا: إنَّ الأملاك، والممتلكات بالحقيقة لله ﷻ[2].

وأنَّه يرى الطرائق الفطريَّة لمعرفة الحقيقة أقرب من الطرائق الكسبيَّة، والنظريَّة[3].

ويعتقد أن يقوِّي الإنسان ما عنده من فطرة بالتَّنبيهات العقليَّة، والنقليَّة: «أوصيك يا ولدي محمَّد ومَن بَلَغه كتابي هذا ممَّن يعلِّم المُسترشدين إلى معرفة ربِّ العالمين، أن يقوِّي ما عندهم في الفطرة الأوَّليَّة بالتَّنبيهات العقليَّة، والقرآنيَّة، والهدايات الإلهيَّة، والنبويَّة..»[4].

(١) مهج الدعوات ومنهج العبادات: ١/ ٢.

(٢) لا بأس بنقل عبارته: «واعلم يا ولدي أنَّني كنت أشتري هذه المليكات بالله ﷻ، ولله ﷻ، بنيَّة أنَّ الأملاك وأنا والأثمان كلُّنا ملك لله ﷻ، هذا الذي اقتضاه العقل والنقل، أنَّ العبد لا يملك مع مولاه، وإنَّما كلَّما ملَّكه شيئًا، فهو مجاز، وحقيقة التملُّك لمن أنشأه وأعطاه. وعلمت أنَّني إذا اشتريته بهذه النيَّة، فإنَّ كلَّما يُنفِق أحد منه، أو يخرج عنه، فهو محسوب في ديوان معاملته ﷻ، المرضية في حياتي وبعد وفاتي، وذخيرة عند الله ﷻ لي لأوقات ضروراتي». كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٨١، وأيضًا: «إنَّ كلَّ ملك وسلطان إذا بالغ مع مملوكه في الإحسان، أدخله حضرة وجوده، وشرَّفه تارةً في الإذن له في الخطاب، وتارةً بالجواب.
وَلَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يُكْثِرُ الْخَلَوَاتِ، فَقِيلَ لَهُ: أَمَا تَسْتَوْحِشُ لِمُفَارَقَةِ الْأَهْلِ وَالْجَمَاعَاتِ؟ فَقَالَ: أَنَا جَلِيسُ رَبِّي، إِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ يُحَدِّثَنِي تَلَوْتُ كِتَابَهُ، وَإِذَا أَحْبَبْتُ أَنْ أُحَدِّثَهُ دَعَوْتُهُ، وَكَرَّرْتُ خِطَابَهُ». فلاح السائل: ٦. (م).

(٣) راجع: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٨.

(٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٨.

ويرى طرائق معرفة الله تعالى غير محدودةٍ، ولا تنحصر في أدوات معارف الإنسان(١).

وخصوصيَّةٌ أُخرى للمعرفة في نظَر السيِّد، هي: عطاءٌ، ومنَّةٌ منَ الله ﷻ(٢).

وبعبارةٍ أُخرى: العرفان عند السيِّد هو التَّجلِّي، والكشْف، والشُّهود، وهو خارجٌ عن قدرة الإنسان، ولا يكون إلَّا بعناية، وتذوُّق من الله تعالى(٣).

ومن خصائص المعرفة عند ابن طاووس: أنَّها لا يُعرف وقتُها، ومتى تحصَلُ للفرد:

«وممَّا يدلُّك يا ولدي على أنَّ معرفة الله ﷻ من جُوده؛ لتطلبَها من باب الوِفادة عليه مع وفودِه، أنَّك تجد أكثرَ العارفين لا يعرفون وقت معرفتِهم به ﷻ، ولا يوم ذلك، ولا ليله، ولا شهره، ولا سنته»(٤).

ومن خصائص المعرفة عنده أنَّ الله ﷻ هو من يعطي الأهليَّة، والاستعداد للإنسان كي يعرِّفَه بقدرته، وعبرها يترقَّى(٥). «إنَّ المعرفة بالله ﷻ، سواء كانت من الله ﷻ، أو من العبد، أو منهما، فإنَّما يكون الثَّوابُ على استمرار العبد عليها، ولزوم ما يُراد منه بها، ولها»(٦).

(١) لاحظ: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٦.
(٢) راجع: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٣٩، ٥٤.
(٣) ونصُّ عبارته: «فلم تقم القوَّة البشريَّة بمكاشفة الجلالة الإلهيَّة، وإيَّاك يا من لا تعرف حقيقة ذلك أن تستبعده، أو يجعل الشيطان في تجويز الذي رويناه عندك شكًّا، بل كن به مصدِّقًا، أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.
فلاح السائل: ١٠٨. (م)
(٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٥.
(٥) لاحظ: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٧٦.
(٦) المصدر نفسه: ٥٧.

ومعه فالمعرفة بنظرِه: الالتزام بالشَّـريعة، والتَّكاليـف الشرعيَّة[1]؛ حتَّى يصل إلى مقام: «أنَّ العبد لا يملك مع مولاهُ، وإنَّما كلَّما ملَّكه شيئًا فهو مجازٌ، وحقيقة التَّملُّك لمن أنشأه، وأعطاهُ»[2].

وفي ضـوء ما تقدَّم؛ فالعِرفان عند السـيِّد ابن طاووس: معرفـة ذات الله، وصفاته وأفعالـه، ويحصـل عن طريـق الفِطـرة، والوحي، والأنبيـاء، والأوصيـاء عليهم السلام بعلمِه، وقدرتـه جلَّ جلاله، وأنَّه يعتقد مـن أنَّ العِرفان عطيَّةٌ من الله تعالى، من دون تحدُّدٍ بزمانٍ، وهو من يعطي الأهليَّة، والاستعداد للإنسان، وعبر المعرفة، والالتزام بالشَّـريعة، حتَّى يصلَ إلى الرُّؤية الكونيَّة التَّوحيديَّة، والتقرُّب إلى الله عزَّ وجلَّ.

١-٢. الأبعاد العلميَّة والعمليَّة العرفانيَّة في فكر السيِّد

لعـلَّ مـن أسـهل طرائـق التعـرُّف إلى أحـد العُلـماء في مجـالٍ بعينـهِ، هـو معرفة الأبعـاد العلميَّـة، والعمليَّـة في ذلـك المجـال، والسـيِّد ليس بدعًـا من هذا السِّـياق، وفي هـذا القسـم نحـاول أن نطَّلِعَ عـلى الأبعـاد العلميَّـة، والعمليَّة العرفانيَّـة في فكر السيِّد.

ونلاحظ ما سطَره السيِّد في آثاره من الأبعاد العلميَّة، والعمليَّة العرفانيَّة الإسلاميَّة، وعلى أسـاس ذلك ألَّف كتبَه، ويمكن معرفةُ منهجِه في طرح جُملة من المسـائل العلميَّة، والعمليَّة في العرفان الإسـلاميّ، وأنَّـه يمكن القول إنَّ هرمَ الفكر العرفانيّ للسـيِّد هو القُـدرة عـلى الإطـلاق، والمالك الحقيقيّ، وهـذه العقيـدة تُلاحَظُ بكثـرةٍ، وإصرارٍ في مسـفُوراتِه؛ فهو يرى أنَّ كلَّ ما عدا الله تعالى مقهورٌ، ومالكٌ لهُ، والإنسان في التَّحقيق، ملكُه.

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٧.
(٢) المصدر نفسه: ١٨١.

«إنَّ العبدَ لا يملك مع مولاهُ، و إنَّما كلَّما ملَّكهُ شيئًا فهو مجازٌ، وحقيقةُ التملُّك لمن أنشأهُ، و أعطاهُ»[1].

«واعلمْ أنَّك على التَّحقيق ملكُه، وما في يدك ملكُه، وهو أحقُّ بحفظِ ملكِه منك»[2].

وتُعدُّ هذه المسألة من المسائل المهمَّة في العرفان الشيعيّ، وكانت تمثِّل أهميَّةً بين عرفاء القرن السابع الهجريّ؛ فنقرأ ما كتبه الشيخ الأكبر محي الدين (ت٦٣٨هـ) في كتابه الفتوحات: «وسمَّيتها رسالة الفتوحات المكيَّة في معرفة أسرار المالكيَّة، والملكيَّة»[3].

ونلاحظ في آثار السيِّد، وفكره من أنَّ أقصر الطرائق للإنسان منحصرٌ في معرفة العبادة، والصراط المُستقيم.

«فالعقول السَّليمة مشغولة بما لزِمَها بمعرفتِه من حقِّ إنشائه، وتربيته، وهِدايته»[4].

«هل كان للألباب عدولٌ عن هذا الباب؟»[5].

ويعتقد السيِّد في هذا السير السلوكيّ أنَّ منهجه السُّؤال، بمعنى: السُّؤال، والدُّعاء والمُناجاة لواجب الوجودِ؛ فكلُّ شيءٍ عنده؛ بل ومنه، وأنَّه يرى أنَّه يمكن للإنسان الوصول من دون طلبٍ، وسؤالٍ بفضلِه، وعطائه تعالى[6]، وأمَّا إذا طلب من الله تعالى

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٨١.
(٢) المصدر نفسه: ١٧٩.
(٣) الفتوحات المكيَّة ١/ ١٠.
(٤) فلاح السائل: ٦.
(٥) المصدر نفسه: ٥.
(٦) كما ورد في الدعاء: «يَا مَنْ يُعْطِي الْكَثِيرَ بِالْقَلِيلِ، يَا مَنْ يُعْطِي مَنْ سَأَلَهُ، يَا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ=

فـلا شـكَّ أنَّه يعطيه، ولا يمكن طيّ هذا الطَّريق من دون المـددِ مِنهُ تعالى، والإدلاء من الأنبياء، والأوصياء (صلوات الله عليهم).

وممَّا سـجَّله السـيِّد من أنَّ الأهداف، هي: الكمالُ، والنَّجـاةُ للوصول إلى رِضا الله تعالى، ومنها معرفة ذاتِه تعالى، وصفاتِه، والتقرُّب بالسُّلوك إلى كمال النَّجاةِ.

«وأن أسأل الله أن تجتمِعَ في دوام العزِّ، والإقبال، والجاه، وكمال النَّجاة»[1].

وأنَّـه عدَّ السُّـجودَ من علامـات القُرب الإلهـيّ: «فجعل السُّـجود من علامات القُرب إلى علَّام الغُيوب؛ فطالِبْ نفسَـكَ بأنَّها تجد عند السُّـجود مـا يجدُ المحبُّ بقُرب المحبوب»[2].

ويضيف في بيان المباني النظريَّة ذات الصِّلة بالدُّعاء، مملوكيَّة العبد، ومالكيَّة الربِّ، وقاهريَّته تعالى، وأنَّه يُشـير إلى التَّعاليم الأُخرى لأهـل البيت عليهم السلام، ولكن في آثار دعائه يبيِّن مبانيه العلميَّة للدُّعاء، والعِبادة، ومثالٌ على ذلك يتوقَّف على اختيارٍ منه تعالى، عبر ثلاث طرائق:

- على لسان رسله (على نبيِّنا وآله وعليهم السَّلام).
- على لسان ملائكتِه.
- على لسان خاصَّتِه.

«فهذا طريقة عن العالم بالغائبات على لسـانِ رسُله عليهم السلام، وعلى لسانِ ملائكته، ومَن شاء من خاصَّته، عليهم أفضل الصَّلوات»[3].

=يَسْأَلْهُ، وَمَنْ لَـمْ يَعْرِفْهُ؛ تُـحَنِّنًا مِنْهُ وَرَحْـمَةً». إقبال الأعمال: ٢/ ٦٤٤. (م)

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٢١٦.

(٢) فلاح السائل: ١١١.

(٣) إقبال الأعمال: ١/ ٢٩، مهج الدعوات ومنهج العبادات: ٦٩، الطرائف: ٢/ ٤٥١.

ونطالع في فكر السيِّد أنَّ العُمدة عنده العملُ الذي يترشَّح منهُ البعد العمليّ العرفانيّ، وما نلاحظُه في كتابته حول العرفان النظريّ؛ فهو بمنزلة المقدِّمة التي تقع في تشكيلة نِظامه، وفكرِه، وما عدا ذلك يقع في نطاق العِرفان العمليّ[1].

ويعتقدُ أنَّ العبادة تحلُّ المشكلات العقليَّة، «متى اشتبه عليك شيءٌ من نتائج العقول؛ فالزمِ الصَّومَ، والخِلوةَ، والتَّذلُّلَ للقادر جلّ جلاله على كلِّ مأمول؛ فإنَّك تجده جلّ جلاله كاشفًا لك ما اشتبه عليك، وباعثًا إلى عقلك، وقلبك من أنوار هدايته ما يفتح أبواب الصَّواب لديك»[2].

ويُعدُّ منهجُه في كتابه (كشف المحجَّة) رسالةَ سُلوكٍ عمليّ، كما صرَّح به[3].

ويؤيِّد هذا المعنى من الأهميَّة، والهداف ما كتبه من كتب في الأدعية[4].

وأنَّه ابتعد عن الفتوى، والمناصب المُقترحة عليه بمُقتضى بُعده العرفانيّ العمليّ[5].

ويمكن التعرُّف إلى السيِّد ابن طاووس في بُعده العلميّ، أو العمليّ العرفانيّ عبر إنشائه الدعاءَ، وما يدعم هذا الادِّعاء ما يقولُه في المضمون الكلِّيّ، والإجماليّ لأدعية أهل البيت عليهم السلام:

«اعلمْ أنَّ في هذه القنوتات إشاراتٍ منهُم عليهم السلام إلى ما كانتْ حالتهم عليه في تلك الأوقات، وإلى معرفتهم بما يتجدَّد بعدَهم، من تأخيرِ دولتِهم، وإظهار التَّألُّم من دفعهم

(١) لاحظ: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٤٢.
(٢) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٧٢.
(٣) راجع: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٤٧.
(٤) يُنظر: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٤٢، ٢٧٧.
(٥) يراجع: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٦٥.

عـن إمامتهم، وعن فرض طاعتِهم، وفيها من الأسـرار ما قد دلُّوا عليه كثيرًا من ذوي الأبصار»[1].

وتخبرنا عن سـيرهِ العمليّ، وعناياته المُختلفة، والأبعاد العلميَّة، والعمليَّة العرفانيَّة للسـيِّد مـا أورده مـن الأدعية لابنه محمَّـد في الفُصول مـن كتاب (المحجَّـة) في بدايتِه، ووسطِه، وما تمنَّاه لهُ[2].

ونُشـير هنا إلى جملةٍ مـن أدعيتِه تتعلَّقُ بالمعرفة، والفِقه، وذكـر الله تعالى، والقُرب، والطَّهارة، والإخلاص.

«أريد من الله جل جلاله أن يلهمَك، ومنكَ أن تُقبل من إلهامه، وأن تتعلَّمَ الفقهَ الذي فيه السَّبيل إلى معرفة الأحكام الشرعيَّة، وإحياء سنَّة جدِّك المحمَّديَّة، ويكون قصدُك بذلك امتثال أمر الله جل جلاله في التَّعليم، وسُلوك الصِّراط المُستقيم»[3].

«حفـظ الله جل جلاله فيكَ عنايتَـه بآبائك الطَّاهرين، وسَـلَفك الصَّالحين، وسـلكَ بهم كامل سبيلهم القويّ المكين»[4].

«جمَّلـك الله جل جلاله بتـمام الأوصـاف، وكـمال الألطـاف، عـلى معرفـة الله جل جلاله، ومعرفـة جـدِّك محمَّـد صلى الله عليه وآله، ومعرفـة عترتـه القائمـين مقامَـه في حفـظ تأويـل كتـاب ربِّـه، وحفـظ شريعتـه، وحفـظ مـا يحتـاج الإسـلام إلى حفـظ مقالـه، وفعاله»[5].

(١) مهج الدعوات ومنهج العبادات: ٤٩.
(٢) راجع: كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٨٨.
(٣) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٨٤.
(٤) المصدر نفسه: ١٧٦.
(٥) المصدر نفسه: ١٤١.

«ملأَ الله ﷻ عقلَك، وقلبَك من التَّصديق لأهل الصِّدق، والتَّوفيق في معرفة الحقِّ»(١).

«ثبَّتك الله ﷻ على طريق الإخلاص، وأثبت اسمَك في ديوان أهل الاختصاص»(٢).

« ذكَّرك الله ﷻ بمواهبِه، ونوَّر سرائرَك بعجائبه، ومناقبِه»(٣).

« أغناك الله ﷻ بتذكارِه، وأنوارِه، وجعل إيثارَك متابعًا لإيثاره»(٤).

«أودعَ اللهُ ﷻ سرائرك أنوار المكاشفة وديعة مستقرَّة مُتضاعفة»(٥).

«كشفَ الله ﷻ لك عن مُراده بيد كمال إسعاده، وإنجاده، وإوفاده»(٦).

«ألهمكَ الله ما يريدُه منك، ويرضى بهِ عنك»(٧).

«طهَّر اللهُ ﷻ في تطهير سرائرك من دنس الاشتغال بغيرِه عنه، وملأها بما يقرِّبُك منه»(٨).

«زكَّاك اللهُ ﷻ بتطهيرك من الذُّنوب، والعيوب، وتجميلك بأداء الواجب، والمندوب»(٩).

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٢١١.
(٢) المصدر نفسه: ٢٠٣.
(٣) المصدر نفسه: ١٤٩.
(٤) المصدر نفسه: ١٤٨.
(٥) المصدر نفسه: ١١٩.
(٦) المصدر نفسه: ١٠٨.
(٧) المصدر نفسه: ١٠٤.
(٨) المصدر نفسه: ١٥٧.
(٩) المصدر نفسه: ١٩٨.

٢- طرائق الوصول إلى المعرفة (مراتب المعرفة)

المُراد من طرائق الوصول إلى المعرفة التي تعدُّ من أهمِّ مسائل ما يُطلق عليه في عصرنا بـ(نظريَّة المعرفة)، ويُعدُّ هذا الاصطلاح جديدًا نسبيًّا؛ إذْ لم يكن مُستعملًا في ما سبق.

نعم، جملةٌ من مسائلها كان متداولًا، ومنها: طرائق الوصول إلى المعرفة التي نلاحظُها في آثار السيِّد، ويمكن بنحوٍ عامٍّ تقسيمُها في نظر السيِّد على قسمَينِ:

١. طريق من دون واسطة.

٢. طريق مع الواسطة.

والمُراد من الطريق الذي من دون واسطةٍ، هو طريق الفطرة، والكشف والشهود.

والمقصود من الطريق مع الواسطة، هو طريق النقل، والعقل.

وفي ضوء هذا التقسيم تضحى المعرفةُ متفاوتةً بنظر السيِّد، وعليه يكون عندنا تقسيمٌ رباعيٌّ لطرائق المعرفة، مع أنَّنا نحتاج طريقَ الكشف، والشُّهود في هذا الكتاب أكثر، وسنشيرُ إلى هذا التَّقسيم:

أ. طريق الفِطرة.

ب. طريق الكشف، والشهود.

ج. طريق النَّقل.

د. طريق العقل.

نوضِّح هذه الطرائق، بنحوٍ مُختصرٍ، بحسب التَّرتيب المتقدِّم.

أ. الطَّريق الأوَّل: الفِطرة

يُعـدُّ طريق الفطرة للمعرفة مـن أوائل الطرائق[1]، وهو موجود في نظام الإنسـان حضوريًّـا، وهو قابل للشـدَّة، والضَّعـف، ولا يحتاج إلى تعليمٍ، وتعلُّـمٍ؛ فهذا الإدراك لا يختصُّ بزمانٍ دون زمانٍ، وبقومٍ دون قومٍ؛ بل هو موجودٌ في الإنسـان من بدء حياتِه إلى زمانِنا هذا، وبعده، وأنَّ الفطرة لا تبديلَ لها، وإن أمكن خفاؤها.

وهـذا النَّحـو مـن المعرفـة، هو مرتبـةٌ من مراتـب العلـم الحضوريّ بـذات الله، وصفاتـه ﷻ، وهذا الطَّريق بين الإنسـان والله، ولا واسـطةَ في البـيْن؛ ولذا فهو أخصرُ الطرائق، وبنحو مباشرةٍ يصل إلى المقصود، ويسمِّيه السيِّد: «فطرة الأوَّليَّة»[2]، و«الفطرة الأوَّليَّة»[3].

ويفترض السـيِّد بالمعرفة أن تكون سـهلةً، وقريبةً، وبعيدةً عـن المخاطر، وهذا ما توفِّره المعرفة الفطريَّة:

«اعلـمْ أنَّني وجـدتُ تدبـير الله ﷻ لمصالح عبادِه مـا ليس هو عـلى مُرادهمْ؛ بل هـو على مـرادِه، وما ليس هو على الأسـباب الظَّاهرة لهم في المكـروه، والمأمول؛ بل هو لمـا يعلمه الله ﷻ مـن مصالحهم التي لا يعلمونهـا، أو أكثرها إلَّا مـن جانبه ﷻ، ومن جانب الرسـول ﷺ، ولو كان العقل كافيًا في الاهتِداء إلى تفضيل مصالحهم؛ لما وجبَتْ بعثـةُ الأنبيـاء، حتَّى أنَّ في تدبير الله ﷻ في مصالح الأنام مـا يكاد ينفرُ منه كثيرٌ من أهل الإسـلام؛ فلمَّا رأيتُ تدبيري ما هو على مرادي، ولا على الأسباب الظَّاهرة في معرفتي، واجتهادي، وعرفتُ أنَّني لا أعرفُ جميع مصلحتي بعقلي، وفِطنتي؛ فاحتجتُ إلى تحصيل

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه: ٥٤.

سعادتي في دُنياي، وآخرتي إلى معرفة ذلك ممَّن يعلمه ﷻ، وهو علَّام الغُيوب، وتيقَّنتُ أنَّ تدبيرَهُ لي خيرٌ من تدبيري لنفسي، وهذا واضحٌ عند أهل العقول، والقُلوب»[1].

ب. طريق الكشف، والشُّهود

تقدَّم آنفًا أنَّ الفِطرة هي طريق من دون واسطةٍ، وهي تمثِّل المرحلة الأولى، ورأس المال لجميع النَّاس، وأمَّا المرحلة الراقية والعالية بواسطة العبادات، والأعمال الصَّالحة، مع تكامل النَّفس، وتتمركز حول التفات القلب بساحة القدس الإلهيّ ما يحصل للأوحديّ من النَّاس.

ويُعدُّ أهل العرفان أهمَّ طريق للمعرفة في العرفان، هو القلب، وتسمَّى هذه المعرفة الفطريَّة، الشهوديَّة، القلبيَّة.

ويعتقد السيِّد أنَّ الفطرة تؤخذ من المعرفة؛ فهي طبيعيَّة، وقريبة، وحضوريَّة، ولا تحتاج إلى مؤونة زائدة، وليس فيها خطرٌ.

ويعدُّ هذا النَّحوَ من المعرفة، مع أنَّها مع الواسطة، لكنَّها متساويةٌ، هي عطيَّة منَ الله تعالى؛ لأنَّ كلَّ ما حصل جميعها منه تعالى:

«الله ﷻ الذي عطف على أوليائه، وخاصَّته، ولطفَ لهم بما أراهم من أسرار ملكوته، ومملكته، وكشفَ الحُجُبَ بينَهُم، وبين عظَمَة ربوبيَّته؛ فأشرقَتْ على سرائر قلوبِهم شموسُ إقباله، وتحقَّقتْ بصائرُهم بما شاءَ من مقدَّسِ جلالِه؛ فعصِمهُم بتلك الهيبة أن يقَعَ في حضرته الاشتغالُ عنهُ منهُم، واشتغلوا بمُراقبته ﷻ عنهُم»[2].

(١) فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين ربِّ الأرباب: ١٢١.
(٢) المصدر نفسه: ١٠٩.

إضاءاتٌ على المُكاشفة والشُّهود

أ. إنَّ حقيقة الكشف، والشُّهود من سُنخ الإشراق، وهو أرقى من اليقين الفكريّ، والذِّهنـيّ، ويُطلق على الشُّـهود اليقين القلبيّ، وعين اليقـين، وحقُّ اليقين، ويُطلَق على الذِّهنـيّ علم اليقين، ولكلٍّ واحدٍ منهما آثـارٌ تتعلَّقُ بالإيمان، وهي بطبيعة الحال مُختلفةٌ؛ فمثـلًا هُنـاك فرقٌ بين رؤية النَّـار، وتصوُّرها، وكذا الآثار العينيَّة للنَّـار عن تصوُّر آثار النَّار[1].

ب. ماهيَّة المُكاشـفة، هي الحضور الداخليّ لعالم الشَّـهادة، وهي نحوٌ من الاتِّصال بالغيب؛ فيسـمعُ، ويرى، ويتلقَّـى قلبُهُ الأخبار الغيبيَّة، وشـهود الحقائق الملكوتيَّة؛ بل شـهودُ حقيقـة الوجود (الله)، وشـهود ما لايتناهى مـن عظمةِ الله، وعلمِـه، وقُدرته، وكمالِه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[2]، ويقول السيِّد في الاتِّصال بالله تعالى، والإقبال عليه: «فَهُم بين متَّصلٍ الإقبال، مكاشف بذلك الجلال»[3].

---

(١) لليقـين إطلاقـان، الأوَّل: اليقين بالمعنى الأعـم، وهو: الاعتقاد الجازم، الثـاني: اليقين بالمعنى الأخص، وهو: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وله مراتب:

١. **علم اليقين**: وهو الذي يحصل للإنسـان عند مشـاهدته الدلائل المختلفة، كأن يشاهد دخانًا، فيعلم علم اليقين أن هناك نارًا.

٢. **عين اليقين**: وهو يحصل حين يصل الإنسان إلى درجة المشاهدة، كأن يرى بعينه مثلًا النَّار.

٣. **حقُّ اليقين**: وهو كأن يدخل الإنسـان النَّار بنفسه، ويحسّ بحرقتها، ويتَّصف بصفاتها. وهذه أعلى مراتب اليقين.

لاحظ على سـبيل المثال: أوصـاف الأشراف (للمحقِّق نصـير الدين الطـوسيّ)، الباب الرابع، الفصل الخامس: ٥٥.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٢٢.

(٣) وتمام عبارته: اعلم أنَّ لأهل الصيام مع اسـتمرار السـاعات واختلاف الحركات والسـكنات، درجـات في أنَّهـم ذاكرون أنَّهم بـين يدي الله ﷻ، وأنَّه مطَّلـع عليهم، و مـا يلزمهم، لذلك من إقبالهـم عليه، ومعرفة حقِّ إحسـانه إليهم، فحالهم في الدرجات على قدر اسـتمرار المراقبات،=

ج. الأداة: تُعدُّ قوَّة العقل مرتبة من مراتب وجود الإنسان الغيبيَّة، وأخفى منها قوَّة يُطلق عليها القلبُ، وكلٌّ منهما بحدودِه بوصفِه من أدوات كشف الغيب؛ فالمُكاشفة العرفانيَّة في مقابل البُرهان الفلسفيّ؛ فأداةُ العارف القلبُ، وأداةُ الفيلسوف العقلُ.

ولا يخفى عليك أنَّ أداة معرفة عالم الغيب تختلفُ عن أداة معرفة عالم الشَّهادة الحسِّيّ؛ فمثلًا العينُ محدودةٌ بحُدود، ومقدورة بقُدرةٍ، والسرُّ فيه أنَّها من سُنخ المادَّة والطَّبيعة، على حين أنَّ المُشاهدة الغيبيَّة غيرُ محدودةٍ، ولا متعيِّنة، ولا مقدورةٍ بقدَرٍ؛ لأنَّ حقيقتها من سُنخ الملكوت، والعِلم، والقُدرة، والحياة، وليس هناك فرقٌ في صِغَر الأجسام، وكِبَرِها، وسهْلها، وصعْبها؛ فالمُشاهدة الغيبيَّة تفوق المشاهدةَ الحسّيَّةَ كرؤية الجبلِ؛ فالغيبيَّة تفوقُه.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾[1].

نعم، من المُحال وضعُ البحر في قدحٍ محدودٍ، مع أن ليس المُراد في الآية الشريفة نفيَ القُدرة عن الله تعالى؛ بل إرادته تعالى لا تتعلَّق بالمُحال.

أمَّا عقل الإنسان، وقلبهُ، يفمكن لهما إخطار ذلك بوصفِهما غير محدودينِ، ولا متعيِّنينِ؛ ويمكنُ لهما الوصول للا محدود، واللا مُتعيَّن، وإدراك ومن هذا القبيل تعقل الكليَّات أيضًا.

=فهم بين متَّصل الإقبال، مكاشف بذلك الجلال، وبين متعثِّر بأذيال الإهمال، وناهض من تعثُّره بإمساك يد الرحمة له والإفضال، ولا يعلم تفصيل مقدار مراقباتهم وتكميل حالاتهم إلَّا المطَّلع على اختلاف إراداتهم، فارحم روحك أيُّها العبد الضعيف الذي قد أحاط به التهديد والتخويف، وعرض عليه التعظيم والتبجيل والتشريف. إقبال الأعمال:١/ ٨٤. (م)

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

فيمكن بأداةٍ غير جسمانيَّة مُشاهدة الغيب الذي هو حقيقةٌ من سُنخِ الملكوت؛ فعندما سأل أحد الخوارج الإمام الباقر عليه السلام:

«يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَيَّ شَيْءٍ تَعْبُدُ، قَالَ: اللهَ تَعَالى. قَالَ: رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: بَلْ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، لَا يُعْرَفُ بِالْقِيَاسِ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ..»[1].

د. المنهج: منهج الفيلسوف المنطقُ، والاستدلال، بينما منهج العارف المُجاهدة، والتَّصفية، وتهذيب النَّفس، والعارف لا علاقةَ لهُ بالعقل، ولا بمنهج الفلاسفة؛ فهو يعتقد أنَّ الشُّهود، والمُكاشفة الطَّريق الوحيد الذي يطمئنُّ إليه للوصول إلى الحقيقةِ، وهو طورٌ فوق طور العقل، «يعدُّ باطن الإنسان بابًا لكلِّ الوجود والعالم؛ لأنَّ من هذا الباب يفتح إلى الحقِّ؛ فإذا رأى الإنسانُ الحقَّ، رأى عِبرَه كلَّ شيءٍ»[2]، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[3].

يعتقد السيِّد ابنُ طاووس أنَّه للوصول إلى الحقائق، والمعارف، فضلًا عن طريق الفطرة الأوَّليَّة، وطريقَي العقل والشَّرع هناك طريقٌ آخر للوصول إلى المعرفة[4].

ومعنى هذا إمكان معرفة الله تعالى بحسب معلوماتِه، ومقدوراتِه على النَّاس «أنَّ طرق المعرفة بالله جلَّ جلاله بحسب معلوماته، ومقدوراته على الأنام، ولا ينحصر عددُها بالأفهام»[5].

(١) الكافي: ١/ ٩٧.
(٢) مجموعة آثار شهيد مطهَّري: ٢٣/ ٤١٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.
(٤) لا يخفى من أنَّ المقصود من طريق المكاشفة، والشهود هنا ليس مستقلًّا عن العقل والشَّرع، بل إنَّه متَّحد معهما، ويعدُّ مرتبة من مراتب المعرفة.
(٥) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٥.

ويعـدُّ السـيِّد أنَّ المعرفـة القلبيَّـة مِنَّـةٌ منـه تعـالى: «ولـه جل جلاله المنَّـة في معرفـة القلب»[1].

وللسيِّد اطِّلاعٌ على مسألة الكشف، والشُّهود، وكذا على أهل الكشف، والعرفان، كما يتَّضح عبرَ مُطالعة آثارِهِ ذاتِ الصِّلة.

نحاولُ في هذا القسم من البحث أن نسلِّطَ الضَّوءَ على معرفة السيِّد بأهل الكشف، ونطـلَّ إطلالةً على الكشـفِ، والشُّـهود في فكرهِ قدس سره، ونشـير إلى عيِّناتٍ من الكشـفِ، والشُّهود لهُ.

١. معرفة السيِّد بأهل الكشف:

نشيرُ هُنا إلى نظَر السيِّد حول العُرفاء، وما ذكرهُ بخُصوصهم؛ إذ يقول:

«ووجدَ العارفون على مائدة ضيافة رسالته تصديقه بإجابة الدَّعوات»[2].

وعليه ينبغي أن يُقال إنَّ السـيِّد، فضلًا عن معرفته بالعُرفاء، مطَّلعٌ على مقولاتِهم، وهـذا النُّصُّ من السـيِّد يمثِّـل اعترافًا منـه أنَّ هناك علاقـةً، وعلقةً بين بيـان العرفاء، وسيرتهم، وسنَّة النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وسيرته.

وقد أقرَّ السيِّد بذلك في حديثِه عن يقينِه؛ فيقينُه بالتَّوحيد عن طريق أهل البيت عليهم السلام «أشـهد أن لا إله إلَّا الله شهادةً صدرت عمَّا شرَّفني به من اليقين، وعرَّفني من الأسرار عن السَّلَفِ الطَّاهرين»[3].

يقول الشَّهيد المطهَّريّ في هذا السِّياق:

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٣٩.
(٢) المصدر نفسه: ٨٠.
(٣) محاسبة النفس، للسيِّد ابن طاووس: ١٠.

«عرفاءُ الإسلام: (الخاتم من ختم المراتبَ بأسرها)، أي إنَّ النبيَّ الخاتم هو الذي اجتاز جميعَ المراحل، ولم يُبقِ وحيُه طريقًا إلَّا سلكهُ، ولا بُقعةً إلَّا كشفَها، ولو افترضنا أنَّ جميعَ المسائل المختصَّة بعلمٍ من العُلوم قدِ اكتُشفت؛ فلن يبقى بعد ذلك مجالٌ لتحقيقٍ جديدٍ، واكتشافٍ جديدٍ، وهكذا هي المسائل المتعلِّقة بالوحي، فبكشف آخر الأواصر الإلهيَّة، لا يبقى مجالٌ لكشفٍ جديدٍ، ونبيٍّ جديد؛ فمُكاشفة الرسالة المُحمَّديَّة أكمل مكاشفة يمكن أن يقومَ بها إنسان، وهي آخر مراحلها، وبدهيّ أنَّ أيَّة مُكاشفة أخرى بعد تلك المُكاشفة، لن تكونَ جديدةً، وهي كالسَّير في أرض سِيرَ عليها من قبل، ولن تحتوي على كلامٍ جديد، وموضوعٍ جديدٍ، آخر الكلام هو الذي ورد في تلك المُكاشفة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1]»[2].

وهناك موارد كثيرة في آثار السيِّد تؤيِّد معرفته بأهل المُكاشفة، ولا شكَّ في أنَّه كان لهُ اطِّلاعٌ على ساحة العُرفاء، وعلى كلِّ حالٍ، وبنحوٍ كلِّيٍّ اطَّلع على سيرة العُرفاء، ولكن لم يُشِرْ إلى أسمائهم، أو اصطلاحاتهم، أو أدبيّاتهم، وممّا يدلّ على ذلك من الاطِّلاع، وتأثُّره بهم، مثل تعبيره: «مقام»[3]، «مقامات العُرفاء»[4] و«مُكاشفة العَيان»[5].

ربَّما لا يمكن لنا تحديدُ زمان لقاء السيِّد بالعُرفاء، وأهل المُكاشفة المعاصرين لهُ، ولكن من المُحتمل أنَّه التقى بهم، أو حصلتْ مُراسلةٌ بينهم، كما حصل بين صدر الدين

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.
(٢) مجموعة أثار استاد شهيد مطهَّري: ٣/ ١٦٧.
(٣) لاحظ: فلاح السائل: ٣٢، ٣٣، ٤٦، ٥٢، ٦٥، ١٠٤، ١٠٦، ١٧٥، ٢٠٦، ٢١١، مهج الدعوات ومنهج العبادات: ٣٠٢.
(٤) راجع: فلاح السائل ونجاح المسائل: ١٠٤، ٢٠١، كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٧٣، مهج الدعوات ومنهج العبادات: ٢٧٣.
(٥) فلاح السائل ونجاح المسائل: ١٠٩.

محمَّد القونويّ، والمُحقِّق نصير الدين الطوسيّ الذي كان يكنُّ للقونويّ الاحترامَ؛ فلعلَّ السيِّد تواصلَ مع الطوسيّ، ونقل لهُ عن القونويّ، ولكن كلُّ هذا يبقى في عالم الاحتمالات، ولا نملكُ وثيقةً تؤكِّدهُ.

ولكنَّه سجَّلَ لنا في كتبِه أنَّه يعرف شخصًا، ووصفَه: «كان يجعل لهُ من الأنوار في الأسرار ما يكون كاشفًا بجلالِه، ومُتشرِّفًا بإقبالِه، ومشغولًا عن كلِّ ما عداهُ من دنياه، وأُخراه..»[1].

وعدَّ هذهِ من المواهب، وبعضٌ منها جرَّبها، والأخرى سمعَها: «فكلُّ هذه المواهب شيء منها جرَّبناه، وشيء منها عرفناه، و سمعناه»[2].

وكتب عن خلوةِ العُرفاء، وأحاديث أهل المُحاسبة، والمُراقبة، وحكايات أهل القُلوب[3].

ويصف عرفاءَ يعرفُهم «أعرف قومًا، أنجادًا، أمجادًا، أفرادًا، كأنَّ الموت على من مضى منهم سعادة، ورحمة، ويكون الموت على من بقِي منهُم زيادة، ونعمة؛ فما أشوقَهم إلى انقضاء أيَّام دارِ الزَّوال، وما أعرفَهم بوجوه الإقبالِ، وما أسعفَهم بصفات الكمال، وما أخوفَهم من المقام في الدُّنيا حذرًا من نُقصان الأعمال، والأحوال، كوشفوا بجلالةِ مولاهم، وعرفوا أنَّه جلَّ جلالُه يراهُم؛ فأرواحُهم، وعقولهم، وقلوبُهم، ونفوسُهم، مشغولةٌ به لذاته، قد بهرَهم مُقدَّس ذاتِه، وشرف صفاته، ويخدمون خدمةَ جهدِ المُستطيع،

(١) وتمام العبارة: «فقد رأينا من شرَّفه جلَّ جلالُه، جعل الذهب والفضة عنده أهون من التراب، بل جعله عنده عدوًّا يفرُّ منه، وإذا حصل له أخرجه عاجلًا، أو تباعد عنه، أو كان يجعل له من الأنوار في الأسرار ما يكون كاشفًا بجلاله، ومتشرِّفا بإقباله، ومشغولًا عن كلِّ ما عداه من دنياه وأُخراه». كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٩٢. (م)

(٢) المصدر نفسه: ١٩٢.

(٣) لاحظ: فلاح السائل: ٦، ٩٠، ١٠٢، ٢١٠.

ويندبون، ويبكون ندبَ من لم يزل في التَّفريط، والتَّضييع، عرَّفهم ما أراد من كُنه جلالِه، وعظمة إقباله؛ فشغلهم بجلالته، وهيبتِه، وحُرمته، ومراحمه، ومكارمه، ونعمتِه عن حظوظ أنفسِهم منه، وما بقِي لهم قلبٌ، ولا جَنانٌ، ولا لسانٌ، ولا إمكانٌ تُصرفُ في ما يبعدُهم عنه، تقيَّدتِ الجوارحُ بقُيود الحضور في خدمة المعبود، وتولَّهت العقولُ، وتتيَّهت بهولِ ذلك الوجود، والجود؛ فعظمتُه ﷻ لهم ذاهلة، ورحمتُه ﷻ الكاملة لهم شاغلة؛ إذ كلٌّ منهما يملك قلوب العارفين، ويشغل عقول المكاشفين، ولكن أولئك لا يُعرَفون إن وجدوا، وإن غابوا لم يفتَقَدوا، وما أعني أنَّ أسماءَهم، ووجوهَهم غير معروفة؛ بل الوجوه، والأسماء موصوفة، وأسرارهم، وأسرار مولاهم عندهم غير مكشوفةٍ»[1].

وعدَّ وقتَ ما بين العشاءَينِ مختصًّا بمُناجات علَّام الغيوب، وكتب عن العارفين من أنَّهم لا يتكلَّمون مع غير الله بهذا الوقت:

«كان جماعة من العارفين لا يتكلَّمون مع غير الله ﷻ بين المغرب، وعشاء الآخرة؛ فإنَّه وقتٌ مختصٌّ بمُناجاة علَّام الغيوب، ونجاح المطلوب..»[2].

وأنَّه كان يعرف شخصًا يعرف أوائل الشُّهور:

«أعرف على اليقين مَن يعرف أوائل الشُّهور»[3].

(١) فلاح السائل: ٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٢.

(٣) للفائدة ننقل تمام كلامه: «أعرف على اليقين من يعرف أوائل الشهور، وإن لم يكن ناظرا إلى الهلال، ولا حضر عنده أحد من المشاهدين، ولا يعمل على شيءٍ ممَّا تقدَّم من الروايات، ولا بقول منجِّم، ولا باستخارة، ولا بقول أهل العدد، ولا في المنام، بل هو من فضل ربِّ العالمين الذي وهبه نور الألباب من غير سؤال، وألهمه العلم بالبديهيَّات من غير طلبٍ لتلك الحال، ولكن هو مكلَّف بذلك وحده على اليقين، حيث علم به على التعيين». إقبال الأعمال: ١/ ١٦. (م).

فضلًا عن معرفة السيِّد بأهل العرفان، والمُكاشفة كما في النُّصوص السَّابقة؛ فإنَّه له علاقة قلبيَّة معهم، وتأثُّره بنظرِ العُرفاء، وسـنتحدَّث أكثر عن هذا الموضوع في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

٢. توصيفُ الكشف، والشُّهود:

ممَّا تقدَّم يرى العارفُ أنَّ المُكاشفةَ، والشُّهود، طريقٌ آمنٌ للمعرفةِ، وهو طورٌ فوق العقلِ؛ إذ يعتقدُ السيِّدُ: «اعلم أنَّ تعريف الله ﷻ لعباده بشيءٍ من مُراده؛ فإنَّه لا ينحصر بمجـرَّد العقل جميعُ أسـبابه، ولا يُدرك بعين الشَّـرعِ تفصيلُ أبوابـه؛ لأنَّ الله ﷻ قادرٌ لذاته؛ فهو قادر على أن يعرفَ عبادَه مهما شاء، ومتى شاء بحسب إرادته..»[1].

وأنَّ السيِّد كان يعتقد بالكشف، والشُّهود، ويعرف أهله؛ ولذا عِبر ما تقدَّم، يتَّضح أنَّه يعتقد بذلك من دون شكٍّ[2].

وعدَّ الكشف من الفتوح الإلهيَّة، ودافع عنها.

٢-١. الفتوح إلهيّ

يُلاحظ منَ الاصطلاحات المُستعملة في آثار السـيِّد: الفتوح إلهيّ، والفتوح إلهيّ، بنظـر السـيِّد، هو ما يحصـل عن طريق القلـب، في قِبال مـا يحصل عن طريـق العقل، والاسـتدلال، وأنَّ السـيِّد يُعطي قيمةً أكثر للفتوح الإلهيّ؛ فهو يعتقد أنَّ ما يحصل عن طريق القلب، هو فتح الإلهيّ بقُدرته الباهرة، ويقول في حديثه عن قدرة الله تعالى عندما يفتح على العبد، وبين العبد القاصر، لا يفتح لنفسِـه: «إنَّ القادر بذاته يفتح إذا شاء على قـدر قدرته القاهرة الباهـرة، والعبد النَّاظر القادر بغيره لا يفتح بنفسـه إلَّا بقدر قُدرته

(١) إقبال الأعمال: ١/ ١٦.
(٢) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٨.

القاصرة، وذلك الفتوح الإلهيّ أقوى اتِّصالًا، وأبقى كمالًا، وأتمّ نورًا، وأعمّ سرورًا، وأوضح في الاطِّلاع على الأسرار، وأرجح في عمارة الأفكار»[1].

وأيضًا: «وتجلَّى لهم في آفاق ما اختصَّ بهِ من مقدوراتِه»[2].

يمكن أن يحصل للعبد فتحٌ عبر أسبابٍ نظريَّة، ولكن تبقى محدودة، كما يطلق على كِليهما معرفة، ولكن أين هذه من تلك؟ هيهات!.

«الله ﷻ الذي عطف على أوليائه، وخاصَّته، ولطف لهم بما أراهم من أسرار ملكوتِه، ومملكته، وكشف الحجب بينهم، وبين عظمة ربوبيَّته؛ فأشرقتْ على سرائر قلوبهم شموس إقباله، وتحقَّقتْ بصائرهم بما شاء من مُقدَّس جلالِه؛ فعصمهم بتلك الهيبة أن يقع في حضرته الاشتغال عنه منهم، واشتغلوا بمُراقبته ﷻ عنهم»[3].

ويعتقد السيِّد بأنَّ: «ذلك الفتوح الإلهيّ أقوى اتِّصالًا، وأبقى كمالًا، وأتمّ نورًا، وأعمّ سرورًا، وأوضح في الاطِّلاع على الأسرار، وأرجح في عمارة الأفكار»[4].

وأنَّ معرفة الله جلَّ وعلا، وأسراره تُعرَّف بأنواره: «واعلم يا ولدي أراك الله ﷻ بعين أنواره ما تحتاج إلى معرفته من أسراره»[5].

ويضرب أمثلةً في سياق تدارك رحمة الله تعالى للإنسان:

«إنَّ أهل الكهف كانوا مماليكَ لا يفقهون، وسحرة فرعون كانوا سُكارى بالكفر

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة:٦٩.
(٢) مهج الدعوات ومنهج العبادات: ١/ ٢.
(٣) فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين ربِّ الأرباب: ١٠٩.
(٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٩.
(٥) المصدر نفسه: ١٩١.

مـا يعتقد ناظرهم أنَّهـم يفيقون؛ فتداركهـم اللهﷻ برحمةٍ من رحماته الجميلة؛ فأمسـوا عارفين به مخلصين، من أهل المقامات الجليلة»[١].

٢-٢. الدِّفاع عن المكاشفة

عدَّ السـيِّد تلقِّي المعرفة الحضوريَّة، والشُّهوديَّة في القلب، وليست من سُنخ العلم المعتمـد على الفكر، والنَّظَر: «جعل قلبـك مرآة تنظر بها ما يريده هوﷻ من العلوم من وراء سَترٍ رقيق»[٢].

يقول الشَّهيد المطهَّريّ في هذا الأمر:

«وبـما أنَّ القـرآن يتحدَّث عن الوحي؛ فإنَّه لا يذكر العقـل؛ بل يقتصر على التوجُّه إلى قلـب الرَّسـول، وهذا يعنـي أنَّ القـرآن لم يحصلْ للرَّسـول عن طريق قـوَّة العقل، ولا بالاستدلال العقليّ؛ وإنَّما هو قلب الرَّسول الذي بلغ حالةً لا نستطيع نحن تصوُّرها؛ فاصبح فيها قادرًا على إدراك تلك الحقائق السـامية، وشـهودها، إنَّ كيفيَّة هذا الارتباط مبيَّنة إلى حدٍّ ما في آيات من سورتَي النَّجم، والتَّكوير»[٣].

وعدَّ السـيِّد غير هذا التلقِّي ناقصًا: «والعبد النَّاظر القادر بغيره، لا يفتح بنفسه إلَّا بقدر قدرته القاصرة»[٤].

وليُعلَم أنَّ هدف السيِّد لم يكن معرفة الحقيقة؛ بلِ الوصول إلى قصد كمال الإنسان، ومقصـوده، وهذا يمثِّل دليلًا على أنَّ السـيِّد يعتقد بالعرفان، وطريق الشُّـهود، كما عدَّ الفكر، والنَّظر؛ بل والقلب أيضًا في مرحلة من المراحل حجابًا «متى وصل إلى غاية تدلُّ

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٩١.
(٢) المصدر نفسه: ١٩٣.
(٣) مجموعه آثار الشهيد المطهَّري: ٢٦/ ٧٠. (فارسيّ).
(٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٩.

على صانع لوجوده؛ فإيَّاه أن يصرف هذا النَّاظر خاطرَه، أو يخلِّي سرائرَهُ من الاعتماد على مراحم، ومكارم صانعه، وجوده»[1].

«لقد وجدتِ الفلاسفة، وأكثر من ضلَّ بغير عنادٍ أنَّ ضلالهم كان من طريق التوكُّل، والاعتماد على العقول، والقلوب، والاجتهاد مع الغفلة عن سلطان المعاد»[2].

ويرى السيِّدُ حقيقة واحدة لا حقائق، وهي أفعال، ذات الله تعالى، وأسمائه «وتجلَّى لهم في آفاق ما اختصَّ به من مقدوراته، وأراهم في مرآة آياته في خلق ملكوته، وسماواته، ما كان كافيًا، وشافيًا في الدَّلالة على مُقدَّس ذاته، وعظيم صفاته»[3].

ويعتقد أنَّ المُكاشفة تحتاج إلى فضل من الله تعالى، وأنَّه دافع عن واقعيَّة المُكاشفة، مستندًا إلى القرآن الكريم في ذلك، فمَن أنكر المُكاشفة، وكذَّبها؛ فهو كمن لا يهتدي، فيقول هذا كذِبٌ «إيَّاك أن تكذِّب بما لم تحطْ به علمًا من فضل الله ﷻ العظيم، فتكون كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[4]»[5].

ولغرض تفهيم، وإفهام، وتقريب إلى من أنكر واقعيَّة المُكاشفة، يخاطبهم بقوله: «فكلُّ المعلومات لم تكن محيطًا بها، ثمَّ علمتَ بعد الاستبعاد لها، ولو قال لك قائلٌ: إنَّه رأى ترابًا يمشي على الأرض باختياره، ويحيط بعلومٍ كثيرة في أسراره، ويغلب مَن هو أقوى منه مثل السَّبع، والفيل، والأمور التي يتمكَّن منها ابن آدم في اقتدارِه، كنت قد استبعدتَ هذا القول من قائله، و تطلَّعت إلى تحقيقه، ودلائله؛ فإذا قال لك هذا التُّراب

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٩.
(٢) جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع: ٤.
(٣) مهج الدعوات ومنهج العبادات ١: ٢.
(٤) سورة الأحقاف، الآية: ١١.
(٥) إقبال الأعمال: ١/ ٦٦.

الذي أشرت إليه هو أنت على اليقين؛ فإنَّك تعلم أنَّك من ترابٍ، وتعود إلى تراب، وإنَّما صرت كما أنت بقدرة ربِّ العالمين؛ فذلك الذي أقدرك مع استبعاد قدرتك هو الذي يقدر غيرك على ما لم تحط به علمًا بفطنتك»[1].

ويعتقد السيِّد أنَّ الله تعالى قد أتمَّ حجَّته على النَّاس بحُججٍ عقليَّة، ونقليَّة، بواسطة الأولياء على أهل المغرب، والمشرق، وأودع ما يحتاجون إليه من العلوم: «وأشهد أنَّ الله جلَّ جلاله قطع بحُججه العقليَّة، والنَّقليَّة، حجج الخلائق، ولطف بالعباد برؤساء، وشهداء، يحتجُّ بهم على من يحتجّ عليه من أهل المغارب، والمشارق، وأودعهم ما يحتاج المكلَّفون منهم إليه، وكشف برحمته، وجوده، عن آيات باهراتٍ، وبيِّنات نيِّرات تهدي إلى من اعتمد في الرِّئاسة عليه، لا يشتبه معدنها، ومكانها، ولا يخفى نورها، وبرهانها، على كلِّ من صدَّقه جلَّ جلاله في قوله الذي وعاه، ورعاه العارفون: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]»[3].

ويسوق نماذج من القرآن الكريم، والسنَّة الشَّريفة للدِّفاع عن الكشف، والشُّهود، وهي:

أ. نماذج من المكاشفات من الكتاب العزيز:

عدَّ السيِّد من النِّساء امرأة فرعون، والسيِّدة مريم (سلام الله عليها)، وأمُّ نبيّ الله موسى (صلَّى الله على نبيِّنا وآله وعليه وعليها السلام)، حصل لهنَّ كشفٌ: «أنَّ امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وأمّ موسى عليه السلام، نساء ذوات ضعف عن الكشف، تولاهنَّ الله جلَّ جلاله بيد اللُّطف، والعطف، حتَّى فارقت زوجة فرعون مُلك زوجها، ودولته، وحقَّرته، وهوَّنت عقوبته.

(١) إقبال الأعمال: ١/ ٦٦
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٣) فلاح السائل: ٣.

وبلغتْ مريم إلى كرامات، وسعادات، حتَّى أنَّ النبيَّ المُعظَّم في وقتها زكريَّا عليه السلام يدخل عليها في المِحراب؛ فيجد عندها طعامًا يأتيها من سلطان يوم الحِساب، بغير حِساب، ويفهم من صورة الحال أنَّ زكريَّا ما كان يأتيه مثل ذلك الطَّعام؛ لأنَّه عليه السلام قال: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ على سبيل التعجُّب، والاستفهام، وهو أقرب منها إلى صفات الكمال.

وهذه أمُّ موسى يوحي الله تعالى إليها بغير واسطةٍ من الرِّجال، حتَّى يهوِّن عليها رمي ولدها، وواحدها، ومهجة فؤادها، في البحر، والأهوال»[1].

وذكر الشيخ الصدوق (ت٣٨٦هـ) قريب من هذا المطلب عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو أَرْجَى مِنْكَ لِمَا تَرْجُو؛ فَإِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عليه السلام خَرَجَ يَقْتَبِسُ لِأَهْلِهِ نَارًا؛ فَكَلَّمَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، فَرَجَعَ نَبِيًّا، وَخَرَجَتْ مَلِكَةُ سَبَإٍ فَأَسْلَمَتْ مَعَ سُلَيْمَانَ، وَخَرَجَ سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ يَطْلُبُونَ الْعِزَّةَ لِفِرْعَوْنَ؛ فَرَجَعُوا مُؤْمِنِينَ»[2].

بعدما ذكر السيِّد نماذج من القرآن، يوجِّه الخِطاب إلى ابنه محمَّد: «فلا تقصر همَّتك يا ولدي محمَّد عن غاية بلغ إليها حال النِّساء الضَّعيفات»[3].

وصرَّح بهذه المسألة في كتابه سعد السعود: «واعلم أنَّ من أسرار الله جلَّ جلاله في هذه الآية أنَّه أرانا جلَّ جلاله أنَّه قوَّى قلب امرأة ضعيفة، وهي أمٌّ شفيقة، وليس لها إلَّا هذا الولد الواحد، على أن تُلقي ما هو أعزُّ عندها من مهجتها في البحر، ووثَّقها من وعده الشرِّيف حتَّى سمعت، وبذلت قطعة كبدها، وسويداء قلبها، وروح روحها في هول البحر العنيف، وأرانا جلَّ جلاله أنَّ يعقوب يكون لهُ اثنا عشر ابنًا ذكرًا، فقدَ واحدًا منهم،

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٧٣.
(٢) الأمالي (للصدوق): ١٧٨
(٣) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٧٤.

وهو أصغرهم، وقد كان عنده علمٌ من سلامته، ونبوَّته، يقول يعقوب: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ فجرى ليعقوبَ من الحُزن، والجزع، وذهاب البصر، حتَّى صار مثَلًا لمن بقِي، وغبر، إنَّ في ذلك والله لعبرة لذوي النَّظر، فينبغي أن لا ييأس الضَّعيف من فضل الله البرِّ اللطيف، إذا رأى القويّ، وعاجزًا عن حالٍ من الأحوال، إنَّ الله تعالى يعطي الضَّعيف من القوَّة ما لا يعطي أهل المقاماتِ العاليـاتِ في الأعمال، وهذه المرأة المعظَّمة أمُّ موسى حجَّة على من كلِّف بمثل تكليفها، أو دونه، أظهر العجز عنه، وحجَّة على مَن وعده الله عزَّ وجلَّ بوعودٍ فلم يثِقْ بها، ولم يفعل كما فعلت أمّ موسى في الثِّقة بالوعد أنَّه يعيد ولدَها إليها، وفيه توبيخٌ، وتعنيفٌ، أن يكون الرِّجال القوَّامون على النِّساء دون امرأة ذات برقع، وخِمار، في طاعة سلطان الأرض، والسَّماء»[1].

ويختم كلامه بالآية الكريمة من أنَّ رحمة الله تعالى يقسِمُها الله لا النَّاس، وينبغي طلبها من الله تعالى: «واطلبْ ذلك ممَّن قال عزَّ وجلَّ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[2]»[3].

ويذكر السيِّد روايةً عن باقر العلوم عليه السلام إنَّ إلقاء هذه الأسرار وليّ الأمر في السّنة: «عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام مَا هَذَا لَفْظُهُ: **إِنَّمَا يَأْتِي بِالْأَمْرِ مِنَ اللهِ فِي لَيَالِ الْقَدْرِ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَإِلَى الْأَوْصِيَاءِ عليهم السلام افْعَلْ كَذَا وَكَذَا**».

أقول: واعلمْ أنَّ إلقاء هذه الأسرار في السّنة إلى وليِّ الأمر ما هو من الوحي؛ لأنَّ الوحي انقطع بوفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، وإنَّما هو بوجهٍ من وجوه التَّعريف، يعرفه من يُلقى

(١) سعد السعود للنفوس: ٧٥.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.
(٣) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٧٤.

إليه ﷺ، وقد قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[3]، ولكلٍّ منها تأويلٌ غير الوحي النبويّ»[4].

ب. نماذج من المُكاشفة في السنَّة الشَّريفة:

يقرِّر السيِّد في سياق دفاعه عن المُكاشفة بذكر عيّنات منها: «قَدْ رُوِيَ أَنَّ مَوْلَانَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ عليه السلام كَانَ يَتْلُو الْقُرْآنَ فِي صَلَاتِهِ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ سُئِلَ مَا الَّذِي أَوْجَبَ مَا انْتَهَتْ حَالُكَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ: **مَازِلْتُ أُكَرِّرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ، حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى حَالٍ كَأَنَّنِي سَمِعْتُ مُشَافَهَةً مِمَّنْ أَنْزَلَهَا عَلَى الْمُكَاشَفَةِ وَالْعِيَانِ؛ فلم تَقُم القوَّة البشريَّة بمُكاشفةِ الجلالةِ الإلهيَّة**»[5].

إضاءات:

١. يعلِّق السيِّد بعد نقله مُكاشفة الإمام صادق آل محمَّد عليه السلام: «**فلم تقُم القوَّة البشريَّة بمُكاشفة الجلالة الإلهيَّة**»، وهذا المهمُّ، في المقام ثمَّة حقيقة، ولكن فهمها غير متيسِّر للجميع، «**فلم تقُم القوَّة البشريَّة بمُكاشفة الجلالة الإلهيَّة**».

٢. يحذِّر الذي لا يدرك هذه الحقيقة بأن لا ينكرَها، أو ينزغَ الشيطان في داخلك شكًّا فيما تقدَّم: «وإيَّاك يا مَن لا تعرف حقيقة ذلك أن تستبعدَه،

(١) سورة المائدة، الآية: ١١١.
(٢) سورة القصص، الآية: ٧.
(٣) سورة النحل، الآية: ٦٨.
(٤) إقبال الأعمال: ١/ ٦٥.
(٥) فلاح السائل: ١٠٧.

أو يجعل الشَّيطان في تجويز الذي رويناهُ عندك شكًّا؛ بل كُنْ بـه مصدّقًا، أَما سمِعتَ الله جلَّ جلالُه يقول: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[1]»[2].

وممَّا ينبغي الإشارة إليه في ما قرَّرهُ السيِّد؛ فإنَّه يعتقد أنَّ تجلِّي الله تعالى، هو المُكاشفة، كما فهمَه من الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ..﴾.

٣. يقول السيِّد الكامل العارف المرحوم حيدر الآمليّ، بعد نقلِه الحديثَ الصادقيّ المُتقدّم: «.. لأنَّ هذا إخبار عن شهوده الحقَّ مع الكلِّ وشهود الكلِّ معه، بحيثُ يسمع كلام الكلِّ من غير مانع، وحاجب، سيما مع نفسه؛ فإنَّه كان يسمع بنفسه من قائله، كما سبق ذِكره من قول الإمام: «**كنت أكرِّر آية حتَّى سمعتُ مَن قائلها**»[3].

٤. أشار المرحوم العارفُ بالله الميرزا جواد الملكِّيّ التَّبريزيّ إلى نظَرَينِ مُختلفينِ للسيِّد ابن طاووس في خصوص لقاء الله تعالى، وما تقدَّم من المُكاشفة؛ ففي نظرِ السيِّد هي لقاء الله:

«في (الإقبال): لعلَّ المراد بزيارة الله في عرشه أن يكون لقوم من أهل الجنَّة مكان من العرش، مَن وصلَ إليه يسمَّى زائر الله، وجعل الله الكعبة الشَّريفة بيته الحرام، من حجَّها؛ فقد حجَّ الله». انتهى.

وأنا أقول: لم يعلمْ مرادهرحمه الله، وأنَّه تأويل أيِّ جزء من الرواية، أيريد تأويل كون الزِّيارة في العرش، أو أصل الزِّيارة؟ وإن كان ظاهرُه الثاني، إلَّا أنَّه ليس هوقدس سره

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
(٢) فلاح السائل: ١٠٧.
(٣) تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم: ٤/ ١٥٩.

من المُستوحشين من بعض مراتب المعرفة، واللقاء؛ فراجعْ ما ذكره في (فلاح السائل) في ذيل قول الصادق عليه السلام في سبب غشوته: «**كرَّرتُها حتَّى سمعتُها من قائلها، ولم يثبتْ جسمي**».

فإنَّ في كلامه قدس سره تصريحًا على تصوير الزِّيارة، والمُلاقاة، بوجهٍ من الوُجوه المعنويَّة التي لا يخالف تنزيهه تعالى عن الشَّوائب الجسمانيَّة.

وأنا أقول: الأَوْلى أن يُقالَ: المُراد: الزِّيارة بعينه، [و] هو الذي فصَّل في المُناجاة الشعبانيّة بأن تخرق أبصار القلوب حجب النُّور؛ فتصل إلى معدن العظمة، وتصير الرُّوح معلِّقةً بعزِّ قُدسِه الأقدس، ولا خُلفَ في ذلك أبدًا يحتاج إلى التأويل، ولعلَّ مُرادَهُ قدس سره تأويلُ تقييد الزِّيارة بكونها في العرش»[1].

٢-٣. الإمداد الإلهيّ

وممَّا ينبغي الإشارة إليه في هذا السِّياق أنَّ السيِّد يعتقدُ أنَّ ما يحصل بالمُكاشفة لا بدَّ من أنَّ لهُ يدًا خفيَّة تمدُّه بالعِناية، وحتَّى الأنبياء الرُّسل، والأوصياء (سلام الله عليهم) لهم هذه العناية: «وأنَّه لا بدَّ من رئيسٍ يتولَّى الله جل جلاله بلُطفه، وعطفه تهذيب اختياره، وتأديب أسراره، وتكميل صفاته، ويكون هو جل جلاله من وراء حركاتِ ذلك المعصوم، وسكناته، يمدُّها بالعنايات الباطنة، والظاهرة، ويرعاها بالهدايا المتناصرة، كما كان من وراء تدبير الأنبياء، والمُرسلين، ومن وراء تدبير من جعله رسولًا من الملائكة، والمُقرَّبين، وهذا واضحٌ لا يخفى على ذوي الألباب، ويكون ذلك المعصوم هو الحجَّةَ لسُلطان يوم الحساب، وقوله وفعله عليه السلام، هو القدوة التي لا تحتمل اختلاف التَّأويلات..»[2].

(١) المراقبات: ١٣٣.

(٢) فلاح السائل: ٥.

٢-٤. الإذن في الكشف والشُّهود

من جملة المسائل المبحوثة في العرفان النظريّ، والعمليّ، مسألةُ التزام السَّالك بالإذن من الله تعالى، أو من شيخِه، ومُرشده بعُنوان الوساطة، والإذن مثلًا في: الإظهار، والتَّصرُّف، والحركات، والسَّكَنات، و..

وذكر السيِّد هذا النَّحو من الإذن، وأنقلُ هنا نماذجَ من كلامه في هذا المجال: «فإنَّني وجدتُ العبد المؤدَّب، والمملوك المهذَّب، يجتهد أن لا يقع منه شيءٌ إلَّا بإذن مولاه، ومالك نِعمته؛ ليسلم بذلك من مُعاقبته، أو مُعاتبته؛ وليكون ضمان درك أعمال العبد على مولاه الذي تابعه في إشارته، وكان معه في إرادته»[١].

تعدُّ مسألة الإذن باعتقاد السيِّد أنَّ العارف متَّصل بالمالكيَّة على الإطلاق، وبنظره إرادة العارف إرادة الله تعالى: «.. حتَّى أوجب عليه من العبوديَّة بما بلغهُ من المقامات الدُّنيويَّة، والدِّينيَّة، أن تكون حركاتُه، وسكناته، وأسفارهُ، واختياره كلُّها بحسب الإرادة الإلهيَّة»[٢].

ومعه ففلسفة العُبوديَّة في برامج العبادة يقع الاتِّصال، والحركات، والسَّكنات، والاختيار، وإرادة العبد بالإرادة الإلهيَّة.

وهكذا يعتقدُ السيِّد أنَّ الدُّعاء بحاجة إلى إذن الأئمَّة الأطهار عليهم السلام؛ فطيُّ الطَّريق، والسَّيرُ في العُبوديَّة لا يحصل من دونهم، «نحن نقول بحسب ما يحتاج إليه للإذن منهم عليهم السلام للإنسان في الدُّعاء بمهما أفاض الله تعالى عليه فنقول، وبعضه من المنقول»[٣].

(١) فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين ربِّ الأرباب: ١١٢.
(٢) الأمان من أخطار الأسفار والأزمان: ١٨.
(٣) المصدر نفسه: ١١٠.

لعلَّ عقيدة السيِّد من أنَّ المُكاشفة أهمّ طريق للمعرفة؛ فعندما يقع للسَّالك كشفٌ؛ فهو بإذنٍ من الله تعالى، كما ذكر ذلك السيِّد للإمام عليّ عليه السلام: «أكمل الوصيِّين، وإمام المتَّقين، والكاشف بالإذن المُقدَّس المكين أسرار ربِّ العالمين»(١).

وتقدَّم من أنَّ السيِّد يعتقد أنَّ الإنسان لا تحصل له المُكاشفة إلَّا بإذنٍ منَ الله تعالى: «ألا ترى أنَّ كلَّ ملكٍ، وسُلطان إذا بالغ مع مملوكه في الإحسان، أدخلهُ حضرةَ وجودِه، وشرفِه، تارةً في الإذن لهُ في الخطاب، وتارةً بالجواب»(٢).

ووصفَ المقامَ العالي لأهل البيت عليهم السلام من أنَّ كلَّ حركاتهم، وسكناتهم بإذنٍ، وفضلٍ من الله تعالى: «قاموا فبفضله، ولأجله، وأن جلسوا فبإذنه، وبقوله، وأن تحرَّكوا فبتأديبه، وإن سكنوا فبتهذيبه، وأنت بعيدٌ من هذه الحال؛ لأنَّك تعرف من نفسك أنَّ همَّتك مُتعلِّقةٌ بدار الزَّوال..»(٣).

ومن هذا التَّأسيس مسألة الإذن ظهور الإمام الحجَّة الوليّ الأعظم المهديّ عجل الله فرجه الشريف: «فإنَّه صلَّى الله عليه حيٌّ موجودٌ على التَّحقيق، ومعذورٌ عن كشفِ أمره إلى أن يُؤذنَ له تدبير الله الرَّحيم الشَّفيق، كما جرت عليه عادة كثير من الأنبياء، والأوصياء»(٤).

وذكرَ السيِّدُ في جملة من آثاره أنَّ بعض الأسرار إظهارها بإذن الله تعالى؛ فمثلًا ما ذكرهُ في كتابه أسرار الصَّلاة، وأنوار الدَّعوات: «إن أذن الله جلَّ جلاله في تأليفه؛ فإنِّني أصونه مدَّة حياتي إلى أن يأذن مَن له الإذنُ في بذله لأحدٍ قبل وفاتي»(٥).

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٤٠.
(٢) فلاح السائل: ٦.
(٣) جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع: ٣٥٩.
(٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٠٤.
(٥) فلاح السائل: ٩.

وكتب صاحب روضات الجنَّات[1]، لعلَّ منشأ إنشاءات السيِّد في الدعاء الإذن: «كأنَّه يرى نفسه مأذونًا في جعل وظائف مُقرَّرة لمواضع المكرمة، ومواقف صالحة، كما ترى أنَّه يذكر أعمالًا من عند نفسِه..»[2].

وثمَّة عبارة للمرحوم المجلسيّ: «بعض ما فتح الله ﷻ ممَّا أنشأته»[3]؛ لعلَّ السيِّدَ يشيرُ إلى هذا المعنى؛ لأهميَّة الإذن، وإنَّه يعتمد على أمر غير طبيعيّ؛ فمثلًا يعدُّ السيِّدُ الاستخارةَ في مرتبة متعاليةٍ، وهي نوعٌ من الإذن.

٢-٥ بيانٌ ونظرٌ للسيِّد في جزئيَّات الكشف والشُّهود

فضلا عن أنَّ السيِّد دافعَ عن الكشف، والشُّهود بشكلٍ عامٍّ، وتقدَّم ما نقلناهُ من عباراتِه في هذا المضمار، والآن ننقل في هذا القسم أوَّلًا بياناتِه، ثمَّ نحلِّلُها إجمالًا.

أ. جملةٌ من خصائص الكشف والشُّهود:

قال السيِّد في كتابِه فلاح السائل: «ولقد وجدتُ من السَّعادة، والإقبال بهدايته ﷻ، وما عرَّفني من مُلاطفته، ومُكاشفته، ولذَّة مُشافهته المُنزَّهة عن كلِّ ما لا يليقُ بكمال ربوبيَّته ما لا أقدر على وصفِه بمقالٍ، ألا ترى أنَّ كلَّ ملكٍ، وسُلطان، إذا بالغ مع مملوكه في الإحسان، أدخلَهُ حضرة وجودِه، وشرفِه، تارةً في الإذن لهُ في الخطاب، وتارةً

(١) سجل المرحوم عبَّاس القمِّيّ في هذا المجال: «أعرب السيِّد الفاضل المعاصر في الروضات في ترجمة هذا السيِّد الجليل (السيِّد ابن طاووس)، فأراد مدحه وتبجيله، فقدَحَه، وأخرج كتابه الشريف مصباح الزائر عن الاعتبار، وأخرج جملة من الأدعية والزيارات من حريم ساحة الأخبار لمجرد الخرص والتخمين، ومتابعة ما دار في أفواه القاصرين». الفوائد الرضويَّة في أحوال علماء مذهب الجعفريَّة: ٤/ ٣٣٠.

(٢) روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسادات: ٤/ ٣٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ١٠٤/ ٣٩.

بالجـواب، وَلَقَدْ كَانَ بَعْـضُ الْعَارِفِينَ يُكْثِرُ الْخَلَوَاتِ، فَقِيلَ لَهُ: أَمَا تَسْـتَوْحِشُ لِـمُفَارَقَةِ الْأَهْـلِ وَالْجَمَاعَاتِ؛ فَقَـالَ: أَنَا جَلِيـسُ رَبِّي، إِنْ أَحْبَبْـتُ أَنْ يُحَدِّثَنِي تَلَـوْتُ كِتَابَهُ، وَإِذَا أَحْبَبْتُ أَنْ أُحَدِّثَهُ دَعَوْتُهُ، وَكَرَّرْتُ خِطَابَهُ.

قلتُ أنا، وكم من مطلبٍ عزيزٍ، وحسن حريز في الخلوة بمالك القلوب، وكم هناك من قرب محبوبٍ، وسرٍّ غير محجوب»[1].

إضاءاتٌ:

١. يصـف السـيِّد أنَّه أدرك مُلاطفـة الله، والمُكاشـفة، ولذَّة المُشـافهة بالله تعالى: «ولقد وجدتُ من السَّـعادة، والإقبال بهدايتـه ﷻ، وما عرَّفني من مُلاطفته، ومُكاشفته، ولذَّة مُشافهته».

٢. أشار إلى أنَّ ما وجد في قلبه لهُ خصوصيَّتان:

- هـذه الصِّلـة مُنزَّهـة عن كلِّ مـا لا يليق به تعـالى: «كلُّ مـا لا يليق بكمال ربوبيَّته».
- هـذه الحالـة لا يمكـن وصفهـا بالمقـال: «مـا لا أقـدر عـلى وصفـه بمقالٍ».

٣. مـن منظـار السـيِّد دخـول العبـد إلى حريـم حضرته بيـده تعـالى: «ألا ترى أنَّ كلَّ ملـكٍ، وسُـلطان، إذا بالـغ مـع مملوكـه في الإحسـان، أدخله حضرة وجوده».

٤. يعتقد أنَّ الإنسان لا تحصل لهُ المُكاشفة إلَّا بإذنٍ من الله تعالى: «وشرفه تارةً في الإذن لهُ في الخطاب، وتارةً بالجوابِ».

(١) فلاح السائل: ٦.

ويبيِّن السيِّد كيفيَّة الارتباط، والعَلاقة عبر ما يقومُ به العرفاءُ من الخَلوَات، ويذكر نموذجًا لذلك: «وَلَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يُكْثِرُ الْخَلَوَاتِ، فَقِيلَ لَهُ: أَمَا تَسْتَوْحِشُ لِمُفَارَقَةِ الْأَهْلِ وَالْجَمَاعَاتِ؟ فَقَالَ: أَنَا جَلِيسُ رَبِّي، إِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ يُحَدِّثَنِي تَلَوْتُ كِتَابَهُ، وَإِذَا أَحْبَبْتُ أَنْ أُحَدِّثَهُ دَعَوْتُهُ وَكَرَّرْتُ خِطَابَهُ»[1].

٥. ويعتقد أنَّ المُكاشفة متَّصلةٌ بربوبيَّته وتدبيره تعالى «المُنزَّهة عن كلِّ ما لا يليق بكمال ربوبيَّته»، أو «أنا جليسُ ربِّي»؛ فما ذكره السيِّد في مقام المُكاشفة، والمُناجاة، والسُّلوك الدُّعاء هو سنخ ارتباطٍ بربوبيَّته تعالى.

٦. عبارة: «وَ كَرَّرْتُ خِطَابَهُ»، يماثل ما نقل عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «كَانَ يَتْلُو الْقُرْآنَ فِي صَلَاتِهِ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ سُئِلَ مَا الَّذِي أَوْجَبَ مَا انْتَهَتْ حَالُكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ: **مَا زِلْتُ أُكَرِّرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ، حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى حَالٍ كَأَنَّنِي سَمِعْتُ مُشَافَهَةً مِمَّنْ أَنْزَلَهَا عَلَى الْمُكَاشَفَةِ وَ الْعِيَانِ**»، وهذا يدلُّ على أنَّ السيِّد ما يمارسه من أدبٍ، وسلوكٍ، مُستند إلى قول المعصوم عليه السلام، وفعله؛ ولذا يكرِّر ما أنشأه من الدُّعاء أيضًا[2].

٧. يستمرُّ في بيان الخلوة، وكيفيَّة ارتباط العارف بتلقِّيه مطلبًا عزيزًا: «قلتُ أنا: وكم من مطلبٍ عزيزٍ، وحسنٍ حريزٍ في الخلوة بمالك القُلوب، وكم هناك من قربٍ محبوبٍ، وسرٍّ غير محجوبٍ»[3].

وهذا يدلُّ على أنَّ مُكاشفة العرفاء لا يمكن وصفُها، كما قال السيِّد: «ما لا أقدر على وصفِه بمقالٍ».

(١) فلاح السائل: ٦.
(٢) لاحظ: الأمان من أخطار الأسفار والأزمان: ١٢٩.
(٣) فلاح السائل: ٦.

وكتب عن بعض العرفاء في هذا السِّياق: «فإنَّ في عباد الله ﷻ العارفين من يعرف وقت حضورهما، ووقت انفصالهما عند المساء، والصَّباح، بأسبابٍ لا تعرفها بالعبارة؛ بل إن شاء الله ﷻ عرَّفكَ ذلك حتَّى تعلمه على الإيضاح»[1].

ويصرِّح في موضعٍ آخر أنَّ أهل التَّوفيق التَّصديق ضاقتْ عليهم العبارة في التَّعبير عن مُشاهدة جلالِه؛ فعلمهم الله تعالى، ورسوله ألفاظًا لذلك: «إنَّما لـمَّا ضاقتِ العباراتُ على أهل التَّوفيق، والتَّصديق، علَّمهم الله ﷻ ورسوله ﷺ ألفاظًا في وصفِ جلالِ اللهِ على قدرِ قُصورِ علومِ العِبادِ»[2].

٨. تقدَّم أنَّ السيِّد يرى المالكيَّة المُطلقة لله تعالى، وهنا يؤكد أيضًا: «في الخلوة بمالك القلوب».

٩. لعلَّ مُراده ببعض العرفاء إشارة إلى نفسه، كما يُلاحَظ في تكملة كلامه: «قلت أنا»، وشبيه هذا ما ذكره في كتابه الكشف، عندما اعترض عليه العلماءُ، وهذا شاهد آخر على أنَّ السيِّد هو المقصود بقوله: «بعض العرفاء»، كما أنَّ من الواضح أنَّ السيِّد نقل مُكاشفات، وشهود، بنحوٍ صريحٍ، وأمَّا الجواب على اعتراض العلماء: «ولقد قال لي بعض العلماء المشكورين: لأيِّ سببٍ تتركُ مُجالستنا، ومُحادثتنا، وأنت تدعونا، وتقرِّبنا إلى ربِّ العالمين؟.

فقلتُ لهُ ما معناه: لأنَّني لو رأيتُ نفسي قويَّة كلَّ أوانٍ، وزمان، على أن أجالسكم، وأحدِّثكم، وأنا مشغولٌ في حال مُجالستكم، ومُحادثتكم بمُجالسة الله ﷻ ومُحادثته بقلبي، وسريرتي، وأنَّكم في ضيافة إقبالي على حُرمته بكلِّيَّتي،

(١) فلاح السائل: ٢٢٦.
(٢) المصدر نفسه: ١٠٠.

كنتُ جالستُكم، وحدَّثتُكم في كلِّ وقتٍ مُمكنٍ من الأوقات، ولكن أخاف أن أحدِّثكم، أو أجالسَكم، وقلبي تارةً ملآن منكم، ومفرَّغ من تذكاري أنَّني بين يدي الله جلَّ جلاله؛ فأعتقد ذلك كالكفر إذا عزلته عن ربوبيَّته، وولايته، ووليَّتكم، وأنتم مماليكه عليه، وعلى قلبي الذي هو موضعُ نظرِه، ومسكن معرفته.

وإن جالستُكم، وحدَّثتُكم، وقلبي تارةً معكم، وتارةً معه، اعتقدتُ ذلك شركًا، وهلَكًا، حيثُ جعلتُ موقعَكم من قلبي موقعِه»[1].

ب. الهدفُ من الكشفِ:

تقدَّم أنَّ الحقيقة بنظر السيِّد أفعالٌ، وأسماءٌ، وذات الله: «وتجلَّى لهم في آفاق ما اختصَّ به من مقدوراته، وأراهم في مرآة آياته في خلق ملكوته، وسماواته، ما كان كافيًا، وشافيًا في الدَّلالة على مُقدَّس ذاته، وعظيم صفاته»[2].

وإنَّ أقصى هدف السيِّد لم يكُنْ معرفة الحقيقة؛ بلِ الوصول إلى مقصود كمال الإنسان، وعدَّ الفكر، والنَّظرَ؛ بل والقلب أيضًا، يمثِّل حِجابًا: «متى وصل إلى غايةٍ تدلُّ على صانعٍ لوجودِه؛ فإيَّاه أن يصرفَ هذا النَّاظر خاطرهُ، أو يخلِّي سرائره منَ الاعتماد على مراحم ومكارم صانعه ووجوده»[3].

إضاءات:

١. يعتقد السيِّد أنَّ التجلِّي من مُختصَّات قدرتِه تعالى: «ما اختصَّ به من مقدوراته»[4].

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٦٣.
(٢) مهج الدعوات ومنهج العبادات: ١/ ٢.
(٣) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٩.
(٤) مهج الدعوات ومنهج العبادات: ٢.

٢. الاستناد إلى إرادته تعالى: «أراهم في مرآة آياته»[١].

٣. الهدف من التجلِّي هداية العباد إلى معرفة ذاته، وصفاته تعالى: «الدَّلالة على مُقدَّس ذاته، وعظيم صفاته»[٢].

٤. معرفة الذَّات، والصِّفات عن طريق «أراهم في مرآة آياته».

٥. عدَّ السيِّد هذا الطريق، المعرفة المرآتيَّة، إحدى طرائق المعرفة، وأنَّ لذلك قيمة أكثر من غيره: «كافيًا شافيًا».

٦. وصف هذا الطَّريق من أنَّه سماويّ ملكوتيّ: «ملكوته، وسماواته».

ج. مقدِّمة في كيفيَّة المُكاشفة:

«إن عاملت الله ﷻ بالصِّدق، والتَّحقيق، جعل قلبك مرآةً تنظر بها ما يريدُه هو ﷻ من العلوم من وراء سترٍ رقيق؛ فَفِي أَخْبَارِ صَاحِبِ الْمِلَّةِ: «الْمُؤْمِنُ مَنْ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ»[٣].

يمكن من هذا النَّصِّ استخراج مُقدِّمة كيفيَّة المُكاشفة عند السيِّد؛ ففي نظرهِ أنَّ مقدِّمة المُكاشفة هي الصِّدق، والتَّحقيق بالمُعاملة مع الله تعالى، «إنْ عاملت الله ﷻ بالصِّدق، والتَّحقيق»، ويترتَّب على ذلك مُقدِّمة أُخرى:«جعل قلبَكَ مِرآة».

وأمَّا مُتعلِّق المُكاشفة، فهي العلوم التي تُنقشُ بالقلب بإرادة الله تعالى: «ما يريدهُ هو ﷻ من العلوم»؛ أي: تلقِّي حضوريّ، وشهوديّ حقيقيّ؛ أمَّا كيفيَّة تحقُّق ذلك: «ستر رقيق».

(١) مهج الدعوات ومنهج العبادات: ١/ ٢.
(٢) المصدر نفسه
(٣) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٩٣.

ويمكن هنا ذِكر بعض الإشارات حول المُكاشفة في نصِّ السيِّد المُتقدِّم:

١. ينبغي أن تكونَ المُعاملة مع الله تعالى بالصِّدق، والتَّحقيق «إن عاملت الله ﷻ بالصِّدق، والتَّحقيق»، بمعنى أن يكون القول، والفعل واحدًا في العلن، والباطن، ويكون في العقل والقلبِ، والنيَّة لا أكبر، ولا أعزَّ من الله تعالى، ولا يشتغل بغير الله، ولا يرجِّح غيرَه عليه[١].

«ومعنى قولي: أن يكون هذا قولك عبادة ومعاملة؛ أي أن يكون الله ﷻ في قلبك، وعند عقلك، عظيمًا على قدر ما وهبك من معرفة ذاته، وصفاته الكاملة؛ فتقصد بهذا الاعتقاد في عظمته..

وأمَّا قولي: أن يكون صادقًا؛ فأريد بذلك أن يكون فعلُك لقولك موافقًا.. تكون سريرتك موافقة لعلانيَّتك في أنَّه لا شيء أعظم منه ﷻ في قلبك، وعقلِك، ونفسِك، ونيَّتك، ولا يكون شيء أعزُّ عليك منه، ولا يشغلك في تلك الحال شيء عنه..»[٢].

٢. جعل الله ﷻ القلبَ مرآةً: «جعل قلبك مرآة».

٣. عندما يريد الله تعالى: «تنظر بها ما يريده هو ﷻ منَ العلوم».

واستند السيِّد في بيانه بالنبويّ الشَّريف ﷺ «الْمُؤْمِنُ مَنْ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ».

ويمكن تسجيل ملاحظتينِ على هذا الحديث:

أوَّلًا: المُكاشفة، والمُشاهدة من مختصَّات المؤمن.

ثانيًا: تحقُّق المُكاشفة من المدِّ، والنّور الإلهيّ.

(١) لاحظ: فلاح السائل: ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ٩٩.

٤. من المُلاحظات المهمَّة التي يذكرها السيِّد في موضعٍ آخر أنَّ الشُّهودَ، والمُكاشفة لا تكون من دون إرادة الله تعالى، وجعْلِه: «فإنَّ الظَّفر بالله على اليقين»[١]، ولا يحصل شيء من دونه تعالى: «وما كان يحصل ما حصل لولاهُ»[٢]، كما يشير من أنَّ البواطن لا طريقَ إليها إلَّا من عند الله تعالى: «إنَّ البواطن لا طريقَ إليها إلَّا من عند علَّام الغيوب»[٣].

٥. عدَّ السيِّد من الطَّرائق لكشف الأسرار التَّوفيق «فإن أدركت يا ولدي موافقة توفيقك لكشف الأسرار عليك»[٤].

٦. إنَّ المعرفة الحاصلة من الكشف لا يقع فيها الخطأُ، ولا تشتبهُ: «لا يشتبه عليك»[٥]، ويستغني عن طريق العقل، والنَّقل «تستغني بذلك عن الحُجج المعقولات، ومن الرُّوايات »[٦].

ويمثِّل ذلك بأخبار الأنبياء (صلَّى الله على نبيِّنا وآله، وعليهم السلام) عن الغيب: «الأنبياء يخبرون بالغيب من غير سببٍ من البشر، وغيرهم يخبرُ بأسباب من توصله بالبشر»[٧]، «يكون تعريف الأنبياء، والأوصياء، بالغائبات بغير أستاذٍ»[٨]، «إنَّ تعريفَهم للعباد بالغائبات ليس عن أستاذ، ولا استعمال شيء من الآلات، ولا في وقت يحتمل الفكر في ترتيب الدَّلالات، وأنَّ الأنبياء لم يقتصرِ الله ﷻ بهم في المُعجزات على التّعريف

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٩٢.
(٢) المصدر نفسه: ١٥٥
(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١/ ١٩٤.
(٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٠٤.
(٥) المصدر نفسه: ١٠٤.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) فرح المهموم: ٥٠-٥١.
(٨) المصدر نفسه: ٨٥.

بالغائبات؛ بلْ جعل لهم من الآيات مثل إحياء الأموات، ومثل إبراء المرضى بغير معالجاتٍ، ومثل إجابة الدعوات في أوقاتها المعيَّنات، ومثل الحكم على مولود قبل ولادته، ومثل نطق الحيوانات الخالية من العقل بتصديق من يصدقه الله تعالى منهم بتزكيته، وشهادة الجمادات لهم بما يريدونه منهم بالله جل جلاله منه، وغير ذلك»[1].

وخُلاصة النَّظر الثَّالث هو بيان تجرِبته، وتقريره العلميّ عن التَّجارب العرفانيَّة، والشُّهوديَّة، والمُكاشفات له.

د. المُكاشفة طريق غير قابل للعدِّ والإحصاء:

«واعلمْ أنَّ تعريف الله جل جلاله لعباده بشيءٍ من مُراده؛ فإنَّه لا ينحصر بمُجرَّد العقل جميع أسبابه، ولا يدرك بعين الشَّرع تفصيل أبوابه»[2].

الإضاءات:

١. تقدَّم أنَّ السيِّد لا يحصر طريق معرفة الله عز وجل بمُجرَّد العقل، والأسباب العقليَّة، كما أنَّه يعتقد أنَّ طريق الشَّريعة لا تمنحنا إدراك أبواب معرفة الله تعالى التفصيليَّة؛ فلا يحصل التَّفصيل عن طريق الأسباب العقليَّة، ولا عن طريق الشَّرع.

٢. ويعلِّل السيِّد أنَّ هناك طريقًا غير طريق العقل، والشَّرع بقُدرته تعالى الذاتيَّة، وهو تعالى يمدُّ في زمن، ووقت غير معلوم: «لأنَّ الله جل جلاله قادرٌ لذاته؛ فهو قادرٌ على أن يعرف عباده مهما شاء، ومتى شاء، بحسب إرادته»[3].

(١) فرح المهموم: ٢١٧.
(٢) إقبال الأعمال: ١/ ١٦.
(٣) المصدر نفسه.

٣. يكتب السيِّد لإثبات مُدَّعاه المُتقدِّم: «أعرفُ على اليقين من يعرف أوائل الشُّهور، وإن لم يكُنْ ناظرًا إلى الهلال، ولا حضر عنده أحدٌ من المُشاهدين، ولا يعمل على شيءٍ ممَّا تقدَّم من الروايات، ولا بقول مُنجِّمٍ، ولا باستخارة، ولا بقول أهل العدد، ولا في المنام؛ بل هو من فضل ربِّ العالمين الذي وهبه نورَ الألباب من غير سؤالٍ، وألهمه العلمَ بالبديهيَّات من غير طلبٍ لتلك الحال، ولكن هو مكلَّف بذلك وحده على اليقين، حيث علم به على التّعيين»[١].

٤. يعدُّ السيِّد المعرفة لأوَّل كلِّ شهرٍ من الأمور الوجدانيَّة، وهي خلاف الطرائق المعروفة، وما يذكر من علاماتٍ لشهر رمضان لمن لم يهبْه الله تعالى فضلَهُ؛ ليعلم ذلك: «واعلمْ أنَّ الله ﷻ تفضَّل علينا بأسرارٍ ربَّانيَّة، وأنوار محمَّديَّة، ومبارٍّ علويَّة، منها تعريفنا بأوائل الشُّهور، وإن لم نشاهد [يشاهد] هلالها، وليس ذلك بطريق الأحكام النُّجوميَّة، ولا الاستخارات المرويَّة، وإنَّما ذلك، كما قُلنا، بالأمور الوجدانيَّة الضَّروريَّة؛ وإنَّما نذكر من دلائل شهر رمضان أو علاماته أو أماراته لمن لم يتفضَّل الله ﷻ عليه بما تفضَّل به علينا من هِباتِه، وكراماته، وإن لم يلزم العمل بها في ظاهر الشَّريعة النَّبويَّة»[٢].

«فيكون الظَّاهر بمعرفة الهلال على اليقين بدلالةٍ من ربِّ العالمين، قد تشرَّف بما يعجزُ عنه شكرُ الشاكرين، والحمد للهِ الذي جعلنا بذلك عارفين»[٣].

٥. يعدُّ السيِّد استتار الهلال عقوبة من الله تعالى: «إنَّ الهلال قد يَستِترُ عقوبةً من الله ﷻ»[٤].

(١) إقبال الأعمال: ١/ ١٦.
(٢) المصدر نفسه: ١٥.
(٣) المصدر نفسه: ٣٦.
(٤) المصدر نفسه.

هـ. الحشر والنشر مع الملائكة:

«فإنَّ في عبـاد الله ﷻ العارفين، من يعرف وقتَ حضورِهما، ووقت انفصالهما عند المساء، والصَّباح بأسبابٍ لا تعرفها بالعبارة؛ بل إن شاء الله ﷻ عرَّفك ذلك حتَّى تعلمَه على الإيضاح»[1].

إضاءاتٌ:

١. يذكر أنَّ هناك عرفاء يعرفون وقتَ حضور الملكينِ المُكلَّفين بتسجيل الأعمال، ووقـت انفصالهما: «فإنَّ في عباد الله ﷻ العارفين من يعرف وقت حضورهما، ووقت انفصالهما عند المساء، والصَّباح».

٢. وثمَّة تصريحٌ في نصِّ السـيِّد مهمٌّ جدًّا، من أنَّ أسباب الوصول إلى هذه المرتبة لا يمكن صيغتها بالعبارة، اللهمَّ إلَّا أن يشـاء الله أن يعرِّفك إيَّاها: «بأسـبابٍ لا تعرفهـا بالعبـارة؛ بـل إن شـاء الله ﷻ عرَّفـك ذلـك حتَّـى تعلمَه».

يقول الجامي:

لا تسألني عـن كيفيَّة شراب عشقِه

والله لا تذوق هذه الشَّراب حتّى تشربَه[2]

٣. بحسـب ما جاء في النَّصِّ المُتقدِّم بعد الوصول إلى المقام المذكور، تكون كيفيَّتُه واضحةً جدًّا: «على الإيضاح».

(١) فلاح السائل:٢٢٦.

(٢) هذا البيت للشـاعر والعارف المعروف عبد الرحمن الجامي (ت٨٩٨هـ)، وهو باللغة الفارسيَّة، وهـذا بيت من جملة أبيات ينقلهـا المؤلِّف لاحقًا. لاحظ: ديوان الجامي، الغزليَّات، رقم: ٩٤١. (م).

٤. ومن عبارة: «لا تعرفها بالعِبارة»؛ فمن الواضحِ أنَّ المُكاشفة مثلُها مثل سائر الشُّهودات، لا يمكن وصفُها بالعبارة، وأشرنا إلى هذا المطلب آنفًا.

وكذا يذكر السيِّد لفهم الحشر، والنَّشر مع الملائكة طريقينِ: (عقليّ، ونقليّ)، وأمَّا المُكاشفة القلبيَّة فشرطُها السُّلوك، يقول السيِّد: «وقد نبَّهنا على تحقيق ما قلناهُ عند وداع الملكَينِ وقت الغروب، وكشفنا ذلك بالمعقولات، وبالروايات، وهو حجَّةٌ على مَن بلغهُ ذلك لعلَّام الغيوب.

أقول: فإذا ذهبتِ الحُمرة من أفق المشرق، مع ارتفاع موانع مشاهدتها، أو غلب الظنُّ بزوالها عند الموانع الحائلة بين العبد، وبين معرفتِها، وكان وقت حضور ملكَي الليل بمُقتضى المنقول من الروايات، إذا كنت لا تعرف ذلك من طريق المراحم الربَّانيَّات؛ فسلِّم عليهما مثل سلامك عند إقبال النَّهار، وأشهدِ الله ﷻ، وأشهدْهما بما أشهدتَ ملكَي النَّهار»[1].

إضاءاتٌ:

يشير السيِّد إلى الزَّمان، ولهذا الأمر أهميَّة، وله طريقان:

١. المعرفة التعبُّديذَة بمُقتضى المنقول من الروايات.

٢. المعرفة الشُّهوديَّة عن طريق المراحم الربَّانيَّات.

من لم يتعرَّف إلى الطَّريق الثاني، يلجأ إلى الطَّريق الأوَّل.

ينبِّه السيِّدُ أن لا يشغلك علمُك بالملائكة الحافظين عن الله تعالى: «ولا يشغلنَّك الملائكة الحافظون، ولا أحدٌ من بني آدم الحاضرون، الذين هم

(١) فلاح السائل: ٢٢٧.

بعـد وقتٍ قليـلٍ ميِّتون عن مـولاك، ومولاهم، ومالـك دنياك، وآخرتـك، ودُنياهم، وآخرتهم»[1].

لعلَّ السـيِّد حصل على هذه المُشـاهدات من خلواته، ويمكن عدُّ ما كان عليه من حالة الجذب ثبوته في طريق السلوك، وعدُّ الجهد، والتعلُّق بطريق السُّلوك للوصول إليه تعالى، وربَّما هذه العبارةُ تشير لهذا المعنى:

«فـلا تلزم هذه العلامـة من التَّعريف، واطلبْ زيادة الكشـف من المالك الرَّحيم، الرَّؤوف، اللطيف»[2].

٣- مُكاشفات السيِّد

يُفترض الإشارة إلى ملاحظاتٍ عدَّة قبل نقل شطر من مُكاشفات السيِّد:

٣-١. تحصل هذه المسائل عادةً بعد الحصول على الملكاتِ الفاضلة

«وهذا كلُّه بعـد أن تحلَّى بالملكات الفاضلة التي تركته فائقًا بين أفراد نوعه، وأهَّلته للتشرُّف بمُشافهة (حجَّة الوقت الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف) إلى كرامات أثبتتها الجوامع، وتحدَّث بها الثِّقات، وحدَّث بجملة منها نفسـه، أعلى الله مقامه، امتثالًا لقوله سـبحانه، وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾»[3].

٣-٢. يكتب السيِّد عن معرفته بأهل المُكاشفة

«فكلُّ هذه المواهب شيءٌ منها جرَّبناه، وشيءٌ منها عرفناهُ، وسمعناهُ»[4].

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٤٧.
(٢) إقبال الأعمال: ١/ ٦٦.
(٣) الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر عليه السلام: ٨.
(٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٩٢.

٣-٣. ما حصل للسيِّد من لذّةٍ، وسعادةٍ في المُكاشفة

ولذا نلاحظهُ يكرِّرها على ابنه محمَّد، وإليك بعضًا منها:

«أراك الله ﷻ بعين أنواره ما تحتاج إلى معرفته من أسراره»(١).

«أسعدك الله ﷻ بإقباله، ومُكاشفة جلالِه»(٢).

«جمَّلك الله ﷻ بإقباله، ومُكاشفة جلالِه»(٣).

«أودعَ الله ﷻ سرائرك أنوار المُكاشفة وديعة مُستقرَّة مُتضاعفة»(٤).

«عمَّر الله ﷻ قلبك بمُكاشفته، وجلال نعمته، ومُراقبته»(٥).

«كشف الله ﷻ لك عن مُراده بيد كمال إسعاده لك، وإنجاده، وأوفاده»(٦).

يدعو لابنه أن يكون نومُه نومَ أهل المعرفة، والمُراقبة: «جعلهُ الله ﷻ [منامك] كنوم ذوي المعارف، والمُراقبات»(٧).

لا يخفى أنَّه جرَّب، وتذوَّق نوم أهل العرفان، والمُراقبة؛ ولذا يدعو لابنه به، ويعدُّه منامًا مختلفًا، كما في رؤية النبيّ إبراهيم (صلَّى الله على نبيِّنا وآله وعليه السلام)؛ إذ قال لابنه عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ﴾(٨).

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٩١.
(٢) المصدر نفسه: ٧٧.
(٣) المصدر نفسه: ١١١.
(٤) المصدر نفسه:١١٩.
(٥) المصدر نفسه: ١٥٤.
(٦) المصدر نفسه: ١٠٩.
(٧) المصدر نفسه: ١٧٨.
(٨) سورة الصافَّات، الآية: ١٠٢.

نشير إلى جُملةٍ من مُكاشفات السيِّد، ونسجِّل عليها بعض الملاحظات:

المُكاشفة الأولى: مُكاشفته في حرم أمير المؤمنين عليه السلام

ينقل العلَّامة المجلسيُّ من كتاب غياث سلطان الورى، عن كتاب الفوائد المدنيَّة للمرحوم المُحدِّث الاسترآباديّ مُكاشفةً للسيِّد.

يقول السيِّد ابن طاووس: «كنتُ قد توجَّهت أنا، وأخي الصَّالح محمَّد بن محمَّد ابن محمَّد القاضي الآويّ ضاعف الله سعادته، وشرَّف خاتمتَه، من الحِلَّة إلى مشهد مولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر جُمادى الأخرى، سنة إحدى وأربعين وستمائة؛ فاختار الله لنا المبيت بالقرية التي تسمَّى دورة ابن سنجار، وبات أصحابنا، ودوابّنا في القرية، وتوجَّهنا منها أوائل نهار يوم الأربعاء ثامن عشر الشَّهر المذكور؛ فوصلنا إلى مشهد مولانا عليّ صلوات الله وسلامه عليه قبل ظهر يوم الأربعاء المذكور؛ فزُرنا، وجاء الليل في ليلة الخميس تاسع عشر جمادى الأخرى المذكورة؛ فوجدت من نفسي إقبالًا على الله، وحضورًا، وخيرًا كثيرًا؛ فشاهدت ما يدلُّ على القبول، والعناية، والرَّأفة، وبلوغ المأمول، والضِّيافة.

فحدَّثني أخي الصَّالح محمَّد بن محمَّد الآويّ ضاعفَ اللهُ سعادته، أنَّه رأى في تلك الليلة في منامِه كان في يدي لقمة، وأنا أقول له هذه من فم مولانا المهديّ عليه السلام، وقد أعطيتُه بعضَها.

فلمَّا كان سحرُ تلك الليلة، كنتُ على ما تفضَّل الله به من نافلة الليل؛ فلمَّا أصبحنا به من نهار الخميس المذكور، دخلتُ الحضرة، حضرة مولانا عليّ صلوات الله عليه على عادتي؛ فورد عليَّ من فضل الله، وإقباله، والمُكاشفة ما كدتُ أسقط على الأرض، ورجفتْ أعضائي، وأقدامي، وارتعدتُ رعدةً هائلة على عوائد فضله عندي، وعنايته

لي، وما أراني من برِّه لي، ورفدي، وأشرفتُ على الفناء، ومُفارقة دار الفناء، والانتقال إلى دار البقاء، حتَّى حضر الجمال محمَّد بن كنيلة[1]، وأنا في تلك الحال، فسلَّم عليَّ؛ فعجزتُ عن مُشاهدته، وعن النَّظر إليه، وإلى غيره، وما تحقَّقته؛ بل سألتُ عنه بعد ذلك؛ فعرَّفوني به تحقيقًا، وتجدَّدت في تلك الزِّيارة مُكاشفات جليلة، وبشارات جميلة»[2].

إضاءات:

١. لعلَّ السيِّد يشير إلى هذه المُكاشفة عندما كتب من أنَّه بقي ثلاث سنوات عند حرم أمير المؤمنين عليه السلام، وعبَّر عنها: «بعنايات عظيمة في الدِّين، والدُّنيا»[3]، كما عبَّر عن حاله في تلك السَّنوات: «ما عرفت الله جل جلاله تفضَّل على أحدٍ مثلها ممَّن شرَّفه بسكنى ذلك المقام المكين»[4].

٢. إنَّ السيِّد عندما استشعر الحال، وأحاط به ذلك الإحساس، عبَّر عنه: «فوَرَدَ عَلَيَّ».

٣. ذكر السيِّد أنَّ منشأ هذه المُكاشفة فضلٌ، وإقبال من الله تعالى: «من فضل الله، وإقباله، والمُكاشفة».

٤. يماثلُ هذه العبارة: «ما كدت أسقطُ على الأرض، ورجفتْ أعضائي، وأقدامي، وارتعدتُ رعدةً هائلةً على عوائد فضله عندي، وعنايته لي، وما أراني من برِّه لي، ورفدي، وأشرفت على الفناء، ومفارقة دار الفناء،

(١) في دار السلام، للميرزا النوريّ: ١/ ٣٩١ (كنبلة)، وفي أجوبة مسائل ورسائل في مختلف فنون المعرفة، لابن إدريس: ٥١٤ (كتيلة) (المراجع).
(٢) بحار الأنوار: ٥٣/ ٢٠٨.
(٣) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٧٤.
(٤) المصدر نفسه: ١٢.

والانتقال إلى دار البقاء»، وفي مكان آخر قوله: «وأذهل إقباله قوَّة المُكاشفين، وزلزل وصاله أقدام العارفين»[1].

٥. كان السيِّد يعلم عبر عبارته هذه: «على عوائد فضله عندي، وعنايته لي، وما أراني من برِّه لي، ورفدي»[2]، وهي إشارة، ورسالة: «فوجدتُ من نفسي إقبالًا على الله، وحضورًا، وخيرًا كثيرًا؛ فشاهدتُ ما يدلُّ على القبول، والعناية، والرَّأفة، وبلوغ المأمول، والضِّيافة»[3].

٦. لا يخفى أنَّ هناك فرقًا بين ما يحصل عبر المحسوسات، وبين ما يحصل عبر الوجدانيَّات؛ فلذا قال: «وجدتُ من نفسي»؛ فهو يشير إلى الوجدان الداخليّ.

٧. يعدُّ السيِّد، وهذا مهمّ، جدًّا أنَّه لا يحصل هذا من دون موجِّه؛ ولذا يخاطب السيِّد ابنَه محمَّدًا بقوله: «إن أدركت يا ولدي موافقة توفيقك لكشف الأسرار عليك عرَّفتك»[4].

٨. يُفهم من هذَين العبارتينِ:

«فشاهدتُ ما يدلُّ على القبول، والعناية، والرَّأفة، وبلوغ المأمول، والضِّيافة».

«تجدَّدت في تلك الزِّيارة مُكاشفات جليلة، وبشارات جميلة».

أنَّ السيِّد واعٍ لهذه الحالات، وله سابقة في هذه المُكاشفات، ولكن هذه المُكاشفة جديدة بالنِّسبة إلى غيرها.

(١) التحصين لأسرار ما زاد من كتاب اليقين: ٥٢٩.
(٢) بحار الأنوار: ٥٣/ ٢٠٨.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٠٤.

٩. اعتناء السيِّد بساحة الوصيِّ أمير المؤمنين عليه السلام، وحضرته، وتوجُّهه إليه: «أكمل الوصيِّين، وإمام المتَّقين، والكاشف بالإذن المُقدَّس المكين أسرار ربِّ العالمين»[١]، «ما عرفت الله جلَّ جلاله تفضَّل على أحدٍ مثلها ممَّن شرَّفه بسكنى ذلك المقام المكين»[٢].

وسيأتي إن شاء الله في القسم الثاني ما يذكرهُ السيِّد عن أمير المؤمنين عليه السلام من أنَّه منبعُ العلوم الإسلاميَّة، كالفقه، وعلم التَّفسير، وعلم النَّحو، وكذا نسبة الصوفيَّة تنتهي لهُ عليه السلام.

النَّموذج الثاني: إلقاءات القلب من مُكاشفات السيِّد

نطالعُ جملةً من مُكاشفات السيِّد في آثاره، ككُتب الأدعية، وكمثال على ذلك ما كتبهُ السيِّد لابنه محمَّد عن كتاب (المهمَّات والتتمَّات)، فيه إشارة إلى الأسرار: «فكم قدِ اشتمل عليه من الأسرار الكاشفات لأنوار السَّعادات»[٣].

وأيضًا ما جاء في كتاب فلاح السائل: «فعزمت أن أجعل ما أختارُه بالله جلَّ جلاله ممَّا رويته، أو وقفت عليه، وما يأذن جلَّ جلاله لي في إظهاره من أسراره [كما يهديني إليه، وما أجده من كيفيَّة الإخلاص، وما يريه الله جلَّ جلاله لعقلي، وقلبي من مقامات الاختصاص، وما ينكشف لي بلطف مالكِ الكشف من عيوب الأعمال، وإحضار الغفلة، والإهمال»[٤].

وكذا عبَّر عن بعض مؤلَّفاته، مثل: أسرار الصَّلاة، وأنوار الدَّعوات: «إنْ أذِنَ

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٤٠.
(٢) المصدر نفسه: ١٢.
(٣) المصدر نفسه: ١٧٢.
(٤) فلاح السائل: ٧.

اللهﷻ في تأليفـه؛ فإنَّني أصونه مدَّة حياتي، إلَّا أن يـأذنَ مَن لهُ الإذن في بذلِه لأحدٍ قبل وفاتي»[1].

وسيأتي الحديث عن مكانة الدُّعاء، وأهميَّته عند السيِّد، وإنشائه للأدعية؛ فهو إذا لم يجدْ دعاءً، يُنشئ واحدًا بالاستناد إلى الجواز الدينيّ[2]، والإذن الباطنيّ[3].

يقـول السـيِّد: «و إذا كان الذي أجـدهُ من الدَّعوات المنقـولات مختصرًا عمَّا يحتاج إليه الإنسـان في المهـمَّات في شيء ممَّا يحتوي عليـه هذا الكتاب، أو لم أجـدْ دعاءً لبعض الأسـباب؛ فإنِّي أُنشـئ دعاءً لذلك الوجه مـن مواهب اللهﷻ الأرحـم الأكرم، الذي ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[4]»[5].

ويذكـر السـيِّد وصفًا للأدعيـة الذي يُنشـؤها: «ربَّما يكـون الدُّعاء الذي نُنشـؤه كالمنثور، والقرائن، والسَّجع، وعسى أن يوجد في بعض الروايات.. لأنَّنا رأينا، ورويْنا أدعيةً كثيرة عن النبيّﷺ، والأئمَّة عليهم أفضل الصلاة والسَّـلام، على سبيل السَّجع، والنَّثر، وترتيب الكلام»[6].

(١) فلاح السائل: ٩.

(٢) يقول السـيد: «فَقَـدْ رَأَيْتُ فِي كِتَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمَّادٍ الأَنْصَارِيِّ، فِـي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْهُ، عِنْدَ مِقْدَارِ ثُلُثِهِ، بِإِسْـنَادِهِ، قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِعليه السلام: عَلِّمْنِي دُعَاءً. فَقَالَ: **إِنَّ أَفْضَلَ الدُّعَاءِ مَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ**». الأمان من أخطار الأسفار والأزمان: ١٩.

(٣) كتـب بعـض عنه أنَّه ينشـأ الدعاء: «كأنَّه يرى نفسـه مأذونًـا في جعل وظائف مقـرَّرة لمواضع المكرمة، ومواقف صالحة، كما ترى أنَّه يذكر أعمالًا من عند نفسه..». روضات الجنَّات في أحوال العلـماء والسـادات: ٤/ ٣٣٠. وكذا ذكر العلَّامة حسـن زاده الآمليّ أنَّه ينشـأ الدعاء وهو عالم مستبصـر. لاحظ: رسالة نور على نور: ٧١-٧٢.

(٤) سورة العلق، الآية: ٥.

(٥) الأمان من أخطار الأسفار والأزمان: ١٩.

(٦) المصدر نفسه: ١٩.

واستند السيِّد في إنشائه للدُّعاء الى آية قرآنيَّة، وبالإفاضة، والتلقِّي من الله تعالى: «ونحن ما نذكر في الإنشاء من الدُّعاء إلَّا ما نجدُه من غير رويَّة، ولا كلفة؛ بل إفاضة علينا من مالك الأشياء الذي هو ربِّي، وحسبي كما قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾[1]»[2].

يذكر السيِّد علَامتَينِ لما يُفاضُ على قلبه:

- إنَّه غير مسبوقٍ بفكرٍ، ورَويَّة «نجده من غير رويَّة».
- يحصل من دون كلفةٍ، ولا جهد بشريّ، كأنَّه حال المجذوبين السلك: «ولا كلفة فيه».

النَّموذج الثالث: شهود مراحل الخلق

يذكر السيِّد في موضعٍ آخر مُكاشفة له: «رأيت بما وهبني الله ﷻ من عين العناية الإلهيَّة في مرآة جود تلك المراحم، والمكارم الربَّانيَّة، كيف أنشأني، وربَّاني، وحملني في سفن النَّجاة على ظهور الآباء، وأودعني في البطون، وسلَّمني ممَّا جرى على مَن هلك من القرون، وهداني إلى معرفته، وهو ربِّي الذي يقول للشيء كُنْ فَيَكُونُ، ونظرت به ﷻ في معنى تاريخ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ، وعرَّفني مُراده ﷻ منِّي، وكاشفني عقلًا، ونقلًا عمَّا يُرضيه عنِّي، وجدت المنَّة له ﷻ في هدايتي بسعادتي في إخلاص العبادة لذاته، من غير تعلُّق خاطر بطلب هباته، أو خوف نقماته، وتيقَّنتُ أنَّه ﷻ ملك حياتي، ولم يزلْ أحقُّ بها منِّي، وكان ﷻ أهلًا لأن يشغلني عظمُ جلالِه، وإقباله عنِّي»[3].

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٧.
(٢) الأمان من أخطار الأسفار والأزمان: ٢٠.
(٣) فلاح السائل: ٥.

النموذج الرابع: معرفة أوَّل كلِّ شهر وليالي القدر

صرَّح السيِّد أنَّه يعرف شخصًا يعلم أوَّل كلِّ شهر[1]، ويذكر أنَّ الله تعالى بعنايته، وتفضُّله عليه، علم ذلك أيضًا: «اعلمْ أنَّ الله ﷻ تفضَّل علينا بأسرارٍ ربَّانيَّة، وأنوارٍ محمَّديَّة، ومبارٍّ علويَّة، منها تعريفُنا بأوائل الشُّهور»[2].

وعبَّر عنه أنَّه تفضُّل «وغير مسبوقٍ بعملِ العبد: «تفضَّل علينا».

وممَّا جاء في هذا السِّياق أنَّ السيِّد الأجلّ الأعظم رضي الدين بن طاووس نفعَنا الله بعلومِه له تفضُّلات معرفةِ بداية كلِّ شهر[3]: «تعريفنا بأوائل الشُّهور».

مع أنَّ السيِّد يعطي مكانةً مهمَّة للاستخارة، ولكن بعد الاطِّلاع على أسرار الاستخارة، بما أُلقي إليه، يعدُّها بعيدةً عن الصَّواب، ويكتب في ردِّ دعوة الحاكم العبَّاسيّ: «وكتبتُ إليه غير مرَّة: إنَّ الذي كان يحملني على لقاء الملوك في بداية الأعمار، التَّعويل بالاستخارة، وقد رأيت الآن بما وهبني الله ﷻ من الأنوار، والاطِّلاع على الأسرار، أنَّ الاستخارة في مثل هذه الأسباب بعيدة عن الصَّواب، وخاطرة مع ربِّ الأرباب»[4].

لا يخفى أنَّ السيِّد له اطِّلاع على أكثر من معرفة أوَّل الشَّهر، وليالي القدر، وأمثالهما، وأنَّه اعتبر بالاستخارة زمنًا إلى أن ظهر له أسرارُها، وتقدّم ما قالهُ عنها.

عدَّ بعضُ أنَّ السيِّد حصل على مقام السرِّ، وهي حالة نفسانيَّة يحصل عليها الإنسان بعد الجهاد الأكبر، وغير قابل للوصف، ولا يمكن معرفتُها إلَّا من أدرك

(١) إقبال الأعمال: ١/ ١٦.
(٢) المصدر نفسه: ١/ ١٥.
(٣) شفاء الصدور في شرح زيارة عاشور: ٣٨٩.
(٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٦٢.

شـيئًا منها: «حاكية عن حالة نفسـانيَّة تحصل للإنسان بعد الجهاد الأكبر الذي أشار إليه رسـول الله صلى الله عليه وآله في قوله: **قد فرغنا من الجهاد الأصغـر، وبقي علينا الجهاد الأكبر**.. إلخ، وهـي كالمَلاحة، أو الفصاحة يدركُ، ولا يُوصـف، ولا يمكن معرفتُها لمن لم يرزقْ منها شـيئًا، وقد يعبَّر عنها بالسرِّ؛ فتكون منشـأً لآثار الربوبيَّة، ويقال لها بالفارسيَّة باطن كما وصل إلينا من حالات بعضهم، كابن طاووسٍ، وبحر العلوم، والمُقدَّس، والأنصاريّ، والعلَّامة، وأمثالهم، كالبهائيّ، والمجلسيّ الثاني، وكاشـف الغطاء الشـيخ جعفر قدَّس اللهُ أسرارَهم»[1].

ويشير السيِّد في موضعٍ آخر إلى إمكان معرفة ليلة القدر: «اعلمْ أنَّ الله جلَّ جلاله قادرٌ أن يعرِّف بليلة القدر من يشاء، كما يشاء، وبما يشاء»[2].

إضاءات:

١. عدَّ السيِّد هذا تفضُّلًا، وهو منوط بالله تعالى: «من يشاء، كما يشاء، وبما يشاء».

٢. عدَّ السيِّد أسباب هذا النَّحو من المعرفة من الله تعالى «بما يشاء».

٣. يعتقد السـيِّد أنَّ هذا النَّحو من المعرفة، وعلاماتها مُختلفة عنِ المعرفة المُتعارفة، وعلامتها: «فلا تلـزم هذه العلامة من التَّعريف، واطلبْ زيادة الكشـف منَ المالك الرَّحيم الرَّؤوف، اللطيف»[3].

٤. يشير السيِّد لإثبات قوله بإمكان هذه المعرفة، فيذكر شخصًا يعرفُ ليلة القدر على نحو اليقين: «فإنَّني عرفتُ، وتحقَّقت من بعضِ منْ أدركتُه أنَّهُ كان يعرف ليلة القدر كلَّ سنةٍ على اليقين»[4].

(١) المعالم الزلفى في شرح العروة الوثقى: ٥١.
(٢) إقبال الأعمال: ١/ ٦٦.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

٥. يوصي السيِّد: مَن لم يتمكَّنْ منها في شهر رمضان؛ فليطلبْها في غيره: «إذا جاز من لا يتمكَّن من التلفُّظ في الأدعية، يطلبها في باقي الشَّهر»[١].

٦. «بل يصرف لسانَهُ، وقلبَهُ عن الاختيار الذي كان عليه قبل الظَّفَر بها»[٢].

لعلَّ المُراد من هذه الوصيَّة الإشارة إلى الكتمان على الآخرين، وربَّما لذلك ما ذكره من المعرفة المُتقدِّمة ليستْ واجبةً على الآخرين: «وإن لم يلزمِ العمل بها في ظاهر الشَّريعة النَّبويَّة»[٣].

ولعلَّ من هنا يحتاج الإذن في القول للآخرين، وخلافه يعدُّ إفشاءَ سرِّ المُلوك، كما يقول العطَّار النيشابوريّ:

«أطلعناه على سرٍّ من أسرارنا؛ فأفشى سرَّنا؛ فهذا جزاءُ من يفشي سرَّ المُلوك»[٤].

يقول حافظ الشيرازيّ:

إنَّ الذي شمخ الصَّليب به
في الجرم: كان مُذيعَ سرٍّ قد فشَى[٥]

٧. يصرِّح السيِّد أنَّه يعرف ليلة القدر، وهي رحمةٌ من الله تعالى: «وهي رحمةٌ أدركتْه من ربّ العالمين»[٦].

(١) إقبال الأعمال: ١/ ٦٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه: ١٥.
(٤) تذكرة الأولياء: ٨٧١، المراد في هذا الكلام الحسين بن منصور الحلَّاج (٢٤٤-٣٠٩ هـ)، كما هو معروف أنَّه تقوَّل بأقوال، وبسببها قُتِل. (م)
(٥) ديوان حافظ، الغزليَّات: ١٤٣، وهو باللغة الفارسيَّة، والمقصود هنا هو الحلَّاج. (م)
(٦) اقبال الاعمال: ٦٦.

النَّموذج الخامس: حضورهُ في محضر وليِّ الله الأعظم عليه السلام

«وكنتُ أنا بسـرٍّ من رأى؛ فسـمعتُ سـحَرًا دعاءَهُ عليه السلام؛ فحفظتُ منـه منَ الدُّعاء لمن ذكـره (من) الأحيـاء، والأموات: «وأبقهـم (أو قال: وأحيهـم) في عزِّنا، وملكنا، وسُـلطاننا، ودولتِنـا، وكان ذلـك في ليلـة الأربعاء ثالث عـشر ذي القعدة سـنة ثمان، وثلاثين وستّمائة»[1].

يقول الجاميّ:

لي حبيب عربيّ، مدنيّ، قرشيّ
ألمُ عشقه وفراقِه سببٌ لفرحي، ولذَّتي
لا أفهم هذا السرّ! هو عربيّ وأنا أعجميّ
كيف أدَّعي غرامَه ومحبَّته
وهو قرشيّ وأنا حبشيّ!
من الزَّمان الذي صار هو كالشَّمس مشهورًا في الآفاق
أنا صرتُ كالذرَّة في الهواء راقصًا
مع أنِّي بعيدٌ عنه بألف مرتبة، ومرحلة
وجهه في ناظري كلَّ غداةٍ، وعشيٍّ
لا تسألني عن كيفيَّة شراب عشقِه
والله لا تذوق هذه الشَّـراب حتَّى تشربَه
ليس من المصلحة أن أُروى (أرتوي) من ماء الحياة

(١) مهج الدعوات ومنهج العبادات: ١٩٦.

ضاعف الله به كلَّ زمان عطشي

أيها الجاميّ[1] أهل العشق لا يذهبون إلى طريق عشقِه (منَ الخوف)

لا يكون لك رأسٌ إن تخلَّفتَ عن هذا الطَّريق[2]

الطريق الثالث: النَّقلُ

يعدُّ النّقل الطَّريق الثالث للمعرفة، ويحصل بالواسطة، والكسب، وإن كان تركيزُنا على بيان طريق الكشف، والشُّهود، ولكن نغتنم الفرصةَ هنا لبيان رأي السيِّد في الطَّريق.

والهدفُ من هذا الطَّريق هو الوصول إلى معرفة ذاته تعالى، وصفاته، وأفعاله، وتقوية الفطرةِ، والنَّقل يمدُّ، ويُساعد الفطرةَ لمعرفة المبدأ الإلهيّ، ومن هنا فالمعرفة في ضوء مُعطيات النَّقل تزدادُ، وتتقوَّى بمُساعدة الكتب السَّماويَّة، والأنبياء، والأوصياء (عليهم صلوات الله).

يعدُّ السيِّد الفِطرةَ من الطَّرائق الباطنيَّة الداخليَّة، وأمَّا الكتبُ السماويَّة، والأنبياء، والأوصياء عليهم السلام، فهي من الطَّرائق الخارجيَّة الظَّاهريَّة، كما يعتقد أنَّ طريق الفِطرة بمُساعدة الكتب السماويَّة، والأنبياء، والأوصياء عليهم السلام أسهل طريق للوصول إلى المعرفة.

فالسيِّد يعتقدُ انَّ الفطرةَ طريقٌ لمعرفة الله تعالى بدلائل، وتنبيهاتِ الكُتب السماويَّة: «فإنَّك تجد كتبَ الله جلَّ جلاله السَّالفة، والقرآنَ الشَّريف مملوءةً من التَّنبيهات[3] على

(١) يقصد نفسه منشأ هذا الشعر. (م)

(٢) هذه الأبيات للشاعر المحقِّق عبد الرحمن الجامي، وهو باللغة الفارسيَّة. لاحظ: ديوان الجامي، الغزليَّات، رقم: ٩٤١. (م)

(٣) أشار السيِّد على جملة من التنبيهات من القرآن الكريم، لاحظ على سبيل المثال: الأبواب: ١٢٣-١٢٥.

الـدَّلالات عـلى معرفة مولاهم، ومالك دُنياهـم، مُحدث الحادثات، ومُغـيِّر المُتغيِّرات، ومُقلِّب الأوقات»[1].

وأنَّ طريق الأنبياء عليهم السلام مُطابقٌ لما جاء في الكتب السَّماويَّة: «ترى علوم سيِّدنا خاتم الأنبياء، وعلوم من سلَف من الأنبياء صلوات الله عليه وآله، وعليهم، على سبيل كتب الله جل جلاله المُنزلة عليهم في التَّنبيه اللطيف، والتَّشريف بالتَّكليف»[2].

وأنَّ الأنبيـاء (سـلام الله عليهم) كانوا أغنـى أهل مِللهم، سـواء في الأمور الماديَّة أم المعنويَّـة: «لأنَّ الأنبيـاء عليهم السلام أغنى أهل الدنيا بتمكـينِ الله جل جلاله لهم ممَّا يريدونُ منه جل جلاله من الإحسـان إليهم، ومن طريق نبوَّتهم كانوا أغنى أُممهم، وأهل مِلَّتهم، ولولا اللطفُ برسالتهم، ما كان لأهل وقتهم مال، ولا حال»[3].

وأنَّ قـول الأنبيـاء والأوصيـاء عليهم السلام موافـق للفطـرة: «الاعتنـاء بقـول سـابق الأنبيـاء و الأوصيـاء والأوليـاء عليهـم أفضـل السَّـلام موافـق لفطـرة العقـول والأحلام»[4].

مـنَ المُلاحظات في آثار السـيِّد أنَّه ينقل رأيَ غير المعصـوم عليه السلام قليلًا جدًّا وإذا ذكر ذلك، فيكون في خاتمة حديثه؛ فلا يروق للسـيِّد أن ينشـغلَ بالمصـادر غير الدينيَّة؛ فهو يعدُّهـا فاصلةً بينه، وبين المصادر الدينيَّة، وأنَّـه يعتقد أنَّ الأدعية، والمُناجاة، والزِّيارات نحو ارتباطٍ، وعلاقة من دون واسـطةٍ، ومن هنا يقوى احتمال كون عدم ذِكر السـيِّد في سلسلة العُرفاء، أنَّه سلكَ في طريق العِرفان من دون أستاذ (أويسي)[5].

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٤٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه: ١٨١.
(٤) المصدر نفسه: ٥١.
(٥) أويسي في تعبيرات الصوفيَّة يُقصد به الشخص الذي لا يأخذ بظاهر المشيخة، وإنَّما مَن استفاد=

يعتقد السيِّد بعد معرفة الله تعالى تأتي معرفة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام؛ ثمَّ تأتي معرفة أهل الاستقامة: «إنَّما يُحتاج إلى معرفة صفات هذا المؤثِّر، والصَّانع، ويثبت صفاته عنده بأسهل ما يريد منه مولاهُ جلّ جلاله من تكليفه بتدبير صاحب الشَّرائع، وتسليمه من القواطع، ومن خسارة عمر ضائع؛ ثمَّ يسلك به سبيل معرفة النبوَّة، والإمامة على قاعدة تعريف النبيّ صلى الله عليه وآله، والأئمَّة عليهم السلام، ومن سلك سبيلهم من أهل الاستقامة؛ فهذا كان كافيًا لمن يريد تحصيل السَّلامة، وسعادة الدُّنيا، ويوم القيامة»[1].

ويعدُّ السيِّد طريقَ علماء الإسلام إلى أواخر ظهور الأئمَّة عليهم السلام مُوافقًا لمنهج القرآن الكريم، والنبيّ صلى الله عليه وآله، والأئمَّة عليهم السلام.

«ومضى على ذلك الصَّدر الأوَّل من علماء المُسلمين، وإلى أواخر أيَّام مَن كان ظاهرًا من الأئمَّة المعصومين عليهم السلام أجمعين»[2].

ولكن ما طرحه العلماءُ بعد بدء الغيبة الكُبرى كان صعبًا على الناس، بعد أن سهَّله الله تعالى ونبيّه صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام: «إنَّني وجدتُ كثيرًا ممَّن رأيتُه، وسمعتُ به من علماء الإسلام، قد ضيَّقوا على الأنام ما كان سهَّله الله جلّ جلاله، ورسولُه صلى الله عليه وآله من معرفة مولاهم، ومالك دُنياهم، وأُخراهم»[3].

ويعتقد: «أنَّ المعرفة محكومٌ بحصولها للإنسان دون ما ذكرهُ أصحاب اللسان»[4].

=بروحانيَّة الرسول المعظَّم أو أحد المشايخ، ومَن اكتسب الفيض وقد طهر باطنه وأضاء بنور المعرفة قلبه. فروزانفر (بديع الزمان)، شرح ونقد وتحليل آثار شيخ فريد الدين محمَّد عطَّار نيشابوري: ٣١. (م).

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٨.

(٢) المصدر نفسه: ٤٩.

(٣) المصدر نفسه: ٤٨.

(٤) المصدر نفسه: ٥٣.

ومن مِنظار السيِّد أنَّ الله تعالى: غاية آمال العارفين، إنَّ النبيّ ﷺ، والأئمَّة الأطهار عليهم السلام الواسطة، والإنسان الكامل، والشَّريعة برنامجُ سلوك، ويقوِّي المُبتدئ فطرته بكرم الله تعالى، وينتج من هذه المعرفة: «فإنَّما يكون الثَّواب على استمرار العبد عليها، ولزوم ما يُراد منه بها، ولها»(١).

ويقول في هذا السِّياق: «وقد كان ينبغي يا ولدي محمَّد إذا أراد العالم بالله جل جلاله، وبرسوله صلوات الله عليه وآله، وبالأئمَّة عليهم السلام من عترته، وبشريعته، أن يعرِّف المُبتدئ ممَّن وُلِد على فطرة الإسلام ما يقوِّي عنده ما في فطرته، ويوثِّقه من كرم الله جل جلاله ورحمته، ويعلِّق أملَه بفضلِه، ويدخله تحت ظلِّه»(٢).

ثمَّ يُوصي السيِّدُ ولدَهُ، ومن وصل له كتابه في هذا السِّياق: «فأوصيك يا ولدي محمَّد، ومن بلغهُ كتابي هذا ممَّن يعلِّم المُسترشدين إلى معرفة ربِّ العالمين، أن يقوِّي ما عندهم في الفِطرة الأوَّليَّة بالتَّنبيهات العقليَّة، والقُرآنيَّة، والهدايات الإلهيَّة، والنبويَّة، ويقول للمُسترشدين: إنَّما يحتاج إلى معرفة صفات هذا المؤثِّر، والصَّانع، ويثبت صفاته عنده بأسهل ما يريد منهُ مولاهُ جل جلاله من تكليفه بتدبير صاحب الشَّرائع، وتسليمه من القواطع، ومن خسارة عمرٍ ضائعٍ»(٣).

ويقول في موضعٍ آخر مبيِّنًا حال الإنسان، ومراحل معرفته، وتدبير الله تعالى لهُ، والسُّؤال، والطَّلب منَ الله تعالى: «قد عرفت مُحقّقًا قبل بلوغك، وبعد بلوغك أنَّك عالمٌ ببديهيَّات، وعالمٌ بكلِّيَّات، وجزئيَّات ما سعيت في تحصيلها، ولا عرفتَ كيف كان تدبير الله جل جلاله في وصولها إلى عقلك، وقلبِك، وحُلولها، ولا ساعة ورودِها على سرائرك،

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه: ٦٨.

ولا بأيِّ الطَّريق سلكَ الله جلَّ جلالُه بها إلى ضمائرك؛ فكنْ واثقًا بذلك الواهب، وعلِّق آمالَك، وسؤالَك به في طلب المواهب»[1].

وقريبٌ منه ما يذهب إليه السيِّد الخُمينيّ في تحصيل المعارف، وتصفية العُقول، وتزكية النُّفوس[2].

ويخاطبُ السيِّدُ ولدَهُ في كشف المحجَّة: «الحقُّ سبيلٌ واضحٌ واحدٌ، قد دلَّ القرآنُ وجدُّك محمَّد صلَّى الله عليه وآله إليه، ومَن خرج عنه، فإلى غضبِ الله جلَّ جلالُه، وسَخَطه، وهوانه، ونيرانه، والفضيحة العُظمى إذا قدِم عليه»[3].

الرَّابع: طريق العقل

يذكر السيِّد طريقًا آخر للوصول للمعرفة، مع أنَّ حديثَنا عن الكشف، والشُّهود، ولكن لمناسبة ذكر الطرائق ذكرتُ طريقَ العقل الذي يعدُّ الطَّريقَ الرَّابعَ للوصول إلى المعرفة، وسأُشير إلى جملةٍ من المُلاحظات في هذا السِّياق، وإلَّا فالحديثُ عن العقل عند السيِّد يحتاج إلى رسالةٍ مُستقلَّةٍ نتركُها إلى فُرصةٍ أخرى إن شاء اللهُ.

وعندما يذكر السيِّد هذا الطَّريق يشير إلى مباحث الكلام، ولا يتوقَّف عندها؛ فمن مِنظاره ينبغي الرُّجوع إلى طريق الفِطرة؛ فهو يعتقد أنَّ طريق الفِطرة، ينسجمُ مع الفطرة الأوَّليَّة، مع دلائل يسيرة عقليَّة؛ فمن دون مُطالعة ينتج الفهم؛ فهو يذهب إلى أنَّ عُموم النَّاس عن طريق الفطرة تفهم الحقائق بشكلٍ أفضل من طرائق المقولات الكلاميَّة.

ولا بأسَ أن نُشيرَ هُنا الى ما ذكره أبو حامد الغزَّاليّ (ت٥٠٥هـ)، المتوفَّى قبل السيِّد،

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٧.
(٢) لاحظ: شرح حديث جنود العقل والجهل: ١٠.
(٣) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٧٢.

في رسالته (إلجام العوامّ عن علم الكلام): «إنَّ تلك التَّقسيمات، والمُقدِّمات، وإثباتها بأدلَّتها الرسميَّة يشوِّش قلوب العوامّ، والدَّلالات الظَّاهرة القريبة من الأفهام على ما في القرآن تنفعهم، وتسكن نفوسهم، وتغرس في قلوبهم الاعتقادات الجازمة»[1].

وكيف ما كان أحد الطَّرائق للمعرفة، هو العقل كالنَّقل طريق مع الواسطة؛ فهو كسبيّ حصوليّ، مع أنَّ طريق العقل يقوِّي، ويُساعد الفطرةَ من منظار السيِّد، إلَّا أنَّ العقلَ عندهُ يتضمَّن إشكالاتٍ يأتي بيانُها في محلِّها.

ولا يخفى أنَّ طريق العقل يختلف عن طريق أهل العرفان؛ فالثَّاني يعتمد الفطرةَ، والقلبَ، وأمَّا طريق العقل، والاستدلال يوصلُنا إلى المعرفة الفلسفيَّة؛ فالحُكماء يعتقدون أنَّ هذا الطَّريق العُقلائيّ، والاستدلاليّ هو كمالُ الإنسان، وجوهر الخلاف بين الحكماء، وأهل العرفان في هذه النقطة، مع أنَّه يمكن الجمع بينهما، ولا محذورَ في ذلك، ويعدَّانِ القلبَ، والعقلَ طريقَينِ، وسلوكَينِ للمعرفة.

مع أنَّ السيِّد لا يُنكر المعرفةَ الكسبيَّة، والنظريَّة، ولكنَّه يعدُّ «أكثر العارفين»[2]، كون عطائِهم للمعرفة من الله تعالى، وبرشادٍ منهُ تعالى.

وأنَّه لا ينفي النَّظر في الجواهر، والأجسام، والأعراض، ويمكن حصولُ المعرفة منها، ولكنَّه طريقٌ طويلٌ، وغيرُ آمنٍ[3].

(١) مجموعة رسائل الغزَّاليّ: ٣١٤.

(٢) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٨-٦٩.

(٣) هكذا قال: «واعلم يا ولدي يا محمَّد أيَّدك الله ﷻ بجلال التأييد، وكمال المزيد، أنَّ قولي هذا ما هو ممَّا أقصد به أنَّ النظر في الجواهر والأجسام والأعراض لا يجوز، أو أنَّه ما هو طريق إلى المعرفة على بعض الوجوه والأعراض، بل هو من جملة الطرق البعيدة والمسالك الخطيرة الشديدة، التي لا يؤمن معها ما يخرج بالكليَّة عنها». كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٥. (م).

ولـذا نـرى السـيِّد يكـرِّر في وصيَّته لابنـه مُراده مـن أنَّ الفطـرة طريـق الأوَّليَّة، والأولويَّـة لا يعني إلغاء ما عداهُ من الطَّرائق، وضرورة النَّظر، والاسـتدلال؛ بل لعلَّه يصبـح أحيانًا النَّظر واجبًا على المُكلَّف في ما يجب عليـه: «إنَّ كلَّ ما كرَّرته، وأكرِّرهُ من تعريف الله جل جلاله لبعض عبادِه، أو تشريف بزيادة إرشـاده، وإنجاده؛ فما أردتُ، ولا أريد به إسقاط وجوب نظر العبد فيما يجب عليه النَّظر فيه من التَّكاليف، وقد قدَّمت الإشارة إلى هـذا المعنى فيما مضى من التَّعريـف، وإنَّما أكرِّره لتفهيم كلِّ قويٍّ يفهمه، أو ضعيف، أنَّني ما منعت من النَّظر؛ بل النَّظر واجبٌ على المُكلَّف في كلِّ ما يجب عليه فيه نظره، ممَّا لا يدركه إلَّا بالنَّظر، والتَّكشيف»[1].

وأنَّ السـيِّد يعـدُّ المعرفة إمَّا مـن الله تعالى، أو من العبد، أو مـن كِلَيهما: «إنَّ المعرفة بالله جل جلاله، سواء كانتْ من الله جل جلاله، أو من العبد، أو منهما»[2].

ويكتب السـيِّد عن الشَّـخص الـذي لم يتمكَّن من معرفة الله تعـالى بطريق الفطرة الأوَّليَّـة: «لو فرضنا أنَّ عبدًا من عبـاد الله جل جلاله ما جعل له في فطرته الأوَّليَّة أنَّ الأثر دالٌّ عـلى المؤثِّر بالكليَّة، ولا نبَّهه جل جلاله بعد بلوغـه، وكمال عقله على معرفته، ولا على ما يجب عليـه مـن المعارف بشيءٍ من ابتداء فضلـه، ورحمته؛ فإنَّه يجب على هـذا العبد النَّظر فيما يجـب عليه مـن التَّكليف، والتوصُّل في التَّعريف بكلِّ طريـقٍ من طُرق التَّحقيق، وعلى كلِّ وجهٍ، وسبيل من سُبل التَّوفيق»[3].

ويقول: «هو يعلم [العبد] من نفسـه على اليقين أنَّه ما خلق في نفسـه حقيقة النَّظر، ولا حقيقة ترتيبه، وإنَّما وجدَ نفسَـه على الصِّفة التي هي عليها من إدراك حقائق النَّظر،

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٨.
(٢) المصدر نفسه: ٥٧.
(٣) المصدر نفسه: ٦٩.

وطرائـق الفِكر، مع علمه البديهـيّ أنَّ ذلك التصوُّر، والإدراك الذي وجد نفسـه عليه ما هو من كسبه، ولا اجتهاده، وإنَّما هو من غيره»[1].

ومن منظار السـيِّد أنَّ الإنسـان الذي يفرط بالاعتماد على النَّظر، والاستدلال فهو بعيـدٌ عن مـكارم الله تعالى، ومراحمـه؛ فلا بدَّ للإنسـان التخلِّي عن رسـوبات ما يخلِّفه النَّظريّ؛ ليتلقَّى المعرفة، ولذا يقول: «واعلمْ يا ولدي محمَّد أقبل الله ﷻ عليك، وكمَّل إحسانه إليك، أنَّ العقول المُستقيمة، والقلوب السَّليمة شهدت شهادة صحيحةً صريحةً أنَّـه لا بدَّ من اسـتناد المُمكنات، والموجـودات إلى فاعلٍ لهـا، لا أوَّل لوجودِه، ويقتضي ظهـور هذه الآثـار المُحكمة الباهرة، والدَّولة المُنتظمة القاهـرة أنَّ فاعلها حيٌّ عالمٌ قادرٌ مختـارٌ حكيـمٌ، وأنَّ وجودَهُ وصفاتِه بذاتـه؛ لأنَّه لو كان ﷻ أو شيء مـن صفاته بغيره، اقتضى ذلك عكس شهادة الألباب بقِدَمه، وأزليَّته، وتمام قُدرته»[2] [3].

مزالق طريق الكسب، والنَّظر:

نشير إلى جُملةٍ من تلك المخاطر، وإليك إيَّاها:

١. الشُّبهات الاحتماليَّة:

«أنَّ المُبتـدئ إذا قـال لـه الأسـتاذ: لا طريقَ لـك إلى معرفـة الله ﷻ إلَّا بنظرك في

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٨.

(٢) المصدر نفسه

(٣) ويقـول في موضعٍ آخر: «ومتـى وصل إلى غاية تدلُّ على صانع لوجـوده، فإيَّاه أن يصرف هذا الناظر خاطره، أو يخلِّي سرائره من الاعتماد على مراحم ومكارم صانعه وجوده، فإنَّ القادر بذاته يفتح إذا شـاء على قدر قدرته القاهرة الباهرة، والعبد الناظر القادر بغيره لا يفتح بنفسه إلَّا بقدر قدرتـه القاصرة، وذلـك الفتوح الإلهيّ أقوى اتِّصـالًا، وأبقى كمالًا، وأتمَّ نـورًا، وأعمَّ سرورًا، وأوضـح في الاطِّلاع عـلى الأسرار، وأرجح في عمارة الأفكار». كشـف المحجَّـة لثمرة المهجة: ٦٩. (م).

الجوهر، والجسم، والعَرَض، كما كنا أشرنا إليه، وأنَّ حدوث الجسم لا يثبت إلَّا بالحركة، والسُّكون؛ فإنَّ المُبتدئ أيضًا ما يفهم بفطرته زيادة هذه الأعراض على الأجسام، ولا له دربة بهذا الكلام، ولا يرى بعين رأسه، وإحساسه زيادة الحركة، والسُّكون على الجسم المُنتقل في الجهات، إلَّا بأن يتعبَ في إنفاق كثيرٍ من الأوقات في تصوُّر حدِّ الجسم، وتصوُّر العَرَض، وتحقيق زيادتها على الأجسام، وحفظ ما يتعلَّق بذلك كلّه من معنًى، وكلام، وربَّما وجدت الأستاذ عاجزًا في حدود هذه المعاني المذكورة عن أن يغيِّر ألفاظَها المعهودة المذخورة حتَّى يكاد أن يقلِّد قائلها، وناقلها، ويحتجُّ بأنَّها قول فلان، وفلان، وقولهم كالحجَّة في معانيها.

ثمَّ إذا فهم من أستاذه زيادة الحركة على الأجسام؛ فإنَّه ما يكاد يفهم زيادة السُّكون على الجسم في ظاهر أوائل الأفهام، ولا يدرك على التَّعجيل من أن يلزم من حدوث الحركة، والسُّكون حدوث الجسم العريض العميق الطَّويل؛ فلا يزال غالب حاله يخبط خبطَ عشواء في أدلَّتهم، ومعارضتها بشُبهات احتمالات الأهواء، حتَّى يتمحَّض في اجتهاده عن رجحان ظنٍّ، أو اعتقادٍ ضعيف.

ومتى عرض له طعنٌ قويّ، أعادهُ ذلك الطَّعنُ إلى الاستدلال، والتَّكشيف؛ فتراه مُتردِّدًا في العقائد بين ساكنٍ، وعائدٍ إلى أن يموت لعلَّه يجوز حدوث القوادح، وقد كان قبل ذلك التَّعليم لسكونِه إلى معرفته المؤثِّر جملة سكون اعتقاد قويّ راجح، وكان آمنًا كما صار لا يأمن من تجدُّد المطاعن، والمُعارضات، والقوادح»[1].

ثمَّ إنَّ السيِّد يسلك طريقًا سهلة لإثبات الحدوث بعيدًا عن التَّعقيد: «فكلُّ

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٠.

عـارفٍ بهـا بالمُشـاهدة يعلـم أنَّ هـذه الزِّيـادات حادثـات بالضَّـرورة؛ فكيـف يعدل عـن تعريـف حدوثهـا بمثـل هـذا التَّحقيـق إلى الحركـة، والسُّـكون، وهمـا عرَضانِ غير مُشاهدَينِ»[1].

ويعتقـد السـيِّد أنَّ حقيقة الحركة، والسُّـكون وما يلزم منهما يحتـاج إلى نظرٍ دقيقٍ، وتخطِّـي عقباتٍ بالتَّوفيق الإلهيّ: «ولا يعرف حقائقهـا، وما يلزم من حدوثهما إلَّا بنظرٍ دقيقٍ، وقطع عقبات قليلة التَّوفيق»[2].

ويذكر طريقًا واضحًا على معرفة الله تعالى عبر حدوث الأجسام، مُكتفيًا بتنبيهات وإشارات لما جاء به الأنبياء (صلَّى الله على نبيِّنا وآله وعليهم السلام)، والكتب السماويَّة، وهـو مطابقٌ لها: «فـكان ثبوت حدوث الأجسـام على هذا الوصـف الواضح كافيًا في الدَّلالة على أنَّ لها مؤلِّفًا ﷻ، مُحدثًا لها، ومدبِّرا لأمرها بحسـب المصالح؛ فأشار الأنبياء صلـوات الله عليهم، والكتب المُنزلة عليهـم إلى نحوِ هذه التَّنبيهات على هذه الدَّلالات الظَّاهرات»[3].

٢. النَّتيجة غير معلومةٍ وغامضة:

ذكـر السـيِّد في حوارهِ مع أحدهم في ما يتعلَّق في طريق كسـب المعرفة، وأشـار في مباحثتِـه إلى مواطن الخلل في طريقـة النَّظر، ومنها غموضُ النَّتيجـة، وعدم الاطمئنان بـه: «لأنَّـك قبل أن تعرفـه، وشرعتَ تنظر في المعرفـة بنظرك في الجواهر، والأجسـام، والأعـراض، مـا تدري نظـرك هل يفـضي إلى الإقبال عـلى تصديق المعرفـة أو الإدبار عنهـا، والإعراض؛ فلا تكون قاصدًا بنظرك التقـرُّب إلى الله ﷻ؛ لأنَّك ما تعرفه، وإنَّما

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

تعرفـه على قولك في آخر جزء من أجزاء نظرِك، وقد فات نظرك كلُّه بغير معرفة، وغير ثوابٍ»[1].

ويضيـف السـيِّد إذًا لا بـدَّ من سـلك طريق النَّظر، والكسـب فعليـه: «فيلزم مع اشـتغاله إن كان لابدَّ لهُ من الاشـتغال عـلى العلماء ذلك الهـادي الأوَّل، واهب العقل و الضِّياء، ومُطلق لسـان أسـتاذه بالكلام، وقد كان أخرس، ومسـلك الهواء في مجاريه، وبه عاش، وتنفَّس، وماسـك ذات أسـتاذه، وواهب حياته، وماسـك مـا يحتاج إليه في مطلوباتـه، وإرادتـه، والذي أقام أسـتاذه، وقـد كان في صغره يزحف عـلى بطنه، ومن فتـح أقفال فهمه، وذهنه حتَّى صار يعرف ما ينفعه فيسـعى إليه، وما يضـرُّه فينفر عنه، ولا يُقبل عليه»[2].

ويسـوق كلامًا بمنزلة الدَّليل على عدم اسـتقرار النَّتيجة في طريق الفكر، والنَّظر: «وربَّـما وجـدت الأسـتاذ عاجزًا في حدود هـذه المعاني المذكـورة عن أن يغـيِّر ألفاظَها المعهودة المذخورة، حتَّى يـكاد أن يقلِّد قائلها، وناقلها، ويحتجُّ بأنَّها قول فلان، وفلان، وقولهـم كالحُجَّـة في معانيها؛ ثـمَّ إذا فهم من أسـتاذه زيادة الحركة على الأجسـام؛ فإنَّه ما يكاد يفهم زيادة السُّكون على الجسم في ظاهر أوائل الأفهام، ولا يدرك على التَّعجيل من أن يلزم من حدوث الحركة، والسُّـكون حدوث الجسـم العريض العميق الطَّويل؛ فـلا يزال غالب حالـه يخبط خبط عشـواء في أدلَّتهم، ومعارضتها بشُـبهات احتمالات الأهواء، حتَّى يتمحَّض في اجتهادِه عن رجحان ظنٍّ، أو اعتقادٍ ضعيفٍ.

ومتى عرض له طعنٌ قويّ، أعادهُ ذلك الطَّعن إلى الاسـتدلال، والتَّكشيف؛ فتراه مُتردِّدًا في العقائد بين ساكنٍ، وعائد إلى أن يموت لعلَّه يجوز حدوث القوادح، وقد كان

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٦.
(٢) المصدر نفسه: ٥٩.

قبل ذلك التَّعليم لسكونه إلى معرفته المؤثِّر جملة سكون اعتقاد قويّ راجح، وكان آمنًا كما صار لا يأمن من تجدُّد المطاعن، والمُعارضات، والقوادح»[1].

فما كانت هذه حاله، فكيف له يعرف الله ﷻ للآخرين؟!.

ويعبِّر السيِّد عمَّن عدل من الأمر الواضح إلى الغامض؛ فإنَّه ضالٌّ: «كلُّ من عدل في التَّعريف عن الأمر المكشوف إلى الأمر الخفيّ اللطيف؛ فهو حقيقٌ أن يُقال: قد أضلَّ، ولا يقال: قد هدى، ولا قد أحسن فيما استدلَّ»[2].

ويمثِّل لما يفعلُه المُعلِّم بالمُتعلِّم: «كان مثالهم مع المُتعلِّم منهم، ومثاله معهم أيضًا، كمثل إنسان كان بين يديه شمعة مُضيئة إضاءة باهرة؛ فأخذها أستاذه من بين يديه، وأبعدها عنه مسافةً بعيدة، كثيرة الحوائل، والموانع من نظره بتلك الشَّمعة التي كانتْ حاضرة عنده، وقال له: تجهَّز للسَّفر بالزَّاد، والرُّفقاء، والعدَّة، والأدلَّاء حتَّى تصلَ إلى معرفة تلك الشَّمعة، وتنظر حقيقة ما هي عليه من الضِّياء؛ فقبِلَ ذلك المُغترُّ المُتعرِّف من ذلك الأستاذ المُتكلِّف، وسافر مدَّة من الأوقات؛ فتارةً يرى جبالًا، وعقباتٍ؛ فلا يظهر له من حقيقة الشَّمعة كثيرٌ، ولا قليلٌ، وتارةً يرى ضوءًا؛ فيقول: لعلَّه ضوء تلك الشَّمعة، ويستنجد بمُساعدة الرَّفيق، والدَّليل؛ فإن عجز عن إتمام المسافة، وقطع الطَّريق، بما يرى فيها من العقباتِ، والتَّطويل، والتَّضييق، هلك المسكينُ، ورجع خاسرًا للدُّنيا، والدِّين»[3].

ثمَّ يقول عن جماعةٍ هو يعرفهم على هذه الحال: «فقد عرفنا من جماعةٍ أنَّهم أوقعهم ذلك في شكوكٍ، وتضليلٍ، وكان ضلالُهم من سوء توفيق الدَّليل؛ ولئن مشي هذا

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٠.
(٢) المصدر نفسه: ٦٦.
(٣) المصدر نفسه: ٦٧

المُسترشـد، واحتمل مشقَّة الأسفار، وركوب الأخطار، وسلم من أن يعجز في الطَّريق، ويترك الشَّـمعة بالكليَّة كثيرًا ما يحصل له إذا وجدها من حقيقتها مثل الذي كان يعرفه في الفطرة الأوَّليَّة؛ فضاع عمرُه، وتعبُه في زيادة معرفتها»[1].

ثمَّ يتحدّث السيِّد عن الطَّالب، وعذره في اختياره للأستاذ، والأخذ منه، والقَبول، تاركًا في ذلك تدبير الله تعالى له: «وما الذي يحمل على التشبُّث بذلك، والعزل في تدبيره لـربِّ الأرباب، وفاطر الأسـباب، وما عُـذر المُبتدئ بقبول ذلك من أسـتاذه، ومَن قد اختاره من عباد الله ﷻ لإرشاده»[2].

ويذهب إلى أنَّ طريق الكسـب، والنَّظَر للمعرفة لا يعدُّ مُستقلًّا، وإنَّما يحصل ذلك من الله ﷻ؛ ثمَّ يحذِّر السـيِّد الشَّخصَ إذا تعرَّف على خالقه، أن يصرف عنه هذا الخاطر، ويوصيـه أن يخلِّي سرائرَه على المراحم، والمـكارم: «ومتى وصل إلى غايةٍ تدلُّ على صانعٍ لوجـوده؛ فإيَّاه أن يصرف هذا النَّاظـر خاطره، أو يخلِّي سرائره من الاعتماد على مراحمَ، و مكارمَ صانعهِ، وجوده»[3].

وقال في موضـعٍ آخر في الاعتماد على العقول، والقلوب: «ولقد كان الله ﷻ أعذر إليهم، وركب الحجَّة عليهم، بما أراهم في العقول، والقلوب من مماتها بالنِّسـيان، وكثرة آفاتهـا، وتفاوت إرادتها بما يظهر في تصرُّفاتها مـن النُّقصان ما كان كافيًا في ترك الاعتماد عليها، مع سقم الغفلة عنه ﷻ بالاستناد عليها»[4].

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٦٧.
(٢) المصدر نفسه: ٥٨.
(٣) المصدر نفسه: ٦٩.
(٤) لأ باس أن أنقل تمام عبارته: «لقد وجدت الفلاسفة وأكثر من ضلَّ بغير عناد، أنَّ ضلالهم كان من طريق التوكُّل والاعتماد على العقول والقلوب، والاجتهاد مع الغفلة عن سلطان المعاد، ولقد كان الله ﷻ أعذر إليهم وركب الحجَّة عليهم بما أراهم في العقول والقلوب من مماتها بالنسيان=

ويعتقد السيِّد يمكن تنسيق العقل، والقلب والجوارح في العمل لله ﷻ، ومع أنَّ عمل جوارح الانسان وجوانحه بمدٍّ منه تعالى، حينها يفتح عليه من أنواره ﷻ: «فيكون عملُك بالله ﷻ على ما يفتحه ﷻ من الأنوار»[1].

ويستند في ذلك إلى قوله تعالى: «وقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[2].

فهل ترى يا ولدي المعرفة بالله، إلَّا من الله وبالله، وأنَّه ﷻ هو الذي هدى للإيمان بمُقتضى القرآن[3]، وأنَّه هو صاحب المنَّة في التَّعريف، وأنَّه لولا فضلُه، ورحمته، ما زكى من أحد في تكليفٍ»[4].

=وكثرة آفاتها، وتفاوت إرادتها، بما يظهر في تصرُّفاتها من النقصان ما كان كافيًا في ترك الاعتماد عليها، مع سقم الغفلة عنه ﷻ بالاستناد عليها، مثاله أنَّه يجمع عقليّ وقلبيّ ونفسيّ وطبعيّ على سطر كتاب، فإذا فرغت منه رأيت فيه شيئًا قد كتبته على خللٍ بعيدٍ من الصَّواب، حتَّى لو بقي ذلك لغلط في مرادي منه، فإذا كان ذلك ممَّا يعلمه العبد من حاله، فواجب عليه أن لا يثق بغير مولاه، ولا يعدل أبدًا عنه، فلمَّا رأيت عقلي وقلبي يغفلان وينسيان من حيث لا أدري، ويحصل بذلك ضرِّي وكسري، وجدتهما لأجل ذلك لا يصلحان للاهتداء والاقتداء، وسألتهما بلسان الحال: مِن أين يعرض لهما حصول هذا الداء؟ فقالا: لا ندري، ولا طريق لنا إلى مأمول كمال الشفاء، إلَّا من جانب يعرف من أين طرأ علينا أصل هذا البلاء، فأجمع رأيي ورأيهما على مداكف السؤال بلسان الحال إلى كعبة كرم منشئ العقول والقلوب، ومالك الآمال، في أن يدخلنا في ظلِّ حمى حمايته، ويؤهِّلنا لما هو ﷻ من رحمته، فوجدنا منه ﷻ كما أردناه وزيادات على ما رجوناه، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾، فكيف أشكر أنا مولى هذا بعض ما أولاه..». جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع: ٤. (م).

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٢٠٠.

(٢) سورة النور، الآية: ٢١.

(٣) لعلَّه اشاره إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٤) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٣.

ويقترح السيِّد إذا اشتبه عليك شيءٌ من المسائل العقليَّة؛ فعليك بالخَلوة، والتَّذلُّل لله ﷻ في حلِّها، فتجده كاشفًا لك لبسها: «متى اشتبه عليك شيءٌ من نتائج العقول؛ فالزمِ الصَّومَ، والخلوة، والتذلُّل للقادر ﷻ على كلِّ مأمول؛ فإنَّك تجده ﷻ كاشفًا لك ما اشتبه عليك، وباعثًا إلى عقلك، وقلبك من أنوار هدايته ما يفتح أبواب الصَّواب لديك»[1].

٣. معرفة الله تعالى:

بعدَ ما تقدَّم الحديث عن طرائق الوصول إلى المعرفة، نشير إلى معرفة الله تعالى في فكر السيِّد العرفانيّ.

تعدُّ معرفة الله تعالى من أهم العلوم، وأكثرها قيمةً؛ بل تكامل الإنسان بها، ولا يحصل تكاملٌ من دونها، كما أنَّ السيِّد يعتقد بالاحتياج إلى الله تعالى في هذه المعرفة، ويعدُّ هذه المعرفة تكليفًا، وتأتي أهميَّة هذا الاحتياج في نظر السيِّد؛ لأنَّه استجابةٌ لذلك التَّكليف[2]، كما أنَّ معرفة الله ﷻ حقيقةٌ تقع في امتداد الشَّريعة، والطَّريقة، وهي ما تحصل بعد التَّقرُّب، والوصول.

ويعدُّ السيِّد التَّكليفَ شرفًا، ومن أعظم المِنن الإلهيَّة، ويعجز عنها شكرُ الشاكرين: «إنَّ تشريف الله ﷻ لك بتكليف معرفته، ومعرفة رسوله صلوات الله عليه، والأئمَّة من ذريَّته عليهم السلام، ومعرفة شريعته، والقيام بطاعته، كان من أعظم مِننه ﷻ عليك وإحسانه إليك، التي لا يقوم لها شكرُ الشاكرين، ولا يقضي حقوقها اجتهادُ المُجتهدين»[3].

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٥٣.
(٢) المصدر نفسه: ٦٩.
(٣) المصدر نفسه: ٧٥.

«فالله الله يا ولدي في معرفة حقِّ إمساكه، ورحمته، ونعمته، وما لا يحصيه من حقوقه العارفون، والمُكاشفون»[1].

وأحاول في هذا القسم البحثَ عن الأصول العلميَّة للعرفان من مِنظار السيِّد، وقد أشار السيِّد، سواءٌ في الأصول العلميَّة، أو العمليَّة في سلوكه، بأنَّه إلقاء من الله عزَّ وجلَّ: «وحيث قد ذكرت لك يا ولدي بعض ما أجراهُ الله جلَّ جلالهُ على خواطري في أدبِ الحركات، والتَّصرُّفات»[2].

أتناول في البداية موضوعًا أساسًا، وهو التَّوحيد (التوحيد النظريّ) الذي يعدُّ من أهمِّ الموضوعات، وجعل منه السيِّد موضوعًا رئيسًا في العرفان العلميّ، كمعرفة الله عزَّ وجلَّ.

٣-١ التَّوحيد (التَّوحيد النظريّ):

يعدُّ البحث عن التَّوحيد بكلِّ مراتبِه من مسائل علم الكلام، كـ: التوحيد النظريّ، والذاتيّ، والصِّفاتيّ، والفعاليّ، وكذا التَّوحيد العمليّ، كالتَّوحيد في العبادة، مع الاختلاف الجوهريّ بين ما يطرحهُ المُتكلِّمون[3]، وما يبحثه العرفاءُ في هذه المسائل التي تعدُّ من أمَّهات المسائل عند العُرفاء، كما لا يخفى.

لم نلحظْ في آثار السيِّد مصطلَحَي التَّوحيد النظريّ، والتَّوحيد العمليّ، ولكن كان مُلتفتًا إلى تلك المراتب في كتاباته.

نقل العلَّامة محمَّد حسين الطباطبائيّ، صاحب الميزان، عن أستاذه السيِّد عليّ القاضي: «يعدُّ السيِّد من جملة الشخصيَّات[4] الذي له تمكُّن

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ١٤٦.
(٢) المصدر نفسه: ١٧٨.
(٣) بالحقيقة تعدُّ هذه المسائل أيضًا من مسائل الفلسفة. (م)
(٤) وذكر السيِّد أيضًا السيِّد بحر العلوم، وابن فهد الحِلِّيّ.

في التوحيد»[1].

وعليه سنشير هُنا إلى مراتب التَّوحيد بنحوٍ ترتيبيّ في فكر السيِّد.

٣-١-١ الأصل الأوَّل: التَّوحيد في الذَّات والصِّفات

يعتقد السيِّد أنَّ مِقدار معرفته تعالى وذاته، وصفاته بقدر ما منحك الله تعالى من فضلٍ لذلك: «أن يكون الله ﷻ في قلبك، وعند عقلك عظيمًا على قدر ما وهبك من معرفة ذاته، وصفاته الكاملة»[2]، وكذا ما ذكره من معرفة أوَّل الشهور، وأنَّه فضلٌ من الله ﷻ، وعدَّ هذه المعرفة من المعارف اللقائيَّة: «واعلمْ أن الله ﷻ تفضَّل علينا بأسرارٍ ربَّانيَّة، وأنوارٍ محمَّديَّة، ومبارٍّ علويَّة، منها تعريفنا بأوائل الشُّهور، وإن لم نشاهد [يشاهد] هلالها، وليس ذلك بطريق الأحكام النُّجوميَّة، ولا الاستخارات المرويَّة؛ وإنَّما ذلك، كما قلنا، بالأمور الوجدانيَّة الضَّروريَّة»[3].

وكذا من أنَّه يعرف ليلة القدر، كما صرَّح بذلك[4]، وكذا معرفة الله تعالى وذاته، وصفاته، والرَّسول الأعظم ﷺ، والأئمَّة الأطهار عليهم السلام، ونلاحظُه عندما يقايسُ بين المعارف، يقول: «وليستْ بأعظم من رحمة الله ﷻ بمعرفة ذاته المُقدَّسة، وصفاته المُنزَّهة، ومعرفة سيِّد المُرسلين، وخواصِّ عترته الطَّاهرين»[5].

«إنَّ تشريف الله ﷻ لك بتكليف معرفته، ومعرفة رسوله صلوات الله عليه، والأئمَّة من ذريَّته عليهم السلام، ومعرفة شريعته، والقيام بطاعته، كان من أعظم مِنَنِهِ ﷻ

(١) أدب حضور: ٢٨. (فارسي).
(٢) فلاح السائل: ١٠٠
(٣) إقبال الأعمال: ١/ ١٥.
(٤) لاحظ: مهج الدعوات ومنهج العبادات: ١٩٦.
(٥) إقبال الأعمال: ١/ ٦٦.

عليك، وإحسانه إليك، التي لا يقوم لها شكرُ الشَّاكرين، ولا يقضي حقوقها اجتهادُ المُجتهدين»[1].

ويعتقد السيِّد أنَّه لا يمكن معرفة ذاته تعالى، وصفاته على التَّحقيق؛ لأنَّه لا يمكن إحاطة المحدود بلا محدودٍ[2].

انتهى القسم الأوَّل.

(١) كشف المحجَّة لثمرة المهجة: ٧٥.

(٢) لاحظ: فلاح السائل: ١٠٠.

الدراسات القرآنيَّة

الشَّاهد القرآنيّ في الخطاب الأخلاقيّ
عند ابن فهد الحِلِّيّ
في ضوء كتابه (عدَّة الداعي)

أ.د. حسن كاظم أسد
جامعة الكوفة/كليَّة التربية الأساسيَّة

The Qur'anic Witness in the Ethical Discourse
of Ibn Fahd Al-Hilli
In Light of his Book (Uddat Al-Da'i)

Prof. Dr. Hassan Kazim Asad
University of Kufa/College of Basic Education

ملخَّص البحث

إنَّ سعادةَ الإنسان في الدَّارين متوقِّفةٌ على العملِ بموجب القُرآن، وهذا لا يكونُ من دون فهم القرآن، فلا بُدَّ إذًا أنْ تكونَ قراءةُ القرآن بتدبُّر؛ للائتمار بأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والاعتبار بقصصه، والاتِّعاظ بمواعظه، فقد كرَّر ذِكر كلمة الدعاء ومشتقَّاتها في الكثير من الآيات، ولكن اختلف معناها وتنوُّعها بحسب سياق الآية والموقف الذي ذُكِرت فيه؛ لذلك شغل الدعاء مكانًا كبيرًا ومهمًّا من كتاب الله العزيز، ولعلَّك تلحظ تناثر الدعاء من أوَّل سورةٍ فيه، مرورًا بطوال السور وقصارها، مكيِّها ومدنيِّها، حتَّى إذا انتهينا عند آخر سُور الكتاب المجيد، وجدناها دعاءً كريمًا يجسِّد صورةً معبِّرة لاعتراف الإنسان بضعفه، ولجوئه إلى خالقه، وتعلُّقه بحصنه من كلِّ ما دار بفكرٍ أو جال بخاطرٍ من أمرٍ عظيمٍ، فبدء القرآن بالدعاء وانتهاؤه به دافع للتفكُّر بأنَّ هناك سرًّا إلهيًّا في أن تكون فاتحة الكتاب كلُّها دعاءً، وخاتمته دعاءً، وما بين الفاتحة والخاتمة عقيدة وعبادة ودعاء.

إنَّ من أهم ضروريَّات الحياة الدعاء، فهو يدفع البلاء، وهو من أحبّ الأعمال إلى الله سبحانه، وهو سلاح المؤمن، وبه يرد القضاء المبرم، وبناءً على ما تقدَّم، فإنَّ القرآن الكريم اشتمل على أنواع الأدعية للأنبياء والأولياء والصالحين، وحتَّى المذنبين، وحتَّى إبليس؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم حياة للبشر، وسعادة للأمَّة، ونجاة للفرد، فالدعاء من أبرز عوامل الانتصار على الأعداء والأشرار، ويسوق المجتمع إلى ساحل الأمن والأمان.

هذه الدراسة التي بين أيدينا هي دراسة كتاب (عدَّة الداعي ونجاح الساعي) لمؤلِّفه أحمد بن فهد الحِلِّيّ، من المؤلَّفات النفيسة والمهمَّة التي اتَّخذ المصنِّف فيها منهجًا في أدب الدعاء، كانت لمساته واضحة في العرض والمعالجة، فقد ضمَّ مجموعة نافعة في فضل الدعاء وأثره في تمام العبادة لله سبحانه وتعالى وكمالها، ومواضع الدعاء في الكتاب والسنَّة، ومباحث في جوامع الدعاء، وأوقات إجابة الدعاء، وأدعية وردت بالقرآن، وأدعية من صحيح السنَّة، وفوائد الدعاء وفضله.

قسم البحث على ثلاثة مباحث سبقت بمقدِّمة وخاتمة، وهي: مبحث تمهيدي: ويدرس من خلال: الشاهد، القرآن، الخطاب، الأخلاق، الخطاب الأخلاقيّ.

المبحث الأوَّل: ابن فهد الحِلِّيّ

المبحث الثاني: المصنَّف.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقيَّة في استعمال المؤلِّف للشاهد القرآنيّ.

Abstract

The happiness of man in both worlds depends on acting in accordance with the Qur'an, and this cannot be achieved without understanding the Qur'an. Therefore, the Qur'an must be read with contemplation, in order to obey its commands, refrain from its prohibitions, consider its stories, and learn from its sermons. The word supplication and its derivatives have been mentioned repeatedly in many verses, but their meanings and variations differ according to the context of the verse and the situation in which they are mentioned. Therefore, supplication occupies a large and important place in the Noble Book of Allah. Perhaps you notice the scattering of supplication from the first Surah in it, passing through the long and short Surahs, Meccan and Medinan, until when we end at the last Surah of the Glorious Book, we find it a noble supplication that embodies an expressive image of man's recognition of his weakness and his resort to his Creator and his attachment to His fortress from everything that comes to mind or crosses the mind of a great matter. So the

beginning of the Qur'an with supplication and its ending with it is an incentive to think that there is a divine secret in the fact that the opening of the entire Book is supplication and its ending is supplication, and between the opening and the ending is belief, worship and supplication. One of the most important necessities of life is supplication, as it repels calamity, is one of the most beloved deeds to Allah, the Almighty, and is the weapon of the believer, with which he repels the inevitable fate. Based on the above, the Holy Quran includes types of supplications for prophets, saints, righteous people, and even sinners and even Satan, because the Holy Quran is life for humanity, happiness for the nation, and salvation for the individual. Supplication is one of the most prominent factors in victory over enemies and evil people and leads society to the shore of security and safety. This study in our hands is a study of the book "Uddat al-da'i wa najah al-sa'i" by its author Ahmed bin Fahd Al-Hilli, one of the valuable and important books in which the author adopted an approach in the literature of supplication, and his touches were clear in the presentation and treatment. He included a useful collection on the virtue of supplication and its effect on the completion and perfection of worship of Allah, the Almighty, the Most High,

and the places of supplication in the Book and Sunnah, and discussions on the comprehensiveness of supplication, and the times of answering supplication, and supplications mentioned in the Quran. Supplications from the authentic Sunnah, the benefits of supplication and its merit.

The research is divided into three sections preceded by an introduction and a conclusion, which are: An introductory section: It studies through: The witness, the Qur'an, the discourse, ethics, and the ethical discourse.

The first section: Ibn Fahd al-Hilli

The second section: The author

The third section: An applied study of the author's use of the Qur'anic witness.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد بن عبد الله، وعلى آله الميامين، وصحبه المنتجَبين. وبعد..

فإنَّ سعادةَ الإنسان في الدَّارين متوقِّفةٌ على العملِ بموجب القُرآن، وهذا لا يكونُ من دون فهم القرآن، فلا بُدَّ إذًا أنْ تكونَ قراءةُ القرآن للفهم، والفهمُ للائتمار بأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والاعتبار بقصصه، والاتِّعاظ بمواعظه. وأمَّا القُرآن فهو كتابٌ مُعجِزٌ؛ لكونه كتابَ الله تعالى، فقد كرَّر ذِكر كلمة الدعاء ومشتقَّاتها في القرآن الكريم في الكثير من الآيات، ولكن اختلف معناها وتنوَّع بحسب سياق الآية القرآنيَّة، والموقف التي ذُكِرت فيه، وعلى الرغم من هذا الاختلاف في ذِكر الكلمة بأكثر من معنى، لا يمكن فهم تلك المعاني المختلفة إلَّا من القرآن الكريم نفسه، بمصطلحات وقواعد قرآنيَّة، كي نتدبَّر؛ لنفهم ونعقل.

لذلك شغل الدعاء مكانًا كبيرًا ومهمًّا من كتاب الله العزيز، ولعلَّك تلحظ تناثر الدعاء من أوَّل سورةٍ فيه، مرورًا بطوال السور وقصارها، مكيِّها ومدنيِّها، حتَّى إذا انتهينا عند آخر سور الكتاب المجيد، وجدناها دعاءً كريمًا يجسِّد صورةً معبِّرة لاعتراف الإنسان بضعفه، ولجوئه إلى خالقه، وتعلُّقه بحصنه من كلِّ ما دار بفكرٍ أو جال بخاطرٍ من أمرٍ عظيمٍ، فبدء القرآن بالدعاء وانتهاؤه به دافع للتفكُّر بأنَّ هناك سرًّا إلهيًّا في أن تكون فاتحة الكتاب كلُّها دعاءً، وخاتمته دعاءً، وما بين الفاتحة والخاتمة عقيدة وعبادة ودعاء.

الدعاء في الإسلام هو عبادة تقوم على سؤال العبد ربَّه، والطلب منه، وهي عبادة من أفضل العبادات التي يحبُّها الله خالصةً له، ولا يجوز أن يصرفها العبد إلى غيره.

إنَّ من أهمِّ ضروريَّات الحياة الدعاء، فهو يدفع البلاء، وهو من أحبِّ الأعمال إلى الله سبحانه، وهو سلاح المؤمن، وبه يَرِدُ القضاء المبرم، وبناءً على ما تقدَّم فإنَّ القرآن الكريم اشتمل على أنواع الأدعيَّة للأنبياء والأولياء والصالحين، بل المذنبين، بل إبليس؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم حياة للبشر، وسعادة للأمَّة، ونجاة للفرد المحاط به البلاء من كلِّ مكان، في حديث الأربعمائة: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ادفعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء، قبل ورود البلاء، فو الذي فلقَ الحبَّة وبرأ النسمة، لَلبلاء أسرع إلى المؤمن من انحدار السَّيل من أعلى التلَّة إلى أسفلها، ومِن ركض البراذين، سلوا الله العافية من جهد البلاء، فإنَّ جهد البلاء ذهاب الدين**»[1].

وكذلك المجتمع الإسلامي محاط بالشرور الاقتصاديَّة والسياسيَّة والثقافيَّة، فالدعاء من أبرز عوامل الانتصار على الأعداء والأشرار، ويسوق المجتمع إلى ساحل الأمن والأمان، وهذا هو شيخ المرسلين يخاطب ربَّ العالمين، ويبثُّ له شكواه عن قومه الكافرين، ثمَّ يذكر نهضته وما قام به من عمل دؤوب، ليلًا ونهارًا، سرًّا وإعلانًا، يجاهد في سبيل الله، لا يخاف لومة لائم، ولكن لم يصل إلى النتيجة المطلوبة، فدعا عليهم بالفناء. فإنَّك لترى الحوار الدعائيّ بسيط جدًّا، وتتجلَّى فيه الأمور الآتية:

١. طوائف الداعين.

٢. أدعية الأنبياء والمرسَلين عليهم السلام.

(١) الخصال الصدوق (٣٨١هـ): ٦٢١، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣/ ١٣٦٢ش، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرفة.

٣. أدعية أصحاب الإيمان، كدعاء الابن، وأدعية الناس.

٤. أدعية المنحرفين، أدعية أصحاب النار، الاعتراف بالذنوب، طلبان للشيطان الرجيم.

٥. الاتصال بالله مباشرةً، بلا أيَّة واسطة.

٦. الاستجابة مباشرة وفوريَّة.

٧. الكلام عادي وبسيط، وليس فيه ارتعاش وخوف.

٨. وفي نهاية المطاف فيه، طلب الغفران.

وهذه الدراسة التي بين أيدينا، هي دراسة كتاب عدَّة الداعي ونجاح الساعي، لمؤلِّفه أحمد بن فهد الحِلِّيّ، من المؤلَّفات النفيسة والمهمَّة التي اتَّخذ المصنِّف فيها منهجًا في أدب الدعاء، كانت لمساته واضحة في العرض والمعالجة، وتضمُّ هذه الدراسة مجموع نافع في فضل الدعاء وأثره في تمام العبادة لله سبحانه وتعالى، وكمالها، وقد استقصت الدراسة مواضع الدعاء في الكتاب والسنَّة، وأقوال السَّلف في الدعاء، ومباحث: في جوامع الدعاء، وأوقات إجابة الدعاء، وأَدْعِيَةٌ وَرَدَتْ بِالْقُرْآنِ، وأدعية من صحيح السنَّة.. وغيرها ممَّا ضمته الدراسة من فوائد الدعاء وفضله.

وقد قسِّم البحث على ثلاثة مباحث، سُبِقت بمقدِّمة ومبحث تمهيدي، وكما يأتي:

مبحث تمهيدي، ويدرس من خلال:

- الشاهد.
- القرآن الكريم.

- الخطاب.
- الأخلاق.
- الخطاب الأخلاقي.

المبحث الأول: ابن فهد الحِلِّيّ.

المبحث الثاني: المصنَّف.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية في استعمال المؤلِّف الشاهد القرآنيّ.

ثمَّ الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

ولا أدعي الكمال فيما قدَّمته في غضون هذا البحث المتواضع، فهو بتوفيق من لدن الباري ﷻ، فالعصمة له وحده، فإن أصبت فهو حسبي، وإن أخطأت فجلُّ بني البشر خطَّاؤون، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على خير خلقه محمَّد وعلى آله الطيِّبين الطاهرين.

مبحث تمهيدي

الشاهد

الشاهد لغة: يُشتقُّ من: شَاهَدَ يُشَاهِدُ، مُشاهدةً، فهو مُشاهِد، على اسم الفاعل، والمفعول مُشاهَدٌ، وشاهدَ الشَّيء رآه عايَنه، والجمع: شواهِدُ وشاهدون وأشهاد وشُهداءُ وشُهَّد وشُهُود، والمؤنث: شاهدة، والشَّاهِدُ: مَن يؤدِّي الشهادة، والشَّاهِدُ: الدليل، والبرهان، والشاهد السماعيّ: الشَّاهِد الذي سمِع بأُذُنَيْه ما يَرْوي أو يُدْلي به في محكمة، وشاهد عِيان: شاهد يشهد بشيء رآه، على رؤوس الأشهاد، وعلى مرأى من الجميع، علانية جهارًا، صلاة الشَّاهد: صلاة المغرب، أو صلاة الفجر؛ لأنَّهما لا تقصر فيهما الصلاة فيصلِّيها الغائبُ مثل الشاهد، والشَّاهِدُ: السَّبَّابَةُ، الأُصْبُعُ الَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ، وشاهد نحويّ: دليل من كلام العربيّ الفصيح، يُساق لإثبات قاعدة نحويَّة، وشَاهِدُ قَبْرٍ: حَجَرٌ مُسْتَطِيلٌ يَوضَعُ على القَبْرِ، وشَاهِدُ أُمَّتِهِ: نَبِيُّهَا[1].

ونتيجةً لما تقدَّم، يمكن أن نوجز معنى الشَّاهِدُ: وهو الذي يؤدِّي الشهادة على وقائع عرفها معرفة شخصيَّة؛ لكونه رآها بعينه، أو سمعها بأُذنه، وأمَّا لأنَّه رأها وسمعها في آنٍ واحد.

أو تعني العلم والبيان، وهي إثبات واقعة معيَّنة بما يقوله أحد الأشخاص، أو ما شاهده أو سمعه أو أدركه بحواسِّه من هذه الواقعة بطريقة مباشرة، وشهد فلان عند الحاكم: أي بيَّن ما يعلمه وأظهره، قال تعالى:

(١) لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ): ٣/ ٢٣٨، أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾[1].

القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله تعالى وكلامه، أنزله على النَّبيّ محمَّد (عليه الصَّلاة والسَّلام)، وتكفَّل بحفظه إلى قيام السَّاعة، وجعله مُعجزةً مُصدِّقةً ومُؤيِّدةً لنبوَّة ورسالة النَّبيّ (عليه الصَّلاة والسَّلام)، وجاء كتابَ هدايةٍ ورشادٍ للبشريَّة، يستنير النَّاس بهدْيِهِ، ويتَّبعون تعاليمه، ويتقرَّبون إلى الله بتلاوته وحفظه والتَخلُّق بأخلاقه.

القرآن الكريم لغةً: اختلف العلماء في المعنى اللغويّ للقرآن الكريم على أقوال:

منهم من قال: إنَّ القرآن اسم عَلَمٍ غير مُشتقٍّ من جذرٍ لغويّ، وغير مهموزٍ (أي قران)، وهو بذلك اسمٌ اختصَّ الله تعالى به الكتاب الذي نزل على النَّبيّ ﷺ، كما في أسماء الكتب الأخرى التَّوراة والإنجيل، وهذا القول منقول عن الشافعيّ وغيره.

من العلماء من ذهب إلى القول: إنَّ القرآن اسمٌ مشتقٌّ من القرائن؛ لأنَّ الآيات يُصَدِّق بعضها بعضًا، ويُشابه بعضه بعضًا، كالقرينات، أي المُتشابهات، وهذا قول الفرَّاء.

ومنهم من قال: إنَّه مهموز (أي قرآن)، وهو مشتقٌّ من قَرَأ ومصدرٌ له، وهذا ما ذهب إليه اللحيانيّ وغيره. وذهب الزَجَّاج وغيره إلى القول بأنَّ القرآن وصفٌ مشتقٌّ من القَرْءِ، أي الجمع، ومثال ذلك: قرأت الماء في الحوض؛ أي جمعته فيه، وسُمِّي القرآن

(١) التوبة: ١٧.

بذلك؛ لأنَّه جَمعَ السُّـور بعضها إلى بعضٍ، أو لأنَّه جمع ثمرات وفوائد الكتب السَّـماويَّة التي نزلت قبله، كما قال الرَّاغب.

القـرآن الكريم اصطلاحًـا: هو كلام الله تعـالى المُعجَز، المُوحَى بـه إلى النَّبيّ محمَّد (عليه الصَّلاة والسَّـلام) بواسطة المَلك جبريل عليه السلام، المنقول بالتَّواتر، المَكتوب بين دفَّتَي المُصحف، المتعبَّد بتلاوته، المَبدوء بسـورة الفاتحة، والمختوم بسورة النَّاس، المقصود بأنَّه مُعجَز.

الأخلاق لغةً واصطلاحًا

الخلق والخلق: السـجيَّة. يقال: خالص المؤمن وخالق الفاجر. وفي الحديث: ليس شيء في الميزان أثقل من حسـن الخلق، الخلق، بضمِّ اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسـجيَّة، وحقيقتـه أنَّـه لصورة الإنسـان الباطنة، وهي نفسـه، وأوصافهـا ومعانيها المختصَّـة بها بمنزلة الخلق؛ لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حَسَـنة وقبيحة، والثواب والعقاب بأوصاف الصورة الباطنة أكثر ممَّا يتعلَّقان بأوصاف الصورة الظاهـرة. إذن، فالخلق هو الهيئة والشَّـكل الذي يراه الإنسـان أمامـه، أو الطبيعية التي يُخلق بها الإنسـان، وهو الخلق بمعنى القوَّة والسـجايا الذاتيَّة للإنسـان[1]. ولذا يمكن القول بأنَّ: «الأخلاق هي مجموعة الكمالات المعنويَّة والسَّـجايا الباطنيَّة للإنسـان»[2]، فهي صفات.

وقـال بعض العلـماء: إنَّ الأخـلاق تُطلق على العمل والسُّـلوك، الذي ينشـأ من الملكات النفسانيَّة للإنسان، فهي سلوك[3].

(١) لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ٨٥ -٩٢.
(٢) الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازيّ: ١/ ١٥.
(٣) ظ: الاخلاق في الإسلام، بحث منشور على موقع الإسلام.

وبذلك نقول: إنَّ الخُلق هو تلك الحالة النفسانيَّة التي تدعو الإنسان لأفعال لا تحتاج إلى تفكُّر أو تدبُّر[١]. أو هو: هيئة قائمة في النفس، تصدر منها الأفعال بسهولة من دون الحاجة إلى تدبُّر وتفكُّر[٢].

وعلى هذا الأساس فالأخلاق تنقسم على قسمَين: ملكات تصدر من الأعمال والسلوكيَّات الحسنة، فهي فضائل، وأخرى تصدر عن أعمال وسلوكيَّات سيِّئة، تسمَّى الرذائل.

وعلم الأخلاق: «علمٌ يُبحَث فيه عن أسس اكتساب هذهِ الصفات الحسنة، وطُرق محاربة الصفات السيِّئة، وآثارها على الفرد والمجتمع»[٣].

الأخلاق في القرآن الكريم

أكَّد القرآن الكريم أهميَّة الأخلاق الفاضلة في تربية الإنسان وتعليمه، ويمكن متابعة ذلك من الآيات الكريمات:

١. ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾[٤]، وقوله: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[٥]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[٦]،

(١) ظ: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مِسكَوَيه: ٥١.
(٢) الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازيّ: ١/ ١٥.
(٣) الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازيّ: ١/ ١٥.
(٤) البقرة: ١٥١.
(٥) آل عمران: ١٦٤.
(٦) الجمعة: ٢.

تدلُّ الآيات الكريمات أنَّ الهدف والغاية من بعثة الرسول، هو توجيه النفوس وتعليمها مكارم الأخلاق.

٢. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1]، دلالة الآية في اهتمام القرآن الكريم بالقَسَم، ثمَّ إثبات الفلاح في تزكية النفس.

٣. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[2]، تدلُّ الآية دلالة ظاهرة على أنَّ الصلاة، وأداء الفرائض، لا يمكن أن يتمَّا إلَّا بتزكية النفوس.

٤. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3]، تدلُّ الآية من خلال نداء الله ﷻ بالالتزام بالتكاليف في المجتمع، ونبذ الفُرقة، التي هي طريق الفشل، ثمَّ الحرص على التعاون، فقد أناط الله من خلال هذه النصوص، الحصول على السعادة في الدنيا والآخرة بتزكية النفس، من خلال الأخلاق في تطهير القلب، وتفعيل عناصر الخير لمقاومة التحدِّيات التي يواجهها الإنسان في سلوكه.

الأخلاق في السنَّة المطهَّرة

من الأحاديث المرويَّة عن الرسول ﷺ يتبين التركيز على الأخلاق الحسنة، وتجنُّب الأخلاق السيِّئة، منها:

(١) الشمس: ٧-١٠.
(٢) الأعلى: ١٤-١٥.
(٣) آل عمران: ١٠٣

١. قال الإمام الصادق عليه السلام، إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ عُصِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ سِتٌّ: حُبُّ الدُّنيا، وَحُبُّ الرِّياسَةِ، وَحُبُّ الطَّعامِ، وَحُبُّ النَّومِ، وَحُبُّ الرَّاحَةِ، وَحُبُّ النِّساءِ»(١).

٢. سُئل الإمام عليّ عليه السلام عن الإيمان، فقال: «الإيمانُ عَلَى أَربَعِ دَعائِمَ، عَلَى الصَّبْرِ واليَقِينِ وَالعَدلِ وَالجِهادِ، والصَّبرُ مِنْها عَلَى أَربَعِ شُعَب، عَلَى الشَّوقِ وَالشَّفَقِ وَالزُّهدِ وَالتَّرَقُبِ، الإشتياق للجنَّة والمنح الإلهيَّة، والخوف من العقاب والنَّار، دافعٌ للأعمال الصَّالحة، ورادع عن السيِّئات، والزُّهد بالدنيا وزبرجها يهوِّن المصائب، وانتظار الموت ونهاية الحياة، تحثُّ الإنسان لِفعل الأعمال الصَّالحة، واليَقِينُ مِنها عَلَى أَربَعِ شُعَب، عَلى تَبصِرَةِ الفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ الحِكْمَةِ، وَمَوعِظَةِ العِبرَةِ، وَسُنَّةِ الأَوَّلِينَ، وَالعَدْلُ مِنها عَلَى أَربَعِ شُعَب، عَلَى غَائِصِ الفَهمِ، وَغَورِ العِلمِ، وَزُهْرَةِ الحُكْمِ، وَرَساخَةِ الحِلْمِ، وَالجِهادُ مِنها عَلَى أَربَعِ شُعَب، عَلَى الأمرِ بِالمَعرُوفِ، والنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ، والصِّدقِ فِي المَواطِنِ، وَشَنآنِ الفَاسِقِينَ»(٢).

٣. عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تِكْذِب تَكذِبَ»(٣).

٤. قال الإمام عليّ عليه السلام: «أَشْرَفُ الخِلائِقِ التَّواضُعُ والحِلمُ وَلِينُ الجانِبِ»(٤)

نفيد ممَّا تقدَّم حثَّ الرسول صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام على تزكية النفوس، وهي غير محدَّدة، فهي متنوِّعة ومختلفة، وهي تابعة للدوافع والمقاصد.

(١) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٦٩/ ١٠٥.
(٢) تحف العقول، ابن شعبة الحرَّانيّ: ٢٦٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

الخطاب

هـو توجيه الحديث أو الـكلام لشـخص أو لمجموعة من النـاس؛ لإيضاح فكرة معيَّنة، وله مجالات علميَّة، وأدبيَّة، وشـعريَّة، وفنيَّة، وسياسيَّة، وغيرها، ويُحلَّل بمناهج عديدة، وله أنواع عديدة، كاللفظيّ، وغير اللفظيّ.

الخطاب في اللُّغة: من الفعل الثُّلاثيّ خَطَبَ، وهو الشـأن أو الأمر، صغر أو عظم، وقيـل: هو سـبب الأمر. يقال: ما خطبـك؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هـذا خطب جليل، وخطب يسـير. والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشـأن والحال، ومنه قولهم: جلَّ الخطب، أي عظم الأمر والشـأن. وفي التنزيـل العزيز، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[1]، وجمعـه خطـوب، والمخاطبـة: مراجعة الكلام، وقـد خاطبه بالكلام مخاطبـةً وخطابًا، وهما يتخاطبان، والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واسـم الكلام: الخطبة، وهو الكلام المنثور المسـجع، ونحوه، والخطبة، مثل الرسـالة، التـي لها أوَّل وآخر[2]. فالخطاب إذن هو مراجعة الكلام، وهو الكلام والرسـالة، وهو المواجهة بالكلام، أو ما يخاطب به الرجل صاحبه، ونقيضه الجواب، وهو مقطع كلاميّ يحمل معلومات يريد المرسـل (المتكلِّم أو الكاتب) أن ينقلها إلى المرسـل إليه (السـامع أو القـارئ)، ويكتـب الأوَّل رسـالة، ويفهمهـا الآخـر بنـاءً على نظام لغويّ مشـترك بينهم.

الخِطـاب اصطلاحًا: هو «مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشـتركة، أي إنَّه تتابع مترابط من صور الاسـتعمال النصِّيّ، يمكن الرجوع إليه في وقتٍ لاحق، وإذا كان عالم النصِّ هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاقتران في الذاكرة، من

(١) الذاريات: ٣١.
(٢) لسان العرب: ١/ ٢٦٥.

خلال استعمال النصِّ، فإنَّ عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغويَّة أو مجتمع ما.. أو جملة الهموم المعرفيَّة التي جرى التعبير عنها في إطارٍ ما»[1].

إذن: مَجموعةٌ مُتناسقة من الجمل، أو النصوص والأقوال، أو أنَّ الخطاب هو منهج في البحث في المواد المُشكَّلة من عناصر متميِّزة ومترابطة، سواء أكانت لغةً أم شيئًا شبيهًا باللغة، ومشتمل على أكثر من جملة أوَّليَّة، أو أيّ منطوق أو فعل كلاميّ يفترض وجود راوٍ ومستمع، وفي نيَّة الراوي التأثير على المتلقِّي، أو نصٌّ محكوم بوحدة كليَّة واضحة، يتألَّف من صيغ تعبيريَّة متوالية، تصدر عن متحدِّث فرد يبلِّغ رسالة ما. فهو مواجهة الآخرين بكلام قد يكون على شكل رسالة، أو محاضرة، أو تسجيل، أو نص معيَّن، وقد يتعدَّى الكلام إلى الرموز، وتتنوَّع أشكاله، فمنه اللفظيّ الذي يستخدم اللغة كأداة له، وغير اللفظيّ الذي يستخدم العلامات والإشارات والإيحاءات، ويأتي هذا المصطلح مرادفًا لكلمات كثيرة، كالكلام، واللغة، والرسالة، والحديث، والأطروحة، والنصِّ، والقول، والسرد، ويعرِّفه البعض على أنَّه رسالة يقدِّمها مرسل، ويستقبلها متلقٍّ.

أهداف الخطاب: يهدف الخطاب إلى وصف التعابير اللغويَّة بشكلٍ صريحٍ، بالإضافة إلى أنَّ الخطاب يفكِّك شفرة النصِّ الخطابيّ عن طريق التعرُّف على ما يحتويه النصُّ من تضمينات وافتراضات فكريَّة، وتحليل الخطاب هو معرفة الرسائل المُضمَّنة في النصِّ الخطابيّ، ومعرفة مقاصده وأهدافه، ويتمُّ تحليل الخطاب عن طريق الاستنباط والتفكير بشكلٍ منطقيّ، بحسب الظروف التي نشأ وكُتِب فيها النصُّ الخطابيّ، وهو ما يسمَّى بتحليل السياق الذي يعتمد عليه النصُّ.

(١) ظ: تحليل الخطاب الأدبيّ في نهج البلاغة (خطبة الجهاد نموذجًا)، م.م. أمير فرهنك نيا، جامعة تربيت مدرس، جمهورية إيران الإسلاميَّة، بحث منشور على موقع:
http://arabic.balaghah.net/content.

عناصر الخطاب: ثلاثة، هي: المرسل، المستقبل، الرسالة.

ولكي يكـون الخطاب مؤثِّرًا ومفيدًا، يجب أن يكون متكامل الأطراف، وهو يقوم على عدَّة ركائز أو عناصر، تُنظِّم الخطاب، وتُقيم ركائزه، وهذه العناصر هي:

- **المُؤلِّـف**: أي مَـن يقـوم بتوجيه الخِطـاب، وتكون لديـه القدرة عـلى التكلُّم والإبداع في ترتيب الكلام بشكلٍ منظَّم ومترابط.
- **المتلقِّـي**: أي من سـيوجَّه له الخِطاب، ويتميَّـز المتلقِّي بامتلاك حاسَّـة التوقُّع والانتظار في أثناء تلقِّيه الخطاب.
- **الرِّسالة**: أي مادَّة الخِطاب التي تُصاغ بصورةٍ أدبيَّةٍ إبداعيَّةٍ.
- **وسيلة الإيصال**: أي قناة الوصل بين المؤلِّف والمُتلقِّي، عبر الكتاب، أو وسائل الإعـلام المقروءة والمَسـموعة والمكتوبـة، أو من خلال الانترنـت والأجهزة الذَّكيَّة.

أنواع الخطـاب: للخطاب أنواع كثيرة، نظرًا لتعـدُّد المواضيع التي تحتاج للخطب والإقناع في عصرٍ أصبح فيه العلم والمُناقشـة، هما الصفتان السائدتان، فلا يمكن التأثير في الـرأي العام بسـهولة، كـما كان من قبل، لذا تعـدّدت أنواع الخطـاب للتأثير في آراء الناس وقناعاتهم بشكل أكبر.

١. **الخطابـات العقليَّـة**: التـي تقـوم عـلى الإقنـاع، هـي خطابـات مستحسـنة ومرغـوب فيهـا، تقـوم عـلى احـترام القيـم الإنسـانيّة، وتقديرهـا، مـن خـلال إعطـاء فرصـة للمتلقِّـي ليحكـم عـلى الأمـور، ومـن أمثلتهـا: الخطابـات الأدبيَّـة، كالخطابـات الشـعريَّة، وخطابـات المعالجـة النفسـيَّة، أو خطابـات المحاضرات.

٢. **الخطابات العاطفية**: هي خطابات تستخدم طريقة سلبيَّة تقوم على الخداع والحيلة، حيث لا تعطي المتلقِّي فرصة للحكم على الأمور بتأثيرها في مشاعره، فيكون المرسل هو المتحدِّث، وصاحب القرار في الوقت نفسه، ومن أمثلة هذا النوع: الخطابات التجاريّة، الخطابات السياسيَّة، الخطابات الدينيَّة (التبشيريَّة).

المناهج المستخدمة في تحليل الخطاب:

يستخدم المحلِّلون مجموعة من المناهج في شرح وتفصيل أجزاء الخطاب، وتأويلها، وتفسيرها، وذلك بتحليل الأسلوب المستخدم في النصِّ، والعلاقات بين الكلمات، واللغة، الأمر الذي يحتاج من المحلِّل وقتًا، ودقَّة، ووعيًا، وتذوُّقًا للكلمات، وفيما يأتي أهمُّ المناهج المستخدمة في تحليل الخطاب:

١. **تحليل يعتمد على البنية**: ويسمَّى البنيويّ، حيث يقوم هذا المنهج بتحليل النصِّ الأدبيّ بما في داخله، مهملًا حياة المخاطِب، والظروف التي عاشها في أثناء كتابته للخطاب.

٢. **تحليل يسمَّى بالسيميائيّ**: وهو تحليل يقوم على تتبُّع العلامات، والرموز، حيث يغوص في أعماق الخطاب، ويبحث عن مدلول الكلمات، ويتأثَّر هذا النوع بشخصيَّة المحلِّل، والظروف التي يعيشها، ممَّا يجعله يختلف من شخص إلى آخر.

٣. **تحليل الانزياحات اللغويَّة**: وذلك بالبحث والتحليل للوسائل اللغويَّة المستخدمة في النصِّ، والكشف عن مدى تأثيرها في المتلقِّي، حيث تشكِّل قوَّة ضاغطة على رأيه، واتِّجاهه.

تقسيم آخر:

١. **الخطاب القرآنيّ**: هو الخِطاب الموجود في القرآن الكريم بتنزيلٍ من العزيز الحكيم، وهو خطاب له مَدلولاته وإشاراته التي لا تنتهي، معصومٌ من التَّحريف والتَّبديل، كما أنَّه لا يُترجَم حرفيًّا إلى لُغاتٍ أخرى، وإنَّما تتمُّ ترجمة معانيه ومدلولاته، وشرح آياته ومفرداته، والخِطاب في القرآن الكريم على حسب الحاجة، فهو تارةً موجَّه للرَّسول صلى الله عليه وآله، أو لأزواجه، أو لعامَّة المسلمين وخاصَّتهم، أو لكفَّار قريش، أو للمنافقين وغيرهم، والخِطاب القرآنيّ أفضل الخِطابات على الإطلاق من حيث البلاغة اللُّغويَّة والإعجاز اللُّغوي والإبداع في اللَّفظ والمَعنى والتَّركيب، وورود في القرآن الكريم مرتبطٌ بالعزَّة، والحكمة، وعظمة الخالق عزَّ وجلَّ، وهو يُقسَّم إلى قسمين، هما:

- **خطاب إلهيّ**: هو الخطاب الربَّاني الذي لا يقع تحت التزامات الخطاب الإنساني، والتطوُّر، واستمدَّ صفة الخلود من مصدره، وهو الله عزَّ وجلَّ، ويتميَّز أيضًا بشموليَّة مواضيعه زمانًا ومكانًا.
- **خطاب بشريّ**: هو عكس الخطاب الربَّانيّ، فهو خطاب يَلتزم بقواعد الخطاب البشري، ويقع تحت وطأة الظروف التطورية، وغير شامل لجوانب الحياة، ومَصدره البشر، فهو يحتمل الخطأ والصواب في طيَّاته، ويتأثّره بخبرات قائله.

٢. **الخِطاب الإيصاليّ**: هو الخِطاب الموجّه من المُرسل إلى المُستقبل عبر رسالةٍ ما؛ الهدف منها إيصال أفكارٍ مُعيَّنةٍ من قِبَل المُرسل إلى شريحةٍ مُحدَّدةٍ من النَّاس، وعلى ذلك يأخذ الخِطاب الإيصاليّ أكثر من صورةٍ، منها: الخِطاب السِّياسيّ، والإرشاديّ، والتَّوعويّ، والنهضويّ، والتَّعبويّ: خطاب يهدف إلى تعبئة

الرأي العام تجاه قضيَّةٍ ما، والخِطاب الإعلاميّ والرّسميّ، من قِبل الدَّولة أو إحدى مؤسَّساتها، والخِطاب النَّفسيّ، وممَّا يُميِّز هذا الخِطاب أنَّه قد تُستخدم فيه أدواتٌ غير اللُّغة المنطوقة؛ كالدِّعايات الإعلانيَّة، والمنشورات، والبرامج التِّلفزيونيَّة والإذاعيَّة، كما أنَّ هذا النَّوع من الخِطاب عادةً ما يعود بالمنفعة على المُرسل ماديًّا أو معنويًّا أو كليهما، ويتكوَّن الخطاب الإيصاليّ من ثلاثة أقسام هي: المرسل، وهو الخطيب الذي يقرأ الخطاب على الجمهور، والمُرسل إليه، وهي الفئة المُستهدفة من الخطاب، والمتلقِّي، وهو الجمهور الذي يُلقى عليه الخطاب.

٣. **الخطاب الإسلامي**: هو الكلام الذي تكون مَصادره ومَراجعه القرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة، أو أيَّة مرجعيَّة إسلاميَّة أخرى، وتكون مواضيعه تشمل جوانب الحياة السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعية والثقافية والدينيَّة وفق منظور إسلامي شامل، ويُعرَّف الخطاب الإسلامي عادةً بأنَّه المنهاج الذي يُنظِّم حياة المسلمين، ومن المُمكن تعريفه بتعريفٍ أعمّ وأشمل، ألا وهو أنَّ الخطاب الإسلاميّ هو الدعوة إلى الدين الإسلاميّ، ونشر تعاليمه وأخلاقه بين الناس.

٤. **الخِطاب الإبداعيّ**: يتكوَّن الخطاب الإبداعيّ من ستَّة عناصر، كما حدَّدها جاكبسون، تُغطِّي كافَّة الوظائف التي تؤدِّيها اللغة، تكون من ضمنها الوظيفة الأدبيَّة، فلقد وجد أن الصفة الأساسيَّة التي من أجلها وُجِد النصُّ، هي الاتصال، هذا ويأخذ النصُّ صفاته الخاصة والمميِّزة من تسلسل وظائف عناصر الاتِّصال، وليس من احتوائه على واحدة منها فقط.

تكثر أنواع الخطاب بتعدُّد الموضوعات المتعلِّقة به؛ فهنالك أنواع جديدة ظهرت

من الخطاب؛ بسبب التغيُّرات الحاصلة على واقع المجتمع العربيّ والإنسانيّ بشكلٍ عام، فهناك الخطاب القوميّ الذي يتعلَّق بالمواضيع القوميَّة، والخطاب الفلسفيّ الذي يُعنى بأمور الفلسفة وأصولها، والخطاب السياسيّ الذي يهتمُّ بالمَواضيع والأمور السياسيَّة، ويُعدُّ الخطاب من أكثر الأمور التي لاقت اهتمامًا مؤخَّرًا؛ لما له من تأثير في آراء الناس وقناعاتهم، وانتشار المذهب العقليّ الذي ينادي بضرورة إبراز الأدلَّة العقليَّة؛ للحكم على الحالات والظواهر التي تواجه الإنسان في حياته.

الخطاب الأخلاقي:

الإنسان موجود يعيش داخل إطار المجتمع والحياة الاجتماعيَّة، بحاجة إلى مراعاة الأصول والضوابط الأخلاقيَّة التي من الممكن أن تكون ناجمة عن دين وفكر إلهي، أو من صنيعة أفراد المجتمع المستمدَّة من التعاقد الاجتماعيّ، وفي كلتا الحالَتين، مجرد وجودها أفضل من عدمها.

إنَّ أهميَّة الأخلاق في الإسلام تصل إلى الحدِّ الذي عبَّر عنه رسولنا الأكرمﷺ بأنَّ السِّرَّ في بعثته كامن في هذا الأمر، حيث قالﷺ: «**إنَّما بُعثت لأتمِّمَ مكارم الأخلاق**»[1]، وكما جاء في ذِكر أخلاق الرسولﷺ، وما أدَّبته الآيات القرآنيَّة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]. وعندما نقف على وصايا القرآن والسنَّة، نجد أنَّ جانبًا مهمًّا منها تختصُّ بالأخلاق والمسائل الأخلاقيَّة، ومن وجهة النظر الإسلاميَّة، فإنَّه لا يوجد بعد العمل بالفرائض شيء أفضل من الأخلاق عند الله تعالى؛ لأنَّ الإنسان موجود يعيش داخل إطار المجتمع، والمجتمع بحاجة إلى أصول وضوابط أخلاقيَّة؛ لذا فالإنسان موجود أخلاقيّ، أي إنَّه لا حياة إنسانيَّة بدون أخلاق.

(١) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٨.
(٢) القلم: ٤.

فالحاجة إلى الأخلاق مهمَّة؛ لأنَّها تمتلك عمقًا فطريًّا وذاتيًّا في الإنسان، وهي ليست من ضرورات الحياة الاجتماعيَّة فحسب؛ لأنَّ فطرة الإنسان بحاجة إلى تكوين الإنسان أمينًا صادقًا نظيفًا ومنزَّهًا وبعيدًا عن أي نوع من الخصال السيِّئة؛ كالحسد، والضغينة، وسوء الظنِّ، والازدواجيَّة، والنِّفاق.

وأنَّه، بحسب حياته الاجتماعيَّة، مضطر إلى أن يتَّسم بالأخلاق؛ ليصبح بوسعه أن يحيا مع الآخرين ويعاشرهم معاشرة حَسنة، وأن يحبّ الناس ويراعي الأخلاق والصفات الإنسانيَّة وضوابط الحياة الإنسانيَّة، ولا بدَّ من الاستفادة من هذه الحاجة الفطريَّة والاجتماعيَّة والعمل على توجيه النفس، ودفعها نحو الأعمال الحسنة، والمرضيَّة، ونحو الفضائل الأخلاقيَّة، وضمن هذا الإطار فقط يتمكَّن الإنسان أن يذوق طعم الحياة الاجتماعيَّة، ويأخذ يصيبه منها، ويسير في طريق النمو والنضج.

لذا يجب العمل على خلق العوامل التي تصبُّ في صالح حياة الإنسان الاجتماعيَّة، وتنفعه في حياته اليوميَّة، ولو تلقَّى الإنسان الأخلاق واطَّلع على قواعده، ولم يعرف حقوقه وحقوق الآخرين؛ فإنَّ ذلك يوفِّر له إمكانيَّة مواصلة الحياة، وليس بوسعه أن يحيا بينهم بوجهٍ سليم، حتَّى أنَّه من الممكن أحيانًا أن يصبح وجهًا مرفوضًا وغير مرغوب به من قبل المجتمع، فلا بدَّ أن يطَّلع على ضوابط معقولة وصحيحة، أو لم يزيِّن نفسه بالأخلاق والطباع المناسبة.

ويمكن الوقوف على أهميَّة الأخلاق وضرورتها بشكلٍ أفضلٍ وأجلى، عندما نصطدم بأفراد لا يتمتَّعون بالأخلاق، إذ إنَّ أغلب المنحرفين والمذنبين في المجتمع، هم من الأفراد الذين لم ينالوا حظَّهم الكافي من الأخلاق، ومفسدو المجتمع هم من الإفراد الفاقدين للتربية الأخلاقيَّة، فالأخلاق الملوَّثة أفسدت أرواحهم، وضيَّعت حياتهم، والأمراض الأخلاقيَّة المزمنة تسبَّبت في تخبُّطهم وفسادهم.

ممَّا تقدَّم يمكن القول: إنَّ الوازع الدينيّ الأساس الرئيس من مقوِّمات الأخلاق المعنويَّة، والدين لا يقتصر على إقامة الشعائر الدينيَّة والعبادات، ولكنَّه يشمل أعمال الشخص وأقواله وتصرُّفاته في حياته اليوميَّة، سواء كان ذلك في بيته أو عمله، وهو يعدُّ عنصرًا أساسيًّا من عناصر تنشئة المجتمع تنشئة مستقيمة، فالدين والأخلاق يؤثِّران في سلوك الفرد وطبيعته، ويحقِّقان له السعادة الأبديَّة، وإذا تمكَّن الإيمان في قلب الفرد؛ فإنَّه يجعل منه خلقًا جديدًا، يهذِّب سلوكه، وينقِّيه من الشوائب، ويجعله سمحًا متساميًا محبًّا للخير لنفسه ولمجتمعه، نابذًا أعمال الفسق والرذيلة.

والإيمان الحقيقيّ والقيم الأخلاقية بما لهما من تأثير وارتباط وثيق يشكلان حجر الأساس في توجيه سلوك الإنسان وتشكيله، ويردعانه من مجرَّد التفكير في ارتكاب الجريمة، وكيف يُقدِم المؤمن الصادق على ارتكاب الجريمة، وكيف يعصي الإنسان من أحبَّ، وهو يعلم أنَّه مطَّلع علية في سرِّه وجهره، لهذا فأثر الدين والأخلاق في مقاومة الانحراف والجريمة قبل حدوثها بالغ الأهميَّة، فهما يوقِظان الضمير، ويجعلانه دائمًا مراقبًا للسلوك، محذِّرًا الفرد بما سيلقاه من عقاب، فينهيانه عن ارتكاب الجريمة، وهما بذلك يحاولان القضاء على النيَّة الخفيَّة التي تُحاك داخل الصدر قبل الظهور، بل يحرِّمانها ويعتبرانها أمرًا مكروهًا.

إنَّ مجرَّد معرفة الإنسان بأنَّ الله يعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، إنَّما هو رادع قويّ لعدم ارتكاب الجريمة، ولكن بطبيعة الحال، فالإيمان والأخلاق درجاتها متفاوتة من إنسان إلى آخر، يزيدان بالطاعات، وينقصان بالمعاصي.

يتَّضح جليًّا أهميَّة الدين، والأخلاق وأهميَّتها في تشكيل سلوك الإنسان وتوجيهه، ومن خلالها يمكن الحكم على مستوى الشعوب في شتَّى ميادين الحياة، وفق الالتزام بما

تقرِّره الشريعة الإسلاميَّة الغرَّاء والقوانين اللتان بيَّنتا بجلاء معايير المعاملات الدينيَّة والدنيويَّة وأُسسها.

إنَّ الأخلاق في الإسلام لا تقوم على نظريَّات مذهبيَّة، ولا مصالح فرديَّة، ولا عوامل بيئيَّة تتبدَّل وتتلوَّن تبعًا لها، وإنَّما هي فيض من ينبوع الإيمان، يشعُّ نورها داخل النفس وخارجها، فليس الأخلاق فضائل منفصلة، وإنَّما هي حلقات متَّصلة في سلسلة واحدة، عقيدته أخلاق، وشريعته أخلاق، لا يخرق المسلم إحداها إلَّا أحدث خرقًا في إيمانه.

فبدوام الأخلاق وثباتها يهدف الإسلام في تشريعاته إلى خلق إنسان متوازن في جميع نواحيه النفسيَّة والروحيَّة والماديَّة، وقد خصَّ جانب طمأنينة النفس الإنسانيَّة بقدر كبير من التشريعات المتمثلة في الأذكار المتعلِّقة بجميع أنشطة المسلم وممارساته اليوميَّة والحياتيَّة، ذلك أنَّ انشغال الفكر بالهموم الماديَّة والمعنويَّة، وتشتُّت العقل تحت تأثير القلق من المستقبل، ومن مختلف أحداث الحياة، كلُّ هذه الوساوس والأفكار تعصف بالإنسان، وتجعله تحت ضغط نفسي كبير، يحدُّ من نشاطه، ويقلِّل من فعَّاليَّته في مواجهة مشكلاته؛ لذا اهتمَّ الإسلام بالإعداد النفسيّ للإنسان، بأن شرَّع للمسلم جملة من الأذكار التي تربطه بالله تعالى، وتحقِّق دافعًا معنويًّا ونفسيًّا قويًّا للملتزم.

لكلِّ هذه الأسباب، عنى الرسول ﷺ بربط المسلم بالأذكار المتعلِّقة بالآداب الشخصيَّة أو السلوك الشخصي للمسلم، وعندما يلتزم بهذه الأذكار، ويعمل بكلِّ التوجيهات النبويَّة الواردة، يجد في نفسه لذَّة الطاعة، وراحة النفس، إضافة إلى الثواب الجزيل من الله تعالى، وفوق ذلك كلِّه قوَّة الارتباط بالله تعالى، كما أنَّ الأخلاق في الإسلام ليست لونًا من التَّرف يمكن الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة، وليست ثوبًا

يرتديه الإنسان لموقف ثمَّ ينزعه متى يشاء، بل إنَّها ثوابت شأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرَّك فيها الكواكب، لا تتغيَّر بتغيُّر الزمان؛ لأنَّها الفطرة. إنَّ أي مجتمع من المجتمعات الإنسانيَّة لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.

ولو فرضنا وجود مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع الماديَّة فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى، فإنَّه لا بدَّ لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة في أقلِّ تقدير.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعيَّة لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فُقِدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بدَّ منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكَّك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثمَّ أدَّى بهم ذلك إلى الانهيار، ثمَّ الدمار.

فإذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب والفلسفات الأخرى، فهي في نظر الإسلام أكثر ضرورة وأهميَّة، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا؛ لفساد أخلاقهم.

فلو توخيَّنا آثار ثبات الأخلاق، لوجدناها تترتَّب على خاصيَّة الثبات في الأخلاق الإسلاميَّة، الآثار والمزايا في تخليص المجتمعات من ظاهرة القلق والاضطرابات التي تسودها، وتمكين الأواصر الإنسانيَّة بالودِّ والرحمة بينهما، خلافًا للمجتمعات التي تتبدَّل فيها القيم الاجتماعيَّة بحسب التغيُّرات الاقتصاديَّة، حيث نجدها تعيش في قلق واضطراب.

والتفريق بين الأخلاق والتقاليد، أنَّ الأخلاق ثابتة؛ لأنَّها جزء من الدين الموصى به، وهي بذلك كيان متكامل ربَّانيّ المصدر، إنسانيّ الهدف. أمَّا التقاليد فمن طبيعتها أن

تتغيَّر كلَّما تغيَّرت مسوِّغات وجودها، ولكن ليس بالإمكان تغيُّر الأخلاق؛ لأنَّها تقوم على أسس ثابتة، كالحقِّ والعدل والخير.

إنَّ عامل الثبات في الأخلاق يبعث الطمأنينة في حياة الفرد، وفي حياة المجتمع، والثبات على الأخلاق مطلوب؛ لأنَّ الأمور بخواتيمها، وبدون الاستقامة والثبات على الحقِّ، تفوت الثمرة، ولا يصل المسلم إلى الغاية.

وهذا التأكيد المتكرِّر والشديد في هذه الآيات، يدلُّ على أنَّ القرآن الكريم يولي أهميَّةً بالغةً لمسألة الأخلاق، وأنَّ التزكية هي الهدف الأهم للإنسان، وتكمن فيها كلُّ القيم الإنسانيَّة، بحيث تكون نجاة الإنسان بها.

نعم إنَّ التَّكامل الأخلاقيّ للفرد والمجتمع، هو أهمُّ الأهداف التي تعتمد عليها جميع الأديان السماويَّة، إذ هو أساس كلِّ صلاح في المجتمع، ووسيلة رادعة لمحاربة كلِّ أنواع الفساد والإنحراف في واقع الإنسان، والمجتمع البشري، في حركة الحياة.

المبحث الأوَّل

المؤلِّف

اسمه ونسبه

هو أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن فهد الحِلِّيّ الأسدي، ولِد في الحِلَّة، التي تقع في وسط العراق، عام (٨٤١هـ)، وله من الشهرة والتفوُّق بالفضل والإتقان والذوق والعرفان والزهد والأخلاق والخوف والاشفاق[١]، يعدُّ من أهمِّ مراجع الدين الذين برزوا في حوزة كربلاء المقدَّسة، وقد أُجيز في علم الرواية[٢].

شخصيَّته العلميَّة والعمليَّة

له من الاشتهار بالفضل والإتقان والذوق والعرفان والزُّهد والأخلاق والخوف والإشفاق، وغير أولئك من جميل السياق، ما يكفينا مؤنة التعرُّف، ويغنينا عن مرارة التوصيف، وقد جمع بين المعقول والمنقول، والفروع والأصول، والقشر واللبِّ، واللفظ والمعنى، والظاهر والباطن، والعلم والعمل، بأحسن ما كان يجمع ويكمل[٣].

(١) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي، أحمد بن فهد الأسديّ الحِلِّيّ: ٧.
(٢) ظ: الكنى والألقاب، القمِّيّ (١٣٥٩هـ): ١/ ٣٨٠، مكتبة الصدر، طهران.
(٣) ظ: روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا محمَّد باقر الموسويّ الخوانساريّ الأصبهانيّ: ١/ ٧١، الدار الإسلاميَّة، ط١ منقَّحة ومصحَّحة، ١٩٩١.

مشايخه

وله الرواية بالقراءة والإجازة عن جملة من تلامذة الشهيد الأوَّل، وفخر المحقِّقين[1].

١. الشهيد الأوَّل[2].

٢. الشيخ المقداد السيوريّ[3].

٣. الشيخ عليّ بن خازن الحائريّ[4].

٤. الشيخ ابن المتوَّج البحرانيّ[5].

(١) ظ: روضات: ١/ ٧١.

(٢) ظ: أمل الآمل، الحرُّ العامليّ: ١/ ترجمة رقم ١٨٨ «الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمَّد ابن جمال الدين مكِّي العامليّ، المعروف بالشهيد الأوَّل، أحد أبرز فقهاء الشيعة الإماميَّة، ممَّن ترك آثارًا واضحة على الفقه الشيعيّ تجديدًا وتطويرًا وتنقيحًا، له العديد من التصانيف القيِّمة التي ما زالت حتَّى يومنا هذا من الكتب التي يرجع الشيعة إليها في دراسة الفقه والعلوم الشرعيَّة». أمل الآمل في علماء جبل عامل، الشيخ محمَّد بن الحسن، الحرُّ العامليّ، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٢م.

(٣) ظ: كنز العرفان في فقه القرآن، الشيخ جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمَّد بن الحسين ابن محمَّد السيوري الحِلِّيّ، تحقيق: السيِّد محمَّد القاضي، عُنيت بنشره: المكتبة المرتضويَّة المختصَّة بالآثار الجعفريَّة: ١/ ١٥ و١/ ٢٩، «هو الشيخ جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمَّد بن الحسين بن محمَّد السيوري الحِلِّيّ، توفِّي سنة ٨٢٦هـ).

(٤) ظ: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٨/ ١٣٧-١٣٨، «زين الدين عليّ بن الحسن بن شمس الدين محمَّد بن الحسن بن الخازن الحائريّ، ولد سنة ٧٣٩ هـ، من أعاظم علماء الإماميَّة، كانت وفاته سنة ٧٩٣هـ». أعيان الشيعة: السيِّد محسن الأمين، تحقيق: السيِّد حسن الأمين، منشورات دار المعارف الإسلاميَّة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٥) ظ: أمل الآمل: ٢/ ١٦. «الشيخ جمال الدين أحمد بن عبد الله بن محمَّد بن عليّ بن الحسن بن المتوَّج البحرانيّ».

٥. السيِّد الجليل بهاء الدين أبو القاسم عليّ بن عبد الحميد النيليّ، صاحب كتاب الأنوار البهيَّة[١].

تلاميذه والرواة عنه

ويروي عنه جماعة من العلماء الثقات الأجلَّة:

١. الشيخ علي بن هلال الجزائريّ[٢].

٢. الشيخ الإمام الفقيه عزّ الدين حسن بن عليّ بن أحمد بن يوسف، الشهير بابن العشرة، الكروانيّ العامليّ.

٣. الشيخ عبد السميع بن فيَّاض الأسديّ الحِلِّيّ، صاحب كتاب (تحفة الطالبين في أصول الدين)، وكتاب (الفرائد الباهرة)، وكان من أكابر تلامذة أحمد بن فهد الحِلِّيّ.

٤. السيِّد محمَّد بن فلاح بن محمَّد الموسويّ[٣].

مؤلَّفاته

١. المهذّب البارع الى شرح النافع.

٢. المقتصر في الفقه.

٣. شرح الإرشاد.

(١) ظ: عدَّة الداعي: ٨.

(٢) ظ: المفيد من معجم رجال الحديث، محمَّد الجواهريّ: ٤١٧، ط٢، ١٤٢٤، المطبعة العلميَّة، نشر مكتبة المحلَّاتيّ، قم، إيران. «شيخ الإسلام عليّ بن هلال الجزائريّ، ولِد سنة ٧٥٧هـ في كربلاء، وكانت وفاته سنة ٨٣٧هـ في النجف الأشرف، كان فاضلًا، متكلِّمًا، عالمًا، له كتاب..».

(٣) ظ: روضات: ١/ ٧١.

٤. الموجز الحاوي.

٥. المحرّر.

٦. فقه الصلاة.

٧. مصباح المبتدي وهداية المهتدي.

٨. شرح الألفيَّة.

٩. اللمعة في النيَّة.

١٠. كفاية المحتاج في مسائل الحاج.

١١. منافيات نيَّة الحج.

١٢. رسالة في التعقيبات.

١٣. المسائل الشاميَّات.

١٤. المسائل البحريَّات.

١٥. الدرر النقيَّة في فقه الصلاة.

١٦. الهداية في فقه الصلاة.

١٧. عدَّة الداعي ونجاح الساعي.

١٨. أسرار الصلاة.

١٩. التحصين وصفات العارفين.

٢٠. رسالة في العبادات.

٢١. الفصول في الدعوات[1].

(١) ظ: روضات: ١/ ٧١.

مولده ووفاته

ولِـد عام (٧٥٧هـ) في الحِلَّـة، وكانت وفاته في سـنة (٨٤١هـ) في مدينة كربلاء المقدَّسة، فيكون مبلغ عمره أربعًا وثمانين سنة[١]، وقبره معروف بكربلاء المشرَّفة، وسط بسـتان (صارَ البسـتان مدرسـة علميَّة دينيَّة في العصر الحاضر) بجنـب المخيَّم الطاهر، وكان صاحـب الرياض يتبرَّك بمزاره كثيرًا، ويُكثـر الورود عليه. ومن جملة من رثاه في مصيبته، الشـيخ أبو القاسـم عليّ بن جمال الدين محمَّد بن طـي العامليّ، صاحب كتاب المسائل الذي يُدعى (مسائل ابن طي)[٢].

(١) ظ: الكنى والألقاب: ١/ ٣٩٩.
(٢) ظ: روضات: ١/ ٧١.

المبحث الثاني

الكتاب

الكتاب

مـن تأليـف ابن فهد الحِلِّيّ، وحُقِّق من قِبَل دار الكتاب الإسـلاميّ في قم المقدَّسـة (د.ت)، وهـي الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وقد صحَّحه وعلَّق عليه أحمد الموسـويّ القمّي.

محتويات الكتاب

يحتوي الكتاب على مقدِّمة وستَّة أبواب رئيسة، وقد جاء في المقدِّمة تعريف الدعاء والترغيـب فيه، إذ حدَّده في اللغة والاصطلاح، معتمدًا في تعريفه على مصادر اللغة، ثمَّ يعرِّج على روايات لآل البيت عليهم السلام، تحدَّثت عن الدعاء وآليَّاته، وطرق اسـتجابته، فضلًا عن ذلك لم يهمل المؤلِّف الغرض الرئيس من تأليف الكتاب، قائلًا: «ولـمَّا كان المقصود مـن وضع هذا الكتاب الترغيـب في الدعاء، والحثِّ عليه، وحُسـن الظنِّ بالله، وطلب مـا لديه، فاعلم أنَّه قد ورد من الأخبار عن الأئمَّـة الأطهار ما يؤكِّد ذلك، ويدلُّ عليه، ويُرغِّب فيه، ويهدي إليه»[1].

وقـد عـرض المحقِّـق إلى معنـى ألفـاظ عنـوان الكتـاب، فالعـدَّة عـلى زِنَـة فعلـة، وهـي بمعنـى التجهُّـز بالمعـدَّات اللازمـة لنوائـب الدهـر، وحوادثـه

(١) عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٢.

وخطوبه[1]، والداعي اسم الفاعل من الفعل الثلاثيّ الناقص (دعا)، وهو الشخص الذي يدعو الله تعالى؛ نيلًا لمبتغاه، وعطفَ عليها نجاح الساعي، فالنجاح هو تحقيق الطموح والأمل، أمَّا الساعي، فهو اسم فاعل للفعل الثلاثيّ الناقص (سعى)، وهو الشخص الذي يسعى للحصول على شيء، وقد وردت في محكم التنزيل في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2].

ونقول إنَّ الذي يسعى لطلب شيءٍ ما، يجب أن يتسلَّح بالعدَّة التي تؤهِّل دعاءَه؛ كي يكون ناجحًا، وعلى هذا هنالك تطابق موضوعيّ بين العنوان ومحتوى الكتاب، أو الرسالة، كما أطلق عليه المؤلِّف.

تقسيم الموضوعات

١. الموضوعات الرئيسة:

ونقصد بها المقدِّمة والأبواب الستَّة التي تضمَّنها الكتاب، وهي على النحو الآتي:

أمَّا المقدِّمة ففي تعريف الدعاء، والترغيب فيه.

الباب الأوَّل: في الحثِّ على الدعاء، ويبعث عليه العقل والنقل[3].

الباب الثاني: في أسباب الإجابة، وقد قسِّم على سبعة أقسام[4].

الباب الثالث: في الداعي، وهو قسمان[5].

(١) ظ: لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٢٨١، محرَّم، ١٤٠٥هـ، نشر أدب الحوزة، قم، إيران.
(٢) يس: ٢٠.
(٣) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٥.
(٤) ظ: المصدر نفسه: ٤٥.
(٥) ظ: المصدر نفسه: ١٣١.

الباب الرابع: في كيفيَّة الدعاء، وله آداب ينقسم عليها[١].

الباب الخامس: فيما أُلحق بالدعاء، وهو الذِّكر[٢].

الباب السادس: في تلاوة القرآن[٣].

٢. الموضوعات الفرعيَّة:

في الأقسام السبعة من الباب الثاني:

القسم الأوَّل: ما تعود إلى نفس الدعاء[٤].

القسم الثاني: ما تعود إلى زمان الدعاء[٥].

القسم الثالث: ما تعود إلى مكان الدعاء[٦].

القسم الرابع: ما تعود إلى حالات الدعاء[٧]

القسم الخامس: حالات يقع فيها الدعاء[٨].

القسم السادس: ما يتركَّب من المكان والزمان[٩]

القسم السابع: ما يتشكَّل من الزمان والدعاء[١٠].

(١) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٤٣.
(٢) ظ: المصدر نفسه: ٢٤٥.
(٣) ظ: المصدر نفسه: ٢٨٥.
(٤) ظ: المصدر نفسه: ٤٥.
(٥) ظ: المصدر نفسه: ٥٥.
(٦) ظ: المصدر نفسه: ٥٧.
(٧) ظ: المصدر نفسه: ٦٣.
(٨) ظ: المصدر نفسه: ٦٤.
(٩) ظ: المصدر نفسه: ٦٦
(١٠) ظ: المصدر نفسه: ٦٨.

في أقسام الباب الثالث، وهو قسمَان:

القسم الأول: من يُستجاب دعاؤه(١).

القسم الثاني: من لا يُستجاب دعاؤه(٢).

في أقسام الباب الرابع الثلاثة، وله آداب:

القسم الأول: ما يكون قبل الدعاء، كالطَّهارة، وشمِّ الطِّيب، واستقبال القبلة، والصَّدَقة(٣).

القسم الثاني: فيما يقارن حال الدعاء من الآداب، وهي أمور(٤):

الأوَّل: التلبُّث بالدعاء، وترك الاستعجال فيه؛ لما ورد في الوحي القديم(٥).

الثاني: الإلحاح في الدعاء(٦).

الثالث: تسمية الحاجة(٧).

الرابع: الإسرار بالدعاء(٨).

الخامس: التعميم في الدعاء(٩).

(١) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٣١.
(٢) ظ: المصدر نفسه: ١٣٧.
(٣) ظ: المصدر نفسه: ١٤٣
(٤) ظ: المصدر نفسه: ١٤٣.
(٥) ظ: المصدر نفسه: ١٥٣.
(٦) ظ: المصدر نفسه: ١٥٤.
(٧) ظ: المصدر نفسه: ١٥٥.
(٨) ظ: المصدر نفسه: ١٥٦.
(٩) ظ: المصدر نفسه: ١٥٦.

السادس: الاجتماع في الدعاء[١].

السابع: إظهار الخشوع[٢].

الثامن: تقديم المدحة لله والثناء عليه[٣].

التاسع: تقديم الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام[٤].

العاشر: البكاء حال الدعاء[٥].

الحادي عشر: الاعتراف بالذنب قبل السؤال؛ لما فيه من الانقطاع إلى الله سبحانه، ووضع النفس[٦].

الثاني عشر: الإقبال بالقلب[٧].

الثالث عشر: التقديم في الدعاء قبل الحاجة[٨].

الرابع عشر: الدعاء للإخوان، والتماسه منهم[٩].

الخامس عشر: رفع اليدين بالدعاء[١٠].

---

(١) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٥٧.
(٢) ظ: المصدر نفسه: ١٥٧.
(٣) ظ: المصدر نفسه: ١٥٩.
(٤) ظ: المصدر نفسه: ١٦٠.
(٥) ظ: المصدر نفسه: ١٦٢.
(٦) ظ: المصدر نفسه: ١٦٧.
(٧) ظ: المصدر نفسه: ١٧٧.
(٨) ظ: المصدر نفسه: ١٨٢.
(٩) ظ: المصدر نفسه: ١٨٢.
(١٠) ظ: المصدر نفسه: ١٩٦.

القسم الثالث: في الآداب المتأخرة عن الدعاء، وهي أمور[١]:

الأوَّل: معاودة الدعاء وملازمته، مع الإجابة وعدمها[٢].

الثاني: أن يمسح الداعي بيديه على وجهه[٣].

الثالث: أن يختتم دعاءه بالصلاة على النبيِّ وآله الأطهار[٤].

الرابع: أن يعقب دعاءه بما روي عن الإمام الصادق: «**ما شاء الله، ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم**»[٥].

الخامس: أن يكون بعد الدعاء خيرًا منه قبله[٦].

منهجه في البحث

قسَّم المؤلِّف كتابه على أبواب، ومن ثمَّ إلى فصول وأقسام، أو مباحث.

١. الاقتباس القرآنيّ:

وهو الاستشهاد بالآيات القرآنيَّة الكريمة بلفظها ومعناها[٧]، التي تتعلَّق بموضوع

(١) ظ: عدَّة الداعي ونجاح الساعي: ١٩٩.
(٢) ظ: المصدر نفسه: ١٩٩.
(٣) ظ: المصدر نفسه: ٢٠٩.
(٤) ظ: المصدر نفسه: ٢١٠.
(٥) ظ: المصدر نفسه: ٢١١.
(٦) ظ: المصدر نفسه: ٢١٣.
(٧) ظ: الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزوينيّ، محمَّد بن عبد الرحمن جلال الدين (٧٣٩هـ): ٣٨١، ط١، ربيع الأوَّل ١٤١١، مطبعة أمير، قم، دار الكتاب الإسلاميّ.

الدعاء، فقد استشهد بعدد كبير من هذه الآيات، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[4].

وآيات أخرى لا تتعلَّق بالدعاء، وإنَّما يذكر الآية من باب الحجيَّة بالقول والدليل عليه، كقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾[5].

٢. الاستشهاد بالحديث النبويّ الشريف:

ويعدُّ هذا الاستشهاد في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، ويردُ هذا الأسلوب بالطريقة المباشرة كسالِفِهِ، ومن الشواهد على ذلك قوله ﷺ: «**ألَا أدلُّكم على سلاحٍ يُنجيكم من أعدائكم، ويدرأ أرزاقكم؟** قالوا بلى يا رسول الله، قال: **تدعون ربَّكم بالليل والنهار، فإنَّ سلاح المؤمن الدعاء**»[6]، وقوله ﷺ: «**إنَّ الرجل الأعجميّ من أمَّتي ليقرأ القرآن بعجميَّة، فترفعه الملائكة على عربيَّته**»[7]، وقوله ﷺ: «**الدعاء مخُّ**

(١) الفرقان: ٧٧.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) الأعراف: ٥٦.

(٤) البقرة: ١٨٦.

(٥) البقرة: ٢١٦.

(٦) الكافي، الكليني (٣٢٩هـ): ٢/ ٤٦٨، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاري، ط٤، ١٣٦٥ش، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

(٧) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمَّد بن الحسن، الحرُّ العاملي (١١٠٤هـ): ٦/ ٢٢١، ٢٤٠، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤، مطبعة مهر، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرَّفة.

العبادة»[1]، وقوله ﷺ: «ما من مؤمنٍ دعا الله سبحانه وتعالى دعوةً ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم، إلَّا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إمَّا أن يعجِّل دعوته، وإمَّا أن يؤخِّر له، وإمَّا أن يدفع عنه من السوء»[2]، وقوله ﷺ: «إنَّ العبد ليَدعو الله، وهو يحبُّه، فيقول لجبرئيل: اقضِ لعبدي هذا حاجته، وأخِّرها فإنِّي أحبُّ أن لا أزال أسمع صوته، وإنَّ العبد ليدعو الله ﷻ، وهو يبغضه، فيقول: ياجبرئيل اقضِ لعبدي هذا حاجته، فإنِّي أكره أن أسمع صوته»[3].

٣. الاستشهاد بأقوال أئمَّة آل البيت عليهم السلام وأحاديثهم:

ونراه يستشهد لأمير المؤمنين عليه السلام، والإمام السجَّاد والإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الهادي (صلوات الله عليهم)، ومن ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام في الباب الثاني، في فضل ليلة القدر: «اللهمَّ إنِّي أسألك بكتابك المنزَّل، وما فيه اسمك الأعظم الأكبر وأسمائك الحسنى، وما يُخاف ويُرجى، أن تجعلني من عتقائك من النار»[4]، وقول الإمام الباقر عليه السلام في الباب نفسه: «ما طلعت الشمس بيوم أفضل من يوم الجمعة وإن كلام الطير فيه إذا لقي بعضها بعضًا سلامٌ سلامٌ يوم صالح»[5].

(١) سنن الترمذيّ، الترمذي (٢٧٩هـ): ٥/ ١٢٥، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزيّ (٥٩٧هـ): ١/ ١٧٣، تحقيق: محمَّد بن عبد الرحمن عبد الله، ط١، جمادى الأولى ١٤٠٧هـ/ كانون الثاني ١٩٨٧م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتَّقي الهنديّ: ٢/ ٣٢٢٦، تحقيق: صفوت السقَّا وبكري الحيَّانيّ، منشورات دار الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

(٤) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، محمَّد باقر المجلسيّ: ٧/ ٣٦، منشورات دار الكتب الإسلاميَّة، قم، إيران، ٢٠٠١م، ط١.

(٥) عدَّة الداعي: ٣٣٩.

٤. **الاستشهاد بالشعر العربي**: ولاسيما القصائد المتعلِّقة بالدعاء، وهي المناجاة الإلهيَّة، وهذا الغرض الشعريّ يورده المؤلِّف في مواضع عديدة، وتمثِّل المناجاة ضربًا من ضروب الشعر العربيّ في الحقبة التي عاش فيها المؤلِّف، وتضمُّ (خشية العبد وخشوعه لله تعالى، من خلال الالتزام بأوامره، والانتهاء بنواهيه)، والسِّمة التي تنماز بها هذه المناجاة أنَّ المؤلِّف لم يذكر اسم ناظمها، فلا نعلم إن كانت هذه المناجاة من نظم ابن فهد الحِلِّيّ، أم من نظم غيره، مثال ذلك قوله في الباب الأوَّل: مناجاة لدفع الفقر والشدائد، والتي جاء في مطلعها:

يَا مَن يَرَى مَا في الضَّميرِ ويَسمعُ
أَنتَ المُعَدُّ لكُلِّ مَا يُتوقَّعُ[1]

ثمَّ مناجاة أخرى لم يضع لها عنوانًا، يقول فيها:

أُجلُّكَ عَن تعذيبِ مَثلي عَلى ذَنبي
ولَا ناصرَ لي غَير نَصرِكَ يَا رَبِّ[2]

٥. **آراء ابن فهد الحِلِّيّ التي يوردها في هذا الكتاب**، وهي تتبع له، فهو يستعمل أسلوب ذكر عنوان الموضوع الرئيس، مستشهدًا عليه بآية قرآنيَّة، أو حديث نبويّ شريف، أو قول لأحد المعصومين عليهم السلام، ثمَّ يذكر رأيه الشخصيّ؛ بحسب ثقافته، وهذا يدلُّ على حضور شخصيَّة المؤلِّف في معظم أرجاء الكتاب.

٦. **تقسيم أجزاء الكتاب على وفق منهج علمي متميز**، وهذا ما تطرَّقنا إليه في المبحث الثاني من تقسيمات الكتاب على أبوابٍ وفصولٍ وأقسام.

٧. **خلوّ معظم فصول الكتاب من عناوين**، وإنَّما يكتفي الحِلِّيّ بذكر كلمة فصل،

(١) عدَّة الداعي: ٣٥.
(٢) المصدر نفسه: ٣٥

ثمَّ يعرِّج على الشرح، وهذه السمة مخالفة لمنهج البحث العلميّ الحديث الذي يقتضي ذِكر عنوان لكلِّ فقرة يذكرها المصنِّف، وبعضٌ قليلٌ منها جاءت بعناوين، مثل: فصل في كراهية السؤال وردِّ الجواب.

٨. **أورد المؤلِّف في معظم أجزاء الكتاب لفظة (نصيحة)**، وهذه تعود إليه، معتمدًا على تجربته الشخصيَّة وخبرته الذاتيَّة التي صهرها في بوتقة الدعاء؛ ليمنح القارئ نصائح يفيد منها في هذا الأدب الرفيع، وهذه السمة جديدة، إذ لم يسبقه إليها أحد في هذا الجانب.

٩. **ذِكر السلسلة الروائيَّة التي تتعلَّق بنقل الحديث الوارد عن أئمَّة آل البيت عليهم السلام**؛ ليدلَّ بها على قوَّة الحديث وصحَّته، وقلَّما نجده لا يذكر هذه السلسلة.

١٠. **لم يذكر ابن فهد الحِلِّيّ المصادر التي استقى منها في هذا الكتاب**، سوى مصدَرين:

الأوَّل: كتاب الدعاء لمحمَّد بن حسن الصفَّار[١].

الثاني: بصائر الدرجات الكبرى (للمؤلِّف نفسه)[٢].

١١. **ذكر الروايات القديمة التي تتعلَّق بالنبوَّات السابقة**، والتي ترتبط بالكتاب في أدب الدعاء، كذكره روايات أنبياء الله (آدم وداود وسليمان ويعقوب ويوسف عليهم السلام)[٣].

١٢. **أسلوب الاستطراد الذي لجأ إليه المؤلِّف في معظم أجزاء الكتاب**، فانتقال المؤلِّف من موضوع إلى آخر، يُسهم في إبعاد السآمة والملل والضجر عن نفس القارئ،

(١) عدَّة الداعي: ٤٢.
(٢) المصدر نفسه: ٩٨.
(٣) المصدر نفسه: ٣٨، ٤٦.

إذ يتجوَّل بين آية قرآنيَّة وحديث نبويّ ورواية لمعصوم، وبين رواية لأحد الأنبياء، وهذه السمة ابتدعها الجاحظ (٢٥٥هـ) في آثاره الكتابيَّة النثريَّة.

١٣. استعمال ابن فهد العبارات الاعتراضية التي تفيد الدعاء في معظم أجزاء الكتاب، مثل (رعاك الله، وحفظك الله، ورحمك الله، وهداك الله)، وهذا الأسلوب ورد لدى مدرسة الجاحظ أيضًا، وتُظهِر هذه العبارة أدب المؤلَّف وثقافته العالية التي يوظِّفها من خلال الحوزة الدينيَّة التي كانت ميدانًا لعمل المؤلِّف.

١٤. عدم وجود توازن في حجم الأبواب المعدَّة للرسالة أو الكتاب، إذ شغل الباب الأول ٣٠ صحيفة، والباب الثاني ٨٦ صحيفة، والباب الثالث ١٢ صحيفة، والباب الرابع ١٠٢ صحيفة، والباب الخامس ٤٠ صحيفة، فيما شغل الباب السادس ٥٤ صحيفة، وقد يكون هذا ناجمًا عن طبيعة المادَّة المخصَّصة لكلِّ باب، فبعضها كبير، والآخر صغير.

المبحث الثالث

الشاهد القرآنيّ

(الباب الأوَّل)

في الحـثِّ على الدعا[1]، في الفقرة ثانيًا: معتمـدًا ومقدِّمًا العقل على النقل في الحثِّ على الدعـاء، فيقول: «ويبعث عليه العقل والنقل، وأمَّا النقل فمن الكتاب والسـنَّة[2]: أمَّـا الكتـاب، منها قولـه تعـالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[3]، وقولـه تعـالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[4]، فجعل الدعا عبادة، والمستكبر عنها بمنزلة الكافر. وقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[5]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[6].

ولا يكتفـي بذكر الدليل، فيزيد موضِّحـا ومحلِّلًا، فيقول: «واعلم أنَّ هذه الآية قد

(١) عدَّة الداعي: ١١
(٢) المصدر نفسه: ١٤
(٣) الفرقان: ٧٧.
(٤) غافر: ٦٠.
(٥) السجدة: ١٦.
(٦) البقرة: ١٨٦.

دلَّت على أمور:

الأوَّل: تعريضه تعالى لعباده بسؤاله، بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

الثاني: غاية عنايته بمسارعة إجابته، ولم يجعل الجواب موقوفًا على تبليغ الرسول، بل قال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، ولم يقل: قل لهم: أنِّي قريب.

الثالث: خروج هذا الجواب بالفاء المقتضى للتعقيب بلا فصل.

الرابع: تشريفه تعالى لهم بردِّ الجواب بنفسه؛ لينبِّه بذلك على كمال منزلة الدعا، وشرفه عنده تعالى، ومكانه منه. قال الباقر عليه السلام: «**ولا تمل من الدعا؛ فإنَّه من الله بمكان**»[1]، وقال عليه السلام: «لبريد بن معاوية بن وهب، وقد سأله كثرة القراءة أفضل أم كثرة الدعا؟ فقال عليه السلام: «**كثرة الدعا أفضل**، ثمَّ قرأ ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾»[2]..[3].

وفي موضوع الإشكال بعدم إجابة بعض الدعوات وجوابه[4]

يُجيب في **الخامس**: دلَّت هذه الآية على أنَّه تعالى لا مكان له، إذ لو كان له مكان، لم يكن قريبًا من كلِّ من يناجيه.

والسادس: أمره تعالى لهم بالدعا في قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، أي فليدعوني.

(١) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحرُّ العامليّ (١١٠٤هـ): ٧/ ٢٧، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ، مطبعة مهر، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرَّفة.

(٢) الفرقان: ٧٧. وسائل الشيعة: ٧/ ٣٢.

(٣) عدَّة الداعي: ١٥.

(٤) المصدر نفسه: ١٤.

السابع: قوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾، ثمَّ يستشهد بقول الصادق عليه السلام: «**أي: وليتحققوا أنى قادر على إعطائهم ما سألوه فأمرهم باعتقادهم قدرته على إجابتهم**»(١).

وفيه فائدتان: إعلامهم بإثبات صفة القدرة له، وبسط رجائهم في وصولهم إلى مقترحاتهم، وبلوغ مراداتهم، ونيل سؤالاتهم؛ فإنَّ الإنسان إذا علم قدرة معامله ومعاوضه على دفع عوضه، كان ذلك داعيًا له إلى معاملته، ومرغِّبًا له في معاوضته، كما أن علمه بعجزه عنه على الضدِّ من ذلك، ولهذا تراهم يجتنَّبون معاملة المفلس.

الثامن: تبشيره تعالى لهم بالرشاد الذي هو طريق الهداية المؤدِّي إلى المطلوب، فكأنَّه بشَّرهم بإجابة الدعا.

ومثله قول الصادق جعفر بن محمَّد عليهما السلام: «**من تمنَّى شيئًا، وهو لله رضًا، لم يخرج من الدنيا حتَّى يُعطاه**»(٢). ويروى هذا الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وقال عليه السلام: «**إذا دعوت فظن حاجتك بالباب. فإن قلت: نرى كثيرًا من الناس يدعون الله فلا يجيبهم، فما معنى قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾**»(٣)؟

فالجواب: سبب منع الإجابة الإخلال بشروطها من طرف السائل، إمَّا بأن يكون قد سأل الله عزَّ وجلَّ غير متقيِّد بآداب الدعا، ولا جامع لشرائطه.

(١) التبيان، الطوسيّ (٤٦٠هـ): ٢/ ١٣١، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملّي، ط١، رمضان المبارك ١٤٠٩هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّ، جوامع الجامع، الطبرسيّ (٤٥٧هـ): ١/ ٩١٨٥، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، ١٤٢١، مطبعة: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ.

(٢) الأمالي، الصدوق: ٦٧٤، الخصال، الصدوق: ٤، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٨٥.

(٣) البقرة: ١٨٦.

ثـمَّ يعرض الدليـل الثاني، وهي السـنَّة الشريفة المتضمِّنة الآيـات القرآنيَّة، فيقول:

روى عثمان بن عيسـى عمَّـن حدثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلـت: آيتين في كتاب الله أطلبهـما ولا أجدهما، قـال عليه السلام: وما هما ؟ قلت: قـول الله عز وجل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾، فندعـوه ولا نرى إجابة، قال عليه السلام: **افترى الله أخلـف وعده؟** قلت: لا. قال: **فممَّ ذلك؟** قلـت: لا أدرى. فقال عليه السلام: **لكنِّي أخبرك، من أطاع الله فيما أمَرَه ثمَّ دعاه من جهة الدعا، أجابه.** قلت: وما جهة الدعا ؟ قال عليه السلام: **تبدأ فتحمد الله، وتذكر نعمهُ عندك، ثمَّ تشكره، ثـمَّ تصلِّي عـلى النبيِّ وآله صلى الله عليه وآله، ثمَّ تذكر ذنوبك فتقرُّ بها، ثمَّ تسـتغفر الله منها، فهذا جهة الدعـا.** ثمَّ قال عليه السلام: وما الآيـة الأخرى ؟ قلت: قـول الله عز وجل: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1]، **وأنِّي لأنفق، ولا أدرى خلفًا.** قال: **افترى الله أخلف وعده؟** قلت: لا. قال: **فممَّ ذلك؟** قلت: لا أدرى، قال عليه السلام: **«لو أنَّ أحدكم اكتسـب المال من حِلِّه، وأنفقه في حِلِّه، لم يُنفِق رجل درهمًا إلَّا أخلف عليه»**[2].

ثـمَّ يعقِّـب على ذلك بقولـه: «وأمَّـا أن يكون قد سـأل ما لا صلاح فيـه، ويكون مفسـدة له أو لغيره إذ ليس أحد يدعو الله سـبحانه وتعالى على ما توجبه الحكمة فيما فيه صلاحه، إلَّا أجابه، وعلى الداعي أن يشـترط ذلك بلسـانه، أو يكون منويًّا في قلبه، فالله يجيبـه البتَّة إن اقتضت المصلحة إجابتها، أو يؤخِّر له إن اقتضت المصلحة التأخير. قال: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۚ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[3]. وفي دعائهم السلام يأمن لا يغير حكمته الوسائل.

(١) سبأ: ٣٩.
(٢) الكافي: ٣/ ٤٨٦.
(٣) يونس: ١١.

إنَّ علم الغيب منطويًا عن العبد، وربَّما تعارض عقله قوى الشهويَّة، وتخاطه الخيالات النفسانيَّة، فيتوهَّم أمرًا فيه فساده صلاحًا، فيطلبه من الله سبحانه، ويلحّ في السؤال عليه، ولو يعجِّل الله إجابته ويفعله به؛ لهلك البتَّة، وهذا أمر ظاهر العيان، غنِّي عن البيان، كثير الوقوع، فكم نطلب أمرًا، ثمَّ نستعيذُ منه، وكم نستعيذ من أمرٍ، ثمَّ نطلبه، وعلى هذا خرج قول عليّ عليه السلام: «**رُبَّ أمرٍ حرص الإنسان عليه، فلمَّا أدركه، ودَّ أن لم يكن أدركه**. وكفاك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، فإنَّ الله تعالى من وفور كرمه وجزيل نعمه، لا يجيبه إلى ذلك، إمَّا لسابق رحمته به، فإنَّه هو الذي سبقت رحمته غضبه، وإنَّما أنشأه رحمةً به، وتعرُّضًا لإثابته، وهو الغنيُّ عن خلقه ومعاقبته، أو لعلمه سبحانه بأنَّ المقصود للعبد من دعائه، هو إصلاح حاله، فكأنَّ ما طلبه ظاهرًا غير مقصود له مطلقًا، بل بشرط نفعه له، فالشرط المذكور حاصل في نيَّته وإن لم يذكره بلسانه، بل وإن لم يخطر بقلبه حالة الدعا هذا الشرط، فهو كالأعجميّ الذي لُقِّن لفظًا لا يعرف معناه، أو سمع لفظًا توهَّمه علمًا على شيء، ثمَّ طلبه من عارف يقصده، فإنَّه يعطيه ما علم قصده إليه، لا ما دلَّ ظاهر لفظه عليه، وهذا هو معنى الدعاء الملحون الذي لا يقبله الله، على ما ورد في بعض الأخبار»[2].

في معنى دعاء الملحون، والإشكال بعدم إجابته وجوابه[3]

فإن قلت: قد ورد عن أبي جعفر الجواد عليه السلام أنَّه قال: «**ما استوى رجلان في حسب ودين قطُّ، إلَّا كان أفضلهما عند الله عزَّ وجلَّ أدبهما** قال: قلت: جعلت فداك قد علمت فضله عند الناس في النادي والمجالس، فما فضله عند الله عزَّ وجلَّ؟ قال عليه السلام: **بقراءة القرآن كما أُنزل،**

(١) سورة البقرة: ٢١٦.
(٢) عدَّة الداعي: ١٧.
(٣) المصدر نفسه: ١٨.

ودعائه الله ﷻ من حيث لا يلحن، وذلك أنَّ الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله ﷻ»[1]، ويقرب منه قول الصادق عليه السلام: «**نحنُ قومٌ فُصحاء، إذا رويتم عنَّا فأعربوها**»[2].

ثمَّ يزيد البحث تعمُّقًا فيقول: «فإن كان المراد من هذين الحديثَين ما دلَّ عليه ظاهرهما، فكثيرًا ما نرى من إجابة الدعوات غير المعربات، وكثيرًا ما نشاهد من أهل الصلاح والورع، ومن يرجى إجابة دعائهم، لا يعرفون شيئًا من النحو. وأيضا إذا لم يكن دعائه مسموعًا، فلا فائدة فيه، فلا يكون مأمورًا به؛ لانتفاء فائدته، ولا يتوجَّه الأمر بالدعاء إلَّا إلى حذَّاق النحاة، بل النحويّ أيضًا ربَّما يلحن في بعض الأدعية؛ لافتقارها إلى الإضمار والتقدير والحذف، واشتغاله حالة الدعاء بالخشوع والتوجُّه إلى الله تعالى عن استحضار أدلَّة النحو وقوانينه، وكلُّ هذه الأمور باطلة، خلاف المشاهد من العلم، وضدّ المعلوم من أخبارهم عليهم السلام ووصاياهم، فإنَّهم دلُّوا على كلِّ شيء يتعلَّق بمصالح العباد»[3].

ثمَّ يوضِّح بعض المصطلحات في الرواية المذكورة، مستشهدا بأقوال المفسِّرين[4]، فيقول: «فاعلم أيَّدك الله أنَّه لـمَّا كان الواقع خلاف ما دلَّ عليه ظاهر الخبرَين، عدَلَ الناس إلى تأويلهما، فبعضٌ قال: الدعاء الملحون دعاء الإنسان على نفسه في حالة ضجره، بما فيه ضررها، واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (٥٧١هـ): ٥٤/ ٢٩٢، تحقيق: عليّ شيري، ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) السرائر، ابن إدريس الحِلِّيّ (٥٩٨هـ): ٢/ ١٥٥، ط٢، ١٤١٠هـ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

(٣) عدَّة الداعي: ١٨.

(٤) المصدر نفسه: ١٩.

﴿يَعْمَهُونَ﴾[1]، قال المفسِّرون، أي ولو يعجِّل الله للناس الشرَّ، أي إجابة دعائهم في الشرِّ إذا دعوا به على أنفسهم وأهليهم عند الغيظ والضجر، مثل قول الإنسان: رفعني الله من بينكم. استعجالهم بالخير، أي كما يعجِّل لهم إجابة الدعوة بالخير إذا استعجلوه بالخير؛ لقضى إليهم أجلهم، لفرغ من إهلاكهم، ولكن سبحانه تعالى لا يعجِّل لهم الهلاك، بل يمهلهم حتَّى يتوبوا، وقال بعضهم: الدعاء الملحون دعاء الوالد على ولده في حال ضجره منه؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله سأل الله عزَّ وجلَّ أن لا يستجيب دعاء محبٍّ على حبيبه. وبعضهم قال: الذي لا يكون جامعًا لشرايطه»[2].

وبعد عرضه لآراء المفسِّرين، يفنِّد آراءهم، فيقول: «والكلُّ بمعزل عن التحقيق؛ لأنَّ مقدِّمة الخبر لا تدلُّ على ذلك؛ لأنَّ الكلام قد ورد في معرض مدح النحو. بل التحقيق أن نقول: أمَّا الخبر الأوَّل فالمراد من قوله عليه السلام: **إن الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله عزَّ وجلَّ**، أي لا يسمعه ملحونًا، ويجازى عليه جاريًا على لحنه، مقابلًا له بما دلَّ ظاهر لفظه عليه، بل يجازى على قصد الإنسان من دعائه. كما سمع من بعضهم يقول عند زيارته المعصوم عليهم السلام: وأشهد أنَّك قُتِلت وظُلِمت وغَصبت بفتح أوَّل الكلمة، ومن المعلوم بالضرورة أنَّ هذا الدعا لو سمع منه جاريًا على لحنه؛ لحكمنا بارتداده ووجوب تعزيره، ولم يقل به أحد، فدلَّ ذلك على أنَّ الدعا لا يجرى على ظاهر لفظه، إذا كان المقصود منه غير ذلك. ويدلُّ عليه أيضا إجماع الفقهاء أعلى الله تعالى درجاتهم على أنَّ إنسانًا لو قذف آخرًا بلفظ لا يفيد القذف في عُرف القائل، لم يكن قاذفًا، ولم يتوجَّه عليه عقوبة، وإن كان ذلك اللفظ مفيدًا للقذف في عرف غيره، فعلم أنَّ إعراب الألفاظ في الدعا ليس شرطًا في إجابته والإثابة عليه، بل هو شرط في تماميَّة فضيلته وكمال منزلته وعلوِّ مرتبته»[3].

(١) يونس: ١١.
(٢) عدَّة الداعي: ١٩
(٣) المصدر نفسه: ٢٠

وفي فقـرة مـا معنى الدعاء، إذا كان الله هو الفاعل عنـد اقتضاء الحكمة، وتارك إذا انتفت وجوابه[1].

بعـد أن يقـدِّم شيء، يفصِّل القول في المسـألة، فيقول: فما معنى الدعـاء إذا انتفت فائدته؟ فالجواب من وجوه:

الأوَّل: لا يمتنع أن يكون وقوع ما سـأله إنَّما صار مصلحة بعد الدعاء، ولا يكون مصلحة قبله.

في الوجـه الثـاني: إنَّ الدعـاء عبادة في نفسـه تعبد الله عبـاده به؛ لما فيـه من إظهار الخشوع والافتقار إليه، وهو أمر مطلوب لله ﷻ من عبيده. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

الثالـث: روي أنَّ دعـاء المؤمن يُضاف إلى عمله ويثاب عليـه في الآخرة، كما يثاب على عمله.

الرابع: إنَّ الإجابة إن كانت مصلحة، والمصلحة في تعجيلها عجلت، وإن اقتضت المصلحة تأخيرها إلى وقت، أجِّلت إلى ذلك الوقت، وكانت الفائدة من الدعاء مع حصول المقصـود زيادة الأجر بالصبر في هذه المـدَّة، وإن لم يوصف بالمصلحة في وقتٍ ما، وكان في الإجابة مفسدة، استحق بالدعاء الثواب، أو يدفع عنه من السوء مثلها.

وتحت عنوان في لزوم الخوف والرجاء عند إجابة الدعاء وعدمها[3].

جاء **خامسًا**: بما أخرت الإجابة عن العبد لزيادة صلاحه، وعظم منزلته عند الله ﷻ أنَّ الله إنَّما أخَّر إجابته؛ لمحبَّته سماع صوته.

(١) عدَّة الداعي: ٢٣

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) عدَّة الداعي: ٢٥

وزاد توضيح في فقرة تنبيه: «وأنت إذا دعوت، فلا يخلو ما أن ترى آثار الإجابة، أوَّلا، فإن رأيت آثار الإجابة فمهلًا لا تعجب بنفسك، وتظنُّ أن دعوتك أُجيبت لصلاحك وطهارة نفسك، فلعلَّك ممَّن كره الله نفسه وأبغض صوته، والإجابة حجَّة عليك يوم القيامة، يقول لك: ألم تكن دعوتني وأنت مستحقٌّ للإعراض عنك، فأجبتك؟ بل ينبغي أن يكون همُّك بالشكر والزيادة في العمل والصلاح، لما أولاك الله من ألطافه الباسطة لرجائك، المرغبة لك في دعائك، وتسأل الله أن يجعل ما عجَّله لك بابًا من أبواب لطفه، ونفحة من نفحات رحمته، وأن يلهمك زيادة الشكر على ما أولاك من تعجيل إجابة لست لها بأهل، وهو أهل لذلك، وأن لا يكون ذلك منه استدراجًا، وعليك بالإكثار من الحمد والاستغفار، فالحمد مقابل النعمة والمنَّة إن كان سبب الإجابة الرحمة، والاستغفار إن كان سببها الاستدراج والبغضة، وإن لم ترَ آثار الإجابة، فلا تقنط، وابسط رجائك في كرم مولاك، فإنَّه ربَّما أُخِّرت إجابتك؛ لأنَّ الله تعالى يحبُّ أن يسمع دعائك وصوتك، فعليك بالإلحاح»[1].

أمَّا **أوَّلا**، فلتحوز نصيبًا من دعائه.

وأمَّا **ثانيًا**، فلتصادف محبَّة الله تعالى؛ لأنَّه إنَّما أخَّرك بحبِّه سماع صوتك، فلا تقطع ذلك.

وأمَّا **ثالثًا**، فلتعجيل قضاء الحاجة بتكرار الدعاء على ما ورد، واقبض نفسك الأمَّارة بالخوف من الله تعالى جلَّ جلاله، وقل: لعلِّي إنَّما لم يستجب لي جلَّ جلاله؛ لأنَّ دعائي محجوب، وعملي لا ترفعه الملائكة؛ لكثرة ذنوبي، أو لكثرة المظالم والتبعات قبلي، أو لأنَّ قلبي قاسٍ أو لاهٍ، أو ظنِّي غير حَسن بربِّي، وكلُّ هذه الأمور حاجبة للدعاء على ما سيجيء، أو لأنَّ هذا الكمال لست له أهلًا، فمُنعتَه، ولو كنت له أهلًا؛ لأفاضهُ

(١) عدَّة الداعي: ٢٥

الكريم الرحيم عليك من غير سؤال، فإذن يحصل لك الخوف، تعرف أنَّك في محلِّ التقصير، وإنَّ مقامك مقام العبد الحقير الذي أبعدته عيوبه، وطردته ذنوبه، وقعدت به أعماله، وحبسته آماله، وحرمته شهواته، وأثقلته تبعاته، ومنعته من الجري في ميدان السالكين، وعاقته عن الترقِّي إلى درجات الفائزين.

وتحقَّق أنَّك مع هذا البعد والحقارة عن مولاك، وقعودك بأثقالك متخلِّفًا عن السابقين، ومنفردًا عن المخذولين، إن تخاذلت ساكتًا عن الاستغاثة بمولاك، ومتقاعسًا عن الاستقامة في طلب هداك، يوشك أن ينهزَ بك الشيطان فرصة الظفر، فتَعلَق بك مخالبه، فتنشب في حبائله، فلا تقدر على الخلاص، وتلحق بالأشقياء المعذَّبين، بل عليك بكثرة الاستغاثة والصراخ، قبل أن تعلق بك الفخاخ، ولازم قرع الباب عسى أن يرفع بك الحجاب، وقُل بلسان الخجل والانكسار في مناجاة ملك الجبَّار[1]:

«الهي وسيِّدي ومولاي، إن كان ما طلبته من جودك وسألته من كرمك غير صالح لي في ديني ودنياي، وأنَّ المصلحة لي في منع إجابتي، فرضِّني مولاي بقضائك، وبارك لي في قدرك حتَّى لا أحب تعجيل ما أخَّرت، ولا تأخير ما عجَّلت، واجعل نفسي راضية مطمئنَّة بما يرد على منك، وخِر لي واجعله أحب إليَّ من غيره، وآثَر عندي مما سواه. وإن كان منعك إجابتي وإعراضك عن مسألتي لكثرة ذنوبي وخطاياي، فإنِّي أتوسَّل إليك بأنَّك ربِّي، وبمحمَّد نبيِّي، وبأهل بيته الطيِّبين الطاهرين ساداتي، وبغناك عنِّي، وبفقري إليك، وبأنِّي عبدك، وإنَّما يسأل العبد سيِّده، وإلى من حينئذ منقلبنا عنك؟ وإلى أين مذهبنا عن بابك؟ وأنت الذي لا يزيده المنع، ولا يكيده الإعطاء، وأنت أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين»[2].

(١) ظ: عدَّة الداعي ابن فهد الحِلِّيِّ: ٢٥

(٢) مصباح المتهجِّد، الطوسيّ: ٥٠٢، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان.

ثمَّ تذكر ما قاله عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام في مناجاته، وتفكِّر فيما تضمَّنته من بسط الرجا: «**إلهي وعزَّتك وجلالك، لو قرنتني في الأصفاد، ومنعتني سبيك من بين الأشهاد، ودلَّلت على فضائحي عيون العباد، وأمرت بي إلى النار، وحلت بيني وبين الأبرار، ما قطعت رجائي منك، ولا صرفت تأميلي للعفو عنك، ولا خرج حبُّك عن قلبي، أنا لا انسى أياديك عندي، وسترك عليَّ في دار الدنيا، وحسن صنيعك إليَّ**». وتبسط بهذا وأمثاله رجاك؛ لئلَّا يميل به جانب الخوف، فيؤدِّي إلى القنوط، كما قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[1]، ولا يميل به جانب الرجاء، فتبلغ الغرور والحمق.

وتحت فقرة نصيحة، قال:

«وينبغي لك مع تأخُّر الإجابة الرِّضا بقضاء الله تعالى، وأن تحمل عدم الإجابة على الخيرة، وأنَّ الحاصل بك هو عين الصلاح لك، فإنَّه غاية التفويض إلى الله تعالى، وحقٌّ له عليك، فإنَّه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «لا تسخطوا نِعَم الله، ولا تقترحوا على الله، وإذا ابتُلي أحدكم في رزقه ومعيشته، فلا يحدِّثن شيئًا يسأله، لعل في ذلك حتفه، لكن ليقل: (اللهم بجاه محمَّد وآله الطيبين إن كان ما كرهته من أمري هذا خير إلى وأفضل في ديني، فصبِّرني عليه، وقوِّني على احتماله، ونشِّطني بثقله، وإن كان خلاف ذلك خيرًا لي، فجُد عليَّ به، ورضِّني بقضائك على كلِّ حال، فلك الحمد)[2]..»[3].

في الحثِّ على الدعاء بأدلَّة من السنَّة[4].

(١) الحجر: ٥٦.

(٢) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام (٢٦٠هـ): ٢٦٤، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١ محقَّقة، ربيع الأوَّل ١٤٠٩هـ، مطبعة مهر، قم المقدَّسة.

(٣) عدَّة الداعي: ٣٢.

(٤) المصدر نفسه: ٣٣.

وأمَّا ما دلَّ عليه من السنَّة بالاستشهاد بالآيات، قال: فكثير يفضي استقصائه إلى إسهاب وإضجار، فلنقتصر منه على إخبار:

في الثاني: «روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]، قال: **هو الدعاء، وأفضل العبادة الدعا**، قال: قلت: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[2]، قال: **الأوَّاه هو الدعاء**»[3].

الرابع: «روى عبيد بن زرارة عن أبيه عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام: **الدعا هو العبادة التي قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي..﴾الآية، ادع الله، ادع ولا تقل: إنَّ الأمر قد فرغ منه**»[4].

الثاني عشر: «معاوية بن عمَّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: في الرجُلَين افتتحا الصلاة في ساعة واحدة، فتلا هذا القرآن، فكانت تلاوته أكثر من دعائه، ودعا هذا أكثر، فكان دعائه أكثر من تلاوته، ثمَّ انصرفا في ساعة واحدة، أيُّهما أفضل؟ قال: **كلٌّ فيه فضل، وكلٌّ حسن**. فقلت: إنِّي قد علمت أنَّ كلًّا حسن، وأنَّ كلًّا فيه فضل، لكن أيُّهما أفضل؟ فقال: **الدعا أفضل، أما سمعت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، هي والله العبادة، هي والله أفضل، هي والله أفضل، أليست هي العبادة؟ هي والله العبادة، هي والله العبادة، أليست هي أشدهنَّ؟ هي والله أشدهنَّ، هي والله أشدهنَّ، هي والله أشدهنَّ**»[5].

(١) غافر: ٦٠.
(٢) التوبة: ١١٤.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٦٦.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المعتبر، المحقِّق الحِلِّيّ (٦٧٦هـ): ٢٢٣١، تحقيق وتصحيح: عدَّة من الأفاضل، إشراف:=

(الباب الثاني في أسباب الإجابة)[1]

وينقسم إلى سبعة أقسام؛ لأنَّها إمَّا أن ترجع إلى نفس الدعاء، أو إلى زمان الدعاء، أو إلى مكانه، أو الحالات، وهي قسمان: حالات الداعي، وحالات يقع فيها الدعاء، فهذه خمسة أقسام، وما يتركَّب من المكان والدعاء، وما يتركَّب من الزمان والدعاء، صارت سبعة أقسام:

القسم الأوَّل: خاص بالوقت

في بيان فضيلة يوم الجمعة وليلها[2]: بعد عرض الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله، والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، قال: وعن الصادق عليه السلام: «في قول يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3]، قال عليه السلام: **أخَّرهم إلى السَّحر من ليلة الجمعة**»[4]، فقد استنبط الوقت المفضَّل للاستجابة في ورود الآية ضمن هذا الحديث.

وتحت هذا العنوان، قال معقِّبًا: «**نصيحة**: ينبغي لذي الإيمان الصريح والاعتقاد الصحيح في تصديق الرسول، وأبناء الزَّهراء البتول، فيما يخبرون به من معالم التنزيل، ويؤيِّدونه عن الربِّ الجليل، أن يبعث في تلك الساعات مع ذلك المنادي حوائجه في جواب ندائه، كما لو وقف على بابه رسول ملك من ملوك الدنيا، واستعرض حوائجه، وقال: إنَّ الملك قد أذِن لي في إعلامك برفع حوائجك إليه ليقضيها لك، فإنه يغتنم ذلك الاستعراض، ويذكر ما أهمَّه من الحوائج والأغراض، ولا يبقي له حاجة ولا لأهل

=ناصر مكارم شيرازي، مؤسَّسة سيِّد الشهداء عليه السلام، قم. تهذيب الأحكام: ٢/ ١٠٤.

(١) عدَّة الداعي: ٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) يوسف: ٩٨.

(٤) الكافي: ٢/ ٤٧٧.

عناية إلَّا ذكرها على التفصيل، خصوصًا إذا كان ذلك الملك موصوفًا بالعطاء الجزيل، ومعروفًا بالفعل الجميل، ولا يعرض عن منادي الملك مع حاجته إلى مرسله، وينفصل عنه بغير جواب، ويضيع المقصود من هذا الخطاب أعراض المتهاونين، فيستحقُّ سَخَط الملك، ويبوء بجواب: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، أو إعراض الغافلين، فيقع في عساكر المحرومين، ويبوء بثقله وما وزر، وما ورد: ومن ترك مسألة الله افتقر»[1].

القسم الثالث: الاسم الأعظم[2]

«ما يرجع إلى الدعاء من أسباب الإجابة، وهو ما كان متضمِّنًا للاسم الأعظم، سواء علم بشخصه أم لم يعلم. ولا يعلم بعينه إلَّا من أطلعه الله تعالى عليه من أنبيائه وأوليائه عليهم السلام، وقد ورد تلويحات عليه، وإشارات إليه، مثل ما روى: في آخر الحشر، وما روى: من أنَّه في آية الكرسي، وأوَّل آل عمران، فقيل: يكون في الحيِّ القيُّوم؛ لأنَّه الجامع بينهما، والموجود فيهما. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها**»[3]. وقيل: هو في قولنا: يا حيُّ يا قيُّوم، وقيل: يا ذا الجلال والإكرام. وقيل: في قولنا: «يا هو، يا من لا هو إلَّا هو»[4].

في أنَّ لفظ الجلالة هو اسم الأعظم، وفيه قصَّة آصف[5].

وقيل هو الله، وهو أشهر أسماء الربِّ، وأعلاها محلًّا في الذِّكر، والدعاء، وجُعل

(١) عدَّة الداعي: ٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤٩.

(٣) الأمالي، الصدوق: ٧٤٠، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

(٤) عدَّة الداعي: ٤٩.

(٥) ظ: المصدر نفسه: ٥٠.

أمام سائر الأسماء، وخصَّت به كلمة الإخلاص، ووقعت به الشهادة. واعلم أنَّ هذا القول قريب جدًّا؛ لأنَّ الوارد في هذا المعنى كثير.

يبدأ بذِكر خواصِّ الاسم الأعظم، فيقول: ثمَّ اعلم أنَّ هذا الاسم المقدَّس قد امتاز عن ساير الأسماء بخواص:

الأولى: إنَّه علم على الذات المقدَّسة، يختصُّ بها، فلا يُطلق بها على غيره تعالى، حقيقة ولا مجازًا، قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[1]، أي هل تعلم أحدًا يسمَّى الله غيره.

الثانية: أنَّه دالٌّ على الذات، وباقي الأسماء لا يدلُّ آحادها إلَّا على آحاد المعاني، كالقادر على القدرة، والعالم على العلم، وغير ذلك.

الثالثة: أنَّ جميع الأسماء يتسمَّى بذلك الاسم المقدس، ولا يتسمَّى هو بها، فيُقال: الصبور اسم من أسماء الله، ولا يُقال: الله اسم من أسماء الصبور أو الرحيم أو الشكور، وتقدَّم ستَّة، فصار امتيازه بتسعة أشياء. روي أنَّ سليمان عليه السلام لـمَّا علم بقدوم بلقيس، وقد بقي بينها فرسخ، قال: أيُّكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟ قال عفريت من الجنِّ، أي مارد قويّ داهية: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، أي من مجلسك الذي تقضي فيه، وكان يجلس غدوة إلى نصف النهار، وأنِّي على حمله لقوي، وعلى ما فيه من الذهب أمين. فقال سليمان: أريد أسرع من هذا، قال الذي عند علم من الكتاب، وهو آصف بن برخيا، وكان وزير سليمان وابن أخته، وكان صدِّيقًا يعرف الاسم الأعظم الذي إذا دعا به أجاب: انا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك. قيل: معناه أن يصل إليك مَن كان منك على قدر مدِّ البصر، وقيل: ارتداد إدامة النظر حتَّى يرتد طرفه خائسًا، فعلى هذا يكون معناه: أنَّ سليمان مدَّ بصره إلى أقصاه، ويديم النظر، فقبل أن ينقلب إليه

(١) مريم: ٦٥.

بصره حسيرًا، يكون قد أتى بالعرش، قال الكلبيّ: «فخرَّ آصف ساجدًا ودعا باسم الله الأعظم، فغار عرشها تحت الأرض حتَّى نبع عند كرسي سليمان، وقيل: انخرق مكانه حيث هو، ونبع بين يدي سليمان عليه السلام، وقيل: إنَّ الأرض طُويَت له، وهو مرويٌّ عن أبي عبد الله عليه السلام، فقيل: إنَّ ذلك الاسم هو الله، والذي يليه الرحمن. وقيل: هو يا حيُّ يا قيُّوم بالعبرانيَّة: آهيا شراهيا، وقيل: هو يا ذا الجلال والإكرام، وقيل: يا إلهنا وإله كلِّ شيء، إلـهًا واحدًا، لا إله إلَّا أنت»[1].

القسم السادس: ما يرجع إلى الفعل، كأعقاب الصلاة[2]

قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من أدَّى لله مكتوبة، فله في أثرها دعوة مستجابة**. فقال: في إجابة دعاء السائل في المتصدق، وأنَّه تعالى يأخذ الصدقات[3]: «كان زين العابدين عليه السلام يقول للخادم: «**أمسك قليلًا حتَّى يدعو**»[4]. وقال عليه السلام: «**دعوة السائل الفقير لا تردُّ**»[5]، وكان عليه السلام: «يأمر الخادم إذا أعطيت السائل أن تأمره أن يدعو بالخير»[6]، وعن أحدهما عليهما السلام: «إذا أعطيتموهم فلقنوهم الدعا، فإنه يستجاب لهم فيكم ولا يستجاب لهم في أنفسهم»[7]، «وكان زين العابدين عليه السلام يقبِّل يده عند الصدقة وسُئل

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد (٤١٣هـ): ٢٧٠، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، السيِّد محمود الزرنديّ، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان. مجمع البيان: ٧/ ٣٨٦، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقِّقين الأخصائيِّين، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(٢) عدَّة الداعي: ٥٨.

(٣) المصدر نفسه: ٦٠.

(٤) المقنع، الصدوق (٣٨١هـ): ١٧٤-١٧٥، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسَّسة الإمام الهادي عليه السلام، ١٤١٥هـ، مطبعة اعتماد. ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.

(٥) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.

(٦) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.

(٧) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.

في ذلك فقال عليه السلام: **إنَّها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل**»[1]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا ناولتم السائل، فليردَّ الذي يناوله يده إلى فيه فيقبِّلها، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يأخذها قبل أن تقع في يد السائل، فإنَّه عزَّ وجلَّ يأخذ الصدقات**»[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتَّى تقع في يد الله تعالى**، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3]..»[4]..[5].

وتحت عنوان **تتمَّة**:

قسَّم الصدقة على خمسة أقسام:

ففي القسم الخامس، صدقة العلم: وهي بذله لأهله، ونشره على مستحقِّه. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**من الصدقة أن يتعلَّم الرجل العلم ويعلِّمه الناس**»[6]. وقال صلى الله عليه وآله: «**زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه**»[7]. وعن الصادق عليه السلام: «**لكلِّ شيء زكاة، وزكاة العلم أن يعلِّمه أهله**»[8].

(١) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.
(٢) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.
(٣) التوبة: ١٠٤.
(٤) المقنع، الصدوق: ١٧٤-١٧٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٤٤.
(٥) ظ: عدَّة الداعي: ٦٠.
(٦) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (٤٦٣هـ): ١/ ١٢٣، مطبعة بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٣٩٨هـ.
(٧) جامع البيان، ابن جرير الطبريّ (٣١٠هـ): ١١/ ٢٨، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، تفسير ابن زمنين، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي زمنين (٣٩٩هـ): ١/ ٢٦٥، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمَّد بن مصطفى الكنز، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، مطبعة مصر، القاهرة.
(٨) تحف العقول، ابن شعبة الحرَّانيّ (ق ٤هـ): ٣٦٤، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر=

ومحلُّ الشاهد هو في بيان فضيلة العلم وتبعيَّة العمل له والعالم غير العامل[1].

روى صاحب كتاب منتقى اليواقيت (مناقب) فيه مرفوعًا إلى محمَّد بن عليّ بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قال: «حدَّثني الرِّضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر عن أبيه محمَّد عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة، فاطلبوا العلم من مظانِّه، واقتبسوه من أهله، فإنَّ تعليمه لله سبحانه حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تبارك وتعالى؛ لأنَّه من معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنَّة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السرَّاء والضرَّاء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلَّاء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة يقتبس آثارهم، ويهتدي بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلَّتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلاتهم تبارك عليهم، ويستغفر لهم كلُّ رطب ويابس حتَّى حيتان البحر وهوامه، وسباع البرِّ وأنعامه، وأنَّ العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظلمة، وقوَّة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والفكرة فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، وبه يُطاع الربُّ عزَّ وجلَّ ويُعبد، وبه توصَل الأرحام، ويُعرف الحلال والحرام، والعلم أمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لا يحرمه الله منه حظه**»[2].

=الغفاريّ، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٣٦٣ش، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

(١) عدَّة الداعي: ٦٣.

(٢) الأمالي، الطوسيّ: ٤٨٨، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، ط١، ١٤١٤هـ،=

تنبيه: يبدأ بتحليل رواية الرسول صلى الله عليه وآله:

انظر رحمكَ الله إلى قوله صلى الله عليه وآله: «**العمل تابعه كيف جعلهما قرينَين مقترنين، وأنَّه لا نفع لأحدهما بدون صاحبه، وأنَّه لا بدَّ للعالم من العمل، وليس العلم وحده بمنج لصاحبه**»(١).

وصرح بذلك في قوله عليه السلام: «**من ازداد علما ولم يزدد من الله إلَّا بعدا. والعلم بغير علم لا ينتفع به** لقوله صلى الله عليه وآله: **والعامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق، لا يزيده سرعة السير من الطريق إلَّا بعدًا**. فكان العلم والعمل قرينَين مقترنَين لا قوام لأحدهما إلَّا بالآخر، وهذان الجوهران، أعني العلم والعمل، لأجلهما كان كلُّ ما تراه من تصنيف المصنِّفين ووعظ الواعظين ونظر الناظرين، بل لأجلهما أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، بل لأجلهما خلقت السماوات والأرض وما بينهما من الخلق، وتأمَّل آيتين من كتاب الله تعالى تدلَّانك على ذلك، أحديهما قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾(٢)، وكفى بهذه الآية دليلًا على شرف العلم، لاسيما على التوحيد.

والثانية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٣)، وكفى بهذه الآية دليلًا على شرف العبادة، فحقُّ العبدان لا يشتغل إلَّا بهما، ولا يتعب إلَّا لهما، ولا ينظر إلَّا فيهما، وما سواهما باطل لا خير فيه، ولغو لا حاصل له، وإذا علمت ذلك فاعلم

=دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، والنص هو (١٠٦٩/ ٣٨)، وظ: مجمع البيان، الطبرسي: ١/ ٣٢، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقِّقين الأخصائيِّين، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(١) الخصال، الصدوق: ٤، تحف العقول: ٤١، جامع البيان، الطبريّ: ٢٨/ ٢٦.

(٢) الطلاق: ١٢.

(٣) الذاريات: ٥٦.

أنَّ العلـم أشرف الجوهرَيـن وأفضلهما. قـال النبيّ صلى الله عليه وآله: «فضل العلـم أحبُّ إلى الله من فضـل العبادة»(١). وقال صلى الله عليه وآله: «فضـل العالم على العابد كفضل القمر على سـائر النجوم ليلة البدر»(٢).

وقـال صلى الله عليه وآله: «يا عليّ نوم العالم أفضـل من عبادة العابد، يا عليّ ركعَتين يصلِّيهما العالم أفضل من سـبعين ركعة يصلِّيها العابد»(٣). وقال صلى الله عليه وآله: «يا عليّ سـاعة العالم يتّكئ على فراشـه ينظر في علم، خير من عبادة سبعين سـنة، وجعل النظر إلى وجه العالم عبادة، بل وإلى باب العالم عبادة»(٤).

وعـن عليّ عليه السلام: «جلوس سـاعة عنـد العلماء أحـبُّ إلى الله من عبادة ألف سـنة، والنظـر إلى العـالم أحـبُّ إلى الله من اعتكاف سـنة في بيت الحرام، وزيـارة العلماء أحبُّ إلى الله تعـالى مـن سـبعين طوافًـا حـول البيـت، وأفضـل مـن سـبعين حجَّـة وعمرة مـبرورة مقبولـة، ورفـع الله تعالى له سـبعين درجة، وأنـزل الله عليه الرحمة، وشـهدت لـه الملائكـة أنَّ الجنَّة وجبـت له. لكن لا بدَّ للعالم مـن العبادة مع العلـم، وإلَّا كان هباءً منثـورًا، فإنَّ العلم بمنزلة الشـجرة، والعبادة بمنزلة الثمرة، فالشرف للشـجرة، إذ هي الأصـل، لكن الانتفـاع بثمرتها، ولو لم يكن لهـا ثمرة، لم يكن لهـا شرف، ولم يصلح إلَّا للوقود»(٥).

(١) الخصال الصدوق: ٤، تحف العقول: ٤١، جامع البيان: ٢٨/ ٢٦.
(٢) الكافي: ١/ ٣٤، الأمالي، الصدوق: ١١٦، تحرير الأحكام، العلَّامة الحِلِّيّ (٧٢٦هـ): ١/ ٣٥، تحقيق: الشـيخ إبراهيم البهاديّ، إشراف: جعفر السبحانيّ، ط١، ١٤٢٠هـ، مطبعةاعتماد، قم، نشر مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام
(٣) تحرير الأحكام، العلَّامة الحِلِّيّ: ١/ ٣٢.
(٤) إرشـاد الأذهان، العلَّامة الحِلِّيّ: ١/ ١٧٥، قواعد الأحـكام، العلَّامة الحِلِّيّ: ٣/ ٧١٦، ٩٤، مختلف الشيعة، العلَّامة الحِلِّيّ: ١/ ١٥٢.
(٥) بحار الأنوار: ١/ ٢٠٥.

فيعقب على ذلك، فيقول: «فإذًا لا بدَّ للعبد منهما جميعًا، لكن العلم أولى بالتقديم؛ لشرفه ولكونه أصلًا، ولقوله عليه السلام: «**والعلم أمام العمل والعمل تابعه**»، وإنَّما صار العلم أصلًا متبوعًا يلزمك تقديمه لأمرين؛ **أحدهما**: أن تعرف معبودك ثمَّ تعبده، وكيف تعبد من لا تعرفه؟ وهذا يُستفاد من الأدلَّة العقليَّة.

الثاني: أن تعرف ما يلزمك من العبادات الشرعيَّة، وكيفيَّة إيقاعها؛ لئلَّا يقع شيء من هذه في غير محلِّه، أو يخلّ بشرطه فلا تقبل، وهذا يستفاد من الأدلَّة السمعيَّة، وسُئِل بعض العلماء: أيُّما أفضل العلم أو العمل؟ فقال: العلم لمن جهل، والعمل للعالم. وقد عرفت أنَّ العلم لا ينتفع به صاحبه في الآخرة، إذا لم يعمل به، فيكون هباء بل وبالا. ثمَّ يؤيِّد قوله بحديث الرسول صلى الله عليه وآله، فيقول: ألا تسمع إلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنَّ أهل النار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه، وإنَّ أشدَّ أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدًا إلى الله فاستجاب له وقبل منه، فأطاع الله فادخله الجنة، وادخل الداعي النار بتركه عمله وإتِّباعه الهوى**»[1]، ورواية هشام، فيقول: وروى هشام بن سعيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾[2]، قال عليه السلام: **الغاوون هم الذين عرفوا الحق وعملوا بخلافه**»[3]. وقال عليه السلام: «**أشدُّ الناس عذابًا عالم لا ينتفع من عمله بشيء**»[4]. وقال عليه السلام: **تعلموا ما شئتم أن تعملوا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به لان العلماء همتهم الرعاية، والسفهاء همتهم**.. الرواية. واعلم أنَّ العلم ممدوح فيما رأيت من الكتاب والسنَّة، مثل قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ

(١) إرشاد الأذهان، العلَّامة: ١/ ١٥، تحرير الأحكام، العلَّامة: ١/ ٣٧، الكلينيّ: ١/ ٤٤، الخصال، الصدوق: ٥١.
(٢) الشعراء: ٩٤.
(٣) التبيان، الطوسيّ: ٩/ ٢٩٤.
(٤) الكافي: ٢/ ٣٠٠، روضة الواعظين، الفتَّال: ١٠.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[2]..[3].

وقول الصادق عليه السلام: «**إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد، ووضعت الموازين، فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء**»[4]. قال بعض العلماء: «والسرُّ فيه أنَّ دم الشهيد لا ينتفع به بعد موته، ومداد العالم ينتفع به بعد موته»، ومثله قوله صلى الله عليه وآله: «**إذا ماتَ المؤمن وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة سترًا بينه وبين النار، وأعطاه الله بكلِّ حرفٍ عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرَّات**»[5]، ليس هو عبارة عن استحضار المسائل وتقرير البحوث والدلائل، بل هو ما زاد في خوف العبد من الله تعالى، ونشطه في عمل الآخرة، وزهده في الدنيا. وقال العالم: «أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلَّا به، وأوجب العلم عليك ما أنت مسؤول عن العمل به، وألزم العلم لك ما دلَّك على صلاح قبلك، وأظهر لك فساده، وأحمد العلم عاقبة ما زادك في عملك العاجل، فلا تشغلنَّ بعلمٍ ما لا يضرُّك جهله، ولا تغفلنَّ عن علم ما يزيد في جهلك تركه. ثمَّ انظر إلى الآيات الواردات بمدح العلم، تجدها

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ): ٢٠، تحقيق: محمَّد ناصر الدين الألبانيّ، ط٤، ١٣٩٧، المكتب الإسلاميّ، بيروت، مع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (٤٦٣هـ): ٢/ ٦، ١٣٩٨، بيروت، دار الكتب العلميَّة، الكامل، ابن عدي: ٢/ ٢٦.

(٤) تحرير الأحكام، العلَّامة: ١/ ٣٢، الأمالي، الصدوق: ٢٣٣، مَن لايحضره الفقيه، الصدوق: ٤/ ٣٩٩، روضة الواعظين، الفتَّال: ٩، الأمالي، الطوسيّ: ٥٢١.

(٥) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٢٧٥، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، ١٤٠٧هـ، مطبعة أمير، قم، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، الأمالي: ٩١، روضة الواعظين: ٨.

واصفات للعلماء بما ذكرناه قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1]، فوصفهم بالخشية، وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]، فوصفهم بإحياء الليل بالقيام ومواصلة الركوع والسجود والخوف والرجا، وقال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[3]، والقسيس: العالم، فوصفهم بترك الاستكبار. وقال الصادق عليه السلام: «**الخشية ميراث العلم، والعلم شعاع المعرفة وقلب الإيمان، ومن حرم الخشية لا يكون عالما وان شق الشعر بمتشابهات العلم كما قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾**[4]»..»[5].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**لا تجلسوا عند كلّ داعٍ مدَّعٍ يدعوكم من اليقين إلى الشكّ، ومن الإخلاص إلى الريا، ومن التواضع إلى التكبُّر، ومن النصيحة إلى العداوة، ومن الزُّهد إلى الرغبة، وتقرَّبوا من عالم يدعوكم من الكبر إلى التواضع، ومن الريا إلى الإخلاص، ومن الشكِّ إلى اليقين، ومن الرغبة إلى الزُّهد، ومن العداوة إلى النصيحة**»[6]. وقال عيسى عليه السلام: «**أشقى الناس من هو معروفٌ عند الناس بعلمه، مجهولٌ بعمله**»[7]،

(١) فاطر: ٢٨.
(٢) الزمر: ٩.
(٣) المائدة: ٨٢.
(٤) فاطر: ٢٨.
(٥) عدّة الداعي: ٦٩-٦٣.
(٦) الاختصاص، المفيد: ٣٣٥، تفسير الرازي، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ): ٢/ ١٩١، ط٣.
(٧) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام (١٤٨هـ): ٢١، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م، مؤسَّسة=

وعنه عليه السلام قال: «**رأيت حجرًا مكتوبًا عليه اقلبني فقلبته، فإذا عليه من باطنه مَن لا يعمل بما يعلم، مشوم عليه طلب ما لا يعلم، ومردود عليه ما علم**»(١). وأوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام: «**إنَّ أهون ما أنا صانع بعبدٍ غير عامل بعلمه من سبعين، عقوبة باطنيَّة أن أُخرج من قلبه حلاوة ذِكري**»(٢).

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**العلم الذي لا يُعمَل به كالكنز الذي لا يُنفَق منه، أتعب صاحبه نفسه في جمعه، ولم يصل إلى نفعه**»(٣). وعن عليّ عليه السلام: «**العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه، وإلَّا ارتحل**»(٤).

وعن الصادق عليه السلام: «قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ قال: **يعني من يصدق قوله فعله، ومن لم يصدق قوله فعله فليس بعالم**»(٥)، وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**أوحى الله إلى بعض أنبيائه: قُل للذين يتفقَّهون لغير الدين، ويتعلَّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا لغير الآخرة، يلبسون للناس مسوك الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب،**

=الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان.

(١) إرشاد الاذهان: ١/ ١٦، مصباح الشريعة: ١٦.

(٢) وجدته في يكتاب: إرشاد الأذهان، العلَّامة الحِلِّيّ (٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ فارس حسون، ط١، ١٤١٠هـ، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرَّفة: ١/ ١٧.

(٣) وجدته في بكتاب: إرشاد الأذهان: ١/ ١٥.

(٤) وجدته بهذا الإسناد عند الكافي: ١/ ٤٤، حمد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد، عن محمَّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، و العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلَّا ارتحل عنه**». تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٥، ١٣٦٣ش، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، وظ: إرشاد الأذهان: ١/ ١٦، وظ: مشكاة الأنوار: ٢٣٤، عليّ الطبرسيّ، تحقيق: مهدي هوشمند، ط١، ١٤١٨هـ، مطبعة دار الحديث.

(٥) ظ: المصدر نفسه: ٢٣٥.

ألسنتهم أحلى من العسل، وأعمالهم أمرُّ من الصبر: أيخادعون؟ ولأتيحن لكم فتنة تذر الحكيم حيرانًا»[1]. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «مَثَل الذي يعلم ولا يعمل به، مَثَل السراج يضيء للناس، ويحترق نفسه»[2].. »[3].

فصل: في بيان فضيلة الكسب وآدابه[4]

وإذا عرفت نفاسة هذَين الجوهرَين فاعلم أنَّ ما سواهما باطل لا خير فيه، ولغو لا حاصل له؛ لأنَّ ما سواهما إمَّا ما لا بدَّ منه، كالقوت، أو فضلًا عن ذلك تحت النقطة.

الثالث: قال «الثالث: أن يترك الحرص، فإنَّ الحرص مذموم يجمع بصاحبه إلى الشبهة، وربَّما أوقعه في الحرام، والرزق مقسوم لا يزيده قيام حريص، ولا ينقصه قعود مجمل. فعنهم عليهم السلام: «مَن لم يعطِ قاعدًا، لم يعطَ قائمًا»[5].

(١) ظ: وجدته في كتاب جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ): ١/ ١٨٩، ١٣٩٨هـ، مطبعة بيروت، دار الكتب العلميَّة، بهذا النصِّ: «حدَّثنا أحمد بن محمَّد بن هشام قال حدَّثنا عليّ ابن عمر بن موسى قال حدَّثنا الحسن بن عبد الله أبو أحمد قال حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن موسى قال حدَّثنا يحيى بن المغيرة المخزومي قال حدَّثني أخي عن أبيه عن عثمان بن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن أبي إدريس الخولانيّ، عن أبي الدرداء، قال قال رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم: أنزل الله في بعض الكتب، أو أوحى إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقَّهون لغير الدين، ويتعلَّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون للناس مسوك الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب، وألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرُّ من الصبر، إيَّاي يخادعون، وبي يستهزؤن، لأتيحنَّ لهم فتنة تذَرُ الحِلِّيَم فيهم حيرانًا».

(٢) المصنَّف، ابن ابي شيبة: ٨/ ٢٥٠، مجمع الزوائد، الهيثمي (٨٠٧هـ): ١/ ١٨٥، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

(٣) عدَّة الداعي: ٧٠.

(٤) عدَّة الداعي: ٧٢.

(٥) نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام: ٤/ ٩٤، تحقيق وشرح: الشيخ محمَّد عبده، ط١،=

وقال ﷺ في حجَّة الوداع: «أيُّها الناس ما أعلِّم عملًا يقرِّبكم إلى الجنَّة، ويباعدكم من النار إلَّا وقد نبَّأتكم به، وحثثتكم على العمل به، وما من عمل يقرِّبكم من النار، ويباعدكم من الجنَّة إلَّا وقد حذَّرتكموه ونهيتكم عنه، ألا وأنَّ روح الأمين نفث في روعي أنَّه لا تموت نفسٌ حتَّى تستكمل رزقها، فأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، إنَّ الله قسَّم الأرزاق بين خلقه حلالًا، ولم يقسِّم حرامًا، فمن اتَّقى وصبر أتاه رزق الله، ومن هتك حجاب السِّتر وعجَّل فأخذه من غير حلِّه، قوصِص به من رزقه الحلال، وحُوسِب به يوم القيامة»[1].

وقال ﷺ لبعض أصحابه: «كيف بك إذا بقيت في قومٍ يخبِّئون رزق سنتهم، ويضعف اليقين؟ فإذا أصبحت فلا تحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدِّث نفسك بالصباح، فإنَّك لا تدري ما اسمك غدًا. ثمَّ اعمل فيما يحصل لك من الكسب على قانون السنَّة والكتاب، وإيَّاك والتبذير، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ

=١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش، مطبعة النهضة، قم، دار الذخائر، قم، ايران، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ): ١٩/ ٣٦٣، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.

(١) الكافي: ٥/ ٨٠، وظ: تهذب الأحكام: ٦/ ٣٢١، تحقيق وتعليق: السيِّد حسن الموسوي الخرسان، ط٤، ١٣٦٥ش، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، وظ: تذكرة الفقهاء، العلَّامة: ١٢/ ١٢٩، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، صفر ١٤٢٢هـ، مطبعة ستاره، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، وظ: الدروس، الشهد الأوَّل: ٣/ ١٥٩، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، ربيع الثاني ١٤١٤هـ، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، وظ: مجمع الزوائد، الهثميّ: ٤/ ٧١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، وظ: تهذيب الكمال، المزيّ: ١٣/ ٣٣٧، تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشَّار عوَّاد معروف، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾[1]..»[2]. وقال رسول الله ﷺ: «**من بذَّر أفقره الله**»[3]. وقال ﷺ: «**ما عالَ من اقتصد**»[4]! وتجب البدأة في الإنفاق بالنفس، وليجتنب التملِّي، فإنَّه يروى عنه ﷺ أنَّه قال: «**حَسبَ ابن آدم لُقيمات يُقمنَ صُلبه، فإن كان ولا بدَّ، فليكن الثلث، والثلث للشَّراب، والثلث الآخر للنفس**»[5]. وقال عليه السلام: «**أكثر الناس شبعًا أطولهم**

(١) الإسراء: ٢٧.

(٢) عدَّة الداعي: ٧٤.

(٣) مسند أحمد: ١/ ٤٤٧، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٥٢، تفسير ابن كثير (٧٧٤هـ): ٣/ ٤١، تحقيق وتقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٤) مسند أحمد: ١/ ٤٤٧، دار صادر، بيروت، لبنان، وظ: مجمع الزوائد، الهيثميّ: ١٠/ ٢٥٢، وظ: مصنَّف بن أبي شيبة: ٦/ ٢٥٢، ابن أبي شيبة الكوفيّ (٢٣٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، جمادى الآخرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، وظ: المعجم الوسيط، الطبرانيّ (٣٦٠هـ): ٥/ ٢٠٦، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، المعجم الكبير: ١٠/ ١٠٩، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢، مزيدة ومنقَّحَة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربيّ، وظ: مسند الشهاب، ابن سلَّامة (٤٥٤هـ): ٢/ ٥، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، وظ: الاستذكار، ابن عبد البرّ (٤٦٣هـ): ٨/ ٤٥٢، تحقيق: سالم محمَّد عطا، محمَّد عليّ معوَّض، ط١، ٢٠٠٠م، وظ: تفسير الثعلبيّ (٤٢٧هـ): ٩٣، تحقيق: الإمام أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربيّ، دار الكتب العلميَّة، لبنان، وظ: تفسير ابن كثير (٧٧٤هـ): ٣/ ٤١، وظ: الكتاب: الكامل، عبد الله بن عدي (٣٦٥هـ): ٣/ ٤٦٢، تحقيق وقراءة وتدقيق: يحيى مختار غزَّاوي، ط٣، محرَّم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، وظ: ميزان الاعتدال، الذهبيّ (٧٤٨هـ): ٢/ ١٧٤، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، وظ: لسان الميزان، ابن حجر (٨٥٢هـ): ٤/ ٤٧، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(٥) فتح الباري، ابن حجر (٨٥٢هـ): ٩/ ٤٦١، وظ: ١٠/ ١٠٨، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان.

جوعا يوم القيامة»[1]..»[2]

في بيان فضيلة إكرام الوالدين[3]

فصل: في أنَّ من سعادة الرجل كونه صاحب ولد صالح[4].

قال رسول الله ﷺ: «من سعادة الرجل الولد الصالح»[5]. وقال ﷺ: «الولد للوالد

(١) مسند زيد بن عليّ (١٢٢هـ): ٤٨٠، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، وظ: روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ (٥٠٨هـ): ٤٥٦، تحقيق: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم، وظ: مكارم الأخلاق، الطبرسيّ (٥٤٨هـ): ١٤٩، ط٦، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، منشورات الشريف الرضيّ، وظ: سنن ابن ماجة، محمَّد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ): ٢/ ١١١٢، تحقيق وترقيم وتعليق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، وظ: سنن الترمذيّ (٢٧٩هـ): ٤/ ٦٣، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، وظ: مجمع الزوائد، الهيثميّ: ٥/ ٣١، وظ: فتح الباري، ابن حجر: ١١/ ٢٣٦، وظ: عمدة القاري، العينيّ (٨٥٥هـ): ١١/ ٥٣، مطبعة بيروت، دار إحياء التراث العربي، المعجم الوسيط، الطبرانيّ: ٨/ ٣٧٨، وظ: الاستيعاب، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ): ١/ ١٧، تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، ط١، ١٤١٢هـ، مطبعة بيروت، دار الجيل، وظ: ضعفاء، العقيليّ (٣٢٢هـ): ٣/ ٣٦٠، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، ط٢، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، وظ: الكامل، عبد الله بن عدي (٣٦٥هـ): ٧/ ٧٥، تحقيق وقراءة وتدقيق: يحيى مختار غزَّاوي، ط٣، محرَّم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، وظ: سير أعلام النبلاء، الذهبيّ (٧٤٨هـ): ٣/ ١٢٣، تحقيق وإشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: محمَّد نعيم العرقسوسي، مأمون صاغرجي، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، وظ: ميزان الاعتدال، الذهبيّ: ٤/ ٣٤٣، تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، وظ: لسان الميزان، ابن حجر: ٦/ ٢٢٤، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(٢) عدَّة الداعي: ٧٤.

(٣) المصدر نفسه: ٧٥.

(٤) المصدر نفسه: ٧٦.

(٥) الكافي، الكلينيّ: ٦/ ٣.

ريحانة من الله قسمها بين عباده، وإنَّ ريحانتَيَّ الحسن والحسين عليهما السلام سمَّيتهما باسم سبطَي بني إسرائيل شبَّرًا وشُبيرًا»[1].

وروى الفضل بن أبي قرَّة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مرَّ عيسى ابن مريم عليه السلام بقبرٍ يعذَّب صاحبه، ثمَّ مرَّ به من قابل، فإذا هو لا يعذَّب فقال: يا ربِّ مررت بهذا القبر عام أوَّل وكان يعذَّب، ومررت به العام فإذا هو ليس يعذَّب، فأوحى الله إليه: إنَّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقًا، وآوى يتيمًا، فلهذا غفرت له بما عمل ابنه، ثمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ميراث الله عزَّ وجلَّ من عبده المؤمن ولد يعبده من بعده. ثمَّ تلا أبو عبد الله عليه السلام، آية زكريا عليه السلام: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2].. [3].

وإذًا قد عرفت ما يجب على المكتسب، وصاحب العيال من الاقتصار في الاكتساب، والإخراج، وهذا هو القانون الكلِّيّ الذي أمر به الشرع على العموم. روى عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنِّي أركب في الحاجة التي كفاها الله، ما أركب فيها إلَّا التماس أن يراني الله أضحى في طلب الحلال، أمَا تسمع قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، أرأيت لو أنَّ رجلًا دخل بيتًا وطيَّن عليه بابه، ثمَّ قال: رزقي ينزل على (من السماء)، كان يكون هذا أما أنَّه أحد الثلاثة الذين لا يُستجاب لهم دعوة. قال: قلت: مَن هؤلاء ؟ فقال عليه السلام: رجل تكون عنده المرأة فيدعو عليها فلا يُستجاب له؛ لأنَّ عصمتها في يده، لو شاء أن يخلي سبيلها، والرجل يكون له الحقُّ على الرجل، فلا يشهد عليه فيجحده حقَّه، فيدعو

(١) الكافي، الكلينيّ: ٦/ ٢.
(٢) آل عمران: ٣٨.
(٣) الكافي، الكلينيّ: ٦/ ٤.
(٤) الجمعة: ١٠.

عليه فلا يُستجاب له؛ لأنَّه ترك ما أمر به، والرجل يكون عند الشيء فيجلس في البيت فلا ينتشر، ولا يطلب، ولا يلتمس حتَّى يأكله، ثمَّ يدعو فلا يُستجاب له»[1]. فهذا التكليف العام للجمهور من الخلائق.

ثمَّ يبيِّن خطاب التكليف الخاصِّ، فيقول:

في بيان أوصاف الخواص ووظائفهم[2]

وأمَّا الخواصُّ فمنهم من تعبَّد بالاكتساب، ومنهم المتوكِّل، وهو درجة عظيمة، وصفة من صفات الصدِّيقين، ومن وصل إليها بطل عنه قيد الاهتمام، وانحلَّ عنه زمام الطلب، واضمحلَّ عنه داعية الاكتساب، وتقشَّعت عنه سحائب الغمِّ، وسحَّت عليه مُزَن الأمن، وجلس على موائد الرِّضا، وارتوى من حياض الطمأنينة. قال الله تعالى عزَّ ذِكره: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديثٍ مرفوعٍ إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله، قال: «جاء جبرائيل إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله إنَّ الله أرسلني بهديَّة لم يُعطِها أحد قبلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فقلت وما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: القناعة وأحسن منها، قلت: وما هو؟ قال: الرضا وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الزُّهد وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الإخلاص وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: اليقين وأحسن منه، قلت: وما هو ؟ قال: إنَّ مدرجة ذلك كلُّه التوكُّل على الله، قلت: يا جبرائيل

(١) مجمع البيان، الطبرسيّ: ١٠/ ١٤، وظ: فقه القرآن، القطب الراونديّ: ١/ ١٣٧.
(٢) عدَّة الداعي: ٨٢.
(٣) الطلاق: ٣.
(٤) آل عمران: ١٧٣.

وما تفسير التوكُّل على الله؟ قال: العلم بأنَّ المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يُعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من المخلوق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يزغ قلبه، ولم يخف سوى الله، ولم يطمع إلى أحد سوى الله، فهذا هو التوكُّل. قال: قلت: يا جبرائيل فما تفسير الصبر؟ قال: يصبر في الضرَّاء كما يصبر في السرَّاء، وفي الفاقة كما يصبر في الغنى، وفي الغنى كما يصبر في العافية، ولا يشكو خالقه عند المخلوق بما يصيبه من البلاء، قلت: فما تفسير القناعة؟ قال: يقنع بما يصيب من الدنيا، يقنع بالقليل ويشكر باليسير، قلت: فما تفسير الرضا؟ الراضي الذي لا يسخط على سيِّده، أصاب من الدنيا أم لم يصب، ولم يرضَ من نفسه باليسير من العمل، قلت: يا جبرائيل فما تفسير الزُّهد؟ قال: الزَّاهد يحبُّ ما من يحبُّ خالقه، ويبغض ما من يبغض خالقه، ويتحرَّج من حلال الدنيا، ولا يلتفت إلى حرامها، فإنَّ حلالها حساب، وحرامها عقاب، ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه، ويتحرَّج من كثرة الكلام فيما لا يعنيه كما يتحرج من الحرام، ويتحرَّج من كثرة الأكل كما يتحرَّج من الميتة التي قد اشتدَّ نتنها، ويتحرَّج من حطام الدنيا وزينتها كما يتجنَّب النار أن يغشاها، وأن يقصر آماله وكأنَّ بين عينيه أجله. قلت: يا جبرائيل فما تفسير الإخلاص؟ قال: الخلص الذي لا يسأل الناس شيئًا حتَّى يجد، وإذا وجد رضي، وإذا بقي عنده شيء أعطاه لله، فإن لم يسأل المخلوق، فقد أقرَّ الله بالعبوديَّة، وإذا وجد فرضي فهو عن الله راضٍ، والله تبارك وتعالى عنه راضٍ، وإذا أعطاه الله فهو جدير به، قلت فما تفسير اليقين؟ قال: الموقن الذي يعمل لله كأنَّه يراه، وإن لم يكن يرى الله فإنَّ الله يراه، وأن يعلم يقينًا أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنَّ ما أخطئه لم يكن ليصيبه، وهذا كلُّه أعضان التوكُّل، ومدرجة الزهد»[1].

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ): ٢٦١، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ١٣٧٩هـ/ ١٣٣٨ش، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة

فبدأ بتحليل الحديث القدسيّ[1]، فقال: «فانظر رحمك الله إلى حسن هذا الحديث، وما دلَّ عليه من الفوائد، وقد ذكر أنَّ الصبر والقناعة والرضا والزهد والإخلاص واليقين أمور منشعبة عن التوكُّل، وكفى بهذا مدحًا للتوكُّل، ثمَّ ذكر في حدِّ التوكُّل بأنَّ المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الناس، فهذه خمس دعائم للتوكُّل، أربعة علميَّة وواحدة عمليَّة، ولأقوام للأربعة بدون الخامس بل هو ملاكها، وعنده تظهر ثمرتها وتحمد جناها، ومن هذا يعلم أنَّه لأقوام للعلم بدون العمل، وأنَّه لا يزكو ولا ينتفع به صاحبه ما لم يعمل به، وهذا ظاهر، فإنَّ من اشتكى وجع ضرسه، وهو يعلم أنَّ الحامض يضرُّه، ثمَّ أكل حامضًا، فإنَّه يوجعه ضرسه قطعًا، ولم يكن علمه بذلك نافعًا له، حيث ترك العمل به»[2].

ثمَّ توصَّل إلى نتيجة، فقال: «ثمَّ انظر إلى النتيجة الحاصلة من الدعائم، في قوله ﷺ: «**فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله ولم يزغ قلبه**»..الخ، وهو ثلاثة أمور:

الأوَّل: الإخلاص؛ لأنَّه إذا تحقَّق كون المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع، لم يعمل له، ولم يطلب المنزلة في قلبه، فانحسم عنه داعية الرِّيا، فلم يزغ قلبه، وبقي مستقيمًا بإخلاصه وإيقاعه لعبادته على وجهها اللائق بها.

الثاني: العزَّة بتمام الغنى عن الناس في قطع الطمع منهم؛ لأنَّ من تحقَّق أن لا مُعطي من الخلق لم يرجُه، واعتمد برجائه على ربِّه؛ لأنَّه المعطي لا غيره.

الثالث: نيل الأمن وعدم الخوف من سائر المخلوقات، وعامَّة المؤذيات، ولهذا كان المخلصون والعباد والسيَّاح يمرُّون على السباع غير مكترثين بها، فإنَّ

(١) عدَّة الداعي: ٨٤.

(٢) المصدر نفسه: ٨٥.

مـن تيقَّـن أنَّ المخلـوق لا يـضرُّ، لم يخـف منـه، وكان اعتقـاده في السـبع كاعتقاده في البقية»[1].

ثـمَّ عضد تحليلـه للنصـوص برواية، فقـال: «وحدَّث أبـو حازم عبـد الغفار بن الحسـن قال: «قدم إبراهيم بن أدهم الكوفة وأنا معه، وذلك على عهد المنصور، وقدِمها أبـو عبـد الله جعفر بـن محمَّد بن عـليّ العلـويّ، فخرج جعفـر بن محمَّـد الصادق عليه السلام يريـد الرجوع إلى المدينة، فشـيَّعه العلماء وأهـل الفضل من الكوفة، وكان فيمن شـيَّعه الثوريّ وإبراهيم بن آدم، فتقدَّم المشـيِّعون له عليه السلام، فإذا هم بأسـد على الطريق، فقال لهم إبراهيـم بن أدهم: قفوا حتَّى يـأتي جعفر عليه السلام، فننظر ما يصنع، فجاء جعفر عليه السلام، فذكروا له حال الأسـد، فاقبل أبو عبد الله عليه السلام حتَّى دنا من الأسـد، فأخـذ بأُذنه حتَّى نحَّاه عن الطريـق، ثـمَّ أقبل عليهم فقـال: **أمَّا أنَّ الناس لـو أطاعوا الله حقَّ طاعتـه؛ لحملوا عليه أثقالهم**»[2].

وقال جويرية بن مسـهر: «خرجت مع أمير المؤمنين نحو بابل لا ثالث لنا، فمضى وأنا سـائر في السـبخة، فإذا نحن بالأسـد جاثمًا بالطريق، ولبوته خلفه، وشـبال اللبوة خلفها، فكبحت دابَّتي لأن أتأخَّر، فقال: **أقدم يا جويرية فإنما هو كلب الله، وما من دابة إلَّا الله هو آخذ بنا صيتها لا يكفي شرها إلَّا هو**، فإذا أنا بالأسد قد أقبل نحوه، يبصبص له بذَنَبه، فدنا منه، فجعل يمسح قدمه بوجهه، ثمَّ أنطقه الله عزَّ وجلَّ، فنطق بلسان طلق ذلق، فقـال: السـلام عليك يا أمير المؤمنـين ووصي خاتم النبيِّين. فقال عليه السلام: **وعليك السـلام يا حيدرة، ما تسـبيحك**؟ قال أقول: سبحان ربِّي، سبحان إلهي، سبحان مَن أوقع المهابة والمخافة في قلوب عباده منِّي، سبحانه سبحانه.

(١) عدَّة الداعي: ٨٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شـهر آشـوب (٥٨٨هـ): ٣/ ٣٦٦، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف.

فمضى أمير المؤمنين وإنا معه، واستمرت بنا السبخة، وضاقت وقت العصر، ووافت صلاة العصر، فأهوى فوتها ثمَّ قلت في نفسي مستخفيًا: ويلك يا جويرية أأنت أظنُّ أم أحرص من أمير المؤمنين؟ وقد رأيت من أمرِ الأسد ما رأيت.

فمضى وأنا معه حتَّى قطع السبخة، فثنى رجليه ونزل عن دابَّته، وتوجَّه فأذَّن مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى، ثمَّ همس بشفتيه، وأشار بيده، فإذا الشمس قد طلعت في موضعها من وقت العصر، وإذا لها صرير عند مسيرها في السماء، فصلَّى بنا العصر، فلمَّا انفتل، رفعت رأسي فإذا الشمس بحالها، فما كان إلَّا كلمح البصر، فإذا النجوم قد طلعت، فأذَّن وأقام وصلَّى المغرب، ثمَّ ركب وأقبل عليَّ فقال:

يا جويرية أقلت: هذا ساحر مفترٍ؟ وقلتَ لـمَّا رأيت طلوع الشمس وغروبها: أفسحر هذا أم زاغ بصري ساحر، فما ألقى الشيطان في نفسك ما رأيت من أمر الأسد؟ وما سمعت من منطقه؟ ألم تعلم أن الله ﷻ يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، يا جويرية إنَّ رسول الله ﷺ كان يوحى إليه، وكان رأسه في حجري، فغربت الشمس، ولم أكن صلَّيت العصر، فقال ﷺ لي صلَّيت العصر؟ فقلت: لا، قال ﷺ: اللهمَّ إنَّ عليًّا كان في طاعتك وحاجة نبيِّك، ودعا بالاسم الأعظم، فرُدَّت عليَّ الشمس، فصلَّيت مطمئنًّا، ثمَّ غربت بعدما طلعت، فعلَّمني، بأبى هو وأمِّي، ذلك الاسم الذي دعا به، فدعوت به الآن. يا جويرية إنَّ الحقَّ أوضح في قلوب المؤمنين من قذف الشيطان فإنِّي قد دعوت الله بنسخ ذلك من قلبك، فماذا تجد؟ فقلت: يا سيِّدي قد محي ذلك من

(١) الأعراف: ١٨٠.

قلبي»[1]..[2].

فصل: تحليل الرواية

«واعلم أنَّ في قوله: فإذا لم يسأل المخلوقين، فقد أقرَّ بالعبودية لله، دليل على ضعف إيمان السائل، وقوَّة إيمان الراجي؛ لأنَّه لـمَّا نفى أن يكون هناك معطٍ غير الله، أعرض بمسألته عن غير الحقِّ، فخلص توحيده، وتمَّت عبوديَّته»[3].

وبعد تحليل الرواية، يضع تعضيدًا لرأيه، فيقول:

(١) والنصُّ بدأ من «يوحى إليه، وكان رأسه في حجري.. قد محى ذلك من قلبي». ظ: قرب الإسناد، الحميريّ القمِّيّ (٣٠٠هـ): ١٧٥، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١ ١٤١٣، مطبعة مهر، قم، وظ: من لا يحضره الفقيه، الصدوق (٣٨١هـ): ١/ ٢٠٣، تحقيقوتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، وظ: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٢/ ١٤٤، العقد النضيد والدرّ الفريد، محمَّد بن الحسن القمِّيّ (ق ٧هـ): ١٩٢، تحقيق: علي أوسط الناطقي، سيِّد هاشم شهرستاني، لطيف فرادي، ط١، ١٤٢٣هـ/ ١٣٨١ش، دار الحديث للطباعة والنشر، وظ: المعجم الكبير، الطبرانيّ (٣٦٠هـ): ٢٤/ ١٥١، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، وظ: الإكمال في أسماء الرجال، الخطيب التبريزيّ (٧٤١هـ): ١٤٩، تحقيق وتعليق: أبي أسد الله بن الحافظ محمَّد عبد الله الأنصاري، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام، وظ: ميزان الاعتدال، الذهبيّ: ٣/ ١٧٠، وظ: لسان الميزان، ابن حجر: ٤/ ٢٧٦، وظ: البداية والنهاية، ابن كثير (٧٧٤هـ): ٦/ ٩١، تحقيق وتدقيق وتعليق: عليّ شيري، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، وظ: إمتاع الأسماع، المقريزيّ (٨٤٥هـ): ٥/ ٣٠، تحقيق وتعليق: محمَّد عبد الحميد النميسي، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، وظ: جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ عليه السلام، ابن الدمشقيّ (٨٧١هـ): ١/ ١١٠، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، ط١، ١٤١٥هـ، مطبعة: دانش، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم، إيران.

(٢) عدَّة الداعي: ٨٧-٨٨.

(٣) المصدر نفسه: ٨٨.

وفي هذا المعنى ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1]، قال: «**هو قول الرجل: لولا فلان لهلكت، ولولا فلان لما أُصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي، ألا ترى أنَّه قد جعل لله شريكًا في مُلكه، يرزقه ويدفع عنه؟** قلت: فيقول: لولا أنَّ الله منَّ عليَّ بفلان لهلكت، قال: **نعم لا بأس بهذا ونحوه**»[2].

قال عليه السلام: «**شيعتنا من لا يسأل الناس شيئًا، ولو مات جوعًا، ولهذا السرُّ ردَّت شهادته، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: شهادة الذي يسأل في كفِّه تُردُّ**»[3].

ونظر عليّ بن الحسين عليه السلام يوم عرفة إلى رجال يسألون الناس، فقال: «**هؤلاء شرار من خلق الله، الناس مقبلون على الله، وهم مقبلون على الناس**»[4].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «**لو يعلم السائل ما عليه من الوزر، ما سأل أحدٌ أحدًا، ولو يعلم المسؤول ما عليه إذا منع، ما منع أحدٌ أحدًا**»[5].

في بيان توصيف الجنَّة ونعيمها[6]

ومن هذا قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصَف لك من نعيمها؛ لزهقت نفسك، ولتحمَّلت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالًا**

(١) يوسف: ١٠٦.

(٢) تفسير العيَّاشي، محمَّد بن مسعود (٢٣٠هـ): ٢/ ٢٠٠، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيِّد هاشم الرسوليّ المحلَّاتي، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران، وظ: مجمع البيان، الطبرسيّ: ٥/ ٤٦٢.

(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ١٣٨.

(٤) بحار الأنوار: ٩٦/ ٢٦١.

(٥) جامع السعادات، ملَّا محمَّد مهدي النراقيّ (١٢٠٩هـ): ٢/ ٧٦، تحقيق وتعليق: السيِّد محمَّد كلانتر، تقديم: الشيخ محمَّد رضا المظفَّر، ط٤، مطبعة النعمان النجف الأشرف.

(٦) عدَّة الداعي: ٩٨.

لها، وشوقا إليها»[1]. وهذه المبالغة حاصلة من الوصف، فكيف المشاهدة؟ وقد ورد عنهم عليهم السلام: «كلُّ شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكلُّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه»[2]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[3].

في مذمَّة الدنيا وبيان بينونتها مع الآخرة[4]

وكذا يروى عن سيِّدنا أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه لمَّا كان يفرغ من الجهاد، كلن يتفرَّغ لتعليم الناس والقضاء بينهم، فإذا يفرغ من ذلك، اشتغل في حائط له يعمل فيه بيده، وهو مع ذلك ذاكر لله جلَّ جلاله. روى الحكم بن مروان عن جبير بن حبيب، قال: «نزل بعمر بن خطَّاب نازلة قام لها وقعد، تربح لها ترنح وتقطر، ثمَّ قال: معشر المهاجرين ما عندكم فيها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين أنت المفزع والمنزع، فغضب وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[5]، أما والله أنا وإيَّاكم لنعرف ابن بجدتها، والخبير بها. قالوا: كأنَّك أردت بن أبي طالب عليه السلام، قال: وأنَّى يعدل بي عنه؟ وهل طفحت جرَّة نفحت حرَّة بمثله؟ قالوا: فلو بعثت إليه، قال: هيهات هناك شمخ من هاشم، ولحمة من الرسول، وأثرة من علم يؤتى لها ولا يأتي، امضوا إليه، فأقصفوا نحوه، وأفضوا إليه، وهو في حايط له عليه تبان، وهو يتركل على مسحاته، وهو يقول: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾[6]، ودموعه تهمي على خدَّيه، فأجهش القوم لبكائه، ثمَّ سكن وسكنوا، وسأله عمر عن مسألته، فأصدر إليه جوابها، فلوى عمر يديه ثمَّ

(١) نهج البلاغة، من خطب الإمام عليّ عليه السلام: ٢/ ٧٦، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/ ٢٧٨.
(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمَّد عبده: ١/ ٢٢٥، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش، مطبعة النهضة، قم، دار الذخائر، قم، إيران.
(٣) الإنسان: ٢٠.
(٤) عدَّة الداعي: ١٠٠.
(٥) الاحزاب: ٧٠.
(٦) القيامة: ٣٦-٣٧.

قـال: أما والله لقد أرادك الحقُّ، ولكن أبـى قومك، فقال عليه السلام له: **يا أبا حفص عليك من هنـا ومن هنا** ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾[1]، فانصرف وقد أظلمَّ وجهه، وكأنَّما ينظر إليه من ليل»[2].

في مذمَّة المتوغِّلين في الدنيا، ومدح الفقراء، وخفَّة حسابهم[3]

في الخـبر النبـويّ صلى الله عليه وآله: «**أنَّه يُفتح للعبد يوم القيامة على كلِّ يـوم من أيَّام عمره أربع وعشرون خزانة، عدد ساعات الليل والنهار، فخزانة يجدها مملوءة نورًا وسرورًا، فيناله عند مشـاهدتها من الفرح والسرور ما لو وُزِّع على أهل النار لأدهشـهم عن الإحساس بألم النار، وهي السـاعة التي أطاع فيها ربَّه، ثمَّ يُفتح له خزانة أخرى فيراها مظلمة متنَّنة مفزعـة، فيناله منها عند مشـاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسِّـم عـلى أهل الجنَّة لنقص عليهم نعيمها، وهي السـاعة التي عصى فيها ربَّه، ثمَّ يفتح له خزانة أخرى فيراها خالية ليـس فيها ما يسرُّه ولا يسـوؤه، وهي السـاعة التي نـام فيها، أو اشـتغل فيها بشيء من مباحـات الدنيا، فيناله من الغبن والأسـف على فواتها حيـث كان متمكِّنا من أن يملأها حسـنات ما لا يوصف، ومن هذا قوله تعالى:** ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[4].. »[5].

(١) النبأ: ١٧.

(٢) الطرائـف في معرفة مذاهب الطوائف، السـيِّد ابن طاووس (٦٦٤هـ): ٤٤٢، ط١، ١٣٩٩، مطبعة الخيام، قم، وظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي لحديد (٦٥٦هـ): ١٢/ ٧٩.

(٣) عدَّة الداعي: ١٠١.

(٤) التغابن: ٩.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ (٦٧٩هـ): ٢/ ٣٢٠، عني بتصحيحه عدَّة من الأفاضل، وقُوبِل بعدَّة نسخ موثوق بها، ط١، تابستان ١٣٦٢ش، مطبعة چاپخانه، دفتر تبليغات اسلامي، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلاميّ، الحوزة العلميَّة، قم، إيران.

فصل: ليبيِّن المصنِّف المباحات والشهوات التي تمنع الإنسان من أن ينال الدرجات العلى، فيقول: «ولا تأخذ بقول من يقول أنا أتنعَّم في الدنيا بما أباحه الله تعالى، وأقوم بالواجبات، وإخراج الحقوق و: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1]، فأتنعَّم بما أباحه الله من طيِّب المآكل اللذيذة، والملابس السنيَّة، والمراكب الفاخرة، والدور العامرة، والقصور الباهرة، ولا يمنعني ذلك من الاستباق إلى الجنَّة مع السابقين، بل ينبغي أن تعلم أنَّ هذا مقالة أهل حمقٍ وغرور، وذلك من وجوه:

الأوَّل: إنَّ المتوغِّل في فضول الدنيا لا ينفكُّ عن الحرص المهلك الموقع في الشبهات، ومن تورَّط في الشبهات هَلَك لا محالة.

الثاني: إن سلم من الحرص، وأنَّى له بالسلامة عنه؟ لم يسلم من الفظاظة، وقساوة القلب، والتكبُّر، كيف لا ؟ وهو تعالى يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[2]. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إيَّاكم وفضول المطعم؛ فإنَّه يسمُ القلب بالقسوة**»[3]. وروى حسَّان ابن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ رجلًا فقيرًا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنده رجل غنيّ،**

(١) الأعراف: ٣٢.

(٢) العلق: ٦ ٧.

(٣) جاءت غير مجتزأة في الفتوح المكيَّة، ابن عربيّ (٦٣٨هـ): ٤/ ٥٤٣، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إيَّاكم وفضول المطعم، فإن فضول المطعم يسمُ القلب بالقساوة، ويُبطئ بالجوارح عن الطاعة، ويصمُّ الهمم عن سماع الموعظة، وإيَّاكم وفضول النظر، فإنَّه يبذر الهوى ويولد الغفلة، وإيَّاك واستشعار الطمع، فإنَّه يشرب القلب شدَّة الحرص، ويختم على القلوب بطابع حبِّ الدنيا، فهو مفتاح كلِّ سيِّئة، وسبب إحباط كلِّ حَسَنة**»، وظ: أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ (ق ٨هـ): ٣٣٩، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. قم، الناشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. قم

فكفَّ ثيابه وتباعد عنه، فقال له رسول الله ﷺ: ما حملك على ما صنعت، أَخَشيت أن يلصق فقره بك، أو يلصق غناك به؟ فقال: يا رسول الله، أمَّا إذا قلت هذا، فله نصف مالي، قال رسول الله ﷺ للفقير: أتقبل منه؟ قال: لا، قال ﷺ: ولمَ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخله»[1]. وعنه عليه السلام قال في الإنجيل: «**إنَّ عيسى عليه السلام قال: اللهمَّ ارزقني غدوة رغيفًا من شعير، وعشية رغيفًا من شعير، ولا ترزقني فوق ذلك فأطغى، وكما أن الخائض في الماء يجد بللًا لا محالة، كذلك صاحب الدنيا يجد على قلبه رينًا وقسوةً لا محالة**»[2].

الثالث: إن يخرج من قلبه حلاوة العبادة والدعاء، وقد نبَّه عليه عيسى عليه السلام فيما عرفت.

الرابع: شدَّة الحسرة عند مفارقة الدنيا، والفقير على العكس من ذلك.

وعن الصادق عليه السلام: «**من كثر اشتباكه بالدنيا، أشدّ حسرة عند فراقها**»[3].

الخامس: كون الفقراء هم السابقون إلى الجنَّة، والأغنياء في عرصات القيامة للحساب. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**تخفَّفوا تلحقوا إنَّما ينتظر بأوَّلكم آخركم**»[4]. وتحسَّر سلمان الفارسيّ رضوان الله عليه عند موته، فقيل له:

(١) إرشاد القلوب، الحسن بن محمَّد الديلميّ (ق ٨هـ): ١/ ١٥٩، المجموعة: مصادر سيرة النبيّ والأئمَّة عليهم السلام، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٣٧٤ش، مطبعة: أمير، قم، انتشارات الشريف الرضيّ.

(٢) بحار الأنوار: ١٤/ ٣٢٦.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٢٠، وظ: مشكاة الأنوار، عليّ الطبرسيّ (ق ٧هـ): ٤٧٣.

(٤) من كلام لأمير المؤمنين مُجتزأ من خطبة له، ظ: نهج البلاغة، خطب أمير المؤمنين: ١/ ٥٨، خصائص الأئمَّة، الشريف الرضيّ (٤٠٦هـ)، تحقيق: محمَّد هادي الأميني، ربيع الثاني ١٤٠٦، وظ: روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ (٥٠٨هـ): ٤٩٠، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم، وظ: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ١/ ٣٢٦، وظ: عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمَّد الليثي الواسطيّ (ق٦هـ): ٢٠٣،=

«على ما تأسُّفك يا أبا عبد الله؟ قال: ليس تأسُّفي على الدنيا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا، وقال: **لتكن بلغة أحدكم كزاد الراكب**، وأخاف أن نكون قد جاوزنا أمره، وحولي هذه الأساود، وأشار إلى ما في بيته، وإذا هو دست وسيف وجفنة»[1].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: «يا رسول الله صلى الله عليه وآله الخائفون الخاشعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرًا يسبقون الناس إلى الجنَّة؟ قال صلى الله عليه وآله: **لا، ولكن فقراء المؤمنين يأتون فيتخطَّون رقاب الناس، فيقول لهم خَزَنة الجنَّة: كما أنتم حتَّى تُحاسَبوا، فيقولون: بمَ نُحاسَب؟ فو الله ما ملكنا فنجور ونعدل، ولا أُفيض علينا فنقبض ونبسط، ولكن عبدنا ربَّنا حتَّى آتانا اليقين**»[2]. روى محمَّد بن يعقوب عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إنَّ الفقراء المؤمنين ليتقلَّبون في رياض الجنَّة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا، ثمَّ قال: سأضرب لكم مثلًا، إنَّما مَثَل ذلك مَثَل سفينتَين مرَّ بهما على باخس، فنظر في أحديهما فلم يجد فيها شيئًا، فقال: أسربوها، ونظر في الأخرى فإذا هي موقَّرة، فقال: احبسوها**»[3].

روى داوود بن النعمان عن إسحاق بن عمَّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا كان يوم**

=تحقيق: الشيخ حسين الحسينيّ البيرجنديّ، ط١، مطبعة دار الحديث، وظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٣٠١، وظ: تفسير مجمع البيان: ٤/ ٤٠، وظ: تاريخ الطبريّ، الطبريّ (٣١٠هـ): ٣/ ٤٥٧، تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلَّاء، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، محمَّد بن طلحة الشافعيّ (٦٥٢هـ): ١٥٧، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطيَّة.

(١) روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ: ٤٩٠، باختلاف في الألفاظ.

(٢) الأمالي، الطوسيّ (٤٦٠هـ): ٥٣٢، وظ: مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٤٦٣.

(٣) الأمالي، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: حسين الأستاد ولي، عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب، كلاهما من أهل الجنَّة، فقير في الدنيا، وغني في الدنيا، فيقول الفقير: يا ربِّ على ما أُوقف؟ فوعزَّتك إنَّك لتعلم أنَّك لم تولِّني ولاية، فاعدل فيها أو أجور، ولم تملِّكني مالًا، فأؤدِّي منه حقًا أو أمنع، ولا كان رزقي يأتيني فيها إلَّا كفافًا أعلى ما علمت وقدَّرت لي؟.

فيقول الله تبارك وتعالى: صَدَقَ عبدي خلُّوا عنه حتَّى يدخل الجنَّة، ويبقى الآخر حتَّى يسيل منه العرق ما لو شربه أربعون بعيرًا لأصدرها، ثمَّ يدخل الجنَّة، فيقول له الفقير: ما حَبَسك؟ فيقول: طول الحساب، ما زال يجيئني الشيء فيغفر الله بي، ثمَّ أُسأل عن شيء آخر حتَّى تغمَّدني الله منه برحمته، وألحقني بالتائبين، فمن أنت؟ فيقول له: أنا الفقير الذي كنت معك آنفًا، فيقول: لقد غيَّرك النعيم بعدي»[1].

السادس: مصادفة إكرام الله الفقير يوم القيامة وتعطُّفه عليه.

وقال الصادق عليه السلام: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليتعذر إلى عبده المؤمن المحوج كان في الدنيا، كما يعتذر الأخ إلى أخيه، فيقول: فوعزَّتي وجلالي، ما أفقرتك لهوان كان بك عليَّ، فارفع هذا الغطاء، فانظر إلى ما عوَّضتك من الدنيا، فيكشف فينظر ما عوَّضه عزَّ وجلَّ من الدنيا، فيقول: ما ضرَّني يا ربُّ ما زويت عنِّي مع ما عوَّضتني»[2].

السابع: إنَّ الفقر حِلية الأولياء، وشعار الصالحين، ففيما أوحى الله تعالى إلى موسى: «إذا رأيت الفقر مقبلًا، فقُل: مرحبًا بشِعَار الصالحين، وإذا رأيت الغِنى مقبلًا،

(١) الأمالي، الصدوق (٣٨١هـ): ٤٤١، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ، وظ: روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ: ٤٥٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٩/ ٥٥.

فقُل: ذنب عجّلت عقوبته»[1]..[2].

في بيان اكتفاء الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بالضيق من العيش[3]

ثمَّ انظر في قصص الأنبياء عليهم السلام، وخصاصتهم، وما كانوا فيه من ضيق العيش، فهذا موسى كليم الله عليه السلام الذي اصطفاه بوحيه وكلامه، كان يرى خضرة البقل من صفاق بطنه من هزاله، وما طلب حين آوى إلى الظلّ بقوله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[4]، وتشذّب لحمه.

في بيان أنَّ الأغنياء المترفَين هم المقدَّمون لجحود الشرايع[5]

فصل: تعقيب المصنِّف: «وكيف يرغب العاقل عن حبِّ المسكنة والمساكين، وهو يرى الأولياء والأوصياء على هذه الأوصاف؟ بل وظيفة القيام بخدمة الصانع، وامتثال أوامر الرُّسل والشرايع، وإحياء دين الله، وإعزاز كلمته، ونصرة الرسل، وانتشار دعواهم من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله، لم يقم إلَّا بأولي الفقر والمسكنة، أوَ لا تسمع ما قصَّ الله سبحانه وتعالى عليك في كتابه العظيم على لسان نبيِّه الكريم؟ وأبان لك أنَّ المتصدِّي لإنكار الشرايع، والمقدِم على جحود الصانع، إنَّما هم الأغنياء المترفون، والأشراف المتكبِّرون، فقال مُخبرًا عن قوم نوح، إذ عيَّروه وازدرؤا العصابة

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٦٣، الامالي، الصدوق: ٧٥٦، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٤٤٧، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/ ٢٦٦، تفسير القمّيّ، عليّ بن إبراهيم القمّيّ (٣٢٩هـ): ١/ ٢٠٠، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: السيِّد طيِّب الموسويّ الجزائريّ، ط٣، صفر ١٤٠٤، مؤسَّسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم، إيران، تفسير السمرقنديّ، أبو الليث السمرقنديّ (٣٨٣هـ): ١/ ٤٦٨، تحقيق: د. محمود مطرجي، بيروت، دار الفكر، تفسير القرطبيّ: ٦/ ٤٢٦.

(٢) عدَّة الداعي: ١٠٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٧.

(٤) القصص: ٢٤.

(٥) عدَّة الداعي: ١١١.

الذين اتَّبعوه، وهم فيما قالوه متبجِّحون: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾[1]، ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾[2]، وقالوا لشعيب: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾[3]، وقال المستكبرون من قوم صالح للذين استُضعِفوا لمن آمن منهم: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾[4]، وقال بنو يعقوب: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾[5]، وقال فرعون مزدريًا لموسى ومفتخرًا عليه: ﴿فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ﴾[6]، وقالوا لمحمَّد ﷺ: ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۖ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾[7]، ﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا﴾[8]، ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ﴾[9]، يعنون مكَّة والطائف، والرجلان أحدهما المغيرة من مكَّة، وقيل: الوليد ابنه، وأبو مسعود عروة بن مسعود الثقفيّ من الطائف، وقيل:

(١) الشعراء: ١١١.
(٢) هود: ٢٧.
(٣) هود: ٩١.
(٤) الأعراف: ٧٥.
(٥) يوسف: ٨٨.
(٦) الزخرف: ٥٣.
(٧) الفرقان: ٨.
(٨) الإسراء: ٩١.
(٩) الزخرف: ٣١.

حبيب بن عمر والثقفيّ من الطائف، وإنَّما قالوا ذلك؛ لأنَّ الرجلَين إنَّما كانا عظيمَي قومهما، وذوي الأموال الجمَّة فيهما، فكفى بهذا وأمثاله مدحًا وفخرًا للمسكنة والقلَّة، وذمًّا للشرف والكثرة[1]، كيف لا، وهو تعالى يقول لعيسى: **يا عيسى أنِّي قد وهبت لك حبَّ المساكين ورحمتهم، تحبُّهم ويحبُّونك، يرضون بك إمامًا وقائدًا، وترضى بهم صحابةً وتبعًا، وهما خلقان مَن لقيني بهما لقيني بأزكى الأعمال وأحبّها إليَّ**»[2].

في بيان المنقطعين إلى الله وإجابة دعائهم تحت عنوان فصل[3]

قال: «ومن المجابين من لا يعتمد في حوائجه على غير الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[4]. روى حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئًا إلَّا أعطاه، فليأس من الناس كلّهم، ولا يكون له رجاء إلَّا من عند الله، فإذا علم الله ذلك من قلبه، لم يسأله شيئًا إلَّا أعطاه**»[5]. وفيما وعظ الله تعالى

(١) بحار الأنوار: ٩/ ١٤٩، وظ: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشميّ الخوئيّ (١٣٢٤هـ): ٩/ ٨٥، تحقيق: سيِّد إبراهيم الميانجي، ط٤، مطبعة الإسلاميَّة بطهران، بنياد فرهنگ امام المهدي عليه السلام.

(٢) الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطيّ (٩١١هـ): ٢/ ٢٧، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. الحديث «وأخرج أحمد عن وهب بن منبه، قال: أوحى الله إلى عيسى عليه الصلاة والسلام: **إنِّي وهبت لك حبَّ المساكين ورحمتهم، تحبُّهم ويحبُّونك، ويرضون بك إمامًا وقائدًا، وترضى بهم صحابةً وتبعًا، وهما خلقان، اعلم أنَّ من لقيَني بهما لقيني بأزكى الأعمال وأحبّها إليَّ**».

(٣) عدَّة الداعي: ١٢٢.

(٤) الطلاق: ٣.

(٥) فقه الرضا، عليّ بن بابويه (٣٢٩هـ): ٣٦٧، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرَّفة، ط١، شوَّال ١٤٠٦هـ، المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدَّسة، وظ: الكافي، الشيخ الكلينيّ: ٨/ ١٤٣، وظ: الأمالي، المفيد (٤١٣هـ): ٢٧٤، تحقيق: حسين الأستاد ولي،=

به عيسى: «يا عيسى ادعني دعاء الحزين الغريق الذي ليس له مغيث، يا عيسى سلني ولا تسأل غيري، فيحسن منك الدعا ومنِّي الإجابة، ولا تدعني إلَّا متضرِّعا إليَّ، وهمُّك همًّا واحدًا، فإنَّك متى تدعني كذلك أُجِبك»[1]..»[2].

الباب الرابع: في كيفيَّة الدعا[3]

وله آداب، ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

فمنها: ما يكون قبل الدعا، كالطهارة، وشمُّ الطِّيب، واستقبال القبلة، والصَّدقة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[5]، أي وليتحقَّقوا أنِّي قادر على إعطائهم ما سألوا.

فصل: ومن الآداب حسن الظنِّ بمالك العباد في إجابته[6]

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[7].

=عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الأمالي، الطوسيّ: ٣٦.

(١) الكافي، الكلينيّ: ٨/ ١٣٣، الأمالي، الصدوق: ٦٠٨، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ (ق٨هـ): ٢٢٨، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

(٢) عدَّة الداعي: ١٢٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٣١.

(٤) المجادلة: ١٢.

(٥) البقرة: ١٨٦

(٦) عدَّة الداعي: ١٣٤.

(٧) الأعراف: ٥٦.

وتحت عنوان فصل، يوضح المصنِّف قوله تعالى:

وكيف لا يحسَن الظنُّ به، وهو أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وهو الذي سبقت رحمته غضبه.

وقال الصادق عليه السلام: «**تدخل على الميت في قبره الصلاة والصوم والحجّ والصدقة والدعا والبر، ويكتب أجره للذي يفعله وللميت**»(١)، وقال عليه السلام: «**من عمل من المسلمين عن ميت عملًا خيرًا، ضعَّف الله له أجره، ونفع الله به الميت**»(٢). ومن ذلك ما أمر به نبيه صلى الله عليه وآله في قوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾(٣).

فانظر كيف قرَن الأمر بالاستغفار مع شهادة التوحيد التي هي أسُّ الإسلام، وعليها مدار الأحكام، وهل هذا إلَّا غاية العناية وأتمُّ الرحمة وأكمل الفضل؟ ثمَّ أكَّد البيان بالمقال في هذا المثال، مع ما أظهر من شواهد الحال: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وتوعَّد مَن أساء ظنَّه به، وغضب عليه، ومن أوضح الأدلَّة على وفور كرمه ومحبَّته لحسن الظنِّ به، وأنَّه يحقِّق ظنَّ عبده به إذا كان حسنًا، لا يخلفه لا محالة ما أمر به سبحانه من التوكُّل عليه، فقال عزَّ من قائل: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٤)، وكفاك بهذه الآية حثًّا على التوكُّل، وترغيبًا فيه، حيث جعله شرط الإيمان، ثمَّ أكَّد

(١) من لا يحضره الفقيه: ١/ ١٨٥، وظ: وسائل الشيعة: ٢/ ٤٤٤، بحار الأنوار: ٧٩/ ٦٢.

(٢) المعتبر، المحقِّق الحِلِّيّ: ١/ ٣٤٠، تحقيق وتصحيح: عدَّة من الأفاضل، إشراف: ناصر مكارم شيرازيّ، ١٣٦٤/ ٣/ ١٤ ش، مطبعة مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مؤسَّسة سيِّد الشهداء عليه السلام، قم، تذكرة الفقهاء، العلَّامة الحِلِّيّ: ٢/ ١٢٢، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، صفر ١٤١٤هـ، مطبعة مهر، قم.

(٣) محمَّد: ١٩.

(٤) المائدة: ٢٣.

سبحانه ذلك بتبشيره لهم بالمجازات والكفاية والأفضال والرعاية لما ثابوا إلى هذا النداء الجليل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[1]، ثمَّ زاد في سرورهم بالبشارة لهم بمصادقة قبوله ومحبَّته، فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2].

وسئل الصادق عليه السلام: «عن حدِّ التوكُّل، فقال: **ألَّا تخاف مع الله شيئًا، فكان عقد التوكُّل ومداره على حسن الظنِّ بالله؛ لأنَّ الذي لا تخاف مع الله شيئًا، لا بدَّ وأن يكون حسن الظنِّ به، ثمَّ انظر إلى ما ورد عن سادات الأنام في هذا المعنى من الكلام**»[3].

روى عن العالم عليه السلام أنَّه قال: «والله ما أعطى مؤمن قطُّ خير الدنيا والآخرة إلَّا بحسن ظنِّه بالله عزَّ وجلَّ، ورجائه له، وحسن خلقه، والكفِّ عن اغتياب المؤمنين، والله تعالى لا يعذِّب عبدًا بعد التوبَّة والاستغفار إلَّا بسوء ظنِّه وتقصيره في رجائه الله عزَّ وجلَّ، وسوء خلقه، واغتيابه المؤمنين، وليس يحسن ظنُّ عبد مؤمن بالله عزَّ وجلَّ، إلَّا كان الله عند ظنِّه؛ لأنَّ الله كريم يستحيي أن يخلف ظنَّ عبده ورجائه، فأحسِنوا الظنَّ بالله، وارغبوا إليه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ

(١) آل عمران: ١٧٣-١٧٤.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) ظ: الكافي، الكلينيّ: ٢/ ٥٧، والحديث «الحسين بن محمَّد، عن معلَّى بن محمَّد، عن الحسن بن عليّ الوشَّاء، عن المثنَّى بن الوليد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **ليس شيء إلَّا وله حدٌّ**. قال: قلت: جُعلت فداك فما حدُّ التوكُّل ؟ قال: **اليقين**، قلت: فما حدُّ اليقين؟ قال: **ألَّا تخاف مع الله شيئًا**»، وظ: وسائل الشيعة: ١٥/ ٢٠٢، وظ: بحار الأنوار: ٦٧/ ١٤٢.

مَصِيرًا﴾[1]..[2]. وروي: «أنَّ الله تعالى إذا حاسب الخلق، يبقى رجل قد فضلت سيِّئاته على حسناته، فتأخذه الملائكة إلى النار، وهو يلتفت، فيأمر الله تعالى بردِّه، فيقول له: لِمَ تلتفت؟- وهو أعلم به- فيقول: يا ربِّ ما كان هذا حسن ظنِّي بك. فيقول الله تعالى: ملائكتي وعزَّتي وجلالي، ما أحسن ظنَّه بي يومًا، ولكن انطلقوا به إلى الجنَّة لادِّعائه حسن الظنِّ بي»[3].

وقد روي: «أنَّ إبراهيم عليه السلام كان يسمع تأوُّهه على حدِّ ميل، حتَّى مدحه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[4]، وكان في صلاته يُسمَع له أزيز كأزيز المرجل»[5].

وتحت عنوان فصل:

ومن الشروط أن لا يسأل محرمًا، ولا قطيعة رحم، ولا يتضمَّن قلَّة الحياء وإساءة الأدب[6].

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[7]، أي تخشُّعًا وتذلُّلاً سرًّا ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، أي: لا يتجاوز الحدَّ في دعائه، كأن يطلب في دعائه منازل الأنبياء. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا صاحب

(١) الفتح: ٦.
(٢) فقه الرضا، عليّ بن بابويه (٣٢٩هـ): ٣٦٠، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ (ق ٨هـ): ٤٥٥، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.
(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٢٥٦.
(٤) هود: ٧٥.
(٥) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٢٤٦.
(٦) عدَّة الداعي: ١٣٩.
(٧) الأعراف: ٥٥.

الدعا لا تسأل ما لا يكون، ولا يحلّ»[1]. وقال عليه السلام: «**من سأل فوق قدره؛ استحقَّ الحرمان**»[2].

القسم الثاني فيما يقارن حال الدعاء من الآداب[3]

وهي أمور:

الرابع: الأسرار بالدعاء: لبعده عن الريا، ولقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، ولرواية إسماعيل بن همام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «**دعوة العبد سرًّا دعوة واحدة، تعدل سبعين دعوة علانية**»[4]، وفي رواية أخرى: «**دعوة تخفيها أفضل من سبعين دعوة تظهرها**»[5].

السادس: الاجتماع في الدعاء[6]: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

(١) ظ: بحار الأنوار: ١٠/ ١١٣.

(٢) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلوانيّ (ق ٥هـ): ١١٠، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، ١٤٠٨هـ، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدَّسة، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ابن الدمياطيّ (٧٤٩هـ): ٤٥، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الدرَّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، الشهيد الأوَّل (٧٨٦هـ)، تحقيق: جلال الدين عليّ الصغير، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٠٣.

(٣) عدَّة الداعي: ١٤١.

(٤) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأوَّل (٧٨٦هـ): ١/ ٤٥٩، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، محرَّم ١٤١٩هـ، مطبعة ستاره، قم. الكافي، الكلينيّ: ٢/ ٤٧٦، ثواب الأعمال، الصدوق (٣٨١هـ): ١٦١، المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، قسم الفقه، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، ط٢، ١٣٦٨ش، مطبعة أمير، قم، منشورات الشريف الرضيّ، قم، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ (٥٤٨هـ): ٢٧٠، ط٦، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، منشورات الشريف الرضيّ.

(٥) الكافي، الكلينيّ: ٢/ ٤٧٦.

(٦) عدَّة الداعي: ١٤٥.

يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[1]، وأمر الله تعالى بالاجتماع للمباهلة. وروى: «أبو خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**ما من رهط أربعين رجلًا اجتمعوا فدعَوا الله في أمر إلَّا استجاب الله لهم، فإن لم يكونوا أربعين، فأربعة يدعون الله عشر مرات، إلَّا استجاب الله عزّ وجلّ لهم، فإن لم يكونوا أربعة، فواحد يدعو الله أربعين مرَّة يستجيب الله العزيز الجبَّار له**»[2].

وروى: عبد الأعلى، عنه عليه السلام: «**ما اجتمع أربعة قطُّ على أمر فدعوا الله تعالى إلَّا تفرَّقوا عن إجابة تذنيب، والمؤمن شريك في الدعا**»[3]. قال الله سبحانه: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]، وكان الداعي موسى، وهارون يؤمن على دعائه، فنُسِب الدعا إليهما، وقال: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾.

السابع: إظهار الخشوع: قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[5]. وفي دعائهم عليهم السلام: «**ولا ينجى منك إلاَّ التضرع إليك**»[6]. وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام: «**يا موسى كن إذا دعوني خائفًا مشفقًا وجِلًا، وعفِّر**

(١) الكهف: ٢٨.
(٢) الكافي، الكلينيّ: ٢/ ٤٨٧.
(٣) الدعوات، قطب الدين الراونديّ (٥٧٣هـ): ٢٩، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٦٠.
(٤) يونس: ٨٩.
(٥) الأعراف: ٥٥.
(٦) الرسائل العشر، الطوسيّ: ١٥٠، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، إيران، مصباح المتهجِّد، الشيخ الطوسيّ: ١٩٥، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان، مَن لايحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ٤٩٠، إقبال الأعمال، ابن طاووس (٦٦٤هـ): ٢/ ١٨٢، تحقيق: جواد القيُّومي الأصفهانيّ، ط١، ربيع الأوَّل ١٤١٥هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّ.

وجهك في التراب، واسجد لي بمكارم بدنك، واقنت بين يديَّ في القيام، وناجني حيث تناجيني بخشيةٍ من قلبٍ وجِل. وإلى عيسى عليه السلام: **يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين، الذي ليس له مغيث، يا عيسى أذل لي قلبك، وأكثر ذِكري في الخلوات، واعلم أنَّ سروري أن تبصبص إليَّ، وكن في ذلك حيًّا ولا تكن ميتًا، وأسمِعني منك صوتًا حزينًا»**[1].

العاشر: البكاء في حال الدعاء، وهو سيِّد الآداب وذروة سنامها[2]: تحت عنوان نصيحة: وإذا وفقت للدعا وساعدتك العينان على البكاء، وجادت لك بإرسال الدموع السجام عند تذكارك الذنوب العظام، والفضائح في يوم القيامة، وإشفاق الخلائق من الملك العلَّام، وتمثَّل ما يحلُّ بالخلائق وقد خرست الألسن وخمدت الشقاشق، وكانت الجوارح هي الشاهد والناطق، وعظم هنالك الرخام، فألجمهم العرق، وبلغ شحوم الآذان، يوم تُبلى السرائر، وتظهر فيه الضمايِر، وتنكشف فيه العورات، ويؤمن فيه النظر والالتفات، وكيف وأنَّى لهم بالنظر؟ ومنهم المسحوب على وجهه، والماشي على بطنه، ومنهم من يوطَئ بالأقدام مثل الذرِّ، ومنهم المصلوب على شفير النار حتَّى يفرغ الناس من الحساب، ومنهم المطوق بشجاع في رقبته تنهشه حتَّى يفرغ الناس من الحساب، ومنهم من تسلَّط عليهم الماشية ذوات الأخفاف، فتطأه بأخفافها، وذوات الأظلاف، فتنطحه بقرونها، وتطأه بأظلافها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة عزلى قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان.** قالت سودة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله: وا سوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال صلى الله عليه وآله: **شغل الناس عن ذلك ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾**[3]، **وكيف وأنَّى لهم**

(١) الكافي: ٨/ ٤٤، بحار الأنوار: ١٣/ ٣٣٤.
(٢) عدَّة الداعي: ١٦٢.
(٣) عبس: ٣٧.

بالنظر؟ ومنهم المسحوب على وجهه، والماشي على بطنه، ومنهم من يوطَئ بالأقدام مثل الذرِّ، ومنهم المصلوب على شفير النار حتَّى يفرغ الناس من الحساب، ومنهم المطوَّق بشجاع في رقبته تنهشه حتَّى يفرغ الناس من الحساب، ومنهم من تسلَّط عليه الماشية ذوات الأخفاف، فتطأه بأخفافها، وذوات الأظلاف، فتنطحه بقرونها، وتطأه بأظلافها»[1].

الرابع عشر الدعاء للإخوان والتماسه منهم[2]:

(١) صحيح مسلم: ٨/ ١٥٦، سنن الترمذيّ: ٤/ ٣٨، شرح مسلم، النوويّ (٦٧٦هـ): ١٧/ ١٩٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، مجمع الزوائد، الهيثميّ: ١٠/ ٣٣٣، المعجم الكبير، الطبرانيّ: ٣/ ٩٠، مسند الشامين، الطبرانيّ: ١/ ٧٦، رياض الصالحين، يحيى ابن شرف النوويّ (٦٧٦هـ)، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعيّ (٧٦٢هـ): ٣/ ٢١٨، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، ١٤١٤هـ، مطبعة الرياض، دار ابن خزيمة، مجمع البيان، الطبرسيّ: ٢/ ٤٢٠، جامع البيان، الطبريّ: ١٧/ ١٣٥، تفسير السمعانيّ، السمعانيّ (٤٨٩هـ): ٣/ ٤١٢، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مطبعة السعوديَّة، دار الوطن، الرياض، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيَّة الأندلسيّ (٥٤٦هـ): ٤/ ١٠٢، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمَّد، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مطبعة لبنان، دار الكتب العلميَّة، تفسير القرطبيّ: ١٠/ ٤١٨، التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطيّ الكلبيّ (٧٤١هـ): ٣/ ٣٣، ط٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مطبعة لبنان، دار الكتاب العربيّ، تفسير البحر المحيط، أبو حيَّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ): ٦/ ٣١٨، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ عليّ محمَّد معوَّض، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، مطبعة لبنان، بيروت، دار الكتب العلميَّة، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (٥٧١هـ): ٦/ ٢٤٦، تحقيق: عليّ شيري، ١٤١٥هـ، مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، غريب الحديث، ابن قتيبة (٢٧٦هـ): ١/ ٢٤٦، تحقيق: دكتور عبد الله الجبوريّ، ط١، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلميَّة، قم، غريب الحديث، الحربيّ (٢٨٥هـ): ١/ ٢٨٢، تحقيق: الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمَّد العاير، ط١، ١٤٠٥هـ، مطبعة مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلاميّ، دار المدينة للطباعة والنشر والتوزيع، جدَّة.

(٢) عدَّة الداعي: ١٧٠.

وفيما رواه: «جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[1]، قال: **هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، فيقول له الملك: ولك مثل ما سألت، وقد أُعطيت لحبّك إيّاه**»[2]، إيماءً لما ذكرناه.

في المتهجّدين[3]:

وكم نشرع في الدعاء بالتكلُّف من غير إقبال، ويكون آخره البكاء والابتهال، والإلحاح في السؤال، بل ترك الدعا والسؤال مقسٍّ للقلب ومظلم له حتَّى لا يكاد على طول تركه تميل النفس إليه أصلًا، وإذا اعتيد ألفته وعشقته وعاد هواها ومشتهاها. قال الصادق عليه السلام يومًا للمفضَّل بن صالح: «**يا مفضَّل إنَّ لله عبادًا عاملوه بخالص من سرِّه، فعاملهم بخالص من برِّه، فهم الذين تمرُّ صحفهم يوم القيامة فرغًا، وإذا وقفوا**

(١) الشورى: ٢٦.

(٢) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٢٨٩، تذكرة الفقهاء، العلَّامة: ٨/ ١٨٢، الكافي، الكلينيّ: ٢/ ٥٠٧، الأمالي، الصدوق: ٥٤٠، كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١١، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، محرَّم الحرام ١٤٠٥هـ/ ١٣٦٣ش، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، من لايحضره الفقيه، الصدوق: ٢/ ٢١٢، تهذيب الأحكام، الطوسيّ: ٥/ ١٨٤، تحقيق وتعليق: السيِّد حسن الموسويّ الخرسان، ط٤، ١٣٦٥ش، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ: ٣٢٨، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٢٥٧، مشكاة الأنوار، عليّ الطبرسيّ (٧هـ): ٥٦٩، تحقيق: مهدي هوشمند، ط١، ١٤١٨هـ، مطبعة دار الحديث، مسند أحمد: ٨/ ٦٨، صحيح مسلم: ٨/ ٨٦، سنن ابن ماجة، محمَّد بن يزيد القزوينيّ (٢٧٣هـ): ٢/ ٩٦٧، تحقيق وترقيم وتعليق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنن أبي داوود (٢٧٥هـ): ١/ ٣٤٣، تحقيق وتعليق: سعيد محمَّد اللحَّام، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) عدَّة الداعي: ١٩٤.

بين يديه تعالى ملأها من سرّ ما أسرُّوا إليه. فقلت: يا مولاي ولِمَ ذلك؟ فقال: اجلهم أن تطّلع الحفظة على ما بينه وبينهم. يا هذا لا تغفل عن هذه المقامات الشريفة التي هي أنفس من الجنّة، كيف لا؟ وهي السبب في الوصول إليها، وإلى ما هو أكبر منها، إنّها سبب لرضوان الله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[2]..»[3].

في بيان أقسام الذنوب وتبعاتها[4]

وتحت عنوان فصل، قال المصنِّف: واعلم أنَّه قد ورد في أدعيتهم عليهم السلام الاستعاذة من أنواع الذنوب، وقد ورد تفسيرها عن مولانا زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام، فقال: «إنَّ الذنوب التي تغيِّر النِّعم: البغي على الناس، والزوال عن العادة في الخير، واصطناع المعروف، وكفران النِّعم، وترك الشكر، قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ﴾[5].

والذنوب التي تورث الندم: قتل النفس التي حرَّم الله، قال الله تعالى في قصَّة قابيل حين قتل أخاه، فعجز عن دفنه: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ

(١) المائدة: ١١٩.
(٢) التوبة: ٧٢.
(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٢٦٣.
(٤) عدَّة الداعي: ١٩٦.
(٥) الرعد: ١١.

مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾[1]، وتـرك صلة الرَّحم حين يقدر، وترك الصلاة حتَّى يخرج وقتها، وترك الوصيَّة، وردّ المظالم، ومنع الزكاة حتَّى يحضر الموت وينغلق اللسان.

والذنـوب التي تزيل النِّعـم: عصيان المعارف، والتطاول على الناس، والاسـتهزاء بهم، والسخرية منهم.

والذنـوب التي تدفع النعم: إظهار الافتقـار، والنوم عن صلاة العتمة، وعن صلاة الغداة، واستحقار النِّعم، والشكوى على المعبود عَزَّوَجَلَّ.

والذنـوب التي تهتـك العِصَم: شرب الخمـر، ولعب القـمار، وتعاطي ما يضحك الناس، واللغو، والمزاح، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب.

والذنوب التي تُنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك إعانة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعـروف والنهى عـن المنكر، والذنوب التي تديل الأعـداء، المجاهرة بالظلم، وإعلان الفجور، وإباحة المحظور، وعصيان الأخيار، والانقياد إلى الأشرار.

والذنوب التي تعجِّل الفنـاء: قطيعة الرحم، واليمين الفاجرة، والأقاويل الكاذبة، والزنا، وسدُّ طرق المسلمين، وادِّعاء الإمامة بغير حقٍّ.

والذنـوب التي تقطع الرَّجـاء: اليأس من روح الله، والقنوط مـن رحمة الله، والثقة بغير الله تعالى، والتكذيب بوعد الله.

والذنوب التي تظلم الهواء: السحر، والكهانة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بوعد الله لقدر، وعقوق الوالدين.

والذنـوب التي تكشـف الغطاء: الاسـتدانة بغير نيَّـة الأداء، والإسراف في النفقة، والبخـل على الأهـل والأولاد وذوي الأرحام، وسـوء الخلق، وقلَّة الصبر، واسـتعمال الضجر والكسل، والاستهانة بأهل الدين.

(١) المائدة: ٣١.

والذنوب التي تردُّ الدعا: سوء النيَّة، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضة حتَّى تذهب أوقاتها.

والذنوب التي تحبس غيث السماء: جَور الحكَّام في القضاء، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، ومنع الزكاة والقرض والماعون، وقساوة القلب على أهل الفقر والحاجة، وظلم اليتيم والأرملة، وانتهار السائل، وردِّه بالليل»[1].

فصل في المباهلة[2]

أمَّا وقتها: فيتوخَّى المروي إن أمكن، وهو ما رواه أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «الساعة التي تباهل فيها ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس»[3].

وأمَّا كيفيَّتها: فما رواه محمَّد بن أبي عمير عن محمَّد بن حكيم عن أبي مسروق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت إنَّا نكلِّم الناس، فنحتجُّ عليهم بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[4]، فيقولون: نزلت في أمراء السرايا، فنحتجُّ عليهم بقول الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[5].. الخ، فيقولون: نزل في المؤمنين، فنحتجُّ عليهم بقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ

(١) معاني الأخبار، الصدوق: ٢٧٠، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ١٣٧٩هـ/ ١٣٣٨ش، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.
(٢) عدَّة الداعي: ٢٠٠.
(٣) الكافي: ٢/ ٥١٤.
(٤) النساء: ٥٩.
(٥) المائدة: ٥٥.

شَكُورٌ﴾[1]، فيقولون: نزلت في القربى المسلمين، قال: فلم أدع شيئا ممَّا حضرني ذِكره إلَّا ذكرته له، فقال عليه السلام لي: **إذا كان لكم ذلك، فادعهم إلى المباهلة**. قلت: وكيف أصنع؟ فقال: **أصلح نفسك ثلاثًا**، وأظنه قال: **صُم واغتسل، وابرز أنت وهو إلى الجبان، فشبِّك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه، وابدأ بنفسك، فقل: اللهمَّ ربَّ السماوات والأرض، وربَّ الأرضين السبع، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، إن كان مسروق جحد حقًّا وادَّعى باطلًا، فأنزِل عليه حسبانًا من السماء، أو عذابًا أليمًا، ثمَّ ردَّ الدعوة فقُل: وإن كان فلان جحد حقًّا وادَّعى باطلًا، فأنزل عليه حسبانًا من السماء، أو عذابًا أليما**، ثمَّ قال لي: **فإنَّك لا تلبث أن ترى ذلك فيه، فو الله ما وجدت خلقًا يجيبني إليه**. وعن ابن عبَّاس: «**فشبِّك أصابعك في أصابعه وحلّ، ثمَّ تقول: اللهمَّ إن كان فلان جحد حقًّا أو أقرَّ بباطل، فأصبه بحسبان من السماء، أو بعذابٍ أليم من عندك**. وتلا عنه سبعين مرَّة»[2].

مكائد الشيطان، وله فيه مصايد[3]

الثالث: ممَّا يدلُّك أنَّ هذا من غوائل النفس وميلها إلى البطالة، أنَّك لـمَّا نظرت إلى فوات الثواب الحاصل لك من البطالة، وإلى فوات وقوعهم في الإثم، آثرتهم على نفسك بتخفيف ما يلزمهم من الإثم بسوء الظنِّ، وحرمت نفسك الثواب، وتفكر في نفسك وتمثل في قلبك بعين الإنصاف، ولو حصل بينك وبينهم في شيء من حظوظ العاجلة منازعة إمَّا في دار أو مال، أو ظهر لك نوع معيشة تظنُّ فيها فايدة وحصول مال، كنت تؤثرهم على نفسك، وتتركه لهم؟ كلَّا والله، بل كنت تناقشهم مناقشة

(١) الشورى: ٢٣.
(٢) الكافي: ٢/ ٥١٣.
(٣) عدَّة الداعي: ٢٠٦-٢٠٨.

المشـاقق، وتسـتأثر عليهم فيما يظهر لك من أنواع المعيشة، إن أمكنك فرصة الاستيثار، وتقـلي الحبيب وتقصي القريـب، وكم رأينا من هاجر قرينه وجفـاه، وأبعد ابنه وخلَّاه، وكم مـن صديقَين تطاولت لهما الصداقة وتمادت بهم الملاطفة والأخوة برهة مديدة من الزمان، حتَّى دخلت الدنيا بينهما بمعاملة أو مشاركة، فرَّقت بينهما.

وسـبب ذلك محبَّة الاسـتيثار، فدلَّ ذلك على أنَّ تركك العمل ليس شـفقةً عليهم، ورحمةً لهم، وإنَّما هو نزعة من نزعات الشيطان، وميل النفس إلى الدَّعة والراحة، وإذا لم تـرضَ بترك حطام الدنيا لهم، كيف تترك عمل الآخـرة؟ وهو أنفس، وأنت إليه أحوج في فاقـة القيامة، وهو أبقى لك من حظوظ الدنيا، فهل هذا إلَّا اسـتثقالًا منك للعمل؟ وميلًا إلى الدَّعة، وتتعلَّل بما زيَّن لك الشـيطان من مخائلـه الباطلة، ونعاته المعطلة، وإذا اشـتغلت بالعمل نفعت نفسك، وعصيت عدوك، ونفعت عباد الله، فإنَّهم ربَّما وافقوك عليها فيحصل لك مثل ثوابهم إذا كنت السـبب فيها، ومن سـنَّ سنَّة حسنة كان له أجر من يعمل بها، وما يدريك؟ لعلَّ فيهم من يريد العمل، فقد ظنَّ مثل ما ظننت، فبادر إلى سدِّ باب الشيطان، ونشر عبادة الرحمن.

وقـد ورد عنهـم عليهم السلام في معنى هـذا الكلام: العاقل لا يفعل شـيئًا مـن الخير رياءً، ولا يتركه حياءً[1].

وهنا مكيدة أخرى للشـيطان أضيق من الأولى، فأجهد في سـدِّها، ولا تسلِّطه على فتح بابها فيفتحها، فإذا فتحها قوى على غيرها، وهو أن يقول لك الشيطان: اترك العمل لئلَّا يظنُّ الناس بك خيرًا وتشتهر به، وأحبُّ العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء، وإذا عُرِفت بين النـاس بالعبادة، لم يكن لك حظٌّ في هذا الوصف. فاعلم أنَّ الواجب عليك مراعاة قلبـك، ولا عليك إذا رأوك أو شـهرت وقلبك واحد من علمهـم بك وعدمه، وكيف

(١) عدَّة الداعي: ٢٠٩.

لا تشتهر وهو تعالى يقول: عليك ستره وعليَّ إظهاره، بل عليك التحفُّظ من قلبك أن لا يكون فيه ميل لمحبَّة ذلك بالتفكُّر في قلَّة الجدوى بمدحهم وذمِّهم والزُّهد فيهم، والنظر إلى احتياجك في عرصة القيامة إلى عملك، والفكر في نعيم الآخرة، فلا تترك العمل، فإنَّ الآفة كلُّ الآفة في ترك العمل، فإنَّ العمل مطردة للشيطان، وسبب الخشوع، وتنشُّط النفس، وتشوُّقها إلى عمل الآخرة، وترك العمل على الضدِّ من ذلك. فإن قلت: يمنعني عن الدعاء وعن كثير من الأفعال البرّ تعذُّر الإتيان بها على حقيقة الإخلاص على ما عرفت الإخلاص بقوله: ما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتَّى لا يحبُّ أن يُحمَد على شيء من عمل الله، وإنَّ الإنسان يعمل لله مخلصًا، لكن إذا عرفه الناس ربَّما أثنى عليه بذلك، فيسرُّه ولا يكاد ينفكُّ عن هذا إلَّا فيما يقل، وكذا الإنسان يكون في الصلاة والدعاء مخلصًا الله سبحانه، فربما يطَّلع عليه مطَّلع فيسرُّه ذلك، وقد ذكرت أنَّ الرياء مع ما فيه من فوات الثواب، يؤدِّي إلى أليم العذاب. فاعلم أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل عن ذلك فيما رواه المفسِّرون عن سعيد بن جبير، قال: «جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: إنِّي أتصدَّق وأصل الرحم، ولا أصنع ذلك إلَّا لله، فيُذكر منِّي، وأُحمَد عليه فيسرُّني ذلك وأُعجَب به، فسكت رسول ﷺ، ولم يقل شيئا، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]..»[2].

والتحقيق: أنَّ السرور باطِّلاع الناس إلى قسمَين، محمود ومذموم[3]:

المحمود ثلاثة:

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) أسباب نزول الآيات، الواحديّ النيسابوريّ (٤٦٨هـ): ٢٠٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، مؤسَّسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ: ١١/ ٧٠.

(٣) عدَّة الداعي: ٢١٠.

الأوَّل: أن يكون من قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله سبحانه، ولكن لما اطَّلع عليه الخلق علم أنَّ الله تعالى أطلعهم عليه، وأظهر لهم الجميل من عمله تكرُّمًا منه وتفضلًا، وهو من صفاته تعالى، إلَّا تراه يُدعَى: (يا مَن أظهر الجميل وسَتَر القبيح)، وفي بعض وحيه جلَّ جلاله: **عملك الصالح عليك ستره، وعليَّ إظهاره**، فيستدلُّ بذلك على حسن صنع الله به، ونظره له، ولطفه به، فإنَّ العبد يستر الطاعة والمعصية، والله بكرمه ستر المعصية، وأظهر الطاعة، ولا لطف أعظم من ستر القبيح، وإظهار الحسن، فيكون فرحه بجميل صنع الله، لا بحمد الناس وحصول المنزلة في قلوبهم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

توضيح الرِّياء[2]: والرياء موجِب للمقت من الله، ومعرض للخزي في الدنيا والآخرة، حيث ينادى عليهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد: «يا فاجر يا غادر يا مرائي، أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله عرض الحياة الدنيا، راقبت قلوب العباد، واستخففت بنظر سلطان المعاد، وتحبَّبت إلى المخلوقين بالتبغُّض إلى ربِّ العالمين، وتزَّينت لهم بعمل الله، وتقرَّبت إليهم بالبُعد من الله، وطلبت رضاهم، وتعرَّضت لسَخَطه، أمَا كان أهون عليك من الله؟ فمهما تفكَّر العبد في هذا الخزي، وقابل ما يحصل له من العباد، والتزيُّن لهم في الدنيا بما يهدم عليه من ثواب أعماله التي كانت ترجِّح ميزانه لو خلصت لله، وقد فسدت بالرياء، وقد حوِّلت إلى كفَّة السيِّئات، فلو لم يكن في الرياء إلَّا تحويل العمل من الثواب إلى العقاب، لكان كافيًا في معرفة ضرره، ورادعًا عن الإلمام به، وقد كان ينال بهذه الحسنة رتبة الصدِّيقين، وقد حطَّ إلى درك السافلين، فيالها حسرة لا تزال، وعثرة لا تستقال مع ما يناله من الخزي والتوبيخ في المعاد على رؤوس الأشهاد، مضافًا إلى ما يعرض له في الدنيا من تسبُّب الهمِّ بسبب ملاحظة قلوب الخلق،

(١) يونس: ٥٨.
(٢) عدَّة الداعي: ٢١١.

فـإنَّ رضا الناس غاية لا تُدرك، كلَّما رضي به فريق، يسـخط به فريق، ورضا بعضهم في سَخَط بعض، ومن طلب رضاهم في سَخَط الله، سَخَطَ الله عليه، وأسخطهم أيضًا عليه، ثـمَّ أي غرض له في مدحهم وإيثار ذمِّ الله تعالى لأجـل حمدهم؟ ولا يزيده حمدهم رزقًا ولا أجلًا، ولا ينفعه يوم فقره وفاقته في شدَّة القيامة، وأمَّا الطمع بما في أيديهم، فالله هو الرزَّاق، وعطائه خير العطاء، ومَن طمع في الخلق لم يخلُ من الذلِّ والخيبة، وإن وصل إلى المراد، لم يخلُ من المنَّة والمهانة، وكيف يترك العاقل ما عند الله برجاءٍ كاذبٍ ووهمٍ فاسد؟ وقـد يصيب، وقد يُخطى، وإن أصاب فلا تقي لذَّته بألم منَّته ومذلَّته، وهو من قسـم الله له، ومحسـوب عليه من رزقه، فينبغي أن يقرِّر العاقل في نفسـه هذه الأسباب وضررها، ومـا يصـير إليه مآلها، فيُقلُّ رغبته عنهـا، ويُقبل إلى الله بقلبه، فـإنَّ العاقل لا يرغب فيما يكثـر عليـه ضرره، ويكفيه أنَّ الناس لو علمـوا ما في باطنه من قصـد الرياء، وإظهاره الإخلاص؛ لمَقتوه، وسيكشـف الله تعالى عن سرِّه حتَّى يبغضه إليهم، ويعرِّفهم أنَّه مُراءٍ ممقوت عند الله، ولو أخلص لله؛ لكشـف الله لهم إخلاصه، وحبَّبه إليهم، وسخَّرهم له، وأطلق ألسـنتهم بحمده. وينبغي أن يذكر شدَّة حاجته وقوَّة فاقته يوم القيامة إلى ثواب أعماله، فإنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[2]، ويشـتغل فيـه الصدِّيقون بأنفسـهم، ويقـول كلُّ واحدٍ: نفسي نفسي، فضلًا من غيرهم، فـلا ينبغي أن يصحب معـه غير الخالـص من العمل، فكما أنَّ المسـافر إلى البلد البعيد المشـفق لا يصحب معه إلَّا خالـص الذهب، طلبًا للخفَّة، وكثرة الانتفاع بـه عند الحاجة إليه، ولا حاجة أعظم مـن فاقة القيامة، ولا عمل أنفع من الخالص لله، فهو أنفس الذخائر وأحفظها حملًا، بل

(١) الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٢) لقمان: ٣٣.

هو يحمل صاحبه على ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

يقول داود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إن العمل الصالح ليمهِّد لصاحبه في الجنَّة كما لصاحبه عند أهوال القيامة: اركبني ولطالما ركبتك في الدنيا، فيركبه ويتخطَّى به شدايدها**»(٢)، وروى داوود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **إنَّ العمل الصالح ليمهِّد لصاحبه في الجنَّة، كما يرسل الرجل غلامه بفراشه، فيفرش له، ثمَّ قرأ: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾**(٣)..(٤).

القسم الثاني: العجب(٥)

هنا سؤال وجواب: علاج العجب أن يتفكَّر فيما يؤدِّي إليه العجب، وهو يؤدِّى إلى المقت، وإحباط العمل، ويتفكَّر في الآت التي اكتسب بها الطاعة، واقتدر بها عليها، فهل هي إلَّا ملكه؟ ثمَّ ينظر فيما تناوله من القوت الذي أقام به صلبه، فهل هو إلَّا رزقه؟ ثمَّ ينظر في العافية التي هي له شاملة، وبها يفرغ لما أراده، هل هي إلَّا من نعمه؟ ولرُبَّ مريض لو خُيِّر بين العافية، وأن يقوم بإزائها أيَّاما وليالي، لاختار العافية، وبذل في ثمنها الليالي الكثيرة والعبادة الغزيرة، هذا وأنت تعجب بقيام بعض ليلة، وكم متِّعت بالعافية من يوم وليلة، بل من شهور وسنة، فبماذا تعجب بقيام بعض ليلة، وأنت تقوم بتوفيقه، وتتمكَّن بعافيته، وتتقوَّى برزقه، وتعمل بجوارحه وآلاته، ويقع ذلك في ليله ونهاره،

(١) الزمر: ٦١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/ ١٩١، والحديث: «وروى داوود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إنَّ العمل الصالح ليمهِّد لصاحبه في الجنَّة، كما يرسل الرجل غلامًا بفراشه، فيفرش له، ثمَّ قرأ: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾**.

(٣) الروم: ٤٤.

(٤) ينظر: مجمع الزوائد: ١٠/ ١٢١، وظ: بحار النوار: ٦٨/ ١٩١.

(٥) عدَّة الداعي: ٢٢٦.

فقِسْ قدر عملك إلى ما عليك من نِعَمِهِ، فهل تجده وافيًا بذلك؟ أو بعشر العشير، وهل توفيقك للقيام إلَّا نعمة عليك؟ يلزمك شكرها، وتخشى أن قصَّرت فيه أن تكون مؤاخذًا. أوحى الله إلى داوود: **يا داوود اشكرني**، قال: وكيف أشكرك يا ربِّ؟ والشكر من نعمك تستحق عليه شكرًا؟ قال: **يا داوود رضيت بهذا الاعتراف منك شكرًا**. بل قِس عملك جملته إلى آحاد ما تتصرَّف فيه من نِعَمِهِ من مأكل ومشرب، لا تجده ناهضًا باليسير من ذلك.

روي: «أنَّ بعض الوعَّاظ دخل يومًا على هارون الرشيد، فقال له: عِظني، فقال: يا أمير المؤمنين أتراك لو منعت شربة من ماء عند عطشك بمَ كنت تشتريها؟ قال: بنصف مُلكي، فقال: يا أمير المؤمنين أتراها لو حُبِست عنك عند خروجها بمَ كنت تشتريها؟ قال: بنصف الباقي، قال: فلا يغرنَّك مُلك قيمته شربة ماء. فيا هذا كم تتناول في يومك وليلتك؟ وأنت ترى الأجير يعمل طول النهار بدرهَمين، والحارس يسهر جملة الليل بدانقَين، وكذلك أصحاب الصناعات والحِرف، كالطبَّاخ والخبَّاز، تراهم يعملون جملة النهار وطرفي الليل، وقيمة ذلك دراهم معدودة، وإذا صرفت الفعل إلى الله تعالى، فصُمت يومًا واحدًا، قال: الصوم لي وأنا أُجزي به، قال تبارك وتعالى: أعددت لعبادي ما لا عين رأت، ولا إذن سمعت، ولا خطر بقلب بشر. هذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم، صار له هذه القيمة بنسبته إلى الله. ولو قمت ليلةً لله تعالى، قال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1]، فهذا الذي قيمته دانقان، ولو سجدت لله سجدة حتَّى غشيك فيه النعاس، باهى الله بك الملائكة، وكم قيمة زمان السجدة؟ مع ما حصل فيها من النوم والغفلة، لكن لما نسبت إلى الحقِّ جلَّ جلاله بلغت قيمته من الجلالة والنفاسة هذا المقدار، بل لو جعلت لله

(١) السجدة: ١٧.

ساعة تصلِّي فيها ركعتين خفيفَتين، بل نَفَسًا تقول فيه: لا إله إلَّا الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَن قال: سبحان الله، غرس الله له شجرة في الجنَّة**»[2].

في الأمور المانعة عن صعود الأعمال[3]

وقد روي أنَّه يبيت أحدكم نادمًا على ذنبه، زاريًا على نفسه، خير له من أن يصبح مبتهجًا بعمله، فعليك أيُّها العاقل بتحصين عملك من العجب والرياء والغيبة والكبر، فإنَّها يشاركان الرياء والعجب في الإضرار بالأعمال.

أوَّلا: تنظر إلى خبر معاذ: روى الشيخ أبو جعفر محمَّد بن أحمد بن عليّ القمِّيّ، نزيل الري، في كتابه المنبئ عن زهد النبيّ صلى الله عليه وآله، عن عبد الواحد عمَّن حدثه عن معاذ ابن جبل قال: قلت: «حدِّثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وحفظته من دقَّة ما حدَّثك به قال: نعم، وبكى معاذ ثمَّ قال: بأبي وأمِّي، حدَّثني وإنا رديفه، فقال: بينا نسير إذ رفع بصره إلى السماء، فقال: **الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما أحبَّ**، ثمَّ قال: يا معاذ قلت: لبَّيك يا رسول الله وسيِّد المؤمنين، قال: يا معاذ قلت: لبيك يا رسول الله إمام الخير ونبي الرحمة، فقال: **أحدِّثك شيئًا ما حدَّث به نبيّ أمَّته، إن حفظته نفعك عيشك، وإن سمعته ولم تحفظه انقطعت حجَّتك عند الله**، ثمَّ قال: **إنَّ الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات، فجعل في كلِّ سماء ملكًا قد جلَّلها بعظمته، وجعل على كلِّ بابٍ من أبواب السماوات ملكًا بوَّابًا، فتكتب الحفظة عمل العبد من حين يُصبح**

(١) النساء: ١٢٤.

(٢) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ (ق ٨هـ): ٣٥٩، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

(٣) عدَّة الداعي: ٢٢٧.

إلى حين يُمسي، ثمَّ ترتفع الحفظة بعمله، وله نور كنور الشمس، حتَّى إذا بلغ سماء الدنيا، فتزكِّيه وتكثره، فيقول الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الغيبة، فمن اغتاب لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، أمرني بذلك ربِّي. قالﷺ: ثمَّ تجيء الحفظة من الغد ومعهم عمل صالح، فتمرُّ به فتزكِّيه وتكثره حتَّى تبلغ السماء الثانية، فيقول الملك الذي في السماء الثانية: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنَّما أراد بهذا عرض الدنيا، أنا صاحب الدنيا، لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري، قال: ثمَّ تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجًا بصدقة وصلاة، فتعجب به الحفظة، وتجاوز به إلى السماء الثالثة، فيقول الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره، انا ملك صاحب الكبر، فيقول: إنَّه عمل وتكبَّر على الناس في مجالسهم، أمرني ربِّي إن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كالكوكب الدرِّيّ في السماء له دوى بالتسبيح والصوم والحجّ، فتمُّر به إلى السماء الرابعة، فيقول له الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وبطنه، أنا ملك العجب، إنَّه كان يعجب بنفسه، إنَّه عمل وأدخل نفسه العجب، أمرني ربِّي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة إلى أهلها، فتمرُّ به إلى ملك ا لسماء الخامسة بالجهاد والصلاة (والصدقة) ما بين الصلاتَين، ولذلك العمل رنين كرنين الإبل، عليه ضوء كضوء الشمس، فيقول الملك: قفوا أنا ملك الحسد، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، واحملوه على عاتقه، إنَّه كان يحسد من يتعلَّم أو يعمل لله بطاعته، وإذا رأى لأحد فضلًا في العمل والعبادة حسده ووقع فيه، فيحمله على عاتقه ويلعنه عمله، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة، فيتجاوزون به إلى السماء السادسة، فيقول الملك: قفوا أنا صاحب الرحمة، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، واطمسوا عينيه؛ لأنَّ صاحبه لم يرحم شيئا إذا أصاب عبدًا من عباد الله، ذنبٌ للآخرة أو ضرٌّ في الدنيا شمت به، أمرني به ربِّي أن لا أدع عمله يجاوزني، قال: وتصعد

الحفظة بعمل العبد بفقه واجتهاد وورع، وله صوت كالرعد، وضوء كضوء البرق، ومعه ثلاثة آلاف ملك، فتمرُّ به إلى ملك السماء السابعة، فيقول الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الحجاب، أحجب كلَّ عملٍ ليس لله، إنَّه أراد رفعةً عند القُوَّاد، وذكرًا في المجالس، وصيتًا في المدائن، أمرني ربِّي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري، ما لم يكن لله خالصًا، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجًا به من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وحسن الخلق وصمت وذكر كثير، تشيِّعه ملائكة السماوات والملائكة السبعة بجماعتهم، فيطؤون الحجب كلَّها، حتَّى يقوموا بين يديه سبحانه، فشهدوا له بعمل ودعاء، فيقول: أنتم حفظة عمل عبدي، وأنا رقيب على ما في نفسه، إنَّه لم يردني بهذا العمل، عليه لعنتي، فيقول الملائكة: عليه لعنتك ولعنتنا، قال: ثمَّ بكى معاذ، قال: قلت: يا رسول الله ما أعمل وأخلص فيه؟ قال: اقتَد بنبيِّك يا معاذ في اليقين، قال: قلت: أنت رسول الله وأنا معاذ، قال: وإن كان في عملك تقصير يا معاذ، فاقطع لسانك عن إخوانك، وعن حملة القرآن، ولتكن ذنوبك عليك، لا تحملها على إخوانك، ولا تزكِّ نفسك بتذميم إخوانك، ولا ترفع نفسك بوضع إخوانك، ولا تراءِ بعملك، ولا تدخل من الدنيا في الآخرة، ولا تفحش في مجلسك لكي يحذروك لسوء خلقك، ولا تناج مع رجل، وأنت مع آخر، ولا تعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا، ولا تمزِّق الناس فتمزِّقك كلاب أهل النار، قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾[1]، أتدري ما الناشطات؟ إنَّها كلاب أهل النار، تنشط اللحم والعظم. قلت: ومَن يطيق هذه الخصال؟ قال: يا معاذ إنَّه يسير على من يسره الله تعالى عليه. قال: وما رأيت معاذًا يكثر تلاوة القرآن كما يكثر تلاوة هذا الحديث»[2].

(١) النازعات: ٢.

(٢) الموضوعات، ابن الجوزيّ (٥٩٧هـ): ٣/ ١٥٥، تحقيق وضبط وتقديم: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، المكتبة السلفيَّة، المدينة المنوَّرة، فلاح السائل، ابن طاووس=

في الحثِّ على الذِّكر بالدليل النقليّ والعقليّ[1]

فيما أُلحق بالدعاء، وهو الذِّكر، ولـمَّا كان المقصود من هذا الكتاب التنبيه على فضل الدعاء والإشارة إلى ما يستظهر به الداعي، واشتمل من ذلك على نبذة مقنعة وجملة كافية، أجبنا أن نردف ذلك بما يساوي الدعاء في الفضل والتحثيث عليه، وقيامه مقامه في تحصيل المراد ودفع الأهوال الشِّداد، وهو الذِّكر، وقد ظهر ممَّا ذكرناه من فوائد الدعاء أنَّه يبعث عليه العقل والنقل من الكتاب والسنَّة، وأنَّه يرفع البلاء الحاصل، ويدفع السوء النازل، ويحصل به المراد من جلب النفع وتقرير الحاصل منه ودوامه، فاشتمل الذِّكر على كلِّ هذه الأمور، وسترى ذلك فيما نبيِّنه، فنقول: الذِّكر محثوثٌ عليه، ومرغوبٌ فيه، ويدلُّ عليه العقل والنقل.

أمَّا الكتاب، فآيات، منها قوله تعالى لنبيِّه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[5].

=(٦٦٤هـ): ١٢٢.

(١) عدَّة الداعي: ٢٣١.

(٢) الأنعام: ٩١.

(٣) الأعراف: ٢٠٥.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) الأحزاب: ٤١-٤٢.

وهذه الرواية ضمَّت آيات من الذكر الحكيم، تحت النقطة، **الخامس**: «روى ابن القدَّاح، عنه عليه السلام: **ما من شيء إلَّا وله حدٌّ ينتهي إليه، إلَّا الذِّكر فليس له حدٌّ ينتهي إليه، فرض الله الفرائض، فمن أدَّاهنَّ فهو حدُّهنَّ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدُّه، والحجُّ، فمن حجَّ فهو حدُّه، إلَّا الذِّكر فإنَّ الله لم يرضَ فيه بالقليل، ولم يجعل له حدًّا ينتهي إليه**، ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[1]. فلم يجعل الله له حدًّا ينتهي إليه، قال: وكان أبي كثير الذِّكر، لقد كنت أمشي معه، وإنَّه ليذكر الله، وآكل معه الطعام، وإنَّه ليذكر الله، ولو كان يحدِّث القوم، ما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لاصقًا بحنكه، يقول: لا إله إلَّا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذِّكر حتَّى تطلع الشمس، وكان يأمر بالقراءة مَن كان يقرأ منَّا، ومن كان لا يقرأ منَّا أمره بالذِّكر»[2]..

السابع عشر: «رويَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج على أصحابه، فقال: **ارتعوا في رياض الجنَّة**، قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنَّة؟ قال: **مجالس الذِّكر، اغدوا وروِّحوا واذكروا، ومَن كان يحبُّ أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإنَّ الله تعالى يُنزل العبد حيث أنزل العبد الله من نفسه، واعلموا أن خير أعمالكم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم، وخير ما طلعت عليه الشمس ذِكر الله سبحانه، فإنَّه أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذَكَرني، وقال سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[3] بنعمتي، واذكروني بالطاعة والعبادة، أذكركم بالنِّعم والإحسان والرحمة والرضوان**»[4].

(١) الأحزاب: ٤١-٤٢.
(٢) الكافي: ٢/ ٤٩٨.
(٣) سورة البقرة: ١٥٢.
(٤) شفاء السقام، تقي الدين السبكيّ (٧٥٦هـ): ١٦٩، ط٤، ١٤١٩هـ، أعلام الدين في صفات=

فصل: ولا ينبغي أن يخلو للإنسان مجلس عن ذكر الله ويقوم منه بغير ذكر[1]

وروى «أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: **ما اجتمع قومٌ في مجلس لم يذكروا الله لم يذكرونا، إلَّا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة**»[2]، ثمَّ قال أبو جعفر عليه السلام: «**إنَّ ذِكرنا من ذِكر الله، وذِكر عدونا من ذِكر الشيطان**»[3]، وعنه عليه السلام: «**من أراد أن يكتال بالمكيال إلَّا وفى، فليقل إذا أراد القيام من مجلسه:** ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[4]..»[5]. وروى الحسن بن أبي الحسن الديلميّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الملائكة يمرُّون على حلق الذِّكر، فيقومون على رؤوسهم، ويبكون لبكائهم، ويأمنون لدعائهم، فإذا صعدوا السماء يقول الله تعالى: يا ملائكتي أين كنتم؟ وهو أعلم، فيقولون: يا ربَّنا إنَّا حضرنا مجلسًا من مجالس الذِّكر، فرأينا أقوامًا يسبِّحونك ويمجِّدونك ويقدِّسونك ويخافون نارك، فيقول الله سبحانه: يا ملائكتي أزووها عنهم، وأُشهدكم أنِّي قد غفرت لهم وآمنتهم ممَّا يخافون، فيقولون: ربَّنا إنَّ فيهم فلانًا،**

=المؤمنين، الديلميّ: ٢٧٥، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٦٠٦هـ): ١/ ١٨٧، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمَّد الطناحيّ، ط٤، ١٣٦٤ش، مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران، تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة: ١١٤.

(١) عدَّة الداعي: ٢٤١.

(٢) مسند أحمد: ٢/ ٤٤٦.

(٣) الكافي: ٢/ ١٨٦.

(٤) الصافَّات: ١٨٠-١٨١.

(٥) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأوَّل (٧٨٦هـ): ٣/ ٤٥٥، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، محرَّم ١٤١٩هـ، مطبعة ستاره، قم، قرب الإسناد، الحميريّ القمِّيّ (٣٠٠هـ): ٣٣، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ١٤١٣هـ، مطبعة مهر، قم، الكافي: ٢/ ٤٩٦، من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣٢٥، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣٠٤، تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسيّ: ٣/ ١٨١، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، ١٤٢١هـ، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، مجمع البيان: ٨/ ٣٣٩، تفسير السمعانيّ: ٤/ ٤٢٢.

وإنَّه لم يذكرك، فيقول: قد غفرت له بمجالسته لهم، فإنَّ الذاكرين مَن لا يشقى بهم جليسهم»[1].

فصل: ويتأكَّد استحباب الذِّكر إذا كان في الغافلين تحصينًا من قارعة ينزل بهم، فينجوا بذكره، ولعلَّهم ينجون به[2].

فصل: وأفضل أوقاته عند الإصباح والإمساء، وبعد الصبح والعصر[3]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة، وبعد العصر، ساعة أكفك ما أهمَّك**»[4]. وقال الباقر عليه السلام: «**إنَّ إبليس عليه لعاين الله يبثُّ جنود الليل من حين تغيب الشمس، وحين تطلع، فأكثر واذكر الله حين هاتَين الساعتين، وتعوَّذوا بالله من شرِّ إبليس وجنوده، وعوِّذوا صغاركم في تلك الساعتين؛ فإنَّها ساعتا غفلة**»[5]، وقال الصادق عليه السلام: «في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائيّ (٨٨٠هـ): ٤/ ٦٨، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقيّ، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مطبعة سيِّد الشهداء، قم، مسند أحمد: ٢/ ٢٥٢، صحيح البخاريّ: ٧/ ١٦٩، صحيح مسلم: ٨/ ٦٨، مستدرك الحاكم: ١/ ٤٩٥، مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٠/ ٧٦، فتح الباري، ابن حجر (٨٥٢هـ): ١١/ ١٧٩، ط٢، مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، عمدة القاري: ٢٣/ ٢٧، الدعاء، الطبرانيّ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، التمهيد، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ): ١٩/ ١١٥، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمَّد عبد الكبير البكريّ، ١٣٨٧هـ، مطبعة المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة.

(٢) عدَّة الداعي: ٢٤١.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤٢.

(٤) ثواب الأعمال، الصدوق: ٤٧، الأمالي، الصدوق: ٣٩٨، تهذيب الأحكام، الطوسيّ: ٢/ ١٣٨، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣٠١.

(٥) الكافي: ٢/ ٥٢٢، من لايحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ٥٠٢، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣٠٥.

وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾[1]، قال: **هو الدعاء قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، وهي ساعة إجابة**»[2]

فصل: ويستحبُّ الإسرار بالذِّكر؛ لأنَّه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء[3].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر: «**يا أبا ذر أذكر الله ذكرا خاملا**. قلت: ما الخامل؟ قال: **الخفي**»[4]. وقال أمير المؤمنين: «**مَن ذكر الله في السرِّ، فقد ذكر الله كثيرًا، إنَّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية، ولا يذكرونه في السرِّ، فقال الله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾**[5]..»[6]. وقال الصادق عليه السلام: «**قال الله تعالى: من ذكرني سرًّا، ذكرته علانية**»[7]. وروى زرارة عن أحدهما عليهما السلام، قال: «**لا يكتب الملك إلاَّ ما سمع، وقال الله: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾**[8]، **فلا يعلم ثواب ذلك الذِّكر في نفس الرجل غير الله؛ لعظمته**»[9].

(١) الرعد: ١٥.
(٢) الكافي: ٢/ ٥٢٢
(٣) عدَّة الداعي: ٢٤٣.
(٤) الأمالي، الطوسيّ: ٥٣٠، الفايق في غريب الحديث، جار الله الزمخشريّ (٥٣٨هـ): ١/ ٣٤٥، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، النهاية، ابن الاثير: ٢/ ٨٣.
(٥) النساء: ١٤٢.
(٦) الدعوات قطب الدين الراونديّ: ٢٠، الكافي: ٢/ ٥٠١، من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٤٠٩.
(٧) الكافي: ٢/ ٥٠١.
(٨) الأعراف: ٢٠٥.
(٩) الكافي: ٢/ ٥٠٢، كتاب الزهد، الحسين بن سعيد الكوفيّ (ق٣هـ): ٥٤، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، ١٣٩٩هـ، المطبعة العلميَّة، قم، تفسير العيَّاشيّ، محمَّد بن مسعود (٣٢٠هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيِّد هاشم الرسوليّ المحلَّاتيّ، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران.

روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله «كان في غزاة، فأشرفوا على وادٍ، فجعل الناس يهلِّلون ويكبِّرون ويرفعون أصواتهم، فقال صلى الله عليه وآله: **يا أيُّها الناس أربعوا على أنفسكم، أمَّا أنَّكم لا تدعون أصمَّا ولا غائبًا، وإنَّما تدعون سميعًا قريبًا معكم**»(١).

فصل: وينقسم الذِّكر أقسامًا(٢):

فمنه التحميد: روى سعيد القمَّاط عن الفضل، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، علِّمني دعاءً جامعًا، فقال لي: **احمد الله فإنَّه لا يبقى أحد يصلِّي إلَّا دعا لك، يقول: سمع الله لمن حمده**»(٣). وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**كلُّ كلامٍ لا يبدأ فيه بالحمد، فهو أقطع**»(٤). وروى أبو مسعود عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**مَن قال أربع مرَّات إذا أصبح: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٥)، فقد أدَّى شُكر يومه، ومن قالها إذا أمسى، فقد أدَّى شُكر ليلته**»(٦).

(١) المجموع، محيى الدين النوويّ (٦٧٦هـ): ٣/ ٤٨٧، دار الفكر، مسند أحمد: ٤/ ٣٩٤، صحيح البخاريّ: ٤/ ١٦، صحيح مسلم: ٨/ ٧٣، سنن أبي داوود: ١/ ٣٤١، سنن البيهقيّ: ٢/ ١٨٤، شرح مسلم، النوويّ: ١٧/ ٢٥، المصنَّف، ابن أبي شيبة: ٢/ ٣٧٢، السنن الكبرى للنسائيّ: ٤/ ٣٩٨، مسند أبي يعلى الموصليّ (٣٠٧هـ): ١٣/ ٢٣١، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار المأمون للتراث، الأذكار النوويَّة، يحيى بن شرف النوويّ (٦٧٦هـ): ٢٢٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) عدَّة الداعي ابن فهد الحِلّيّ: ٢٤٥.

(٣) الكافي: ٢/ ٥٠٣.

(٤) المجموع- النووي: ١/ ٧٣، الأذكار النووية، يحيى بن شرف النووي: ١١٢،شرح مسلم- النووي: ١/ ٤٣.

(٥) الحمد: ٢.

(٦) الكافي: ٢/ ٥٠٣، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٣، مكارم الأخلاق: ٣٠٨، سنن أبي داوود: ٢/ ٤٩٢، الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣/ ٩٦٢، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلمي: ٣٦٠.

وعن الصادق عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن قال (الحمد لله كما هو أهله)؛ فقد شغل كتَّاب السماوات، فيقولون: اللهمَّ لا نعلم الغيب، فيقول الله: اكتبوها كما قالها عبدي، وعليَّ ثوابها»[1].

ومنه التسبيح والتحميد[2]: عن الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: التسبيح نصف الميزان، والتحميد يملأ الميزان، و(لا إله إلَّا الله والله أكبر)، (والله أكبر) يملأ ما بين السماوات والأرض»[3].

ومنه التسبيحات الأربع[4]: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله برجل يغرس غرسًا في حائطٍ له، فوقف عليه وقال: ألا أدلُّك على غرسٍ أثبتُ أصلًا، وأسرع إيناعًا، وأطيب ثمرًا وأبقى؟ قال: فدُلَّني يا رسول الله، فقال: إذا أصبحت وأمسيت، فقُل: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر)؛ فإنَّ لك بذلك إن قلته بكلِّ تسبيحة عشر شجرات في الجنَّة من أنواع الفاكهة، وهنَّ من الباقيات الصالحات. قال: فقال الرجل فأنِّي أُشهدك يا رسول الله أن حايطي هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين أهل الصدقة، فأنزل الله تبارك وتعالى آيات من القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾[5].. [6].

روى محمَّد بن خالد البرقيّ عن الصادق عن أبيه عن جدِّه عليهم السلام، قال: «قال رسول

(١) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ١٣، مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسيّ: ٣٠٨، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٦٠.
(٢) عدَّة الداعي: ٢٤٧.
(٣) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٥٤، الكافي: ٢/ ٥٠٦، مسند أحمد: ٥/ ٣٦٣، سنن الترمذيّ: ٥/ ١٩٧.
(٤) عدَّة الداعي: ٢٤٩.
(٥) الليل: ٥-٧.
(٦) الكافي: ٢/ ٥٠٦، الأمالي، للصدوق: ٢٧٠.

الله ﷺ: مَن قال: (سبحان الله) غرس الله له بها شجرة في الجنَّة، ومن قال (الحمد لله) غرس الله له بها شجرة في الجنَّة، ومن قال (لا إله إلَّا الله) غرس الله له بها شجرة في الجنَّة، ومن قال (الله أكبر) غرس الله له بها شجرة في الجنَّة. فقال له رجل من قريش: إذًا شجرنا في الجنَّة لكثير، قال ﷺ: نعم ولكن إيَّاكم أن ترسلوا عليها نيرانًا فتحرقوها، وذلك قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1]»..[2].

وعنه عليه السلام «أنَّ النبيّ ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: أرأيتم لو جمعتهم ما عندكم من الثياب والآنية والأمتعة، ثمَّ وضعتم بعضه على بعض، أكنتم ترون أنَّه يبلغ السماء؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: أفلا أدلُّكم على شيء أصله في الأرض وفرعه في السماء؟ قالوا: بلى. قال: يقول أحدكم إذا فرغ من الفريضة: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر) ثلاثين مرَّة، فإنَّ أصلهنَّ في الأرض، وفرعهنَّ في السماء، وهنَّ يدفعن (الهمَّ) والهدم والحرق والغرق والتردِّي في البئر وأكل السبع وميتة السوء والبليَّة التي تنزل من السماء في ذلك اليوم على العبد، وهنَّ الباقيات الصالحات»[3]. وروى حمَّاد ابن عثمان عن جعفر بن محمَّد عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: لمَّا أُسريَ بي إلى السماء، دخلت الجنَّة، فرأيت فيها قيعانًا يققًا من مسك، ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة ذهب ولبنة فضَّة، وربَّما أمسكوا، فقلت لهم: مالكم ربَّما بنيتم وربَّما أمسكتم؟ فقالوا أمسكنا حتَّى تجيئنا النفقة، قلت: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر)، وإذا قالهنَّ بنينا، وإذا سكت وأمسك أمسكنا»[4].

(١) محمَّد: ٣٣.
(٢) الأمالي، للصدوق: ٧٥٠، ثواب الأعمال، الصدوق: ١١.
(٣) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ١٢، معاني الأخبار، الصدوق: ٣٢٤، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣٠٦، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٥٩.
(٤) الأمالي، الطوسيّ: ٤٧٤.

ومنه الاستغفار[1]: روى السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير الدعاء الاستغفار**»[2]. وقال عليه السلام: «**إنَّ للقلوب صداء كصداء النحاس، فأجلوها بالاستغفار**»[3]. وقال عليه السلام: «**مَن أكثر الاستغفار جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيق مخرجًا، ورزَقَه من حيث لا يحتسب**»[4]. وروى زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إذا أكثر العبد من الاستغفار، رُفعت صحيفته وهي تتلألأ**»[5]. وعن الرضا عليه السلام: «**مَثل الاستغفار مَثل ورقة على شجرة تحرَّك فتناثر، والمستغفر من ذنبٍ وهو يفعله؛ كالمستهزئ بربِّه**»[6]. وقال عليه السلام: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقوم من مجلس، وإن خفَّ، حتَّى يستغفر الله خمسًا وعشرين مرَّة**»[7]. وعنه عليه السلام قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر الله غداة كلِّ يوم سبعين مرَّة، ويتوب إلى الله سبعين مرَّة**، قلت: وكيف كان يقول: (استغفر الله وأتوب إليه)؟ فقال عليه السلام: **كان يقول (استغفر الله) سبعين مرَّة، ويقول (أتوب إلى الله) سبعين مرَّة**»[8].

(١) عدَّة الداعي: ٢٤٧.

(٢) الكافي: ٢/ ٥٠٤.

(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٢٩٣.

(٤) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٨٦، مسند أحمد: ١/ ٢٤٨، سنن ابن ماجه: ٢/ ١٢٥٥، مستدرك الحاكم: ٤/ ٢٦٢، السنن الكبرى، البيهقيّ: ٣/ ٣٥١، السنن الكبرى، النسائيّ: ٦/ ١١٨.

(٥) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣١٣، مشكاة الأنوار، الطبرسيّ (ق٧هـ): ٢٠١، تحقيق: مهدي هوشمند، ط١، ١٤١٨هـ، مطبعة دار الحديث.

(٦) الكافي: ٢/ ٥٠٤، الحديث: «عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ياسر، عن الرضا عليه السلام قال: **مَثَل الاستغفار مَثَل ورق على شجرة تحرَّك فيتناثر، والمستغفر من ذنبٍ ويفعله كالمستهزئ بربِّه**»، وظ: الوسائل: ٧/ ١٧٦، وظ: البحار: ٩٠/ ٢٨٥.

(٧) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣١٣.

(٨) البحار: ٨٣/ ٢٩٧.

وعنه عليه السلام: «الاستغفار وقول (لا إله إلّا الله) خير العبادة، قال الله العزيز الجبّار: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾[1]»[2].

يقسِّم المصنِّف تحت عنوان **فصل في الاستشفاء بالدعاء والاسترقاء**، وهو على أقسام[3]، والذي يهمُّنا هو:

الأوَّل: لدفع العلل

وهي أدعية:

الأوَّل: روى أبو نجران، وابن فضال عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كان يقول عند العلة (اللهم انك قد عيرت أقواما فقلت ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾[4]، فيا من لا يملك كشف ضرّي، ولا تحويله عنّي أحد غيرك صلِّ على محمَّد وآل محمَّد، واكشف ضرّي وحوِّله إلى مَن يدعو معك إلهًا آخر، لا إله غيرك)**»[5].

والرابع: يونس بن عمَّار قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، هذا الذي ظهر بوجهي يزعم الناس أنَّ الله لم يبتَلِ به عبدًا له فيه حاجة، فقال لي: **قد كان مؤمن**

(١) محمَّد: ١٩.

(٢) الكافي: ٢/ ٥٠٥، والحديث (أبو عليّ الأشعريّ، عن محمَّد بن عبد الجبَّار، عن صفوان ابن يحيى، عن حسين بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الاستغفار وقولُ: لا إله إلّا الله، خير العبادة، قال الله العزيز الجبار: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾**، وظ: الوسائل: ٧/ ١٨٠، البحار: ٩٠/ ١٩٥.

(٣) عدَّة الداعي: ٢٥٦.

(٤) الإسراء: ٥٦.

(٥) الدعوات، الراونديّ: ١٩٠، الكافي: ٢/ ٥٦٤.

آل فرعون مكنَّع الأصابع، وكان يقول هكذا، ويمد يده ويقول: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]. قال: ثمَّ قال عليه السلام لي: إذا كان الثلث الأخير من الليل في أوَّله، فتوضَّأ وقُم إلى صلاتك التي تصلِّيها، فإذا كنت في السجدة الأخيرة من الرَّكعتَين الأوَّليَّين، فقل وأنت ساجد: (يا عليُّ يا عظيم يا رحمن يا رحيم يا سامع الدعوات يا معطي الخيرات صلِّ على محمَّد وآل محمَّد وأعطني من خير الدنيا والآخرة ما أنت أهله، واصرف عنِّي من شرِّ الدنيا والآخرة ما أنت أهله، وأذهِب عنِّي هذا الوجع؛ فإنَّه قد أغاظني وأحزنني)، والح في الدعاء، قال: فما وصلت إلى الكوفة حتَّى أذهب الله به عنِّي كلّه»[2].

الباب السادس: في تلاوة القرآن[3]

وهو قسم من أقسام الذِّكر، وقائم مقام الذِّكر والدعاء في كلِّ ما اشتملا عليه من الحثِّ والترغيب، واستجلاب المنافع، ودفع المضار، وسترى ذلك فيما يأتي، وزاد عليهما شرفًا بأمور:

الأوَّل: كونه كلام الله.

الثاني: إنَّ فيه الاسم الأعظم.

الثالث: إنَّه ينبوع العلم.

الرابع: إنَّ تلاوته والإكثار منها نشر لمعجزة الرسول صلى الله عليه وآله، وإبقاء لها على التواتر.

(١) يس: ٢٠.
(٢) الكافي: ٢/ ٥٦٤
(٣) عدَّة الداعي: ٢٦٧.

الخامس: حصول الثواب على كلِّ حرفٍ منه[1]

فصل: واعلم أنَّ في القرآن الترياق الأكبر، والكبريت الأحمر، والخواص الغريبة، والمعجزات العجيبة، ولا يمثَّل بالطود الأشمِّ، بل هو أفخم، ولا بالبحر الخضمِّ، بل هو أعظم، فهو إن نظرت إلى المواعظ والزواجر، فمنه يأخذ الخطيب المصقع والواعظ المبلغ، وإن نظرت إلى الأحكام ومعالم الحلال والحرام، فمِن بحره يغترف الفقيه الحاذق والمفتي الصادق، وإن نظرت إلى البلاغة والفصاحة، فمنه يأخذ البلغاء، وبتوجيه معانيه ومعرفة أساليبه ومبانيه يفتخر الأديب الكاسر والكيِّس الماهر، وما عسى أن يقول فيه المادحون، ويثني عليه المثنون بعد قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[3]، وإن نظرت إلى الاستشفاء والاسترقاء، وفيه الشفاء والدواء، وهو سبيل إلى الكفاية والغناء، ووسيلة إلى الإجابة والدعاء، وسنبيِّن ذلك، وينقسم على ثلاثة أقسام:

القسم الأوَّل: الاستشفاء من العلل، ولنورد منه شيئًا يسيرًا لأجل الاستشهاد على ما ادَّعيناه، إذ كثيره كثير يعجز عنه غير النبيّ صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام، الذين هم تراجمة وحي الله تعالى.

الأوَّل: «قال الصادق جعفر بن محمَّد عن آبائه عليهم السلام، يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله: أنَّه شكا إليه وجعًا في صدره، فقال عليه السلام: **استشفِ بالقرآن، فإنَّ الله عزّ وجلّ يقول**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

(١) عدّة الداعي: ٢٧٤.
(٢) الاعراف: ١٨٥.
(٣) الأنعام: ٣٨.

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]»..[2].

القسم الثاني: في الاستكفاء، وهو كثير؛ فلنقتصر منه على يسير[3]:

الأوَّل: روى الحسين بن أحمد المنقريّ، قال: «سمعت أبا إبراهيم عليه السلام يقول: **مَن استكفى بآية من القرآن من المشرق إلى المغرب كُفي، إذا كان له يقين**»[4].

الثاني: المفضَّل بن عمر، عنه عليه السلام قال: «**يا مفضَّل احتجب من الناس كلِّهم بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[5]، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[6]، اقرأها عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ومن خلقك، ومن تحتك، ومن فوقك، وإذا دخلت على سلطان جاير حين تنظر إليه فاقرأها ثلاث مرَّات، واعقد بيدك اليسرى ثمَّ لا تفارقها حتَّى تخرج من عنده**»[7].

الثالث: للحفظ من السرَّاق، يقرأ حين يأوي إلى فراشه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[8].. إلى آخر السورة، وردت به الرواية عن عليّ عليه السلام: وعنهم عليهم السلام: «**من قرأ هاتين الآيتين حين يأخذ مضجعه لم يزل في حفظ الله تعالى من كل شيطان مريد وجبار عنيد إلى أن يُصبح**»[9].

(١) يونس: ٥٧.
(٢) الكافي: ٢/ ٦٠٠، تفسير العيَّاشيّ: ٢/ ١٢٤.
(٣) عدَّة الداعي: ٢٧٥.
(٤) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٣٦٣.
(٥) الآية الأولى في القرآن الكريم.
(٦) الإخلاص: ١.
(٧) الكافي: ٢/ ٦٢٤.
(٨) الإسراء: ١١٠.
(٩) الكافي: ٢/ ٥٠٣، والحديث: «عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، والحسين بن محمَّد، عن أحمد بن=

الرابع: قراءة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1] على ما يدَّخر ويخبِّئ حرز له، وردت بذلك الرواية عنهم عليهم السلام.

الخامس: للحفظ من الشيطان، إذا اخذ مضجعه، يقرأ آية السخرة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

روي: «أنَّ رجلا تعلَّم ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام، ثمَّ مضى، فإذا هو بقريةٍ خراب، فبات فيها، ولم يقرأ هذه الأشياء، فتغشَّاه الشياطين، فإذا هو آخذ بلحيته، فقال له

=إسحاق، جميعا عن بكر بن محمَّد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَن قال حين يأخذ مضجعه ثلاث مرَّات: **الحمد لله الذي علا فقهر والحمد لله الذي بطن فخبر والحمد لله الذي ملك فقدر والحمد لله الذي يحيي الموتى ويميت الاحياء وهو على كل شئ قدير. خرج من الذنوب كهيئة يوم ولدته أمه**»، وظ: من لا يحضره الفقيه: ١/ ٤٧٠، تهذيب الأحكام، الطوسيّ: ٢/ ١١٧، الوسائل: ٦/ ٢٢٦، البحار: ٧٣/ ١٩٢.

(١) القدر: ١.

(٢) يونس: ٣-١٠.

صاحبه: أنظره، فاستيقظ الرجل، فقرأ هذه الآية، فقال الشيطان لصاحبه: أرغمَ الله أنفك، احرسه الآن حتَّى يُصبح. فلَّما رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأخبره وقال له: رأيت في كلامك الشفاء والصدق، ومضى بعد طلوع الشمس، فإذا هو بأثر شعر الشيطان مجتمعًا في الأرض»[1].

السادس: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**من قرأ أربع آيات من أوَّل البقرة، وآية الكرسيّ، وآيتَين بعدها، وثلاث آيات من آخرها، لم يرَ في نفسه وماله شيئًا يكرهه، ولا يقربه شيطان، ولا ينسى القرآن**»[2].

السابع: عن الصادق عليه السلام: «**مَن دخل على سلطان يخافه فقرأ عندما يقابله (كهيعص)، ويضمُّ يده اليمنى، كلَّما قرأ حرفًا ضمَّ إصبعًا، ثمَّ يقرأ (حمعسق)، ويضمُّ أصابع يده اليسرى كذلك، ثمَّ يقرأ ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[3]، ويفتحهما في وجهه كُفِي شرَّه**»[4].

الثامن: عن أبي الحسن عليه السلام: «**إذا خفت أمرًا فاقرأ مئة آية من القرآن من حيث شئت، ثمَّ قُل: (اللهمَّ ادفع عنِّي البلاء) ثلاث مرَّات**»[5].

التاسع: «حدَّث أبو عمران موسى بن عمران الكسرويّ، قال: حدَّثنا عبد الله ابن كلب قال: حدَّثني منصور بن العبَّاس عن سعد بن جناح عن سليمان بن جعفر الجعفريّ، عن الرِّضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام، قال: **دخل أبو المنذر هشام السائب الكلبيّ على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: أنت الذي تفسِّر القرآن؟ قال: قلت: نعم، قال: أخبرني عن قول**

(١) الكافي: ٢/ ٦٢٦.
(٢) الكافي: ٢/ ٦٢١، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٠٤.
(٣) طه: ١١١.
(٤) الكافي: ٢/ ٦٢٦.
(٥) الكافي: ٢/ ٦٢١، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٨٧.

الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[1]، ما ذلك القرآن الذي كان إذا قرأه رسول الله ﷺ حُجِب عنهم؟ قلت: لا أدري. قال: فكيف؟ قلت إنَّك تفسِّر القرآن؟ قلت: يا بن رسول الله إن رأيت أن تنعم عليَّ وتعلِّمنيهن، قال عليه السلام: آية في الكهف، وآية في النحل، وآية في الجاثية، وهي: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2]، وفي النحل: ﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْغَٰفِلُونَ﴾[3]، وفي الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾[4].

قال الكسروي: فعلَّمتها رجلًا من أهل همدان كانت الديلم أسرته، فمكث فيهم عشرين سنة، ثمَّ ذكر الثلاث آيات، قال: فجعلت أمرُّ على محالِّهم وعلى مراصدهم، فلا يروني، ولا يقولون شيئًا، حتَّى خرجت إلى أرض الإسلام.

قال أبو المنذر: وعلَّمتها قومًا خرجوا في سفينة من الكوفة إلى بغداد، وخرج معهم سبع سفن، فقطع على ستَّة، وسلمت السفينة التي قرأ فيها هذه الآيات: ﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْغَٰفِلُونَ﴾، وفي الكهف ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾..»[5].

(١) الإسراء: ٤٥.
(٢) الجاثية: ٢٣.
(٣) النحل: ١٠٨.
(٤) الكهف: ٥٧.
(٥) عدَّة الداعي: ٢٧٧.

وروي أيضًا: «إنَّ الرجل المسؤول عن هذه الآيات، ما هي من القرآن؟ هو الخضر عليه السلام: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1]، وفي الكهف: وفي الكهف ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[2].. [3].

العاشر: لحلِّ المربوط، يكتب في رقعة ويعلَّق عليه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[4]، ثمَّ يكتب سورة النصر، ثمَّ يكتب: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5]، و﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[6]، و﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[7]، و﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[8]، و﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[9]، كذلك حَلَلت فلان بن فلانة عن فلانة

(١) النحل: ١٠٨.
(٢) الكهف: ٥٧.
(٣) بحار الأنوار: ٨٩/ ٢٨٤.
(٤) الفتح: ١-٢.
(٥) الروم: ٢١.
(٦) المائدة: ٢٣.
(٧) القمر: ١١-١٢.
(٨) طه: ٢٥-٢٨.
(٩) الكهف: ٩٩.

بنت فلانة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[2].

القسم الثالث: فيما يتعلَّق بإجابة الدعاء، وكلُّ القرآن صالح لإجابة الدعاء بعده[3]

وقد تقدَّم ذِكر ذلك في آداب الدعاء ويتأكَّد منه مواضع، فلنذكر بعضها:

الأوَّل: «روى جعفر بن محمَّد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **لـمَّا أراد الله عزَّ وجلَّ أن ينزل فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، و﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4]، و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5]، إلى قوله: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[6]، تعلَّقن بالعرش، وليس بينهنَّ وبين الله حجاب، فقلن: يا ربِّ تهبطنا إلى دار الذنوب، وإلى من يعصيك، ونحن بالطهور والقدس متعلِّقات. فقال سبحانه: وعزَّتي وجلالي، ما من عبد قرأكنَّ في دبر كلِّ صلاة، إلَّا أسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه، وإلَّا نظرت إليه بعيني المكنونة في كلِّ يوم سبعين نظرة، وإلَّا قضيت له في كلِّ يوم سبعين حاجة، أدناها المغفرة، وإلَّا**

(١) التوبة: ١٢٨.
(٢) التوبة: ١٢٩.
(٣) عدَّة الداعي: ٢٧٩.
(٤) آل عمران: ١٨.
(٥) آل عمران: ٢٦.
(٦) آل عمران: ٢٧.

أعذته من كلِّ عدوٍّ ونصرته عليه، ولا يمنعه دخول الجنة إلَّا الموت»[1].

الثاني: رأيت في بعض الروايات أنَّ الدعاء بعد قراءة الجحد عشر مرَّات عند طلوع الشمس من يوم الجمعة مُستجاب.

الثالث: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من قرأ مائة آية من أي آيِ القرآن شاء، ثمَّ قال: (يا الله) سبع مرَّة، فلو دعا على صخرة لفلقها الله تعالى»[2].

فصل في خواص متفرِّقة

الأول: درست عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ عند النوم، وقي فتنة القبر»[3].

الثاني: عن الصادق عليه السلام: «وقع مصحف في البحر، فوجدوه وقد ذهب ما فيه إلَّا هذه الآية ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾[4]»[5].

الثالث: «سُئل الصادق عليه السلام عن القرآن والفرقان أهما شيئان أم شيء واحد؟ فقال: القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به»[6].

الرابع: «أوَّل ما نزل (بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربِّك)، وآخره (إذا جاء نصر الله والفتح)»[7].

(١) الكافي: ٢/ ٦٢٠، مجمع البيان: ٢/ ٢٦٧،تفسير القرطبيّ: ٤/ ٥٢.
(٢) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٤٥.
(٣) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٥،جوامع الجامع، الطبرسيّ: ٣/ ٨٣٥.
(٤) الشورى: ٥٣.
(٥) الكافي: ٢/ ٦٣٢.
(٦) الكافي: ٢/ ٦٣٠، معاني الأخبار، الصدوق: ١٩٠، تفسير العيَّاشيّ: ١/ ٨٠، مجمع البيان: ٢/ ١٤.
(٧) الكافي: ٢/ ٦٢٨، السنن الكبرى، البيهقيّ: ٩/ ٦.

الخامس: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَن قرأ (قل هو الله أحد) حين يأخذ مضجعه (ثلاث مرات) وكَّل الله به خمسين ألف ملك يحرسونه (طول) ليلته**»(١)، وروى الصدوق في كتاب التوحيد أنَّها كفَّارة خمسين سنة(٢).

السادس: «أبو بكر الخضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع أن يقرأ في دبر الفريضة بـ(قل هو الله أحد)؛ فإنَّه من قرأها جمع الله له خير الدنيا وخير الآخرة، وغفر له ولوالديه وما توالدا (ولدا)**»(٣).

الثامن: «عن الصادق عليه السلام: **من مضى عليه يوم واحد، ولم يصلِّ فيه (قل هو الله أحد)، قيل له يوم القيامة: يا عبد الله لست من المصلِّين**»(٤).

التاسع: عنه عليه السلام: «**من مرَّت له جمعة لم يقرأ فيها بـ(قل هو الله أحد)، ثمَّ مات؛ مات على دين أبي لهب**»(٥).

(١) الأمالي، الصدوق: ٦٠، الخصال، الصدوق: ٦٣١، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٨، تحف العقول، الحرَّانيّ: ١٢٠، روضة الواعظين، الفتَّال: ٣١١، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٢٨٨.

(٢) التوحيد، الصدوق: ٩٥، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيِّد هاشم الحسيني الطهرانيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

(٣) الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٢١٦، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٨، مجمع البيان: ١٠/ ٤٨٠، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٨٦.

(٤) المحاسن، البرقيّ: ١/ ٩٦، الكافي: ٢/ ٦٢٢، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٧، جوامع الجامع: ٣/ ٨٧٣، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٨٦.

(٥) المحاسن، البرقيّ: ١/ ٩٦، ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٨، الخرائج والجرائح، قطب الدين الراونديّ: ٢/ ٦١١، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، بإشراف السيِّد محمَّد باقر الموحد الأبطحيّ، ط١، كاملة محقَّقة، ذي الحجَّة، ١٤٠٩هـ، المطبعة العلميَّة، قم، مجمع البيان: ١٠/ ٤٨٠، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٨٦.

العاشر: «عنه عليه السلام: **من أصابه مرض أو شدَّة، ولم يقرأ في مرضه أو شدَّته (قل هو الله أحد)، ثمَّ مات في مرضه أو شدَّته، فهو من أهل النار**»(١).

الحادي عشر: روى أبو القاسم بن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبي عليه السلام: **ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلَّا كفر**»(٢).

الثاني عشر: «عامر بن عبد الله بن خزاعة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **ما من عبد يقرأ آخر الكهف إلَّا يتيقَّظ في الساعة التي يريد**»(٣).

الثالث عشر: «عن الزهريّ، قال: قلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل؟ قال: **الحالُّ المرتحِل**، قلت: وما الحالّ المرتحِل؟ قال: **فتح القرآن وختمه، كلَّما حلَّ بأوَّله، ارتحل في آخره**»(٤).

الرابع عشر: «عن أبي جعفر عليه السلام: **من قرأ بني إسرائيل في كلِّ ليلة جمعة، لم يمت حتَّى يدرك القائم عليه السلام، ويكون معه، ومن قرأ سورة الكهف كلَّ ليلة جمعة، لم يمت إلَّا شهيدًا، وبعثه الله مع الشهداء**»(٥).

الخامس عشر: عنه عليه السلام: «**من أوتر بالمعوِّذَتين و(قل هو الله أحد)، قيل له: يا عبد الله أبشر فقد قُبل وترك**»(٦).

(١) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٢٧، جوامع الجامع: ٣/ ٨٧٣، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٨٦.

(٢) الكافي: ٢/ ٦٣٢، ثواب الأعمال، الصدوق: ٢٨٠، معاني الأخبار، الصدوق: ١٩٠، تفسير العيَّاشيّ: ١/ ١٨.

(٣) الكافي: ٢/ ٥٤٠، من لايحضره الفقيه: ١/ ٤٧١، تهذيب الأحكام: ٢/ ١٧٥، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٢٩١، فلاح السائل، ابن طاووس: ٢٨٧.

(٤) الدعوات: ٣٢، الكافي: ٢/ ٦٠٥.

(٥) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٠٧، تفسير العيَّاشيّ: ٢/ ٢٧٦، جوامع الجامع: ٢/ ٣٥٧، مجمع البيان: ٦/ ٢١٣، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٣٧١٠.

(٦) ثواب الأعمال: ١٢٩، الأمالي، الصدوق: ١١٦.

السادس عشر: «عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من قرأ (قل هو الله أحد) حين يخرج من منزله عشر مرات لم يزل من الله في حفظه وكلائه حتى يرجع إلى منزله»[1].

ومن الآداب في رقية الدود في السابع عشر[2]: رقية الدود الذي يأكل المباطخ والزرع، يُكتب على أربع قصبات أو أربع رقاع، ويجعل على أربع قصبات في أربع جوانب المبطحة أو الزرع: أيُّها الدود أيُّها الدواب والهوام والحيوانات، اخرجوا من هذه الأرض والزرع إلى الخراب، كما خرج ابن متّى من بطن الحوت، فإن لم تخرجوا أرسلت عليكم ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾[3]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[4] فماتوا، ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[5]، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[6]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[7]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[8]، ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[9]، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

(١) الكافي: ٢/ ٥٤٢.
(٢) عدّة الداعي: ٢٨٢.
(٣) الرحمن: ٣٥.
(٤) البقرة: ٢٤٣.
(٥) ص: ٧٧.
(٦) القصص: ٢١.
(٧) الإسراء: ١.
(٨) النازعات: ٤٦.
(٩) الشعراء: ٥٧-٥٨.

وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾[1]، ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾[2]، ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3]، ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[4]، ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[5].

الثامن عشر: «عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: **مَن توضَّأ ثم خرج إلى المسجد فقال حين يخرج من بيته: بسم الله ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾[6]، هداه الله إلى الصواب من الايمان، وإذا قال: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾[7]، أطعمه الله ﷻ من طعام الجنة وسقاه من شراب الجنة، وإذا قال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[8]، جعله الله ﷻ كفَّارة لذنوبه، وإذا قال: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾[9]، أماته الله ﷻ ميتة الشهداء، وأحياه حياة السعداء، وإذا قال: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾[10]، غفر الله ﷻ خطاياه كلَّها، وإن كانت أكثر من زَبَد البحر، وإذا قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[11]، وهب الله تعالى له حكما وألحقه بصالح من مضى وصالح من بقي، وإذا قال: ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾[12]، كتب الله ﷻ له ورقة بيضاء أنَّ فلان بن**

(١) الدخان: ٢٩.
(٢) ص٧٧.
(٣) الأعراف: ١٨
(٤) الأعراف: ١٣.
(٥) النمل: ٣٧.
(٦) الشعراء: ٧٨.
(٧) الشعراء: ٧٩.
(٨) الشعراء: ٨٠.
(٩) الشعراء: ٨١.
(١٠) الشعراء: ٨٢.
(١١) الشعراء: ٨٣
(١٢) الشعراء: ٨٤.

فلان من الصادقين، وإذا قال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[1]، أعطاه الله ﷻ منازل في الجنّة، وإذا قال: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[2]، غفر الله ﷻ لأبويه»[3].

التاسع عشر: «روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: **مَن قرأ هذه الآية عند منامه ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾**[4] إلى آخر السورة، **سطع له نور إلى المسجد الحرام، حشو ذلك النور ملائكة تستغفرون له حتّى يُصبح**»[5].

ويعقّب في آخر الأقسام بقوله: «**ختم وارشاد**: وإذًا قد عرفت فضل الدعاء والذِّكر، وعرفت أنَّ الأفضل من كلٍّ منهما ما كان سرًّا، وأنَّه يعدل سبعين ضعفًا من الجهر، فاعلم أنَّ قول أحدهما فيما رواه زرارة: «فلا يعلم ثواب ذلك الذِّكر في نفس الرجل غير الله؛ لعظمته»[6]..»[7].

إيماء إلى قسم ثالث من أقسام الذِّكر: أعلى من الأوَّلين، أعني الجهر والسرَّ، وهو الذي يكون في نفس الرجل، لا يعلمه غير الله. ثمَّ اعلم أنَّ وراء هذه الأقسام الثلاثة قسم رابع من أقسام الذِّكر، وهو أفضل منها بأجمعها، وهو ذِكر الله سبحانه عند أوامره

(١) الشعراء: ٨٥.
(٢) الشعراء: ٨٦.
(٣) الكامل، عبد الله بن عدي (٣٦٥هـ): ٢/ ٣٦، تحقيق وقراءة وتدقيق: يحيى مختار غزّاوي، ط٣، محرَّم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان
(٤) الكهف: ١١٠.
(٥) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٤٧١، تهذيب الأحكام: ١/ ١٧٦، الكشّاف، الزمخشريّ: ٢/ ٥٠١، جوامع الجامع: ٢/ ٤٠١، تفسير النسفيّ، النسفيّ (٥٣٧هـ): ٣/ ٢٩، تفسير البيضاويّ، البيضاويّ (٦٨٢هـ): ٣/ ٥٢٨، بيروت، دار الفكر، فلاح السائل، ابن طاووس: ٢٨٢.
(٦) الكافي: ٢/ ٥٠٢، تفسير العيّاشيّ: ٢/ ٤٤،
(٧) عدّة الداعي: ٢٨٣.

ونواهيه، فيفعل الأوامر، ويترك النواهي؛ خوفًا منه، ومراقبةً له. روى أبو عبيدة الخزاعيّ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: **ألا أخبرك بأشدِّ ما فرض الله على خلقه؟** قال: بلى، ثمَّ قال: **من أشدِّ ما فرض الله إنصافك الناس من نفسك، ومواساتك أخاك المسلم في مالك، وذِكر الله كثيرًا أمَا أنِّي لا أعني (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر)، وإن كان منه، ولكن ذِكر الله تعالى عند ما أحلَّ وحرَّم، إن كان طاعة عَمِل بها، وإن كان معصية تركها»**[1].

وبعد أن يعدِّد قسم من الروايات، يذكر بعض الروايات عن الورع والتَّقوى[2]:

وقال عليه السلام: «**أصل الدين الورع كن ورعا تكن أعبد الناس كن بالعمل بالتقوى أشد اهتماما منك بالعمل بغيره فإنه لا يقل عمل بالتقوى وكيف يقل عمل يتقبل؟ لقول الله عز وجل** ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[3]، **فكان التَّقوى مدار قبول العمل**»[4].

واعلم أنَّ الصادق عليه السلام سُئِل عن تفسير التَّقوى، فقال عليه السلام: «**إن لا يفقدك الله حيث أمَرَك، ولا يراك حيث نَهاك**»[5].

ثمَّ يعقِّب على قول الصادق عليه السلام، فيقول: «وهذا هو بعينه قوله عليه السلام في أوَّل الباب: ولكن ذِكر الله عندما أحلَّ وحرَّم، فإن كان طاعةً عمل بها، وإن كان معصيةً تركها. وهذا هو حدُّ التقوى، وهي العدَّة الكافية في قطع الطريق إلى الجنَّة، بل هي الجنَّة الواقية من

(١) الكافي: ٢/ ٧٠، الأمالي، الطوسيّ: ٦٦٥.
(٢) عدَّة الداعي: ٢٨٥.
(٣) المائدة: ٢٧.
(٤) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٤٦٨.
(٥) الخصال، الصدوق: ٣٠، الوسائل: ٢٠/ ٣٥٨.

متالف الدنيا والآخرة، وهي الممدوحة بكلِّ لسان، والمشرفة لكلِّ إنسان، ولقد شحن بمدحها القرآن»[1]. ثمَّ يستشهد بالقرآن الكريم، فيقول: «وكفاها شرفًا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[2]، ولو كان في العالم خصلة أصلح للعبد، وأجمع للخير، وأعظم في القدر، وأولى بالإيجال، وأنجح للآمال من هذه الخصلة التي هي التَّقوى؛ لكان الله سبحانه أوحى بها عباده، لمكان حكمته ورحمته، فلمَّا أوصى بهذه الخصلة الواحدة جمع الأوَّلين والآخرين، واقتصر عليها، علم أنَّها الغاية التي لا يُتَجاوز عنها، ولا مُقتصر دونها»[3].

والقرآن مشحون بمدحها، وعدَّ في مدحها خصالا[4]:

الأوَّل: المدحة والثناء: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[5].

الثاني: الحفظ والتحصين من الأعداء: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[6].

الثالث: التأييد والنصر: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[7].

الرابع: إصلاح العمل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[8].

(١) عدَّة الداعي: ٢٨٥.
(٢) النساء: ١٣١.
(٣) عدَّة الداعي: ٢٨٥.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) آل عمران: ١٨٦.
(٦) آل عمران: ١٢٠.
(٧) البقرة: ١٩٤.
(٨) الأحزاب: ٧٠-٧١.

الخامس: غفران الذنوب: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

السادس: محبَّة الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٢).

السابع: القبول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٣).

الثامن: الإكرام: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٤).

التاسع: البشارة عند الموت: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٥).

العاشر: النجاة من النار: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(٦).

الحادي عشر: الخلود في الجنَّة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٧).

الثاني عشر: تيسير الحساب: ﴿عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٨).

الثالث عشر: النجاة من الشدائد والرزق الحلال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(٩).

---

(١) ال عمران: ٣١.

(٢) التوبة: ٧.

(٣) المائدة: ٢٧.

(٤) الحجرات: ١٣.

(٥) يونس: ٦٤.

(٦) مريم: ٧٢.

(٧) آل عمران: ١٣٣.

(٨) الأنعام: ٦٩.

(٩) الطلاق: ٢-٣.

ثـمَّ يبدأ المصنِّـف في تفصيل الصفات التي شـملتها الآيتَان الأخيرَتَان من سـورة الطلاق، فقال: «فانظر ما جمعت هذه الخصلة الشريفة من السعادات، فلا تنس نصيبك منها، ثمَّ انظر إلى الآية الأخيرة، وما اشتملت عليه»[1]، وقد دلَّت على أمور:

الأوَّل: إنَّ التقوى حصنًا منيعًا وكهفًا حريزًا؛ لقوله تعالى: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، ومثله قوله عليه السلام: «**لو أنَّ السـماوات والأرض كانتا رتقًا على عبده المؤمن، ثمَّ اتَّقى الله؛ لجعل الله له منهما فرجًا ومخرجًا**»[2].

الثاني: كونها كنزًا كافيًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

الثالـث: دلَّـت أيضًا على فضيلة التـوكُّل، وأنَّ الله تعالى يضمن للمتـوكِّل بكفايته بقولـه: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[3]، ومـن هـذا قـال النبـيّ صلى الله عليه وآله: «**لو أنَّ الناس أخذوا بهذه الآية؛ لكفتهم**»[4].

الرابـع: تعريفه تعالى لعبيـده أنَّه قادر على ما يريد، لا يعجـزه شيء، ولا يمتنع من إرادتـه مطلوب، بقولـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾، ليثقوا وعدهم على تقواه من الاسـتكفاء والإعطاء، وعلى توكُّله بالكلائة والإرعاء.

(١) عدَّة الداعي: ٢٨٦.

(٢) نهـج البلاغة، الإمـام علـيّ عليه السلام، شرح محمَّد عبـدة: ٢/ ١٣، البحـار: ٢٢/ ٤٤١، والحديث «ومـن كلامـه عليه السلام لأبي ذر؛ لـمَّا أُخرج إلى الرَّبذة: **يا با ذر إنَّك غضبت لله فارجُ من غضبت له، إنَّ القـوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاتـرك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بـما خفتهـم عليه، فما أحوجهـم إلى ما منعتهـم، وأغناك عمَّا منعوك، وسـتعلم مَـن الرابح غدا، والأكثر حسـدًا، ولو أنَّ السـماوات والأرض كانتا على عبد رتقًا، ثمَّ اتَّقى الله؛ لجعل الله له منهما مخرجًا، لا يؤنسنك إلَّا الحق، ولا يوحشنك إلَّا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبُّوك، ولو قرضت منها لآمنوك**».

(٣) النساء: ١٢٢.

(٤) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٤٦٨، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٢٠٠.

وتعزيزًا لشاهده، يزيد التوثيق من الروايات[1]، فيقول: «وسُئِل الصادق عليه السلام عن حدِّ التوكُّل، فقال: «**أن لا يخاف مع الله شيئًا**»[2]، وأنَّ في هذه الآية لبلغة للعباد، وكفاية لمطالب الاسترشاد.

روى أحمد بن الحسين الميثميّ عن رجل من أصحابه، قال: «قرأت جوابًا من أبي عبد الله عليه السلام إلى رجل من أصحابه: **أمَّا بعد فأنِّي أوصيك بتقوى الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ الله قد ضمن لمن اتَّقاه أن يحوِّله عمَّا يكره إلى ما يحبُّ، ويرزقه من حيث لا يحتسب، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يخدع عن جنبه، ولا ينال ما عنده إلَّا بطاعته**»[3]. وعن الباقر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله عزَّ وجلَّ: وعزَّتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواه على هواي إلَّا شتَّت عليه أمره، ولبست عليه دنياه، واشتغلت قلبه بها، ولم أرزقه منها إلَّا ما قدَّرت له، وعزَّتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلَّا استحفظته ملائكتي، وكفلت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلِّ تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[4]. وروى أبو سعيد الخدريّ قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عند منصرفه من أحد، والناس محدقون به، وقد أسند ظهره إلى طلحة هناك: «**أيُّها الناس أقبلوا على ما كلفتموه من إصلاح آخرتكم، واعرضوا عمَّا ضمن لكم من دنياكم، ولا تستعملوا جوارحًا غذِّيت بنعمته في التعرُّض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم في التماس مغفرته، واصرفوا**

(١) عدَّة الداعي: ٢٨٧.

(٢) الكافي: ٢/ ٥٧، الأمالي، الصدوق: ٣١١، تحف العقول، ابن شعبة الحرَّانيّ: ٤٤٥، روضة الواعظين، الفتَّال: ٤٢٥.

(٣) الكافي: ٨/ ٤٩، تحف العقول: ٢٤٠، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٢٢٠.

(٤) الكافي: ٢/ ٣٣٥، المجازات النبويَّة، الشريف الرضيّ (٤٠٦هـ): ١٧٤، تحقيق وشرح: طه محمَّد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، مسند أحمد: ٥/ ١٨٣، مجمع البيان: ٩/ ٤٦، إعجاز القرآن، الباقلَّانيّ (٤٠٣هـ): ١٣٣، تحقيق: السيِّد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف، مصر.

همَّتكم التقرُّب إلى طاعته، مَن بدأ بنصيبه من الدنيا، فإنَّه نصيبه من الآخرة، ولم يدرك منها ما يريد، ومَن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا، وأدرك من الآخرة ما يريد»[1]. وروى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أيّما مؤمن أقبل قبل ما يحب الله أقبل الله عليه قبل كلِّ ما يحب، ومن اعتصم بالله بتقواه عصمه الله، ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبالِ لو سقطت السماء والأرض، وإن نزلت نازلة على أهل الأرض فشملتهم بليَّة، كان في حرز الله بالتقوى من كلِّ بليَّة، أليس الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾»[2]..[3].

في بيان أنَّ التقوى هو الاكتساب والاجتناب[4]

يقول: واعلم أنَّ التقوى شطران، شطر الاكتساب، وشطر الاجتناب، والاكتساب فعل الطاعات، والاجتناب ترك المنهيَّات، وهو أسلم وأصلح للعبد وأهمّ عليه من شطر الاكتساب؛ لأنَّ الاجتناب يفيد مع حصوله، ويزكو معه ما يحصل من شطر الاكتساب وإن قلَّ، قال عليه السلام: «يكفي من الدعاء مع البرِّ ما يكفي الطعام من الملح»[5].. وشطر الاكتساب لا ينفع مع تضييع شطر الاجتناب.. قال القرشيّ: «إنَّ شجرنا في الجنَّة لكثيرة، قال: نعم ولكن إيَّاكم أن تُرسلوا عليها نيرانًا فتحرقوها»[6]. وعنه عليه السلام: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[7]). وعنهم عليهم السلام: «جدُّوا واجتهدوا، وإن

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٣٣٩.
(٢) الدخان: ٥١.
(٣) مشكاة الأنوار، عليّ الطبرسيّ: ٥٣.
(٤) عدَّة الداعي: ٢٩٣.
(٥) الأمالي، الطوسيّ: ٥٣٤، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ: ٥٦٤، أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ١٩٧.
(٦) الكافي: ٨/ ٤٥، تحف العقول، ابن شعبة الحرَّانيّ: ٤٩٣.
(٧) الفتوحات المكيَّة، ابن العربيّ (٦٣٨هـ): ٤/ ٥٤٣، دار صادر، بيروت، لبنان، أعلام الدين=

لم تعملوا فلا تعصوا، فإنَّ من يبني ولا يهدم، يرتفع بناؤه وإن كان يسيرًا، وإنَّ من يبني ويهدم، يوشك أن لا يرتفع له بناء»[1].

فعليك بالاجتهاد في تحصيل الطرفَين؛ لتستكمل حقيقتها، وتكون قد سلمت وغنمت، وإن لم تبلغ إلَّا إلى أحدهما، فليكن ذلك شطر الاجتناب، فتسلم إن لم تغنم، وإلَّا خسرت الشَّطرَين جميعًا، فلا ينفعك قيام الليل وتعبه مع تضمضك بأعراض الناس. وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إيَّاكم وفضول الطعام؛ فإنَّه يَسِمُ القلب بالقسوة، ويبطئ بالجوارح عن الطاعة، ويصمُّ الهمم عن سماع الموعظة، وإيَّاكم وفضول النظر؛ فإنَّه يبذر الهوى ويولِّد الغفلة، وإيَّاكم واستشعار الطمع؛ فإنَّه يشوب القلب بشدَّة الحرص، ويختم القلب بطابع حبِّ الدنيا، وهو مفتاح كلِّ معصية، ورأس كلِّ خطيئة، وسبب إحباط كلِّ حسنة**»[2]. وهذا مثل قوله عليه السلام: «**إيَّاكم أن ترسلوا عليها نيرانًا فتحرقوها**»[3].

وروى محمَّد بن يعقوب يرفعه إلى أبي حمزة، قال: «كنت عند عليّ بن الحسين عليهما السلام، فجاءه رجل، فقال له: يا أبا محمَّد إنِّي مُبتلى بالنساء، فأزني يومًا، وأصوم يومًا، فيكون ذا كفَّارة لذا، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: **إنَّه ليس شيء أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ من أن يُطاع فلا يُعصى، فلا تزني ولا تصوم**، فاجتذبه أبو جعفر عليه السلام بيده إليه، فقال له: **تعمل عمل أهل النار، وترجو أن تدخل الجنَّة**»[4]. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ليجيئن أقوام يوم القيامة لهم من الحسنات كجبال تهامة فيأمر بهم إلى النار**، فقيل: يا نبيَّ الله أ مُصلُّون؟ قال: **كانوا**

=في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٣٩.

(١) الأمالي، الصدوق: ٧٠٥، ثواب الأعمال، الصدوق: ١١.

(٢) البحار: ٦٩/ ١٩٩.

(٣) ثواب الأعمال: ١١، الوسائل: ٧/ ١٨٧.

(٤) الكافي: ٥/ ٥٤٢.

يصلُّـون ويصومون، ويأخذ ون وهنًا من الليل، لكنَّهم كانوا إذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه»[1].

واعلم أنَّك لن تبلغ ذلك إلَّا بالمجاهدة لنفسك الأمَّارة، فإنَّها أضرّ الأعداء، كثيرة البـلاء، مرميَّة في المهالك، كثيرة الشـهوات، قال الله تعـالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2]. وقال ﷺ: «**أعدى عدوَّك نفسـك التي بـين جنبيك**»[3]، فلا تغفل عنها، وأوثقهـا بقيد التقوى، وأكثرها بثلاثة أشـياء: الأوَّل: منع الشـهوات، فإنَّ دابَّة الحرون تلـين إذا نقص من علفها. الثاني: تحمُّل أثقال العبادات، فإنَّ الدابَّة إذا ثقل حملها، وقلِّل علفها، ذلَّت وانقادت. الثالث: الاستعانة بالله والتضرُّع إليه بأن يعينك عليها، أوَ لا ترى إلى قـول الصدِّيـق: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، فإذا وطنت (وظبت) على هذه الأمور الثلاثة، انقادت لك بإذن الله تعالى، فح تبادر إلى أن تملكها، وتلجمها وتأمن من شرِّها، وكيف تأمن أو تسلم مع إهمالها؟ مع ما تشاهد من سوء اختيارها ورداءة أحوالها، ألست تراها وهي في حالة الشهوة بهيمة؟ وفي حال الغضب سـبع، وفي حال المصيبة طفل، وفي حال النعمة فرعون، وفي حال الشـبع تراهـا مختالة، وفي حال الجوع تراها مجنونًا، إن أشـبعتها بطـرت، وإن جوَّعتها صاحت وجزعت، فهي كالحمار السوء إن أقضمته رمَحَ، وان جاع نهق.

قـال بعض العلماء: ومن رداءة هذه النفس جهلها أنَّها إذا همَّت بمعصية، أو انبعث لها شـهوة، لو تشـفَّعت إليها بـالله تعالى ثمَّ برسـوله وبجميـع أنبيائه وكتبـه، وبجميع

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ: ٣٤٣
(٢) النازعات: ٣٧-٤١.
(٣) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائيّ: ٤/ ١١٨.
(٤) يوسف: ٥٣.

الملائكـة المقرَّبين، وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنَّـة والنار، لا تُعطي القياد ولا تسكن، ولا تترك الشهوة، ثمَّ استقبلها بمنع رغيف أو إعطاء رغيف، تسكن وتترك شـهوتها لتعلم خسَّـتها وجهلها. وإيَّاك أن تغفل عنها طرفة عين، فإنَّها كما قال خالقها: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

وكفى بهذا تنبيهًا لمن عقل، فألجِمها بالتقوى، وقُدها بزمام الرجا، وسُـقها بسـوط الخـوف، وأمَّـا التقوى فلتتقيَّد بها عن الجمـوع والنفار، وأمَّا الخـوف فإنَّما يجب التزامه لأمرَين:

الأوَّل: لتزجـر به عن المعاصي، فإنَّها أمَّارة بالسـوء، ميَّالـة إلى الشرِّ، ولا تنتهي عن ذلك إلَّا بتخويفٍ عظيمٍ وتهديد.

الثـاني: لئَّلا تعجب بالطاعة، والعجـب من المهلكات، بل تقمعهـا بالذمِّ والعَيب والنقص، وما اكتسب به من الأوزار والخطايا التي توجِب الخزي والنار.

وأمَّا الرجاء؛ فإنَّما يلزم لأمرَين:

الأوَّل: ليبعث على الطاعات؛ لأنَّ الخير ثقيل، والشيطان عنه زاجر، والنفس ميَّالة إلى الكسل والبطالة.

الثاني: ليهون عليك احتمال المشقَّات والشدائد؛ لأنَّ من عرف ما يطلب، هانَ عليه ما يبذل، ألا ترى مشـتار العسـل؟ لا يتفكَّر بلسـع النحل لما يتذكَّر من حلاوة العسل، والفاعـل يعمـل طول نهاره بالجهد الشـديد، ويجـد لذلك لذَّة من أجـل أخذ الأجرة، والفلاح لا يتفكَّر بمقاسـاةِ الحرِّ والبرد، ومباشرة الشـقاء والكدِّ طول السـنة، لما يتذكَّر من البذر، فأجهد أيُّها الواعي على الغاية القصوى، واصبر على الألم والبلوى.

(١) يوسف: ٥٣.

ثـمَّ إذا كان أثر العبوديَّـة وهو القيام بالطاعة والانتهاء مـن المعصية؛ وذلك لا يتمُّ مـع هذه النفس الأمَّارة بالسـوء إلَّا بترغيـبٍ وترهيبٍ وتخويفٍ وترحيـبٍ، فإنَّ الدابَّة الحرون تحتاج إلى قائد يقودها، وإلى سـائق يسوقها، وإذا وقعت في مهواة، فربَّما تُضرَب بالسوط من جانب، ويلوَّح لها بالشعير من جانب آخر حتَّى تنهض وتتخلَّص ممَّا وقعت فيـه، فـإنَّ الصبيّ الغرّ لا يمرُّ إلى المكتـب إلَّا بترحيبه من الأبَوَيـن، وتخويفه من المعلِّم، وكذلك هذه النفس دابَّة حرون، وقعت في مهمَّات الدنيا، فالخوف سـوطها وسـائقها، والرجاء شـعيرها وقائدها، وإنَّما يغدو الصبي الغرّ إلى المكتـب رغبةً في الرجاء، ورهبة في الخـوف، فذكر الجنَّة وثوابها ترحيب النفس وترغيبها، والنار وعقباها تخويف النفس وترهيبها.

خاتمة الكتاب في أسماء الله الحسنى[1]

فصل:

وقد أحببت أن أختم هذه الرسالة بذِكر أسمائه الحسنى، بوجهَين:

أمَّـا أوَّلًا: فـلأنَّ المقصود مِن وضع هـذا الكتاب التنبيه على ما يكون سـببًا لإجابة الدعـاء، وقال الله تبارك وتعـالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]. وقد روى: «الصدوق بإسناده مرفوعًا إلى عبد السـلام بن صالح الهرويّ، عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله: **إنَّ لله عزَّ وجلَّ تسـعةً وتسعونَ اسـمًا، مَن دعا الله بها، استجاب له، ومَن أحصاها دخل الجنَّة**»[3].

(١) عدَّة الداعي: ٢٩٨-٣١٧.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

(٣) المحلَّى، ابن حزم (٤٥٦هـ): ١/ ٣٠، دار الفكر، التوحيد، الصدوق (٣٨١هـ): ١٩٤، تحقيق=

وأمَّا ثانيًا: فلنشـرِّف هذه الرسالة، وليكون ختامها مسك. ثمَّ أردفها بشرحها على وجهٍ وجيزٍ لا باختصارٍ مخلٍّ ولا بإطنابٍ مملٍّ؛ ليكون ذلك كالعقيدة لسامعها وقاريها وحافظها وواعيها وكاتبها، فيبلغ بذلك حقيقة التوحيد، ولعلَّ إلى هذا أشار الصدوق بقوله: معنى أحصاها، هو الإحاطة لها، والوقوف على معانيها، وليس معنى الإحصاء عدّها.

وروى: «الصدوق أيضًا بإسناده إلى سليمان بن مهران عن الصادق جعفر بن محمَّد عن أبيه محمَّد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ ابن أبي طالب عليهم السلام، قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ لله تبارك وتعالى تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلَّا واحدًا، من أحصاها دخل الجنَّة (صدق رسول الله صلى الله عليه وآله)، وهي: الله، الواحد، الأحد، الصمد، الأوَّل، الآخر، السميع، البصير، القدير، القاهر، العليُّ، الأعلى، الباقي، البديع، الباري، الأكرم، الظاهر، الباطن، الحي، الحكيم، العليم، الجِلِّيم، الحفيظ، الحق، الحسيب، الحميد، الحفي، الربّ، الرحمن، الرحيم، الذاري، الرازق، الرقيب، الرؤوف، الرائي، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبَّار، المتكبر، السيِّد، السبُّوح، الشهيد، الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفو، الغفور، الغني، الغياث، الفاطر، الفرد، الفتاح، الفالق، القديم، الملك، القدوس، القوى، القريب، القيوم، القابض، الباسط، قاضي الحاجات، المجيد، الوليّ، المنَّان، المحيط، المبين، المقيت، المصوِّر، الكريم، الكبير، الكافي، كاشف الضرِّ، الوِتر، النور، الودود، الوهاب، الناصر، الواسع، الهادي، الوفي، الوكيل، الوارث، البر، الباعث، التوَّاب، الجليل، الجواد، الخبير، الخالق، خير الناصرين، الديَّان، الشكور، العظيم، اللطيف، الشافي**»[1].

=وتصحيح وتعليق: السيِّد هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة في قم المقدَّسة، الخِصال، الصدوق: ٥٩٣، سنن ابن ماجه: ٢/ ١٢٦٩، سنن الترمذيّ: ٥/ ١٩١، مستدرك الحاكم: ١/ ١٦، السنن الكبرى، البيهقيّ: ١٠/ ٢٧.

(١) الخصال، الصدوق: ٥٩٣، التوحيد، الصدوق: ١٩٤.

١. الله: أشهر أسماء الله تعالى وأعلاها محلًّا في الذِّكر والدعاء، وتسمَّت به سائر الأسماء.

٢. الواحد.

٣. الأحد.

هما اسمان يشملهما نفي الأبعاض عنهما، والأجزاء، والفرق بينهما من وجوه:

الأوَّل: إنَّ الواحد هو المنفرد بالذات، والأحد هو المنفرد بالمعنى.

الثاني: إنَّ الواحد أعمُّ موردًا؛ لكونه يُطلق على من يعقل وغيره، ولا يُطلق الأحد الأعلى من يعقل.

الثالث: إنَّ الواحد يدخل في الضرب والعدد، ويمتنع دخول الأحد في ذلك.

٤. الصمد: هو السيِّد الذي يُصمَد إليه في الأمور، ويُقصَد في الحوائج والنوازل. وأصل الصمد القصد، تقول: صمدت صمد هذا الأمر، أي قصدت قصده، وقيل: الصمد الذي ليس بجسم ولا جوف.

٥. الأوَّل: هو السابق للأشياء، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، لا شيء قبله.

٦. الآخر: هو الباقي بعد فناء الخلق، وليس معنى الآخر ما له الانتهاء كما ليس معنى الأول ماله الابتداء فهو الأول والآخر.

٧. السميع: بمعنى السامع، يسمع السرَّ والنجوى، سواء عنده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت، وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ

﴿ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[1]، ويسمع الدعاء، وقيل: السميع العالم بالمسموعات، وهي الأصوات والحروف، وثبوت ذلك له ظاهر؛ لأنَّه لا يغيب عنه شيء من أصوات خلقه، أو لأنَّه عالم بكلِّ شيء معلوم، فيدخل في ذلك البصير.

٨. البصير: وهو المبصر، أي عالم بالخفيَّات، وقيل: البصير العالم بالمبصرات.

٩. القدير: بمعنى القادر، وهو من القدرة على الشيء والتمكُّن منه، فلا يطيق الامتناع عن مراده، ولا يستطيع الخروج عن إصداره وإيراده.

١٠. القاهر: هو الذي قهر الجبابرة، وقهر عباده بالموت، ولا يطيق الأشياء الامتناع منه ممَّا يريد الإنفاذ فيها.

١١. العليّ: المتنزِّه عن صفات المخلوقين تعالى أن يوصف بها، وقد يكون بمعنى العالي فوق خلقه بالقدرة عليهم، أو الترفُّع بالتعالي عن الأشباه والأنداد، وعمَّا خاضت به وساوس الجهَّال، وترامت إليه فكر الضلال، فهو متعالٍ عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

١٢. الأعلى: بمعنى الغالب، كقوله تعالى: ﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[2]، وقد يكون بمعنى المتنزِّه عن الأمثال والأضداد والأشباه والأنداد.

١٣. الباقي: هو الذي لا تعرض عليه عوارض الزوال، وبقاؤه غير متناهٍ ولا محدود، وليست صفة بقائه ودوامه كبقاء الجنَّة والنار ودوامهما؛ لأنَّ بقاءه أزليّ أبديّ، وأنَّ بقاءَهما أبديّ غير أزليّ، ومعنى الأزل ما لم يزل، ومعنى الأبد ما لا يزال والجنَّة والنار مخلوقتان بعد أن لم تكونا، فهذا فرق ما بين الأمرَين.

(١) الشورى: ٢٥.

(٢) طه: ٦٨.

١٤. البديع: هو الذي فطر الخلق مبتدعًا لها لا على مثال سابق، وهو فعيل على مفعل كاليم بمعنى مؤلم، والبدع هو الذي يكون أوَّلًا في كلِّ شيء، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[١]، أي لست بأوَّل مرسل.

١٥. الباري: الخالق، ويقال: برء الله الخلق أي خلقهم كما يقال بارئ النسم، وهو الذي فلق الحبَّة وبرء النسمة، وبارئ البرايا، أي خالق الخلايق، والبريَّة الخليقة.

١٦. الأكرم: معناه الكريم، وقد يجيء أفعل في معنى فعيل، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٢]، إن هين عليه ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾[٣]، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾[٤]، يعنى الشقيّ والتقيّ.

١٧. الظاهر: بحججه الباهرة وبراهينه النيِّرة، وشواهد أعلامه الدالَّة على ثبوت ربوبيَّته وصحَّة وحدانيَّته، فلا موجود إلَّا وهو يشهد بوجوده، ولا مخترع إلَّا وهو يعرب عن توحيده:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ
تدلُّ على أنَّه واحدُ

وقد يكون بمعنى الغالب القادر، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[٥].

(١) الاحقاف: ٩.
(٢) الروم: ٢٧.
(٣) الليل: ١٥.
(٤) الليل: ١٧.
(٥) الصف: ١٤.

١٨. الباطن: المحتجب عن إدراك الأبصار وتلوُّث الخواطر والأفكار، فهو الظاهر الخفيّ، الظاهر بالدلايل والإعلام، والخفيّ بالكنه عن الأوهام، احتجب بالذات، وظهر بالآيات، فهو الباطن بلا حجاب، والظاهر بلا اقتراب، وقد يكون بمعنى البطون، وهو الخبر، وبطانة الرجل وليجته الذين يداخلهم ويداخلونه في أمره، والمعنى أنَّه عالم بسرائرهم، فهو عالم بسرائر القلوب، والمطَّلع على ما بطن من الغيوب.

١٩. الحي: هو الفعَّال المدرك، وهو حيٌّ بنفسه، لا يجوز عليه الموت والفناء، وليس بمحتاج الحياة وبها يحيى.

٢٠. الحكيم: هو المحكم لخلق الأشياء ومعنى الإحكام لخلق الأشياء إتقان التدبير وحسن التصوير والتقدير، وقيل: الحكيم العالم والحكم في اللغة العلم، لقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[١]. والحكيم أيضًا الذي لا يفعل القبيح، ولا يخلّ بالواجب، والحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها، فلا يعترض عليه في تقديره، ولا يتسخَّط عليه في تدبيره.

٢١. العليم: هو العالم بالسراير والخفيَّات التي لا يدركها عالم الخلق، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[٢]، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٣]، عالم بتفاصيل المعلومات قبل حدوثها، وبعد وجودها.

٢٢. الحِلِّيم: ذو الصفح والأناة، الذي لا يغيِّره جهل جاهل، ولا غضب غاصب، ولا عصيان عاصٍ.

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.
(٢) الحديد: ٦.
(٣) سبأ: ٣.

٢٣. الحفيظ: هو الحافظ يحفظ السماوات والأرض وما بينهما، ويحفظ عبده من المهالك والمعاطب، ويقيه مصارع السوء.

٢٤. الحقُّ: هو المتحقِّق كونه ووجوده، وكلُّ شيء يصحُّ وجوده وكونه فهو حقٌّ، كما يُقال: الجنَّة حقٌّ كائنة، والنار حقٌّ كائنة.

٢٥. الحسيب: هو الكافي، تقول: حسبك درهم، أي كفاك، كقوله تعالى: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، أي هو كافيك، والحسيب أيضًا بمعنى المحاسب، كقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٢]، أي محاسبًا، والحسيب أيضًا المحصي والعالم.

٢٦. الحميد: هو المحمود الذي استحقَّ الحمد بفعاله، أي يستحقُّ الحمد في السرَّاء والضرَّاء، وفي الشدَّة والرَّخاء.

٢٧. الحفي: معناه العالم، قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾[٣]، أي عالم بوقت مجيئها، وقد يكون الحفي بمعنى اللطيف، ومعناه المحتفي بك، يبرّك ويلطفك.

٢٨. الربُّ: المالك، وكلُّ مَن ملك شيئًا؛ فهو ربُّه، ومنه قوله: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[٤]. أي سيِّدك ومليكك، وقال قائل يوم حنين: لإن يربني رجل من قريش أحبُّ إليَّ من أن يربني رجل من هوازن، يريد يملكني، ويصير لي ربًّا ومالكًا، ولا يدخل الألف واللام على غير المعبود سبحانه تعالى؛ لأنَّها للعموم وهو

(١) الأنفال: ٦٤.
(٢) الإسراء: ١٤.
(٣) الأعراف: ١٨٧.
(٤) يوسف: ٥٠.

المالـك لـكلِّ شيء، وإنَّما يطلق على غيره بالنسـبة إلى ما يملكـه ويضاف إليه، والربَّانُّيون نُسِـبوا إلى التألُّه والعبادة للرَّبِّ؛ لانقطاعهم إليه، وإلمامهم بحضرة خدمته، والربَّانيُّون الصابرون مع الأنبياء الملازمون لهم.

٢٩. الرحمـن: بجميـع خلقـه، إذ هـو ذو الرحمـة الشـاملة التي وسـعت الخلق في أرزاقهم، وأسباب معاشهم، وعمَّت المؤمن والكافر والصالح والطالح.

٣٠. الرحيـم: بالمؤمنـين يخصُّهـم برحمتـه، قـال الله تعـالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[١]. والرحمـن والرحيم اسـمان موضوعـان للمبالغة، ومشـتقَّان من الرحمـة، وهي النعمة، قال الله تعـالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[٢]، أي: نعمـة عليهـم، وقد يتسـمَّى بالرحيم غيره تعـالى، ولا يتسـمَّى بالرحمن سـواه؛ لأنَّ الرحمن هو الذي يقدر على كشـف البلوى، والرحيم مِن خلقه قد لا يقدر على كشـفها، ويقال للقرآن: رحمة والغيث رحمة، ويقال لرقيق القلب من الخلق: رحيم؛ لكثرة وجود الرحمة منه، بسـبب رقَّة القلب، وأقلّها الدعاء للمرحـوم والتوجُّع له، وليسـت في حقِّه تعالى بمعنى الرقَّـة، بل معناها إيجاد النعمة للمرحوم، وكشـف البلوى عنه، فالحدُّ الشامل أن تقول هي التخلص من أقسام الآفات، وإيصال الخيرات إلى أرباب الحاجات.

٣١. الـذاري: الخالـق والله ذرأ الخلـق وبرأهـم أي خلقهـم، وأكثرهـم على ترك الهمزة.

٣٢. الـرازق: المتكفِّـل بالرزق، والقائم عـلى كلِّ نفس بما يقيمها من قوتها، وسـع الخلق كلهم رزقه ولم يخص بذلك مؤمنًا دون كافر ولا برًا دون فاجر.

(١) الأحزاب: ٤٣.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

٣٣. الرقيب: الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١].

٣٤. الرؤوف: هو العاطف برأفته على عباده، وقيل: الرَّأفة أبلغ من الرحمة، ويقال: الرَّأفة أخصُّ من الرحمة، والرحمة أعمُّ.

٣٥. الرائي: معناه العالم والرؤية العلم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾[٢]، أراد ألم تعلم، وقد يكون الرائي بمعنى المبصِر، والرؤية الأبصار.

٣٦. السلام: معناه ذو السلام، والسلام في صفته تعالى هو الذي سلم من كلِّ عيب، وبرء من كلِّ آفة ونقص، وقيل: معناه المسلم؛ لأنَّ السلامة تُنال من قبله، والسلام والسلامة مثل الرضاع والرضاعة، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾[٣]. يجوز أن يكون مضافة إليه، ويجوز أن يكون قد سمَّى الجنَّة سلامًا؛ لأنَّ الساير إليها تسلم فيها من كلِّ آفات الدنيا، فهي دار السلام.

٣٧. المؤمن: أصل الإيمان في اللغة التصديق، فالمؤمن المصدق أي يصدق وعده، ويصدق ظنون عباده المؤمنين، سمِّي الباري ﷻ مؤمنًا؛ لأنَّه يؤمن عذابه من أطاعه، وسمِّي العبد مؤمنًا؛ لأنَّه يؤمن على الله ﷻ، فيجير الله أمانه.

٣٨. المهيمن: هو الشهيد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٤]، فالله المهيمن، أي الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قولٍ وفعل، وإذ لا يغيب عنه مثقال ذرَّة في الأرض

(١) ق: ١٨.
(٢) الفجر: ٦.
(٣) الأنعام: ١٢٧.
(٤) المائدة: ٤٨.

ولا في السماء، وقيل: المهيمن الأمين، وقيل: الرقيب على الشيء الحافظ له، وقيل: إنَّه اسم من أسماء الله ﷻ في الكتب.

٣٩. العزيز: هو المنيع الذي لا يُغلَب، وهو أيضًا الذي لا يعادله شيء، وأنَّه لا مثال له ولا نظير له، ويُقال: من عزيز، أي من غلب سلب، وقوله تعالى حكايةً عن الخصم: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾[1]، أي غلبني في مجاوبة الكلام، وقد يقال: للملك كما قال إخوة يوسف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾[2]، أي يا أيُّها الملك.

٤٠. الجبَّار: هو الذي جبر مفاقر الخلق وكسرهم، وكفاهم أسباب المعاش والرزق، وقيل: الجبَّار العالي فوق خلقه، والقامع لكلِّ جبَّار، وقيل القاهر الذي لا يُنال، يقال للنخلة التي لا تُنال: جبَّارة، والجبر أن تجبر إنسانًا على ما تلزمه قهرًا على أمرٍ من الأمور، وقال الصادق عليه السلام: **لا جبرٌ ولا تفويضٌ، ولكن أمرٌ بين أمرَين**، عنى بذلك أنَّ الله لم يجبر عباده على المعاصي، ولم يفوِّض إليهم أمر الدين حتَّى يقولوا فيه بآرائهم، فالله ﷻ قد حدَّ ووصف وشرَّع وفرض وسنَّ وأكمل لهم الدين؛ فلا تفويض مع التحديد والتوصيف.

٤١. المتكبِّر: هو المتعالى عن صفات الخلق، ويقال المتكِّبر على عتات خلقه، إذ نازعوه العظمة، وهو مأخوذ من الكبرياء، وهي اسم للتكبُّر والتعظُّم.

٤٢. السيِّد: معناه الملك، ويقال لملك القوم وعظيمهم سيِّد، وقد سادهم، وقيل لقيس بن عاصم: بمَ سُدت قومك؟ قال: ببذل الندى وكفِّ الأذى ونصر المولى، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **عليّ سيِّد العرب**، فقالت عايشة: يا رسول الله ألست

(١) ص: ٢٣.

(٢) يوسف: ٨٨.

سيِّد العرب؟ فقال: **أنا سيِّد ولد آدم، وعليّ عليه السلام سيِّد العرب**. فقالت: يا رسول الله: وما السيِّد؟ فقال: **هو من افترضت طاعته، كما افترضت طاعتي**، فعلى هذا الحديث السيِّد هو الملك الواجب الطاعة.

٤٣. السُّبُّوح: هو المنزَّه عن كلِّ ما لا ينبغي أن يوصف به، وهو حرف مبنيّ على فعول، وليس في كلام العرب فُعول بضمِّ الفاء إلَّا سُبُّوح وقُدُّوس، معناهما واحد.

٤٤. الشهيد: هو الذي لا يغيب عنه شيء يقال: شاهد وشهيد وعالم وعليم، أي كأنَّه الحاضر الشاهد الذي لا يعزب عنه شيء، ويكون الشهيد بمعنى العليم، لقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]، قيل: معناه أي علم.

٤٥. الصادق: معناه الذي يصدق في وعده، ولا يبخس ثواب من يفي بعهده.

٤٦. الصانع: الصانع المطلق هو الصانع لكلُّ مصنوع، أي خالق لكلِّ مخلوق، ومبدع جميع البدايع، وفي هذا دلالة على أنَّه لا يشبهه شيء؛ لأنَّا لم نجد فيما شاهدنا فعلًا يشبه فاعلًا البتَّة، وكلُّ موجودٍ سواه، فهو فعله وصنعته، وجميع ذلك دليل على وحدانيَّته، شاهد على انفراده، وعلى أنَّه بخلاف خلقه، وأنَّه لا شريك له، وقال بعض الحكماء في هذا المعنى يصف النرجس.

٤٧. الطاهر: معناه المتنزِّه عن الأشباه والأنداد والأمثال والأضداد والصاحبة والأولاد والحدوث والزوال والسكون والانتقال والطول والعرض والدقَّة والغلظة والحرارة والبرودة، وبالجملة هو طاهر عن معاني المخلوقات، متعالٍّ

(١) آل عمران: ١٨.

عن صفات الممكنات، مقدَّس عن نعـوت المحدثات، فتعالى وتكرَّم وتقدَّس وتعظَّم أن يحيط به علم، أو يتخيَّله وهم.

٤٨. العـدل: هو الـذي لا يميل به الهوى، فيجـور في الحكم، والعـدل من الناس المرضي قوله وفعله وحكمه.

٤٩. العفو: هو المحَّاء للذنوب الموبقات، ومبدلها بأضعافها من الحسـنات، والعفو فعـول مـن العفو، وهو الصفح عـن الذنب، وترك مجازاة المسيء، وقيل: هو مأخوذ من عَفت الرياح الأثر، إذا درسته ومحته.

٥٠. الغفـور: هو الـذي يكثر المغفرة، ويكون معناه منصرفًـا إلى مغفرة الذنوب في الآخـرة، والتجاوز عن العقوبة، واشـتقاقه من الغفر، وهو السـتر والتغطية، ومنه سمِّي المغفر لسترهِ الرأس، والمبالغة في العفو أعظم من المبالغة في الغفور؛ لأنَّ سـتر الشيء قد يحصل مع بقاء أصله، بخلاف المحو، فإنَّه إزالة له رأسًـا، وقلع لأثره جملة.

٥١. الغني: هو المستغني عن الخلق بذاته، فلا تعرض له الحاجات، وبكماله وقدرته عـن الآلات والأدوات، وكلُّ مـا سـواه محتـاج، ولو في وجـوده، فهو الغنى المطلق.

٥٢. الغياث: معناه المغيث، سـمِّي بالمصدر توسُّعًا لكثرة إغاثته الملهوفين، وإجابته دعاء المضطرِّين.

٥٣. الفاطـر: الذي فطر الخلـق، أي خلقهم وابتدأ صنعة الأشـياء وابتدعها، فهو فاطرها، أي خالقها ومبدعها.

٥٤. الفرد: معناه المتفـرِّد بربوبيَّته، وبالأمر دون خلقه، وأيضًا فإنَّه موجود وحده، ولا شريك موجود معه.

٥٥. الفتّاح: الحاكم بين عباده، يقال: فتح الحاكم بين الخصمَين، إذا قضى بينهما، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[١]، أي أحكم بيننا، ومعنى الفتّاح أيضًا الذي يفتح الرزق والرحمة لعباده.

٥٦. الفالق: الذي فلق الأرحام، فانشقّت عن الحيوان، وفلقّ الحَبَّ والنوى، فانفلقت عن النبات، وفلق الأرض، فانفلقت عن كلّ ما يخرج منها، وهو كقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[٢]، وفلق الظلام عن الصباح، والسماء عن القطر، وفلق البحر لموسى ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[٣].

٥٧. القديم: هو المتقدِّم للأشياء بكلِّ تقدُّم، وليس لوجوده أوَّل، ولا يسبقه عدم.

٥٨. الملك: التام الملك الجامع لأصناف المملوكات، والملكوت ملك الله ﷻ، زيدت فيه التاء، كما زيدت في رهبوت ورحموت، يقول العرب: ورهبوت خير من رحموت، أي لإن ترهب خير من أن ترحم.

٥٩. القدُّوس: فعول من القدس، وهو الطهارة، والقدُّوس الطاهر من العيوب، المنزَّه عن الأنداد والأولاد، والتقديس التطهير والتنزيه، وقوله تعالى حكايةً عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٤]، أي ننسبك إلى الطهارة، ونسبِّحك ونسبِّح لك بمعنى واحد، وحظيرة القدس موضع الطهارة من الأدناس التي تكون في الدنيا والأوصاب والأوجاع، وقد قيل إنَّ القدُّوس اسم من أسماء الله ﷻ في الكتب.

(١) الأعراف: ٨٩.
(٢) الطارق: ١٢.
(٣) الشعراء: ٦٣.
(٤) البقرة: ٣٠.

٦٠. القـويّ: قد يكون بمعنى القادر، ومن قوي على الشيء فقد قدر عليه، ويكون معنـاه التـام للقويّ الـذي لا يسـتولي عليه العجـز، وهو القوى بـلا معاياة، ولا استعانة.

٦١. القريـب: المجيب، كقوله تعـالى ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1]، وقد يكون بمعنـى العالم بوسـاوس القلوب، لا حجـاب بينه وبينها ولا مسـافة، كقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[2]، فهو قريب بغير مماسـة بائن من خلقه، بغير طريقٍ ولا مسـافة، بل هو عـلى المفارقة في المخالطة، والمخالفة لهم في المشـابهة، وكذلك التقرُّب إليه ليس من جهة الطريق والمسائف، بل إنَّما هـو من جهة الطاعة وحسـن الاعتقاد، فالله تبارك وتعـالى قريب إن دنوه من غير تنقُّل؛ لأنَّه ليس باقتطاع المسائف يدنو، ولا باجتياز الهواء يعلو، كيف وقد كان قبل السفل والعلوِّ، وقبل أن يوصف بالعلوِّ والدنوّ.

٦٢. القيُّـوم: هـو القائـم الدائـم بـلا زوال، ويُقـال: هـو القيِّـم عـلى كلِّ شيء بالرعايـة، ومثله القيـام، وهما من فعول وفيعال، من قمـت بالشيء إذا توليَّته بنفسـك، وتولَّيـت حفظـة وإصلاحـه وتدبـيره، وقالوا: مـا فيها مـن ديور ولا ديار.

٦٣. القابـض: معناه الذي يقبـض الأرزاق عن الفقراء بحكمتـه ولطفه، ابتلاهم بالصـبر وذخر النفيس الأجر، وقيل: القابـض الذي يقبض الأرواح بالموت، وقيل: اشـتقاقه من القبض، وهو الملك، كـما يقال: فلان في قبض فلان أي في ملكـه، وهذا الشيء في قبضي، ومنـه قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) الواقعة: ٨٥.

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[1]، وهذا كقولـه تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾[2]، ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[3].

٦٤. الباسـط: هو الذي يبسـط الأرزاق حتَّـى لا يبقى فاقة برحمتـه وجوده وكرمه وفضله.

٦٥. القاضي: هو الحاكم على عباده بالانقياد في أوامره ونواهيه وزواجره ومراضيه، واشتقاقه من القضاء، وهو من الله على ثلاثة أوجه:

الأول: الحكـم والإلـزام كقولـه تعـالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[4]، ويقـال: قضى القـاضي عليه بكذا، أي حكم عليه بكذا، وألزمه إيَّاه.

الثـاني: الخـبر والإعـلام كقولـه ﷺ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[5]، أي أخبرناهـم بذلـك عـلى لسان نبيِّهم.

الثالـث: الإتمام، كقولـه تعـالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[6]، ويُقال: قضى فلان حاجته، يريد أتمَّ حاجته على ما سأله.

(١) الزمر: ٦٧.
(٢) الأنعام: ٧٣.
(٣) الانفطار: ١٩.
(٤) الإسراء: ٢٣.
(٥) الإسراء: ٤.
(٦) فصلت: ١٢.

٦٦. المجيد: هو الواسع الكريم، يقال: رجل ماجد إذا كان سخيًّا واسع العطاء، وقيل: معناه الكريم العزيز، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾،(١) أي كريم عزيز، والمجد في اللغة نيل الشرف، وقد يكون بمعنى ممجد، أي مجده خلقه وعظَّموه.

٦٧. الولي: معناه الناصر للمؤمنين ثوابهم وإكرامهم، قال الله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(٢)، وقد يكون بمعنى الأولى، ومنه قوله عليه السلام: **ألستُ أولى منكم بأنفسكم**؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**، أي من كنت أولى منه بنفسه فعليّ عليه السلام أولى منه بنفسه، وقد يكون بمعنى الولي، وهو المتولِّي للأمر والقائم به، وولى الطفل الذي يتولَّى إصلاح شأنه ويقوم بأمره، والله والي المؤمنين لأنَّه المتولِّي لإصلاح شؤونهم باليقين، والقائم بمهمَّاتهم في أمور الدنيا والدين.

٦٨. المنَّان: معناه هو المعطي المنعم، ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣).

٦٩. المحيط: هو المستولي المتمكِّن من الأشياء الواسع لها علمًا وقدرة، فهو محيط، أي مستولى على جميع الأشياء علمًا ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٤)، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ

(١) البروج: ٢١.
(٢) البقرة: ٢٥٧.
(٣) ص: ٣٩.
(٤) يونس: ٦١.

جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾(١)، ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢)، وقدرة فلا يخرج عن قدرته مقدور، وإن جلَّ فاستوى عنده النملة والنحلة والطفل الفطيم والعرش العظيم واللطيف والجسيم والجليل والحقير ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣)، ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾(٤)، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٥).

٧٠. المبين: الظاهر البيِّن بآثار قدرته وآياته، المظهر حكمته بما أبان من تدبيره، وأوضح من بيانه.

٧١. المقيت: هو المقتدر، وقيل الحفيظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة من الحفظ، وقيل المقيت الذي يعطى القوت، وقيل معناه الحافظ الرقيب.

٧٢. المصوِّر: هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها، قال سبحانه: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٦).

٧٣. الكريم: الجواد المفضل، يقال: رجل كريم أي جواد، وقيل: العزيز كما يقال: فلان أكرم على من فلان، أي أعز منه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾(٧)، أي عزيز.

(١) الكهف: ١٠٩.
(٢) لقمان: ٢٧.
(٣) الروم: ٥٠.
(٤) لقمان: ٢٨.
(٥) يس: ٨٢.
(٦) التغابن: ٣.
(٧) الواقعة: ٧٧.

٧٤. الكبير: السيِّد يُقال لكبير القوم: سيِّدهم، والكبر اسم للتكبُّر والتعظُّم.

٧٥. الكافي: لمن توكَّل عليه فيكفيه ما يحتاج إليه، ولا يلجئه إلى غيره، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1]، أي كافيه.

٧٦. كاشف الضرِّ: معناه المفرِّج: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

٧٧. الوتر: الفرد، وكلُّ شيء كان فردًا قيل له: وتر.

٧٨. النور: هو الذي بنوره يبصر ذو العماية، وبهدايته يرشد ذو الغواية، والنور الضياء، سمِّي بالمصدر، ومعناه المنير توسُّعًا، أو لأنَّ به اهتدى أهل السماوات والأرضين إلى مصالحهم ومراشدهم، كما يهتدي بالنور، أو لأنَّه منوِّر النور وخالقه، فأطلق عليه اسمه.

٧٩. الوهَّاب: الكثير الهبة، والمفضال في العطيَّة.

٨٠. الناصر والنصير: بمعنى واحد، والنصرة: المعونة.

٨١. الواسع: هو الذي وسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه، وقيل: الواسع الغنى، والسعة: الغناء، وفلان يعطي من سعته، أي من غنائه، والوسع: جدُّ الرجل ومقتدرته، يقول: أنفِق على قدر وسعك.

٨٢. الودود: مأخوذ من الودِّ، أي يودُّ عباده الصالحين، أي يرضى عنهم، ويقبل أعمالهم، وقد يكون بمعنى أن يوددهم إلى خلقه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) الطلاق: ٣.

(٢) النمل: ٦٢.

﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[1]، فقد يكون (فعول) هنا بمعنى (مفعول)، كما يقال: (مهيب) بمعنى (مهيوب)، يريد أنَّه مودود، أي محبوب.

٨٣. الهادي: معناه الذي من بهدايته على جميع خلقه، وأكرمهم بنور توحيده، إذ فطرهم عليه، ودلَّهم على قصد مراده، وأقدرهم عليه بالعقول والإلهام والدلايل والإعلام، والرسل المؤيَّدة بالحجج المؤكَّدة: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾[2]، وأمَّا بيان هدايته لساير العباد، فما حكاه سبحانه: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾[3]، وأمَّا إكرامه لهم فبنور توحيده فطرهم عليه:

أوَّلًا: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾[4]، وقال ﷺ: **كلُّ مولودٍ يولَد على الفطرة، وإنَّما أبواه يهوِّدانه وينصرِّانه ويمجِّسانه، وإنفاذ الرسل وإقامة النار الدين والهدى.**

ثانيًا: والحثُّ والترغيب والترهب.

ثالثًا: والإمداد والألطاف والإسعاد والإسعاف بالتوفيق.

رابعًا: وهو الذي هدى سائر الحيوانات إلى مصالحها، وألهمها كيف تطلب الرزق وتجتلب المسار، وكيف يحترز عن الآفات والمضار.

٨٤. الوفي: معناه أنَّه يفي بعهده، ويوفي بوعده.

(١) مريم: ٩٦.
(٢) الأنفال: ٤٢.
(٣) فصلت: ١٧.
(٤) الروم: ٣٠.

٨٥. الوكيل: المتولي لنا أي القائم بحفظنا وهذا معنى الوكيل على المال. وقد يكون بمعنى المعتمد والملجأ والتوكل والاعتماد والالتجاء وقيل: المتكفل بأرزاق العباد والقائم عليهم بمصالحهم ويقول: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[1]، أي نِعم الكفيل بأمورنا القائم بها.

٨٦. الوارث: هو الذي ترجع إليه الأملاك بعد فناء المـلَّاك، والله الباقي بعد فناء الخلق، والمسترد أملاكهم ومواريثهم بعد موتهم.

٨٧. البر: هو العطوف على عباده المحسن عليهم، عمَّ ببرِّه جميع خلقه، وقد يكون بمعنى الصادق كما يقال: برت يمين فلان إذا صدقت، وصدقت فلان وبر.

٨٨. الباعث: هو الذي يبعث الخلق بعد الممات، ويعيدهم بعد الوفاة ويحييهم للجزاء والبقاء.

٨٩. التواب: الذي يقبل التوبة ويعفو عن الحوبة إذا تاب العبد منها، وكلَّما تكرَّرت التوبة تكرَّر منه القبول.

٩٠. الجواد: هو المنعم المحسن الكثير الأنعام والإحسان، والفرق بينه وبين الكريم أنَّ الكريم الذي يعطى مع السؤال، والجواد الذي يعطي من غير السؤال، وقيل بالعكس، الجود: السخاء، ورجل جواد أي سخي، ولا يُقال الله تعالى السخيّ؛ لأنَّ أصل السخاوة راجع إلى اللين، يقال: أرض سخاوية وقرطاس سخاوي، إذا كان لينًا، وسمِّي السخيُّ سخيًّا للينه عند الحوائج.

٩١. الخبير: العالم بدقايق الأشياء وغوامضها، يقال فلان عالم خبير، أي عالم بكنه الشيء ومطَّلع على حقيقته، والخبر: العلم، تقول: لي به خبر أي علم.

(١) آل عمران: ١٧٣.

٩٢. الخالق: المبدء للخلق والمخترع لهم على غير مثال سبق، قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[1]، وقد يراد بالخلق التقدير، كقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾[2]، أراد أقدر لكم، والله خالقه في الحقيقة ومكوِّنه.

٩٣. خير الناصرين: معناه كثرة تكرار النصر منه، كما قيل: خير الراحمين لكثرة رحمته.

٩٤. الديَّان: هو الذي يدين العباد، ويجزيهم بأعمالهم، والدين: الجزاء، يقال: كما تدين تدان، أي كما تجزى تجزي.

٩٥. الشكور: هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطى الجليل الجزيل من النعمة، ويرضى باليسير من الشكر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾[3]، ولمَّا كان الشكر في اللغة هو الاعتراف بالإحسان، والله سبحانه هو المحسن إلى عباده والمنعم عليهم، لكنَّه سبحانه لـمَّا كان مجازيًا للمطيع على طاعته بجزيل ثوابه، جعل مجازاته شكرًا لهم على سبيل المجاز، كما سمِّيت المكافآت شكرًا.

٩٦. العظيم: ذو العظمة والجلال، وهو منصرف إلى عظيم الشأن وجلالة القدر.

٩٧. اللطيف: هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، أي يرفق بهم،

(١) فاطر: ٣.
(٢) آل عمران: ٤٩.
(٣) فاطر: ٣٤.

واللطف: البر والتكرمة، وفلان لطيف بالناس بارٌّ بهم، يبرّهم ويلطفهم، وقد يكـون بمعنـى اللطف في التدبـير والفعل، يقال: فلان صانـع لطيف الكفِّ، إذا كان حاذقًـا، وفي الخـبر معنى اللطيف هو أنه خالـق للخلق اللطيف، وأنَّه سمِّي العظيم؛ لأنَّه خالق للخلق العظيم، ويقال: اللطيف فاعل اللطف، وهو ما يقرب معه العبد من فعل الطاعة، ويبعد عن فعل المعصية.

٩٨. الشافي، هو رازق العافية والشفاء من غير توسُّط الدواء، ورافع البلاء باليسير من الدعـاء، وواهب عظيم الجزاء على صغير الابتـلاء، قال تعالى حكايةً عن ابراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1]، فهذه جملة الأسماء الحسنى.

واعلـم أنَّ تخصيص هذه الأسـماء المكرمة بالذِّكر لا يدلُّ على نفـي ما عداها؛ لأنَّ في أدعيتهم أسـماء كثيرة لم تذكر في هذه الأسـماء المعدودة، ولعـل تخصيص هذا بالذِّكر لاختصاصها بمزيَّة الشرف على باقي الأسماء.

ثمَّ اعلم أنَّ هذه الأسـماء المتعدِّدة الدالَّة على المعاني المتكثِّـرة أنَّ التكثُّر والتعدُّد إنَّما هـو في الإضافات لا في الذات المقدسـة بل هي واحدة من جميـع الجهات والاعتبارات والتحقيق أنَّ صفاته تعالى قسمان: حقيقيَّة، وإضافيَّة.

فالحقيقيَّـة: هي التي تلحقه بالنظر إلى ذاتـه، مثل كونه حيًّا موجودًا قديمًا أزليًّا باقيًا أبديًّا سرمديًّا، فهذه الصفات تلحقه بالنظر إلى ذاته تعالى.

والإضافيَّـة: هي التي تلحقـه بالنظر إلى الغير، مثل كونه قـادرًا خالقًا رحيمًا؛ فإنَّها بالنظـر إلى المخلـوق والمقدور والمرحـوم، والتعدُّد الحاصل عند الإضافـة إنَّما كان عند اعتبار أمور خارجة عن ذاته، ولا يوجب له تعدُّدًا وتكثيرًا في ذاته، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(١) الشعراء: ٨٠.

الخاتمة

في نهاية هذه الرحلة مع كتاب عدَّة الداعي ونجاح الساعي لابن فهد الحِلِّيّ، نذكر أهمَّ النتائج التي خلص إليها البحث:

١. احتوى هذا الكتاب على ستَّة أبواب، وهي مقسَّمة على أجزاء، أطلق المؤلِّف على كلِّ جزء مصطلح (قسم)، فضلًا عن ذكره مصطلح (فصل) في باطن الكتاب.

٢. كثرة استشهاد المؤلِّف بالآيات القرآنيَّة، والحديث النبويّ الشريف، والمناجاة الإلهيَّة، والتي تتعلَّق بعنوان الدعاء، وهي من فنون الشعر العربيّ.

٣. الاستشهاد بأقوال المعصومين عليهم السلام، فضلًا عن ذِكر الروايات الواردة عن الأنبياء السابقين.

٤. الاعتماد في نقل الأخبار على السلسلة الروائيَّة التي يذكرها المؤلِّف بين الحين والآخر، وغالبًا ما يذكر أسماء لمشاهير الرواة من الثقات، مثل: عبد الله بن عبَّاس، جابر بن عبد الله الأنصاريّ، عمر بن أذينة.

٥. يحتوي الكتاب على آراء ابن فهد الحِلِّيّ، التي اكتسبها من مصادر ثقافته الحوزويَّة بعد إيراد الأخبار

٦. يخلو الكتاب من المظانِّ القديمة التي نهل منها المؤلِّف، ولم يذكر سوى مصدرَين.

٧. اختلاف حجم الأبواب التي تشكَّل منها الكتاب، وقد يكون ذلك بسبب أهميَّة كلّ باب، ومقدار المادَّة التي يحتويها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازيّ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

٢. الاختصاص، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، السيِّد محمود الزرنديّ، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٣. الأخلاق في الإسلام، بحث منشور على موقع الإسلام.

٤. الأذكار النوويَّة، يحيى بن شرف النوويّ (٦٧٦هـ)، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٥. إرشاد الأذهان، العلَّامة الحِلِّيّ (٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ فارس حسُّون، ط١، ١٤١٠، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

٦. إرشاد القلوب، الحسن بن محمَّد الديلمي (ق ٨هـ)، المجموعة، مصادر سيرة النبيّ والأئمَّة عليهم السلام، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٣٧٤ش، مطبعة، أمير، قم، انتشارات الشريف الرضيّ.

٧. أسباب نزول الآيات، الواحديّ النيسابوريّ (٤٦٨هـ)، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، مؤسَّسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة.

٨. الاستذكار، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمَّد عطا، محمَّد عليّ معوَّض، ط١، ٢٠٠٠م.

٩. الاستيعاب، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، ط١، ١٤١٢، بيروت، دار الجيل.

١٠. الأسلوب (دراسة بلاغيَّة تحليليَّة لأصول الأساليب الأدبيَّة)، أحمد الشايب، ط٨، منشورات، مكتبة النهضة القاهريَّة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١١. أصول البحث العلميّ ومناهجه، أحمد بدر، وكالة المطبوعات الكويتيَّة، الكويت، ط٤، ١٩٧٨م.

١٢. إعجاز القرآن، الباقلَّانيّ (٤٠٣هـ)، تحقيق: السيِّد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف، مصر.

١٣. أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلميّ (ق ٨هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

١٤. أعيان الشيعة، السيِّد محسن الأمين، تحقيق: السيِّد حسن الأمين، منشورات، دار المعارف الإسلاميَّة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٥. اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغداديّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: محمَّد ناصر الدين الألبانيّ، ط٤، ١٣٩٧هـ، المكتب الإسلاميّ، بيروت.

١٦. الإكمال في أسماء الرجال، الخطيب التبريزيّ (٧٤١هـ)، تحقيق وتعليق: أبو أسد الله بن الحافظ محمَّد عبد الله الأنصاريّ، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام.

١٧. إقبال الأعمال، ابن طاووس (٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيُّوميّ الأصفهانيّ، ط١، ربيع الأوَّل ١٤١٥هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

١٨. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزوينيّ، محمَّد ابن عبد الرحمن جلال الدين (٧٣٩هـ)، ط١، ربيع الأوَّل ١٤١١هـ، مطبعة أمير، قم.

١٩. الأمالي، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم ط١، ١٤١٧هـ.

٢٠. الأمالي، المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: حسين الأستاد ولي، عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢١. الأمالي، الطوسيّ (٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، ط١، ١٤١٤هـ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم.

٢٢. إمتاع الأسماع، المقريزيّ (٨٤٥هـ)، تحقيق وتعليق: محمَّد عبد الحميد النميسيّ، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٣. أمل الآمل في علماء جبل عامل، الشيخ محمَّد بن الحسن الحرُّ العامليّ، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٢م.

٢٤. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزوينيّ، محمَّد ابن عبد الرحمن جلال الدين، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٥. بحار الأنوار، المجلسيّ (١١١١هـ)، تحقيق: يحيى العابديّ الزنجانيّ، ط٢ المصحَّحة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ملاحظات، دار إحياء التراث العربيّ.

٢٦. البحث العلميّ الحديث، أحمد جمال الدين ظاهر، ومحمَّد أحمد زياده، منشورات دار الشروق، جدَّة، المملكة العربيَّة السعوديَّة، ط١، ١٩٧٩م.

٢٧. البداية والنهاية، ابن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق وتدقيق وتعليق: عليّ شيري، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

٢٨. البلاغة والأسلوبيَّة، د، محمَّد عبد المطَّلب، ضمن سلسلة دراسات أدبيَّة، الهيأة المصريَّة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.

٢٩. بيان العلم وفضله، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ)، ١٣٩٨هـ، بيروت، دار الكتب العلميَّة.

٣٠. تاريخ الطبريّ، الطبريّ (٣١٠هـ)، تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلَّاء، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٣١. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، محمَّد بن طلحة الشافعيّ (٦٥٢هـ)، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطيَّة.

٣٢. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (٥٧١هـ)، تحقيق: عليّ شيري، ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٣٣. تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة (٢٧٦هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٣٤. التبيان، الطوسيّ (٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامليّ، ط١، رمضان المبارك ١٤٠٩، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي.

٣٥. تحرير الأحكام، العلّامة الحِلّيّ (٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهاديريّ، إشراف: جعفر السبحانيّ، ط١، ١٤٢٠، مطبعة اعتماد، قم، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام.

٣٦. تحف العقول، ابن شعبة الحرّانيّ (ق ٤هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٣٦٣ ش، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

٣٧. تفسير الرازي، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، ط٣.

٣٨. تحليل الخطاب الأدبي في نهج البلاغة، خطبة الجهاد نموذجًا، المدرس المساعد، امير فرهنك نيا، جامعة تربيت مدرس، جمهورية ايران الإسلاميَّة، بحث منشور على موقع:

http//arabic.balaghah.net/content

٣٩. تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعيّ (٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، ١٤١٤هـ، مطبعة الرياض، دار ابن خزيمة.

٤٠. تذكرة الفقهاء، العلّامة الحِلّيّ (٧٢٦هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، صفر ١٤١٤، مطبعة، مهر، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

٤١. تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطيّ الكلبيّ (٧٤١هـ)، ط٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مطبعة لبنان، دار الكتاب العربيّ.

٤٢. تفسير ابن زمنين، أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي زمنين (٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمَّد بن مصطفى الكنز، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر.

٤٣. تفسير ابن كثير، ابن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق وتقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤٤. تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام (٢٦٠هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١ محقَّقة، ربيع الأوَّل ١٤٠٩هـ، مطبعة، مهر، قم المقدَّسة.

٤٥. تفسير البحر المحيط، أبي حيَّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ عليّ محمَّد معوَّض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٤٦. تفسير البيضاويّ، البيضاويّ (٦٨٢هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٤٧. تفسير الثعلبيّ، الثعلبيّ (٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعديّ، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٤٨. تفسير السمرقنديّ، أبو الليث السمرقنديّ (٣٨٣هـ)، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

٤٩. تفسير السمعانيّ، السمعانيّ (٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عبَّاس بن غنيم، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض، السعوديَّة.

٥٠. تفسير العيَّاشيّ، محمَّد بن مسعود العيَّاشيّ (٢٣٠هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيِّد هاشم الرسوليّ المحلَّاتيّ، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران.

٥١. تفسير القمِّيّ، عليّ بن إبراهيم القمِّيّ (٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: السيِّد طيب الموسويّ الجزائريّ، ط٣، صفر ١٤٠٤هـ، مؤسَّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، إيران.

٥٢. تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفيّ (٥٣٧هـ).

٥٣. تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسيّ (٥٢٣هـ) تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، ١٤٢١هـ، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ.

٥٤. التمهيد، ابن عبد البرِّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمَّد عبد الكبير البكريّ، ١٣٨٧هـ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، المغرب.

٥٥. تهذيب الأحكام، الطوسيّ (٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيِّد حسن الموسويّ الخرسان، ط٤، ١٣٦٥ش، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

٥٦. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن يعقوب مسكويه (٤٢١هـ)، حقَّقه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينيَّة، ط١.

٥٧. تهذيب الكمال، المزِّي (٧٤٢هـ)، تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشَّار عوَّاد معروف، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٥٨. التوحيد، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق، السيِّد هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم المقدَّسة.

٥٩. ثواب الأعمال، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، ط٢، ١٣٦٨ش، مطبعة، أمير، قم، منشورات الشريف الرضي، قم.

٦٠. جامع البيان، ابن جرير الطبريّ (٣١٠هـ)، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطَّار، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٦١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ (٦٧١هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

٦٢. جامع السعادات، ملَّا محمَّد مهدي النراقيّ (١٢٠٩هـ)، تحقيق وتعليق: السيِّد محمَّد كلانتر، تقديم: الشيخ محمَّد رضا المظفَّر، ط٤، مطبعة ودار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف.

٦٣. جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ عليه السلام، ابن الدمشقي (٨٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، ط١، ١٤١٥هـ، مطبعة دانش، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم، ايران.

٦٤. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراونديّ، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، إشراف: السيِّد محمَّد باقر الموحِّد الأبطحيّ، ط١، كاملة محقَّقة، ذي الحجَّة ١٤٠٩، المطبعة العلميَّة، قم، مؤسَّسة الإمام المهدي، قم المقدَّسة.

٦٥. الخصال، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣هـ/ ١٣٦٢ش، منشورات جماعة المدِّرسين في الحوزة العلميَّة في قم المقدَّسة.

٦٦. مجمع البيان، الطبرسيّ، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقِّقين الأخصَّائيِّين، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٦٧. خصائص الأئمَّة، الشريف الرضيّ (٤٠٦هـ)، تحقيق: محمَّد هادي الأمينيّ، ربيع الثاني ١٤٠٦هـ، مجمع البحوث الإسلاميَّة، الأستانة الرضويَّة المقدَّسة، مشهد، إيران.

٦٨. الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطيّ (٩١١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٦٩. الدرَّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، الشهيد الأوَّل (٧٨٦هـ)، تحقيق: جلال الدين عليّ الصغير.

٧٠. الدروس، الشهد الأوَّل (٧٨٦هـ) تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلامي، ط١، ربيع الثاني ١٤١٤هـ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

٧١. الدعاء، الطبرانيّ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٣، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٧٢. الدعوات، قطب الدين الراونديّ (٥٧٣هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، ١٤٠٧، مطبعة أمير، قم، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم.

٧٣. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأوَّل، (٧٨٦هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، محرَّم ١٤١٩، مطبعة، ستاره، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

٧٤. الرسائل العشر، الطوسيّ (٤٦٠هـ)، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، إيران.

٧٥. روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا محمَّد باقر الموسويّ الخوانساريّ الأصبهانيّ، الدار الإسلاميَّة، ط١ منقَّحة ومصحَّحة، ١٩٩١.

٧٦. روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ (٥٠٨هـ)، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم.

٧٧. رياض الصالحين، يحيى بن شرف النوويّ (٦٧٦هـ)، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

٧٨. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزيّ (٥٩٧هـ)، تحقيق: محمَّد بن عبد الرحمن عبد الله، ط١، جمادى الأولى ١٤٠٧هـ/ كانون الثاني ١٩٨٧م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٩. الزهد، الحسين بن سعيد الكوفيّ (ق٣هـ)، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، ١٣٩٩هـ، المطبعة العلميَّة، قم.

٨٠. السرائر، ابن إدريس الحِلِّيّ (٥٩٨هـ)، ط٢، ١٤١٠هـ، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

٨١. سنن ابن ماجة، محمَّد بن يزيد القزوينيّ (٢٧٣هـ)، تحقيق وترقيم وتعليق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٢. سنن ابن ماجة، محمَّد بن يزيد القزوينيّ (٢٧٣هـ)، تحقيق وترقيم وتعليق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٣. سنن أبي داوود (٢٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد محمَّد اللحَّام، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٤. سنن الترمذيّ، محمَّد بن عيسى بن سورة بن موسى بن ضحَّاك الترمذيّ أبو عيسى (٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، ومحمَّد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٩م.

٨٥. سنن الترمذيّ (٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٨٦. السنن الكبرى، البيهقيّ (٤٥٨هـ)، دار الفكر.

٨٧. السنن الكبرى، النسائيّ (٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفَّار سليمان البنداري، سيِّد كسروي حسن، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٨٨. سير أعلام النبلاء، الذهبيّ (٧٤٨هـ)، تحقيق وإشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: محمَّد نعيم العرقسوسيّ، مأمون صاغرجي، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٨٩. شرح مسلم، النوويّ (٦٧٦هـ)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان.

٩٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.

٩١. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ (٦٧٩هـ)، حقَّقه وعني بتصحيحه: عدَّة من الأفاضل، ط١، تابستان، ١٣٦٢ش، مطبعة چاپخانه دفتر تبليغات إسلامي، مكتب الإعلام الإسلاميّ، الحوزة العلميَّة، قم، إيران.

٩٢. شفاء السِّقام، تقي الدِّين السبكيّ (٧٥٦هـ)، ط٤، ١٤١٩.

٩٣. صحيح البخاريّ، البخاريّ (٢٥٦هـ)، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٩٤. صحيح مسلم، مسلم النيسابوريّ (٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٩٥. ضعفاء العقيليّ، العقيليّ (٣٢٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، ط٢، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٩٦. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيِّد ابن طاووس (٦٦٤هـ)، ط١، ١٣٩٩، مطبعة الخيام، قم.

٩٧. عدَّة الداعي ونجاح الساعي، أحمد بن فهد الأسديّ الحِلِّيّ، تحقيق: دار الكتاب الإسلاميّ، صحَّحه وعلَّق عليه: أحمد الموسويّ القمِّيّ، ط١، قم المقدَّسة، (د.ت).

٩٨. العقد النضيد والدر الفريد، محمَّد بن الحسن القمِّيّ (ق ٧هـ)، تحقيق: عليّ أوسط الناطقيّ، سيِّد هاشم شهرستاني، لطيف فرادي، ط١، ١٤٢٣هـ/ ١٣٨١ش، دار الحديث للطباعة والنشر.

٩٩. عمدة القاري، العينيّ (٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

١٠٠. عـوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسـائيّ (٨٨٠هـ)، تحقيـق: الحاج آقا مجتبى العراقيّ، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مطبعة، سيِّد الشهداء، قم.

١٠١. عيون الحكم والمواعظ، عليّ بن محمَّد الليثيّ الواسطيّ (ق٦هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الحسينيّ البيرجنديّ، ط١، مطبعة دار الحديث.

١٠٢. غـذاء الألبـاب في شرح منظومة الآداب، محمَّد بن أحمد بن سـالم السـفارينيّ الحنبـليّ، تحقيق: محمَّد عبد العزيـز الخالديّ، منشـورات دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٠٣. غريب الحديث، ابن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الجبوريّ، ط١، ١٤٠٨، دار الكتب العلميَّة، قم.

١٠٤. غريب الحديث، الحربيّ (٢٨٥هـ)، تحقيق: دكتور سليمان بن إبراهيم بن محمَّد العاير، ط١، ١٤٠٥، مطبعة مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلاميّ، دار المدينة للطباعة والنشر والتوزيع، جدَّة.

١٠٥. الفايـق في غريـب الحديـث، جـار الله الزمخـشريّ (٥٣٨هــ)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

١٠٦. فتـح الباري، ابن حجر (٨٥٢هـ)، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٠٧. الفتوحات المكيَّة، ابن عربيّ (٦٣٨هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

١٠٨. فقـه الرضا، عليّ بـن بابويه (٣٢٩هـ)، تحقيق: مؤسَّسـة آل البيت عليهم السلام لإحياء الـتراث، قم المشرَّفة، ط١، شـوَّال ١٤٠٦، المؤتمر العالمـيّ للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدَّسة.

١٠٩. فقه القرآن، القطب الراونديّ (٥٧٣هـ)، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، ط٢، ١٤٠٥هـ، مكتبة آية الله العظمى النجفيّ المرعشيّ.

١١٠. فلاح السائل ونجاح المسائل، السيِّد ابن طاووس (٦٦٤هـ)، تحقيق: غلام حسين المجيديّ، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلاميّ (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ)، قم، ط١، ١٤١٩هـ.

١١١. فن البحث العلمي، (بيفردج و أ.ب)، ترجمة: زكريا مهدي، منشورات دار النهضة العربيَّة، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

١١٢. قرب الإسناد، الحميريّ القمِّيّ (٣٠٠هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ١٤١٣، مطبعة، مهر، قم.

١١٣. الكافي، الكلينيّ (٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٥، ١٣٦٣ش، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

١١٤. الكامل، عبد الله بن عدي (٣٦٥هـ)، تحقيق وقراءة وتدقيق: يحيى مختار غزَّاوي، ط٣، محرَّم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١١٥. الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشريّ (٥٣٨هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عبَّاس ومحمَّد محمود الحلبي وشركاهم، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

١١٦. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، محرَّم الحرام ١٤٠٥هـ/ ١٣٦٣ش، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، مطبعة دار الحديث.

١١٧. كنز العرفان في فقه القرآن، جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمَّد بن الحسين ابن محمَّد السيوري الحِلِّيّ، تحقيق: السيِّد محمَّد القاضي، عنيت بنشره: المكتبة المرتضويَّة المختصَّة بالآثار الجعفريَّة، (د.ت).

١١٨. كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، المتَّقي الهنديّ، تحقيق: صفوت السقَّا وبكري الحيَّاني، منشورات دار الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

١١٩. الكنى والألقاب، عبَّاس القمِّيّ، منشورات مكتبة الصدر، قم، إيران، ط١، ١٩٨٤م.

١٢٠. لسان العرب، محمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ، محرم ١٤٠٥، نشر أدب الحوزة، قم، إيران

١٢١. لسان الميزان، ابن حجر (٨٥٢هـ)، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٢٢. المجازات النبويَّة، الشريف الرضيّ (٤٠٦هـ)، تحقيق وشرح: طه محمَّد الزيتيّ، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

١٢٣. مجمع الزوائد، الهيثميّ (٨٠٧هـ)، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

١٢٤. المجموع، محيي الدين النوويّ (٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٢٥. المحاسن، أحمد بن محمَّد بن خالد البرقيّ (٢٧٤هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيِّد جلال الدين الحسينيّ (المحدِّث)، ١٣٧٠هـ/ ١٣٣٠ش، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

١٢٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيَّة الأندلسيّ (٥٤٦هـ)،

تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمَّد، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار الكتب العلميَّة، لبنان.

١٢٧. المحلَّى، ابن حزم (٤٥٦هـ)، دار الفكر.

١٢٨. مختلف الشيعة، العلَّامة الحِلِّيّ (٧٢٦هـ)، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط٢، ذى القعدة ١٤١٣هـ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

١٢٩. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلَّامة محمَّد باقر المجلسيّ، منشورات دار الكتب الإسلاميَّة، ط١، قم، إيران، ٢٠٠١م.

١٣٠. المستدرك على الصحيحَين، محمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٣١. المستدرك، الحاكم النيسابوريّ (٤٠٥هـ)، تحقيق وإشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ.

١٣٢. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ابن الدمياطيّ (٧٤٩هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

١٣٣. مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلِّيّ (٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار المأمون للتراث.

١٣٤. مسند الشاميين، الطبرانيّ (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت.

١٣٥. مسند الشهاب، ابن سلامة (٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت.

١٣٦. مسند زيد بن عليّ، زيد بن عليّ (١٢٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

١٣٧. المسند، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

١٣٨. مشكاة الأنوار، عليّ الطبرسيّ (ق ٧هـ)، تحقيق: مهدي هوشمند، ط١، ١٤١٨، مطبعة، دار الحديث.

١٣٩. مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام (١٤٨هـ)، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٤٠. مصباح المتهجِّد، الشيخ الطوسيّ، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان.

١٤١. المصنَّف، ابن أبي شيبة الكوفيّ (٢٣٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد اللحَّام، ط١، جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٤٢. معاني الأخبار، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ١٣٧٩هـ/ ١٣٣٨ش، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

١٤٣. المعتبر، المحقِّق الحِلِّيّ (٦٧٦هـ)، تحقيق وتصحيح: عدَّة من الأفاضل، إشراف: ناصر مكارم شيرازيّ، ١٣٦٤/ ٣/ ١٤ش، مطبعة مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مؤسَّسة سيِّد الشهداء عليه السلام، قم.

١٤٤. المعجم الكبير، الطبرانيّ، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢ مزيدة ومنقَّحة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربيّ.

١٤٥. المعجم الوسيط، الطبرانيّ (٣٦٠هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمَين، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الحرمَين للطباعة والنشر والتوزيع.

١٤٦. المقنع، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسَّسة الإمام الهادي عليه السلام، ١٤١٥هـ، مطبعة اعتماد، مؤسَّسة الإمام الهادي عليه السلام.

١٤٧. مكارم الأخلاق، الطبرسيّ (٥٤٨هـ)، ط٦، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، منشورات الشريف الرضي.

١٤٨. من لا يحضره الفقيه، الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

١٤٩. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف.

١٥٠. مناهج البحث العلميّ، عبد الرحمن بدوي، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

١٥١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئيّ (١٣٢٤هـ)، تحقيق: سيِّد إبراهيم الميانجي، ط٤، المطبعة الإسلاميَّة بطهران، بنياد فرهنگ امام المهدي (عج).

١٥٢. منهجيَّة البحث العلميّ في العلوم الإنسانيَّة، عبُّود عبد الله العسكريّ، منشورات دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، عمَّان، ط١، ٢٠٠٤م.

١٥٣. الموضوعات، ابن الجوزيّ (٥٩٧هـ)، تحقيق وضبط وتقديم: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، المكتبة السلفيَّة، المدينة المنوَّرة.

١٥٤. ميزان الاعتدال، الذهبيّ (٧٤٨هـ)، تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٥٥. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلوانيّ (ق ٥هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدَّسة، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٥٦. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمَّد الطناحي، ط٤، ١٣٦٤ش، مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران.

١٥٧. نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمَّد عبده، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش، مطبعة النهضة، قم، دار الذخائر، قم، إيران.

١٥٨. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمَّد بن الحسن الحرّ العامليّ، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، إيران، ط٤، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

ظاهرة تأييد الرَّأي التَّفسيريِّ بأقوال اللُّغويِّين عند العلَّامة الحِلِّيِّ (ت٧٢٦هـ) في كتابه (منتهى المطلب)
قراءة في النَّقد المنهجيّ في تفسير آيات الأحكام

أ.د. جبَّار كاظم المُلا
الباحث أحمد جبَّار المُلا
جامعة بابل

The Phenomenon of supporting the interpretive opinion with the sayings of Linguists according to Al-Allamah Al-Hilli (D. 726A.H) in his book (Muntaha Al-Matlab) A Reading in the Methodological Criticism in the Interpretation of the Verses of the Rulings

Prof. Dr. Jabbar Kazim Al-Mulla
Researcher Ahmed Jabbar Al-Mulla
University of Babylon

الملخَّص

ركَّزْنا في هذا البحث على استقراء (ظَاهِرَةُ تَأْيِيدِ الرَّأْيِ التَّفْسِيرِيِّ بِأَقْوَالِ اللُّغَوِيِّينَ) عِنْدَ العَلَّامَةِ الحِلِّيِّ (ت٧٢٦هـ) في كِتَابِهِ (مُنْتَهَى المَطْلَبِ فِي تَحْقِيقِ المَذْهَبِ)؛ قِرَاءَةٌ فِي النَّقْدِ المِنْهَجِيِّ فِي تِفْسِيرِ آيَاتِ الأَحْكَامِ، وبيان سعي العَلَّامَة الحلِّيّ إلى إثبات كون آرائه راجحةً؛ لأنَّها تنسجمُ مع قواعد اللُّغة؛ بدليل أنَّه استدلَّ بها على صحَّة آرائه، وجعلها من المؤيِّدات له. وفي هذا كشفٌ لروافد اللُّغة الكاشفة عن معنى النَّصِّ، وبيان لجَهْد اللُّغويِّينَ الدَّاعم لرأي المفسِّرينَ والفقهاء على حدٍّ سواء في باب التَّفسير الفقهيّ.

ولـمَّا كانَ القرآنُ عربيًّا، وفهمه جاريًا على وَفْقِ قواعد اللُّغة، ومؤدَّى فَهْمِهِمْ جاءَ موافقًا لمبنى العَلَّامَة الحلِّيّ، جعل هذا التَّوافق رأيه راجحًا على سواه من المفسِّرينَ والفقهاء، بهذا نكون قدَّمْنا خدمةً جليلةً للتُّراث الإسلاميّ، ولا سيَّما التُراث الإماميّ بعامَّةٍ، وخدمةً لتراث الحِلَّة المشرَّفة، بخاصَّةٍ في باب التَّفسير الفقهيّ. وفي الوقت نفسه نكونُ قد سلَّطْنا الضَّوء على عَلَمٍ بارزٍ من أعلام الفكر الإسلاميّ بعامَّةٍ، والفكر الإماميّ بخاصةٍ، ولا سيَّما الحلِّيُّ منه.

وكشفْنا عن قوَّة مبانيه الاستدلاليَّة على مستوى التَّفسير الفقهيّ والفقه، وبيَّنَّا جسور التَّواصل المعرفيّ، وتبادل القواعد التَّفسيريَّة بين المفسِّرينَ والفقهاء واللُّغويِّينَ، فقد كانَتِ اللُّغة، وتبقى في كلِّ زمانٍ، مائدةً ثرَّةً، يلتقي عليها الجميع من مفسِّرينَ وفقهاء ولغويِّينَ، فهي مائدة تُسْمِن وتُغني من جُوعٍ، لا تخيِّبُ من قصدها، ولا تردُّ من سعى

إليهـا، إذا مـا جاءها قاصدًا نجدتها، شريطة أنْ يكون مالكًا عقـلًا واعيًا مدركًا لمبانيها، وفاهمًا أساليبها.

وبهذا يمكن لنا القول إنَّ هذا البحث غير مسبوقٍ، فهو أصيل في بابه.

ومن الله التَّوفيق، وغاية السَّداد.

الكلماتُ المفتاحيَّةُ: ظاهرة، تأييد، رأي، أقوال، اللُّغويُّونَ، العَلَّامَة، منتهى.

Abstract

In this research, we focused on the extrapolation (the phenomenon of supporting the exegetical opinion with the sayings of linguists) according to Al-Allamah Al-Hilli (d.726A.H) reading of the methodological criticism in the interpretation of the verses of rulings, and a statement of Al-Allamah al-Hilli's endeavor to prove that his views are preponderant; because it is consistent with the rules of the language; Evidence that he inferred the validity of his views, and made it a supporter of him. In this revealing the tributaries of the language revealing the meaning of the text, and a statement of the effort of linguists supporting the opinion of commentators and jurists alike in the chapter of interpretation jurisprudence.

And since the Qur'an is Arabic, and its understanding is carried out according to the rules of the language, and the meaning of their understanding came in accordance with the building of Al-Allamah al-Hilli, and this agreement made his opinion preponderant over other commentators and jurists, and

by this we would have provided a great service to the Islamic heritage, especially the Imami heritage in general) especially in the chapter on (jurisprudential) interpretation. At the same time, we will have shed light on a prominent flag of (Islamic) thought in general, and (Imami) thought in particular, especially the ornaments of it.

We revealed the strength of its inferential structures at the level of jurisprudential interpretation and jurisprudence, and showed the bridges of cognitive communication, and the exchange of (interpretation) rules between commentators, jurists and linguists. It is fattening and nourishes from hunger, it does not disappoint its intent, and it does not respond to those who sought it, if it comes to it intending to help it, provided that the owner of a conscious mind is aware of its premises, and understands its methods. Thus, we can say that this research is unprecedented, as it is original in its field. And from God is success, and the purpose of repayment.

Keywords: phenomenon, endorsement, opinion, sayings, linguists, Al-Allamah, end.

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاة والسَّلام على أشرف خلقه، وصفوته من عباده، المبعوث رحمة للعالمينَ، الَّذي كانَ نبيًّا وآدم بين الماء والطِّين، الَّذي بُعِثَ إلى الأمِّيِّينَ، حاملًا لهم الدِّين، ليعلِّمهم الكتاب والحكمة، ويخرجهم من الظُّلمات والفتنة، محمَّدﷺ، وعلى أهل بيته الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ (صلوات الله عليهم أجمعينَ)، وصحبه الأخيار المنتجبينَ.

إنَّ خدمة القرآن الكريم هي أشرف خدمةٍ، لا يوفَّقُ لها إلَّا من كانَ عاشقًا لها، وراغبًا فيها، وموطِّنًا نفسه لتلك الخدمة، وساعيًا بكلِّ ما أُوتِي من قوَّةٍ؛ لتحقيق النُّجح فيها؛ لذا نرى أنَّ من الألطاف الإلهيَّة، والرِّعاية الرَّبَّانيَّة توفيقنا في كتابة هذا البحث بوصفهِ رافدًا من روافد المعرفة القُرْآنيَّة. نعمْ، إنَّه الجوَّ الإيمانيّ الَّذي وجَّهنا التَّوجيه الصَّحيح، فاجتمع التَّوجيه الإيمانيّ النَّابع من الأسرة، مع المنِّ الإلهيّ الصَّادر من السَّماء، والبناء المعرفيّ الَّذي غذَّتْنَا به جامعتا (جامعة بابل)، وكلِّيَّتنا (كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة)، فقد تمَّ شَحْذُ همَّتنا، وتوفيقنا اختيار موضوعًا يلمُّ بين التَّفسير الفقهيّ، والمنهج، ويخدم مدينتنا الحلَّة المشرَّفة؛ لأنَّنا اخترْنا فيه علمًا من أبرزِ علمائها، هو العَلَّامَة الحلِّيّ (ت٧٢٦هـ)، ووقفْنا فيه على كتابٍ من أهمِّ كتبه، هو (منتهى المطلب في تحقيق المذهب)، ومن هنا تظهر أهميَّة الموضوع، وتبرز أسباب اختياره في الكشف عن الاستدلال بأقوال اللُّغويِّين عند العَلَّامَة الحِلِّيّ على مبناه التَّفسيريّ، وتأييد رأيه بها الَّذي يصبُّ في رافد التَّفسير من جهةٍ، ورافد الفِقْه من جهةٍ أخرى، الَّذي ألَّف ظاهرةً، لذا اختَرْناهُ ليكون عنوانًا لبحثنا

هذا، وقد وسمْناهُ (ظَاهِرَةُ تَأْيِيدِ الرَّأْيِ التَّفْسِيرِيِّ بِأَقْوَالِ اللُّغَوِيِّينَ عِنْدَ العَلَّامَةِ الحِلِّيِّ (ت٧٢٦هـ) فِي كِتَابِهِ (مُنْتَهَى المَطْلَبِ)؛ قِرَاءَةٌ فِي النَّقْدِ المَنْهَجِيِّ فِي تَفْسِيرِ آيَاتِ الأَحْكَامِ)، ونهدف في هذا البحث إلى بيان أنَّ المفسِّر والفقيه كليهما لا غنًى لهما عن اللُّغة، والكشف عن إسهامات اللُّغويِّينَ في باب التَّفسير اللُّغويّ، الَّذي يوظِّفه المفسِّرونَ والفقهاء في باب الاستدلال في التَّفسير الفِقْهيّ.

وكان منهجنا قائمًا على الاستقراء، فقد استقرَيْنا ظاهرة الاستدلال بأقوال اللُّغويِّينَ عند العَلَّامَة الحلِّيّ في كتابه (منتهى المطلب) الَّذي صرَّحَ عند ذكره أقوالهم مستدلًّا بها على رأيه التَّفسيريّ، أو مبيِّنًا أنَّها من المؤيِّدات لرأيه التَّفسيريّ؛ لذا كانَتْ حدود البحث (الاستدلال اللُّغوي) من دون التَّعدِّي إلى سواه مع وجوده. وقد ضمَمْنا له منهج (التَّحليل)، ثم انتخبْنا ممَّا استقريْنا مسألتينِ بحثناهما مفصَّلًا، هما (اشتراطُ النِّيَّة)، و(مَسْحُ الرَّأس).

وكانَتْ خُطَّتنا في البحث مبنيَّة على مقدِّمة، وتمهيد، ومبحثينِ، أمَّا التَّمهيدُ فقد كانَ بعنوان (العَلَّامَة وَالْمُنْتَهَى)، وأمَّا المَبْحَثُ الأَوَّلُ، فقد كانَ بعنوان: اشتراطُ النِّيَّةِ، وضمَّ مطلبينِ، هما: المَطْلَبُ الأَوَّلُ: أَصْلُ المَسْأَلَةِ، والمَطْلَبُ الثَّانِي: الاسْتِدْلَالُ اللُّغَوِيّ، وأمَّا المَبْحَثُ الثَّاني، فقد كانَ بعنوان: مَسْحُ الرَّأْسِ، وضمَّ مطلبينِ، هما: المَطْلَبُ الأَوَّلُ: أَصْلُ المَسْأَلَةِ، والمَطْلَبُ الثَّانِي: الاسْتِدْلَالُ اللُّغَوِيّ، ثمَّ أعقبْنا تلك المباحث بالخَاتِمَة وَالنَّتَائِج، فثبَت المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ.

وآخرُ دعوانَا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

التَّمْهيدُ
العَلَّامَةُ وَالمُنْتَهَى

يُعَدُّ العَلَّامَة الحِلِّيّ، أبو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهَّر (ت٧٢٦هـ)، بحقٍّ، واحدًا من الأسماء التي أفرزَتْها عصور التَّأريخ الفِقْهيّ، وأبرزها، وإذا كان التَّأريخ الفِقْهيّ قد حفلَ بأسماء كثيرة من المتميِّزينَ، فإنَّ هناك في صعيد المتميِّزينَ أنفسِهم أسماء متفوِّقة معدودة فرضَتْ فاعليَّتها بنحوٍ متفرِّد في ميدان النَّشاط الفِقْهيّ.

وقطعًا يأتي العَلَّامَة الحِلِّيّ في مقدِّمة الأسماء المشار إليها، ويتمثَّل هذا النَّشاط نوعيًّا بتطوير الممارسة الفِقْهيَّة، وغيرها من ضروب المعرفة، أي: إدخال الجديد من أدوات الممارسة، فضلًا عن اتِّشاحها بالشُّمول والعمق والدِّقَّة، وأمَّا كميًّا، فيتمثَّل هذا النَّشاط بتنويع المعرفة عنده. وقد عُرِفَتْ مصنَّفاته بمختصراته ومتوسِّطاته ومطوَّلاته، فضلًا عن كونها تصبُّ في اتِّجاهات متنوِّعة تتوزَّع بين النَّمط الاستدلاليّ والفتوائيّ والتَّراوح بينهما من جهةٍ، وبين المنهج المقارن، وغير المقارن[1].

والمنتهى: كتاب ضخم يتَّشح بطابعينِ، هما: الاستدلال، والمقارنة، أمَّا الاستدلال فإنَّ التَّأريخ الفِقْهيّ الَّذي سبقَ العَلَّامَة الحِلِّيّ قد شَهِدَ تطوُّرًا ملحوظًا فيه، على يد روَّاد كبار مثَّلَهُ أقطابُ مدرسة بغداد الفِقْهيَّة، وهم: المفيد (ت٤١٣هـ)، والشَّريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، والطَّوسيّ (ت٤٦٠هـ)[2].

(١) ظ: د. محمود البستانيّ، مقدِّمة كتاب (منتهى المطلب) للعلاَّمة الحِلِّيّ: ١/ ٧.
(٢) ظ: د. جبَّار كاظم المُلَّا، التَّأصيل الفقهيّ عند مدرسة بغداد الفقهيَّة: ٧.

ويمكن ملاحظة ذلك في كتاب (الانتصار) للشَّريف المرتضى، وكتاب (السَّرائر) لابن إدريس الحليّ (ت٥٩٨هـ)، وكتاب (المعتبر) للمحقِّق الحِلِّيّ (ت٦٧٦هـ)[١]، إذْ يظلُّ هذا الأخير قريبًا من العَلَّامَة الحِلِّيّ من حيث النِّسَب، ومن حيث المستوى العِلْمِيّ في الجَهْد المبذول في تطوير الممارسة الفِقْهِيَّة منهجًا وفكرًا[٢].

(١) ظ: د. جبَّار كاظم المُلَّا، التَّأصيل والتَّجديد في مدرسة الحلَّة الفقهيَّة: ١٧٣-١٧٤.
(٢) ظ: د. محمود البستانيّ، مقدِّمة كتاب (منتهى المطلب) للعلاَّمة الحِلِّيّ: ١/ ٨.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

اشْتِرَاطُ النِّيَّةِ

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: أَصْلُ المَسْأَلَةِ

ذكـرَ الفقهـاء في كتبهم الفقهيَّـة، والمفسِّرونَ في تفاسـيرهم الفقهيَّة (تفسـير آيات الأحـكام)، للنِّيَّـة في الطَّهارة، قولَينِ: أمَّا القول الأوَّل، فقد ذهـبَ أصحابه إلى أنَّ النِّيَّة شرطٌ في الطَّهـارة مطلقًا، سـواء مائيَّة كانَـتْ أم تُرابيَّة، وهو رأي الإماميَّـة[1]، وبه قالَ الشَّافعيّ[2]، وأحمد بن حنبل[3]، وأمَّا القول الثَّاني، فقد ذهبَ أصحابه إلى أنَّ النِّيَّة ليسَتْ بـشرطٍ في الطَّهارة المائيَّة، وبه قال أبو حنيفة[4]، ومالك[5]، وأنَّهما ذهبَا إلى أنَّ النِّيَّة شرطٌ في الطَّهارة التُّرابيَّة، أي إنَّها شرطٌ في التَّيمُّم عندهم[6].

يتَّضـح لنا ممَّا تقـدَّم أنَّ الفقهاء والمفسِّرينَ، سـواء تفسـيرًا عامًّـا كانَ اتِّجاههم، أم تفسـيرًا فقهيًّا، متَّفقونَ على شرط النِّيَّة في الطَّهارة التُّرابيَّة (التَّيمُّم)، إلَّا أنَّهم مختلفونَ في الطَّهارة المائيَّة، فهي شرطٌ عند (الإماميَّة، والشَّافعيّ، وأحمد)، في حين أنَّها ليسَتْ بشرطٍ

(١) العلَّامَة الحِلِّيّ، منتهى المطلب: ٢/ ٩.
(٢) الشَّافعيّ، الأمُّ: ١/ ٢٩، الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: ١١/ ١٥٣.
(٣) ابن رشد القرطبيّ، بداية المجتهد: ١/ ٨، الشَّوكانيّ، نيل الأوطار: ١/ ١٦٣.
(٤) الكاسانيّ، بدائع الصَّنائع: ١/ ١٩، الجصَّاص، أحكام القرآن: ٣/ ٣٣٦.
(٥) النَّوويّ، المجموع: ١/ ٣١٢، ابن العربيّ، أحكام القرآن: ٢/ ٥٥٩.
(٦) ابن قدامة، المغني: ١/ ١٢١، ابن رشد القرطبيّ، مقدِّمات الممهِّدات: ١/ ٥٣.

فيهـا عند (أبي حنيفة، ومالك). وبعبارة أخرى: إنَّ المذاهب الإسـلاميَّة خمسـتها متَّفقةٌ عـلى شرط النِّيَّة في الطَّهارة البديلـة (التَّيمُّم)، ومختلفة في الطَّهارة الأصليَّة (المائيَّة)، على التَّفصيل المذكور آنفًا. وبعد أنْ حدَّدْنا (الأصل)، في مسـألة (اشتراط النِّيَّة)، سنشرع في بيان الاسـتدلال اللُّغويّ، لبيان لجوء العَلَّامَة الحلِّيّ إلى اللُّغويِّينَ؛ ليسـتدلَّ بأقوالهم على رأيه في مبناه، مبرهنًا على صحَّته ورجحانه.

المَطْلَبُ الثَّاني: الاسْتِدْلالُ اللُّغَوِيّ

اسـتدلَّ العَلَّامَة الحِلِّيّ على (اشتراط النِّيَّة) في الطَّهارة المائيَّة على منهج (المتكلِّمينَ)، وهـو منهـج قياسي قائم عـلى (مقدِّمتَـينِ، ونتيجـة)[١]، اعتمده علماء الـكلام؛ لإثبات العقيدة الإسلاميَّة[٢]. وهو منهج جمهور المتكلِّمينَ من الأصوليِّينَ الَّذينَ بحثُوا القواعد الأصوليَّـة على طريقـة علم الـكلام [٣]، وهم، باعتبـار المذاهب الفقهيَّـة، الإماميَّة[٤]، والمالكيَّة، والشَّـافعيَّة، والحنابلة[٥]. أمَّا المقدِّمة الأولى فتسـمَّى (صغـرى قياس)، وأمَّا المقدِّمة الثَّانية، فهي تسمَّى (كبرى قياس)، على النَّحو الآتي:

الوضوءُ عبادةٌ ـــــــــــــــــــــــــ مقدِّمة (١)

وكلُّ عبادةٍ بنيَّةٍ ـــــــــــــــــــــــــ مقدِّمة (٢)

النتيجة ـــــــــــــــــــــــــ كلُّ وضوءٍ بنيَّةٍ[٦]

(١) الإيجيّ، المواقف: ١/ ٢٤-٢٥.
(٢) محمَّد تقي المدرِّسيّ، العرفان الإسلاميّ: ٦٨.
(٣) د. جبَّار كَاظِم المُلَّا، مناهج البحث الأصوليّ: ١٠٠.
(٤) محمَّد تقي الحكيم، الأصول العامَّة للفقه المقارن: ٧٨.
(٥) محمَّد الخضري بيك، أصول الفقه: ٨.
(٦) العلَّامَة الحِلِّيّ، منتهى المطلب: ٢/ ١٠.

وممَّا يؤيِّد ذلك قوله: «أمَّا الصَّغرى؛ فلأنَّ أهل اللُّغة نصُّوا على أنَّ التَّعبُّد، هو التَّذلُّل، قال الشاعر: (وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيرِ المُعَبَّدِ)، أي: المُذلَّل، وهذا المعنى المشتقُّ منه موجود هنا، فإنَّ فِعْلَ الطَّهارة على وجه الطَّاعة نوع تذلُّلٍ، فيَصْدُقُ عليه اللَّفظ»[1]. والوضوء قسم من أقسام الطَّهارة المائيَّة (الوضوء، والغُسْل)[2]. والصغرى لغويَّة؛ لأنَّ التَّعبُّد عند أهل اللُّغة يعني (التَّذلُّل)، والوضوء يصدق عليه لفظ التَّذلُّل؛ لأنَّ الإيتاء به على وجه الطَّاعة نوعٌ من أنواع التَّذلُّل، فقد صرَّحَتْ به أقوالهم، ونطقَتْ به أشعارهم، أمَّا الأقوال فممَّا وقفْنا عليه وجدْناهم قد أرجعوا العبوديَّة إلى الخضوع والذُّلِّ، والعبادة الَّتي هي ركن في صغرى القياس (الوضوءُ عبادةٌ): مصدر مشتقٌّ من الفعل (عَبَدَ)، وللَّفظ (العبد) أصلانِ: أمَّا الأصل الأوَّل فهو (العَبْد)، بمعنى (المملوك)، وأمَّا الأصل الثَّاني فهو (العَبَدَةُ)، بمعنى (القوَّة والصَّلابة)؛ وممَّا يؤيِّد ذلك قولهم: «العينُ والباءُ والدَّالُ أصلانِ صحيحانِ، كأنَّهما متضادَّانِ، والأوَّل من ذينكَ الأصلَينِ: يدلُّ على لينٍ وذُلٍّ، والآخر: على شدَّةٍ وغِلَظٍ. فالأوَّل: العَبْدُ، وهو المملوك.. والأصل الآخر العَبَدَةُ، وهي القوَّةُ والصَّلابةُ»[3]. وممَّا تجدرُ الإشارة إليه أنَّ مدار البحث الأصل الأوَّل، أي (العَبْد) بمعنى (المملوك)، والمملوك يتجلَّى فيه الخضوع والتَّذلُّل، أمَّا الأصل الثَّاني (العَبَدَةُ)، بمعنى (القوَّة والصَّلابة)، فهو خارج مدار البحث، وقد ذكرْناه؛ لإكمال التَّقسيم من النَّاحية المنهجيَّة على المستوى النَّظريّ. وبهذا نصَّتْ أقوالهم على أنَّ الخضوع والتَّذلُّل هو أصلٌ للعبوديَّة، فقالُوا: «أصل العبوديَّة الخضوع والذُّلُّ»[4]، ومنه المعبَّد، فهو اسم مفعول من (عبَّد)، بمعنى: (مُذَلَّل)؛ وممَّا يؤيِّد ذلك قولهم: «المُعَبَّد، كمُعَظَّم:

(١) العلَّامَة الحِلِّيّ، منتهى المطلب: ٢/ ١١.
(٢) المحقِّق الحِلِّيّ، المختصر النَّافع: ١/ ٦٥.
(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادةَ (عبد).
(٤) الرَّازيّ، مختار الصِّحاح، مادَّة (عبد).

المُذَلَّل من الطَّريق وغيره»[١]. وأمَّا الأشعار فممَّا وقفْنا عليه عندهم قول طرَفَة بن العَبْد: عمرُو بن العَبْد بن سفيان البَكْريّ (ت٦٠ق.هـ) في معلَّقته الشَّهيرة، إحدى معلَّقات الشِّعر الجاهليّ، إذ قال:

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا
وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّدِ[٢]

والشَّاهد فيه (المعبَّد)، ويراد به المُذَلَّل[٣] بالقطرانِ، كالطَّريق المعبَّد الموطوء[٤].

ويمكن أنْ يضمَّ إلى ما تقدَّم (المفهوم اللُّغويّ)، قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا﴾[٥]. الشَّاهد فيه (فَاغْسِلُوا)، فإنَّ المفهوم منه في لغة العرب: «أي: اغْسِلُوا للصَّلاةِ، كما يُقالُ: إذا لقيت الأمير فالبسْ أُهبَتَكَ، أي: للقائه، وإذا لقيت العدوَّ فخُذْ سلاحَك، أي: لأجل لقائه، وهو كثير النَّظائر»[٦]. وبهذا يتَّضح أنَّ العلَّامَة الحِلِّيّ ارتكزَ على المفهوم اللُّغويِّ الدَّالِّ على اشتراط النِّيَّة، في الوضوء؛ لأنَّ المعنى: إذا نويتم القيام إلى الصَّلاة؛ فاغسلُوا وجوهَكم؛ وممَّا يؤيِّد ذلك أنَّ بعض المفسِّرينَ ذلك هذا الرَّأي، فقالَ: «المراد إذا قصدْتُم الصَّلاة؛ لأنَّ القيام إلى الشَّيء، والتَّوجُّه إليه، يستلزم القصد إليه، فيكون من إطلاق الملزوم على اللَّازم»[٧]. وواضح من قوله (القصد) أنَّه يُرادُ به (النِّيَّة)، هو المطلوب.

(١) الفيروزآباديّ، القاموس المحيط، مادَّة (عبد).
(٢) طرفة بت العبد، الدِّيوان: ٢٧، الزَّوْزَنيّ، شرح المعلَّقات العشر: ١١١.
(٣) الجوهريّ، الصِّحاح: ٢، مادَّة: (عبد)، ابن منظور، لسان العرب، ٩، مادَّة (عبد).
(٤) الأعلم الشَّنتمريّ، شرح دِيوان طَرَفَة بن العَبْد: ٢٧ (الهامش).
(٥) المائدة: ٦.
(٦) العَلَّامَة الحِلِّيّ، منتهى المطلب: ٢/ ٩.
(٧) السُّيوريّ، كنز العرفان: ١/ ٥٣.

والآن ننتقل إلى التَّيمُّم الَّذي هو القسم الثَّاني من أقسام الطَّهارة، إلَّا أنَّ هذا القسم من الطَّهارة (تُرابيَّة)، وتلك (مائيَّة)، وهذه (بديلة)، وتلك (أصيلة)[1]؛ وما قيل عن الوضوء يُقال عن التَّيمم؛ لأنَّ الاثنينِ عبادة، إلَّا أنَّ الوضوء عبادةٌ بحُكْم الأصل، في حين أنَّ التَّيمُّم عبادةٌ بحُكْم البدل، ويأخذ البدل حُكْم الأصل؛ وممَّا يؤيِّد ذلك قوله: «ولأنَّ التَّيمُّم عبادة، وهو بدل، والبدل بحكم الأصل»[2]؛ وبناء على قاعدة (البدل بحُكْم الأصل)، والأصل (الوضوء)، والفرع (التَّيمُّم)، وحكم الأصل يُسَرَّى إلى البدل يصاغ الوصول إلى الحُكْم على وَفْق منهج المتكلِّمينَ، على النَّحو الآتي:

التَّيمُّم عبادةٌ ـــــــــــــــــــــــــــ مقدِّمة (١)

وكلُّ عبادةٍ بنيَّةٍ ـــــــــــــــــــــــــــ مقدِّمة (٢)

النَّتيجةُ ـــــــــــــــــــــــــــ التَّيمُّم بنيَّةٍ

وبضمِّ صغرى القياس إلى كبراها، وهي شرعيَّة قرآنيَّة، أثبتَ أنَّ العبادة بإخلاص، والإخلاص يراد به (النِّيَّة) في نصوص قرآنيَّة قرنَتِ العبادة بالإخلاص.

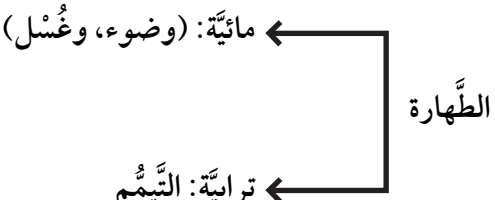
وأمَّا الكبرى، فيدلُّ عليها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[3]، وقيد الإخلاص في الدِّين يعني: ألاَّ يشركُوا به شيئًا[4]. وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[5]، والخالص يرادُ به الَّذي لا يشوبه الرِّياء والسُّمعة، أو أيُّ وجهٍ من وجوه الدُّنيا[6]. وقيل: الدِّين الخالص بمعنى:

(١) ظ: المحقِّق الحِلِّيّ، المختصر النَّافع: ١/ ٨٧.
(٢) العلَّامَة الحِلِّيّ، منتهى المطلب: ٢/ ١١.
(٣) البيِّنة: ٥.
(٤) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ، الميزان: ٢٠/ ٣٣٩.
(٥) الزُّمر: ٢.
(٦) الطبرسيّ، مجمع البيان: ٨/ ٣٨٣.

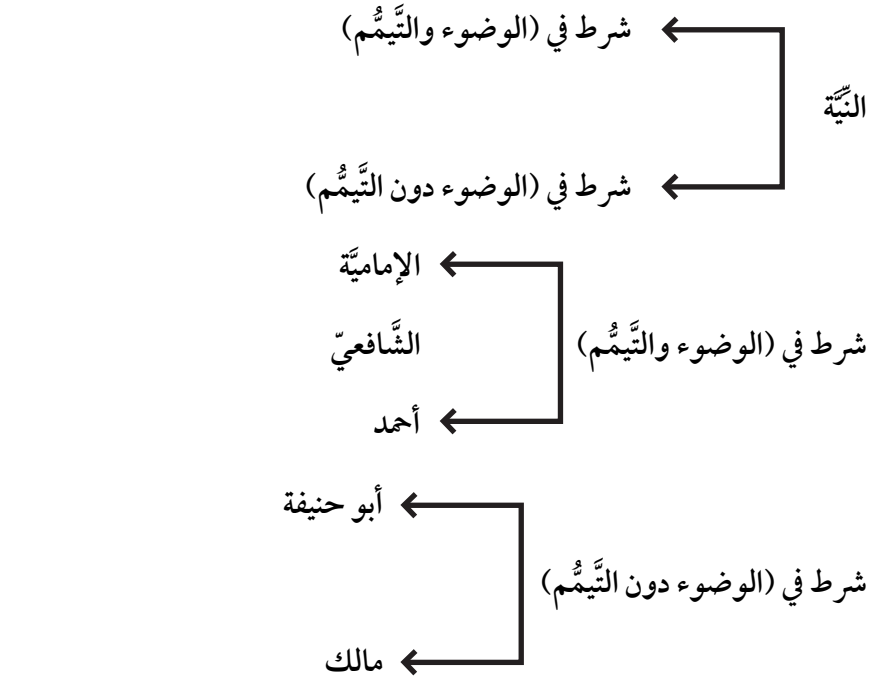
(لا إلـهَ إلَّا الله)[١]، وقولـه تعـالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾[٢]، أي: مخلصًـا بعبادتي[٣].

يتَّضـح لنا ممَّا تقـدَّم أنَّ العَلَّامَة الحـلِّيّ أثبتَ أنَّ النِّيَّـة شرطٌ في الوضوء، معتمدًا في الوصول إلى هذه النَّتيجة على منهج المتكلِّمينَ، ولـمَّا كان هذا المنهجُ يتكوَّنُ من مقدِّمتَينِ ونتيجة، ولكي تكونَ النَّتيجة صحيحة، كان لا بُدَّ أنْ يبرهنَ على صحَّة كلِّ مقدِّمة. وقد برهن على صحَّة المقدِّمة الأولى (صغـرى قياس)، بأقوال اللُّغويِّينَ؛ لأنَّهم نصُّوا عليها. ولكـي نقطفَ ثمار الاسـتدلال اللُّغـويّ، كانَ لزامًا علينا أنْ نبحـث برهنته على صحَّة المقدِّمة الثَّانية (كبرى قياس)، وقد رجع العَلَّامَة الحِلِّيّ إلى النُّصوص القرآنية الَّتي قرنَتْ العبـادة بـ(الإخـلاص)، والإخلاص يعني (النِّيَّة) عند المفسِّريـنّ. وبعبارة أخرى: بعد البرهنة على صدق المقدِّمة الثَّانية؛ تكون النَّتيجة صحيحةً، وقد مثَّل الاستدلال اللُّغويّ مدار البحث ركنًا مهمًّا في هذا الاثبات والصِّحَّة؛ لأنَّه أثبت صحَّة المقدِّمة الأولى، وبضمِّ مقدَّمـة صغرى صحيحـة، إلى مقدِّمة كبرى صحيحة، تحقَّق المطلوب في أصل المسـألة، وهو (اشتراط النِّيَّة) في الوضوء، والتَّيمُّم.

مُخَطَّطٌ يُوَضِّحُ اشْتِرَاطَ (النِّيَّةِ)



(١) الثَّعالبيّ، الجواهر الحسان: ٣/ ١٣٤.
(٢) الزُّمر: ١٤.
(٣) الطُّوسيّ، التِّبيان: ٩/ ١٥.


النِّيَّة
شرط في (الوضوء والتَّيمُّم)
شرط في (الوضوء دون التَّيمُّم)
شرط في (الوضوء والتَّيمُّم)
الإماميَّة
الشَّافعيّ
أحمد
شرط في (الوضوء دون التَّيمُّم)
أبو حنيفة
مالك

المَبْحَثُ الثَّاني

مَسْحُ الرَّأْسِ

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: أَصْلِ المَسْأَلَةِ

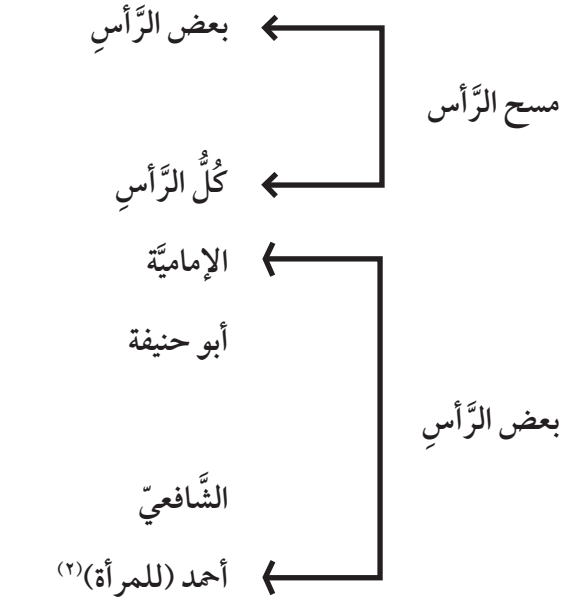
هنالك رأيانِ في مسح الرَّأس، أمَّا الرَّأي الأوَّل فقد ذهبَ أصحابه إلى مسح (بعض) الرأسِ، وهم: الإماميَّة، بلا خلاف بينهم، وممَّا وقفْنا عليهم على سبيل التمثيل، لا الحصر، فقهاء مدرسة بغداد الفقهيَّة[١]، وفقهاء مدرسة النَّجف الفقهيَّة[٢]، وفقهاء مدرسة الحِلَّة الفقهيَّة[٣]، وهو قول أبي حنيفة[٤]، النُّعمان بن ثابت الكوفيّ (ت١٥٠هـ)، والشَّافعيّ[٥]، وأبي عبد الله، محمَّد بن إدريس المطَّلبيّ القرشيّ، وأحمد بن حنبل، وأبي عبد الله الشَّيبانيّ الذُّهليّ (ت٢٤١هـ)، في حقِّ المرأة دون الرَّجل في أحد قولَيه[٦].

وَأمَّا القول الثَّاني، فقد ذهبَ أصحابه إلى مسح الرَّأس كُلِّهِ، وهم مالك[٧]، وأبو عبد الله، ومالك بن أنس الأصبحيّ الحميريّ المدنيّ (ت١٧٩هـ)، وأحمد بن حنبل في

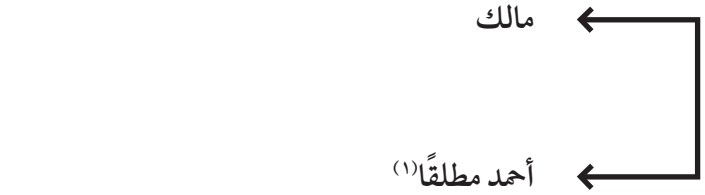
(١) ظ: المفيد، المقنعة: ٥، الشَّريف المرتضى، الجمل: ٥٠.
(٢) ظ: الطُّوسيّ، الخلاف: ١/ ١٣، النِّهاية: ١٤.
(٣) ظ: العَلَّامَة الحِلِّيّ، منتهى المطلب: ٢/ ٤٥.
(٤) ظ: السَّرخسيّ، المبسوط: ١/ ٦٣، الرَّازيّ، مفتاح الغيب: ١١/ ١٦٠.
(٥) ظ: الشِّربينيّ، مغني المحتاج: ١/ ٥٣، الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: ١١/ ١٦٠.
(٦) ظ: ابن قدامة، الكافي: ١/ ٣٦.
(٧) ظ: مالك، المدوَّنة الكبرى: ١/ ١٦، ابن العربيّ، أحكام القرآن: ٢/ ٥٦٨.

قولـه الآخر، مـن دون تفريق بين الرَّجل والمرأة[1]. واضحٌ ممَّا تقـدَّم أنَّ الفقهاء متَّفقونَ على مسـح الرَّأس، إلَّا أنَّهم اختلفُوا في المقدار الممسـوح منه، على قولين: الأوَّل: مسـح بعض الرَّأس، قول الإماميَّة، وأبي حنيفة، والشَّافعيّ، وأحمد في أحد قولَيه، في حقِّ المرأة دون الرَّجُل، من المذاهب الإسـلاميَّة، والثَّاني: مسح كلِّ الرَّأس، قول مالك، وأحمد في قوله الآخر، من دون تفريق بين الرَّجُل والمرأة. فإذا استبعدنا رأي أحمد من القول الثَّاني؛ لأنَّـه معارضٌ برأيه في القول الأوَّل، يبقى القول بمسـح كلِّ الـرَّأس مختصًّا بـ(مالك)، والقول بمسـح بعض الرَّأس مختصًّا بما سـواه من المذاهب الإسـلاميَّة، والأخير موافق للإماميَّة.

مخطَّطٌ يوضِّح مسح (الرَّأس)



(١) ظ: ابن قدامة، المغني: ١/ ١٤١، الشَّوكانيّ، نيل الأوطار: ١/ ١٩٢.
(٢) ظ: في أحد قولَيه (في حقِّ المرأة دون الرَّجُل).



المَطْلَبُ الثَّاني: الاسْتِدْلَالُ اللُّغَوِيّ

تبنَّى العَلَّامَة الحِلِّيّ أنَّ (الباء) تفيد معنى التَّبعيض، واستدلَّ بأقوال اللُّغويِّينَ، إذ قالَ: «بالنَّقل عن كثيرٍ من أهل اللُّغة أنَّها تفيد التَّبعيض»(٢). والحقُّ مع العَلاَّمَة الحِلِّيّ، فكثيرٌ منهم يقول بإفادة الباء للتَّبعيض، وممَّا وقفْنا عليه من أقوالهم المنقولة عن بعضهم: «وأمَّا قولُهُمْ: البَاءُ للتَّبْعِيضِ، فمَعنَاهُ أَنَّها لا تَقْتَضِي العُمُومَ، فيَكْفِي أنْ تَقَعَ على ما يَصْدُقُ عليه أَنَّهُ بعْضٌ، واستَدلُّوا عَلَيْهِ بقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾(٣)، وقالُوا: البَاءُ هُنَا للتَّبْعِيضِ عَلَى رَأْيِ الكُوفِيِّينَ ونَصَّ على مجيئها للتَّبْعِيضِ: ابنُ قُتَيْبَةَ، أبو محمَّد، عبد الله بن عبد المجيد الدِّينَوَريّ (ت٢٧٦هـ)، في (أدَبِ الكَاتِبِ)، وأبُو عَلى الفارِسيُّ، الحسن بن أحمد (ت٣٧٧هـ).. ونَقَلَهُ الفارِسيُّ عن الأصْمَعِيّ، عبد الملك بن قريب (ت٢١٦هـ)، وقال ابنُ مالكٍ، محمَّد بن عبد الله الطَّائيّ (ت٦٧٢هـ)، (شرحِ التَّسْهِيلِ): وتَأْتِي (الباءُ) مُوَافِقَةً (مِن) التَّبعِيضِيَّةِ، وقال ابنُ قُتَيْبَةَ أيضًا في كِتَابِهِ المَوْسُومِ بِـ: مُشْكِلَاتِ مَعانِي القُرآنِ»(٤).

وقول اللُّغويِّينَ، عند العَلَّامَة الحِلِّيّ، مؤيَّدٌ بأمرَينِ، أمَّا الأمر الأوَّل، فهو قاعدة لغويَّة هي: «إنَّ (الباء) إذا دخلَتْ على فعلٍ متعدٍّ بنفسه أفادَتِ التَّبعيض

(١) ظ: في أحد قولَيه: (في حقِّ المرأة دون الرَّجُل).
(٢) العَلَّامَة الحِلِّيّ، منتهى المطلب: ٢/ ٤٥.
(٣) المائدة: ٦.
(٤) الفيُّوميّ، المصباح المنير، مادَّة (بعض).

بالنَّقل»[1]، أي: إذا دخلَتِ (الباء) على مفعوله، لا بعد استيفائه المفعول، فيخرج قوله: كتبْتُ الدَّرسَ بالقلم، وقتلُوهُ بذنبه، واستبدلْتُهُ بآخر، الشَّاهد في هذه القاعدة: دخول (الباء) على الفعل ﴿وَٱمۡسَحُواْ﴾ يفيد التَّبعيض؛ لأنَّ الفعل ﴿وَٱمۡسَحُواْ﴾ متعدٍّ بنفسِهِ، وأمَّا الأمر الثَّاني، فهو العِلْم بوجود فرقٍ بين قول (مسحْتُ يدي بالمنديل)، وقول (مسحْتُ المنديل)، فالقول الأوَّل يفيد التَّبعيض، بخلاف الثَّاني[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾، مثل قولهم: (مَسَحْتُ بالمنديلِ) في إفادة التَّبعيض؛ لأنَّه لو لم يفِدِ التَّبعيض، لم يكن مُفْهِمًا؛ لأنَّ الفعل يفيد الإلصاق، إذا لم يكنْ متعدِّيًا بنفسه[3].

وأبطلَ قول ابن جنِّيّ، أبي الفتح، عثمان بن جنِّيّ الموصلِيّ (ت٣٩٢هـ)، إذ قالَ: «إنَّ (الباء) لم تفد (التَّبعيض) في لغة العرب»[4]. ومن الجدير بالذِّكر أنَّي لم أجد قول ابن جنِّيّ، الَّذي أوردَهُ العَلَّامَة الحِلِّيّ محكيًّا عنه، في مصنَّفاته، ولكنِّي وجدْتُ القولَ منسوبًا إليه في كتب المعجمات، إذ نقلَ بعضهم ما نصَّهُ: «قالَ ابنُ جنِّيّ: وأمَّا ما يحكيه أصحاب الشَّافعيّ من أنَّ (الباء) للتَّبعيض، فشيء لا يعرفُهُ أصحابُنا، أي: اللُّغويِّونَ، ولا ورَدَ به ثَبَتٌ»[5]. وبضمِّ نقل بعض اللُّغويِّين إلى نقل العَلَّامَة الحِلِّيّ، نسلِّم، ولو على سبيل الاحتمال، أنَّه محكيٌّ عنه، وإنْ لم يردْ في مصنَّفاته الواصلة، بل نعدُّ مصنَّفات العَلَّامَة الحِلِّيّ من مصادر نقل آراء ابن جنِّيّ غير الواردة في مصنَّفاته الواصلة.

(١) العَلَّامَة الحِلِّيّ، منتهى المطلب: ٢/ ٤٤.
(٢) ظ: المصدر نفسه.
(٣) ظ: المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه، ٢/ ٤٤-٤٥.
(٥) الزَّبيديّ، تاج العروس: ٢٠، مادَّة (باء).

وفي بـاب التَّرجيح بين القول الَّذي تبنَّـى الإفادة، والقول الَّذي تبنَّى عدم الإفادة، رجَّحَ العَلَّامَة الحِلِّيّ الإفادة على العدم، وإنْ كانَ القولانِ صادرينِ عن أهل اللُّغة، إلَّا أنَّ رأي الإفادة هو رأي الأكثريَّة، وقد ثبتَ بالنَّقل عنهم، واستنادًا إلى ثبوته، بالنَّقل عنهم، وكثرته؛ لذا يكون راجحًا على عدم الإفادة، وهو رأي ابن جنِّيّ.

وبعبـارةٍ أخـرى: إنَّ العَلَّامَة الحِلِّيّ تعاملَ مع شـهادتَينِ وردَتا عن أهـل اللُّغة، أمَّا الشَّـهادة الأولى فهي شـهادة الإثبات، الَّتي ثبـتُ إفادة (الباء) للتَّبعيض، وهي شـهادة الأكثريَّة من أهل اللُّغة، وأمَّا الشَّـهادة الثَّانية فهي شـهادة النَّفي، الَّتي تنفي إفادة (الباء) للتَّبعيض، وهي شهادة ابن جنِّيّ من أهل اللُّغة.

يتَّضـح لنـا ممَّا تقـدَّم أنَّ العَلَّامَة الحِلِّيّ اسـتدلَّ بقول أهـل اللُّغة على إفـادة (الباء) للتَّبعيض، وعند التَّرجيح بين الشَّهادتينِ، شهادة الإثبات، وشهادة النَّفي، رجَّح شهادة الإثبات؛ استنادًا إلى قاعدةٍ من قواعد التَّرجيح، هي: «شهادة الإثبات مقدَّمة على شهادة النَّفي عند التَّعارض»[1].

ويؤيِّد الاسـتدلال اللُّغويّ مـن جهة، وكون (الباء) للتَّبعيـض عند أهل اللُّغة من جهةٍ أخرى، أنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام، أبا عبد الله، جعفر بن محمَّد (ت١٤٨هـ)، في جوابه لزُرَارَة بن أَعْيَن (ت١٥٠هـ)، حينَ سأله قائلًا: من أينَ علِمْتَ أنَّ المسح ببعض الرَّأس؟ أرشـده إلى إفادة الباء للتَّبعيض من أهل اللُّغة[2]، إذ قالَ: «**يا زُرَارَةُ، قالَهُ رسول الله صلى الله عليه وآله، ونـزلَ بـه الكتابُ مـن الله تعـالى، يقـول: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾[3]، فعرَفْنـا أنَّ الوجه كلَّه ينبغي أنْ يُغْسَـلَ، ثـمَّ قال: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾[4]، ثمَّ فصـلَ بين الكلامينِ،**

(١) ظ: العَلَّامَة الحِلِّيّ، منتهى المطلب، ٢، ٤٥.
(٢) ظ: المصدر نفسه، ٢، ٤٧.
(٣) المائدة، ٦.
(٤) المائدة، ٦.

فقالَ: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾[1]، فعرَفْنا حين قال: ﴿بِرُءُوسِكُمۡ﴾ أنَّ المَسْحَ ببعض الرَّأس لمكان (الباء)، ثمَّ وصلَ الرِّجلينِ بالرَّأس، كما وصلَ اليدينِ بالوجه، فقالَ: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾[2]، فعرَفْنا حين وصلَهما بالرَّأس أنَّ المَسْحَ على بعضها، ثمَّ فسَّرَ ذلك رسول الله ﷺ للنَّاس، فضيَّعُوه..»[3].

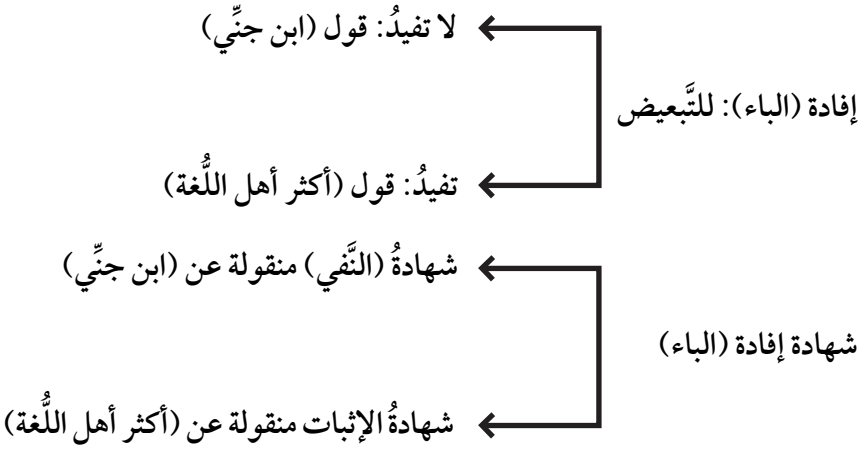
يتَّضح لنا ممَّا تقدَّم أنَّ مقولة الإمام الصَّادق عليه السلام: «إنَّ المَسْحَ ببعض الرَّأْسِ لمكانِ الباء»[4]، تضمَّنَتْ قاعدةً لغويَّة بإفادة (الباء) التَّبعيض عند أهل اللُّغة، فالإمام الصَّادق عليه السلام عرَّفَ زُرَارَة مورد إفادة الحُكْم من ظاهر الكتاب[5]، فقد أحالَه على قاعدة لغويَّة؛ لمعرفة الحُكْم الشَّرعيّ من النَّصِّ الشَّرعيّ (القرآن)[6]، هي: «الباء تفيد التَّبعيض لا الإلصاق»[7]، فهي صريحة في حجِّيَّة ظواهر الكتاب[8].

نفهم من جواب الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّ هناك تفسيرًا كانَ صادرًا عن رسول الله ﷺ، إلَّا أنَّه تفسيرٌ مضيَّع، فقد ضيَّعه النَّاس، فلا أدلَّ من قوله عليه السلام: «ثمَّ فسَّرَ ذلك رسول الله ﷺ للنَّاس، فضيَّعُوه»[9].

(١) المائدة: ٦.
(٢) المائدة: ٦.
(٣) الطُّوسيّ، تهذيب الأحكام: ١/ ٦١، الاستبصار: ١/ ٦٢، الحرُّ العامليّ، وسائل الشِّيعة: ١/ ٢٩٠.
(٤) الصَّدوق، من لا يحضَرُهُ الفقيه: ١/ ٣٠.
(٥) مرتضى الأنصاريّ، فرائد الأصول: ١/ ٧١، آغا بُزُرك الطَّهرانيّ، حصر الاجتهاد: ٤١.
(٦) ظ: د. جبَّار كاظم المُلَّا، مناهج البحث الأصوليّ (رسالة ماجستير): ٣٤.
(٧) محمَّد تقي الحكيم، مقدِّمة كتاب (النَّصِّ والاجتهاد): ٥٢، باقر شريف القرشيّ، الفقه الإسلاميّ: ١٠٣.
(٨) أبو القاسم الخوئيّ، البيان في تفسير القرآن: ٢٨٤.
(٩) الطُّوسيّ، تهذيب الأحكام: ١/ ٦١، الاستبصار: ١/ ٦٢، الحرُّ العامليّ، وسائل الشِّيعة: ١/ ٢٩٠.

وفي تقديري أنَّ أسباب الضَّياع راجعةٌ إلى أنَّهم رجعُوا إلى غير تفسير النَّبيّ محمَّدﷺ، فحلَّ محلَّ تفسير النَّبيّ، فضيَّعه عندهم على المستويينِ النَّظريّ والتَّطبيقيّ، أو أنَّه لم ينقل، بوصفه سنَّة قوليَّة كانَتْ أم سنَّة فعليَّة، فضاع، أو أنَّه نُقِلَ، إلَّا أنَّه لم يكن صاحب الصَّدارة؛ بسبب عوادي الزَّمن، فقد طالَتْهُ عوامل التَّغييب، الَّتي تكمن وراءها دوافع سياسيَّة، أو عقديَّة؛ وممَّا يؤيِّد ذلك أنَّ هناك آراء نقلتْ عن طريق مدرسة أهل البيتعليهم السلام، وهي لها الصَّدارة عندهم، وهي مغيَّبة، أو لم تعطَ الصَّدارة عند مدرسة الصَّحابة.

مخطَّطٌ يوضِّح إفادة (الباء)



الخَاتِمَةُ وَالنَّتَائِجُ

وما خلصْنا إليه من دراستنا في هذا البحث، يمكن إدراجه بما يأتي:

١. إنَّ العَلَّامَة الحِلِّيّ ارتكزَ على أهل اللُّغة عند الاستدلال في باب التَّفسير الفقهيّ.

٢. الاستدلال اللُّغويّ ألَّف ظاهرةً عند العلَّامَة الحلِّيّ في كتابه (منتهى المطلب).

٣. كشفَ الاستقراء في هذا البحث أنَّ الأجزاء الَّتي جاءَتْ حافلةً بالاستدلال اللُّغويّ، من (منتهى المطلب) الَّذي يتكوَّن من(١٤) جزءًا، هي الأجزاء (٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٨).

٤. كشف الاستقراء في هذا البحث أنَّ الأجزاء الَّتي جاءَتْ تخلو من الاستدلال اللُّغويّ، هي الأجزاء (١، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤).

٥. إنَّ النِّيَّة شرطٌ في الوضوء، سواء مائيًّا كانَ، أم ترابيًّا، عند العَلَّامَة الحلِّيّ، وهو رأي الإماميَّة بلا خلافٍ بينهم.

٦. أثبتَ العَلَّامَة الحِلِّيّ المقدِّمة الأولى في القياس العقليّ (الوضوءُ عبادةٌ)، بالرُّجوع إلى أقوال اللُّغويِّينَ؛ لأنَّ العبادة في اللُّغة تعني التَّذلُّل، وهذا المعنى متحقِّق في الوضوء؛ وبهذا يكونُ قد ثبت كونه عبادة من هذا الباب، أي الباب اللُّغويّ.

٧. ما قيلَ عن (الوضوء)، يُقالُ عن (التَّيمُّم)؛ استنادًا إلى قاعدة تفسيريَّة، هي: «البدلُ بحُكْم الأصل»، بعد إثبات أنَّ (الوضوءَ أصلٌ)، وأنَّ (التَّيمُّمَ بدلٌ)، فأخذ حُكْمه، أي إنَّ النِّيَّة شرط فيه، وهذا ما لا خلافَ فيه عند المذاهب الإسلاميَّة.

٨. استدلَّ العَلَّامَة الحِلِّيّ، بأقوال اللُّغويِّينَ، أنَّ (الباء) تفيد معنى التَّبعيض.

٩. البَاءُ للتَّبْعِيضِ عَلَى رَأْيِ الكُوفِيِّينَ، ونَصَّ على مجيئها للتَّبْعِيضِ جملة من الأعلام.

١٠. إنَّ الباء إذا دخلَتْ على فعلٍ متعدٍّ بنفسه أفادَتْ التَّبعيض بالنَّقل: قاعدة لغويَّة.

١١. إنَّ الفعل يفيد الإلصاق إذا لم يكنْ متعدِّيًا بنفسه: قادةٌ لغويَّة.

١٢. قول ابن جنِّي: «إنَّ الباء لم تفد التَّبعيض في لغة العرب» باطلٌ.

١٣. قول الأكثريَّة من أهل اللُّغة: «إنَّ الباء تفيد التَّبعيض في لغة العرب»، هو الرَّاجح.

١٤. عند التَّرجيح بين الشَّهادتينِ: شهادة الإثبات، وشهادة النَّفي، رجَّح العَلَّامَة الحِلِّيّ شهادة الإثبات على شهادة النَّفي.

١٥. من قواعد التَّرجيح (شهادة الإثبات مقدَّمة على شهادة النَّفي) عند التَّعارض.

١٦. (إنَّ المَسْحَ ببعض الرَّأْسِ لمكانِ الباء): قاعدة لغويَّة دلَّ عليها الإمام الصَّادق عليه السلام في معرض جوابه على سؤال زُرَارَة بن أَعْيَن (ت١٥٠هـ).

١٧. هناك تفسير صادرٌ عن رسول الله ﷺ، إلَّا أنَّه تفسيرٌ مضيَّع، فلم يأخذ حقَّه في الصَّدارة؛ لتصدُّر غيره محلَّه عند مدرسة الصَّحابة، مع العِلْم أنَّه له الصَّدارة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

١٨. إنَّ مصنَّفات العَلَّامَة الحِلِّيّ، ولاسيَّما (منتهى المطلب)، مرجع لآراء ابن جنِّيّ غير الواردة في مصنَّفاته الواصلة، وإنَّما جاءَتْ محكيَّةً عنه في مصنَّفات غيره.

ثَبَتُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

* القُرْآنُ الكريمُ.

أَوَّلًا: المَصَادِرُ القَدِيمَةُ

الأعلم الشَّنْتَمْريّ: أبو الحجَّاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الأندلسيّ (ت٤٧٦هـ)

- شرح ديوان طَرَفَةُ بن العَبْد: عمرُو بن العَبْد بن سفيان البَكْريّ (ت٦٠ق. هـ)، تحقيق: مكِّي سِلغْسُون الفرنسيّ، مطبعة برطند، د.ط، شالَوْن، ١٩٠٠م.

الإيجيّ: عضد الدِّين القاضي عبد الرَّحمن بن أحمد (ت٧٥٦هـ)

- المواقف في عِلْم الكلام، شرح الشَّريف الجُرْجانيّ، عليّ بن محمَّد الحسينيّ (ت٨١٦هـ)، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٧هـ.

الثَّعالبيّ، عبد الرَّحمن بن مخلوف (ت٨٧٥هـ)

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمَّد الفاضليّ، ط١، شركة أبناء شريف الأنصاريّ للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ١٤١٧هـ.

الجصَّاص: أبو بكر، أحمد بن عليّ الحنفيّ (ت٣٧٠هـ)

- أحكام القرآن، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد عليّ شاهين، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٥هـ.

الجوهريّ: أبو نصر، إسماعيل بن حمَّاد الفارابيّ (ت٣٩٣هـ)

- الصِّحـاح تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ.

الحِلِّيّ (العَلَّامَة): أبو منصور، جمال الدِّين الحسن بن يوسف بن المُطَهَّر (ت٧٢٦هـ)

- منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تحقيق: قسم الفِقْه في مَجْمَع البحوث الإسلاميَّة، ط٥، منشورات مَجْمَع البحوث الإسلاميَّة، مشهد المقدَّسة، ١٤٢٩هـ.

الحِلِّيّ (المحقِّق): أبو القاسم، نجم الدِّين جعفر بن الحسن (ت٦٧٦هـ)

- المختصر النَّافع في فِقْه الإماميَّة، تحقيق: د. عبد المحسن عبد الله السَّراويّ، ط١، مؤسَّسة البلاغ للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ١٤٢٩هـ.

الرَّازيّ: أبو عبد الله، فخر الدِّين، محمَّد بن عُمَر الأشعريّ الشَّافعيّ (ت٦٠٦هـ)

- مفاتيـح الغيـب المعروف بـ(التَّفسـير الكبير)، أو (تفسـير الـرَّازيّ)، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

الرَّازيّ: محمَّد بن أبي بكر (ت٦٩٦هـ)

- مختار الصِّحاح، ط ا، دار الفكر العربيّ، بيروت، ١٩٩٧م.

ابن رُشْد القرطبيّ (الجدُّ): أبو الوليد، محمَّد بن أحمد (ت٥٢٠هـ)

- المقدِّمات الممهِّدات، تحقيق: الدُّكتور محمَّد حجِّيّ، ط١، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٠٨هـ.

ابن رُشْد القرطبيّ (الحفيد): أبو الوليد، محمَّد بن أحمد (ت٥٩٥هـ)

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ط ١، دار السلام، القاهرة، ١٤١٦هـ.

الزَّبيديّ: أبو فيض، محبُّ الدِّين محمَّد مرتضى الحسينيّ الواسطيّ الحنفيّ (ت١٢٠٥هـ)

- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، د.ط، بيروت، ١٤١٤هـ.

الزَّوْزَنيّ: أبو عبد الله، القاضي أحمد بن الحسين (ت٤٦٨هـ)

- شرح المعلَّقات العشر، منشورات دار مكتبة الحياة، د. ط، بيروت، د.ت.

الشَّافعيّ: أبو عبد الله، محمَّد بن إدريس (ت٢٠٤هـ)

- الأمُّ، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.

الشِّربينيّ: شمس الدِّين محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّافعيّ (ت٩٧٧هـ)

- مُغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تحقيق: عليّ محمَّد عِوَض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢١هـ.

الشَّوكانيّ: محمَّد بن عليّ بن محمَّد (ت١٢٥٠هـ)

- نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدِّين الصِّبابطيّ، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٣هـ.

السَّرَخْسِيّ: أبو بكر، شمس الأئمَّة مُحمَّد بن أحمد (ت٤٩٠هـ)

- المبسوط، ط١، منشورات دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٩هـ.

السُّيُوريُّ: أَبو عبد الله، جمال الدِّين المقداد بن عبد الله الحِلِّيُّ (ت٨٢٦هـ)

- كنز العرفان، تحقيق: د. عبد الرَّحيم العقيقيّ البَخْشَايْشِيّ، ط١، منشورات كتاب عقيقي، قم المشرَّفة، ١٤٣٣هـ.

- كنـز العرفان، تحقيق: محمَّد باقر البهبُوديّ، منشـورات: المكتبة الرَّضويَّة لإِحياء الآثار الجعفريَّة، د.ط، طهران، ١٣٨٤هـ.

- كنز العرفان، تحقيق: محمَّد القاضي، ط١، دار الهدى، منشورات: المَجْمَع العالميّ للتَّقريب بين المذاهب الإِسلاميَّة، قم المشرَّفة، ١٤١٩هـ.

الصَّدوق: أَبو جعفر، رئيس المُحَدِّثينَ محمَّد بن عليّ بن بابويهِ القُمِيّ (ت٣٨١هـ)

- مـن لا يحـضَرُهُ الفقيـه، ط١، مؤَسَّسـة الأَعلمـيّ للنَّشـر، بـيروت، ١٤٢٦هـ.

الطَّبْرَسِيّ: أبو عليّ، أمين الإسلام الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)

- مَجْمَـع البيان في تفسـير القـرآن، تعليق: أبو الحسـن الشَّـعرانيّ (ت١٣٩٣هـ)، تحقيـق: حامد الفـدويّ الأردسـتانيّ، ط١، مطبعة سـتاره، منشـورات المكتبة الرَّضويَّة لإحياء الآثار والتُّراث، بالتَّعاون مع انتشارات مرتضوي، قم المشرَّفة، ١٤٣١هـ.

طَرَفَةُ بن العَبْد: عمرُو بن العَبْد بن سفيان البَكْريّ (ت٦٠ق.هـ)

- ديـوان طَرَفَـة بـن العَبْـد البَكْـريّ، بـشرح الأعلـم الشِّـنْتَمْريّ الأندلـسيّ (ت٤٧٦هـ)، تحقيق: مكيّ سِلغْسُـون الفرنسيّ، مطبعة برطند، د.ط، شـالَوْن، ١٩٠٠م.

الطُّوسِيّ: أبو جَعْفَر، شيخ الطَّائفة محمَّد بن الحَسَن (ت٤٦٠هـ)

- الاسـتبصار فيما أُختُلِفَ من الأخبار، تحقيق: حسن الخِرْسَان، ط٤، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٩٠هـ.

- تهذيب الأحكام، تحقيق: عليّ أكبر الغفَّاريّ، ط١، مطبعة مروى، منشورات دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٨٥هـ.
- الخلاف، تحقيق: عليّ الخراسانيّ، جواد الشِّهرستانيّ، محمَّد مَهْدِي نَجَف، ط١، مؤسَّسة النَّشر الإسلاميّ، قم المشرَّفة، ١٤٠٩هـ.

العامليّ (الحرُّ): أبو جعفر، محمَّد بن الحسن بن عليّ (ت١١٠٤هـ)

- وسائل الشِّيعة إلى تحصيل مسائل الشَّريعة، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُّراث، ط١، منشورات مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُّراث، قم المشرَّفة، ١٤٠٠هـ.

ابن العربيّ: أبو بكر، محمَّد بن عبد الله المالكيّ (ت٥٤٣هـ)

- أحكام القرآن، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٨هـ.

ابن فارس: أبو الحسين، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)

- معجم مقاييس اللُّغة: تحقيق: إبراهيم شمس الدِّين، ط١، شركة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ.

الفيروزآباديّ: محمَّد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)

- القاموس المحيط، تحقيق: محمَّد عبد الرَّحمن المَرْعَشِيّ، ط٢، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ١٤٢٤هـ.

الفيُّوميّ: أحمد بن محمَّد (ت٧٧٠هـ)

- المصباح المنير، تحقيق: عزَّت زينهم عبد الواحد، مكتبة الإيمان، المنصورة، د.ت.

ابن قُدَامَة المقدسيّ: أبو محمَّد، موفَّق الدِّين عبد الله بن محمَّد (ت٦٢٠هـ)

- الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمَّد فارس، مسعد عبد الحميد السَّعدنيَ، ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٤هـ.

الكاسانيّ: أبو علاء، علاء الدِّين بن مسعود الحنفيّ (ت٥٨٧هـ)

- بدائع الصَّنائع في ترتيب الشَّرائع، ط١، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٢هـ.

مالك: أبو عبد الله، مالك بن أنس الأصبَحيّ (ت١٧٩هـ)

- المدوَّنة، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٥هـ.

المرتضى (الشَّريف): أبو القاسم، عَلَم الهدى عليّ بن الحسين (ت٤٣٦هـ)

- جُمَل العِلْم والعَمَل، تحقيق: رشيد الصفَّار، ط١، مطبعة النُّعمان، النَّجف الأشرف، ١٣٧٨هـ.

المُفيد: أبو عبد الله، محمَّد بن محمَّد النُّعمان العُكبَريّ (ت١٤٣هـ)

- المُقنِعةُ، ط٢، مُؤَسَّسة النَّشر الإسلاميّ، قم المشرَّفة، ١٤١٠هـ.

ابن منظور الأنصاريّ: أبو الفضل، جمال الدين محمَّد بن مكرم الأفريقيّ (ت٧١١هـ)

- لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

النَّوويّ: أبو زكريَّا، محيي الدِّين يحيى بن شرف الشَّافعيّ (ت٦٧٦هـ)

- المجموع بشرح المهذَّب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٢٧٩هـ.

ثَانِيًا: المَرَاجِعُ الحَدِيثَةُ

أغا بُزُرْك الطَّهرانيّ (ت١٣٨٩هـ)

- حصر الاجتهاد، تحقيق: محمَّد عليّ الأنصاريّ، ط١، مطبعة الخيَّام، قم المشرَّفة، ١٤٠١هـ.

باقر شريف القرشيّ: الشَّيخ (ت١٤٣٣هـ)

الفقه الإسلاميّ (تأسيسه، أصالته، مداركه)، ط١، در الهدى، قم المشرَّفة، ١٤٢٤هـ.

جبَّار كاظِم المُلَّا (الدُّكتور)

- التَّأْصيل والتَّجديد في مَدْرَسَة الحِلَّة الفقهيَّة؛ دراسةٌ وتحليلٌ، ط١، دار الكفيل للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، منشورات مركز تُراث الحِلَّة، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، الحِلَّة المشرَّفة، ١٤٣٨هـ.

أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ: زعيم الحوزة العلميَّة (ت١٤١٣هـ)

- البيان في تفسير القرآن، ط٤، دار التَّوحيد، الكويت، ١٣٨٩هـ.

محمَّد تقي الحكيم: عضو المَجْمَع العلميّ العراقيّ (ت١٤٢٣هـ)

- الأصول العامَّة للفِقْه المقارن، ط٤، المؤسَّسة الدَّوليَّة للدِّراسات والنَّشر، بيروت، ١٤٢٢هـ.

محمَّد حسين الطَّباطبائيّ (ت١٤٠٢هـ)

- الميزان في تفسير القرآن، تصحيح: حسين الأعلميّ، ط١، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤١٨هـ.

محمَّد تقي الدِّين المدرِّسيّ (معاصر)

- العرفان الإسلاميّ بين نظريَّات البشر وبصائر الوحي، ط٣، دار البيان العربيّ، بيروت، ١٤١٢هـ.

محمَّد الخُضَرِيّ بِكْ (ت١٣٤٥هـ)

- أصول الفقه، ط٦، المكتبة التِّجاريَّة الكبرى، القاهرة، ١٣٨٩هـ.

مرتضى الأنصاري: الشَّيخ الأعظم (ت١٢٨١هـ)

- فرائد الأصول، نشر إسماعيليَّانِ، د. ط، قم المشرَّفة، د.ت.

ثَالِثًا: الرَّسائل الجامعيَّة

جبَّار كاظِم المُلَّا (الدُّكتور)

- مناهج البحث الأصوليّ عند المتكلِّمينَ والأحناف، رسالة ماجستير (بإشراف الدُّكتور عبد الأمير كاظم زاهد)، مقدَّمة إلى مجلس كلِّيَّة الفِقْه، جامعة الكوفة، الكوفة العلويَّة، ١٤٢٧هـ.

رابعًا: البحوثُ والمجلَّات

جبَّار كاظِم المُلَّا (الدُّكتور)

- التَّأصيل الفقهيّ عند مدرسة بغداد الفقهيَّة (بحث)، منشور في مجلَّة جامعة بابل للعلوم الإنسانيَّة، العدد (٣)، الإصدار (٢٣)، بابل، ١٤٣٦هـ.

خامسًا: مُقَدَّمَاتُ الكُتُبِ

محمَّد تقي الحكيم: عضو المجمع العلميّ العراقيّ (ت١٤٢٣هـ)

- مقدَّمة كتاب (النَّصّ والاجتهاد) للسَّيِّد عبد الحسين شرف الدِّين الموسويّ (ت١٣٧٧هـ)، ط١، ٢٠٢١م.

محمود البستانيّ: الدُّكتور (ت١٤٣٢هـ)

- مقدَّمة كتاب (منتهى المطلب في تحقيق المذهب) للعَلَّامَة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ)، تحقيق: قسم الفِقْه في مَجْمَع البحوث الإسلاميَّة، ط٥، منشورات مَجْمَع البحوث الإسلاميَّة، مشهد المقدَّسة، ١٤٢٩هـ.

نهج البلاغة والصحيفة السجَّاديَّة

تحقيقات في المختلف من نسخ نهج البلاغة بين المشهور وضبط الحِلِّيَّين (ابن السكون الحِلِّيّ ت حدود ٦٠٠هـ) و(ابن أردشير الطبريّ الحِلِّيّ حيًّا ٦٨١هـ) (الخطبة الأولى/القسم الثالث)

أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ
مركز تراث الحِلَّة

Verifications at Various Versions of Nahj Al-Balagha between the famous and accuracy of the Hillians (Ibn Al-Sukun Al-Hilli, D. 600 A.H) and (Ibn Ardashir Al-Tabari Al-Hilli, alive in 681 A.H) (First Sermon/ Section Three)

Prof. Dr. Ali Abbas Al-Araji
Hilla Heritage Center

٩. أجالَ، أحال، أجَّلَ[١].

في قول أمير المؤمنين: «أَحَالَ الأَشْيَاءَ لأَوْقَاتِهَا»[٢].

«أجال الأشياء لأوقاتها»؛ أي: أدارَها، ونقلها إليها وفاقًا لِما اقتضاه القضاء اللازم، والقدر الحتْم.

هذا على روايةِ (أجَالَ) بالجيم، أو بالحاء، وجعلهُ من الإحالة بمعْنى التَّحويل، والنَّقل، وعلى المعنى الآخر؛ فالمعنى: إنَّه أوثب الأشياء، وسواها على أوقاتها بحسب ما تقتضيه الحكمةُ، والمصلحة.

وأمَّا على رواية (أجَّل) بالجيم؛ فالمعنى: إنَّه وقَّتها لأوقاتها لا تتقدَّم عليها، ولا تتأخَّر عنها، قال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ الأعراف: ٣٤.

وعلى روايته بالحاء (أحال)؛ فمعناه أنَّه أحلَّها في أوقاتها، وعلى أيِّ تقديرٍ كانَ؛ فالمقصود إنَّه سبحانهُ جعلَ لكلِّ شيءٍ وقتًا معيَّنًا، وزمانًا مخصوصًا، بحسب اقتضاء النِّظام الأكمل، والنّظم الأصلح، لا يتقدَّم عليه، ولا يتأخَّر عنه[٣].

وإذا أردنا مناقشة الجذور اللغويَّة للألفاظ الثَّلاثة (أجال، وأحال، وأجَّل) نجد أنفسنا أمام معانٍ لغويَّة متمايزة، وعليه سنحتكُم إلى المعجمات؛ لتبيان الدَّلالة المرجوَّة للنصِّ العلويّ؛ فنقول:

(١) في (أ): ٤٦ (أجال)، وفي النسخة (ن) من التحقيق نفسه، برواية ثانية (أحال)، وفي (سكون): ٧٠ (أجَّل)، وفي النسخة (ست) من التحقيق (أحال)، وفي (أردشير): غير واضحة ويبدو أنَّها (أجال) أَجَالَ، وفي تحقيق الفرطوسيّ: ١/ ١٧٥ (أحال)، وفي الهامش: ١٤ (في ع: أجَّل)، وتحريك المحقِّق الفرطوسيّ على اللام (أجلَّ)، وهو خطأ مطبعيّ.

(٢) نهج البلاغة: ٤٠.

(٣) منهاج البراعة (الخوئيّ): ١/ ٣٥٦-٣٥٧.

جاءَ في الصِّحاح: جَال يجولُ جولًا، وجولانًا. وكذلك اجتال، وانجال، وجولان المال أيضًا بالتَّحريك: صغارهُ، ورديئه، عن الفرَّاء[1].

والإجالة: الإدارة.

والتّجْوال: التّطواف، وجوَّل في البلاد؛ أي: طوَّف.

قال أبو عمرو (ت١٥٤هـ): جُلتُ هذا من هذا؛ أي: اخترته منه، واجتلت منهم جولًا؛ أي: اخترتُ، وتجاولوا في الحرب؛ أي جالَ بعضُهم على بعضٍ، وكانت بينهم مجاولات، والمجول: ثوب صغير تجول فيه الجارية، ومنه قول امرئ القيس:

إذا ما اسبكَرَّت بين درعٍ ومجـولِ[2]

ويقال للرَّجُل: ما لهُ جول؛ أي: عقل، وعزيمة، مثل جول البئر[3].

وفي مقاييس اللغة: «الجيم والواو واللام أصلٌ واحدٌ، وهو الدوران، يُقال: جال يجول جولًا وجولانًا وأجلته أنا، هذا هو الأصل، ثمَّ يُشتقُّ منه»[4].

وجاء في التَّاج: جالَ في الحَربِ جَوْلَةً، جالَ في الطَّوافِ جَوْلًا، وَجَوَلانًا، مُحَرَّكةً اتَّفق عليه الأزهريُّ (ت٣٧٠هـ)، وابنُ سِيدَه (ت٤٥٨هـ)، والزَّمَخْشرِيُّ (ت٥٣٨هـ)، والصاغانِيُّ (ت٦٥٠هـ).

وجِيلالًا، بالكَسر، وفي بعض النُّسَخ: جِيلانًا، قال ابنُ عَبَّاد (ت٣٨٥هـ): جِيلالٌ: فِعْلالٌ، مِن جالَ يَجُول، وجَوَّلَ تَجْوالًا عن سِيبَوَيه، قال: والتَّفْعالُ بِناءٌ موضوعٌ للكَثْرة، كـ (فَعَّلْتُ) في فَعَلْتُ، وفي العُباب: جالَ تَجْوالًا، وفي التَّهذيب: جَوَّلَ البِلادَ تَجْوِيلًا؛ أي: جالَ فيها كثيرًا، واجْتَال، وانْجالَ طافَ.

(١) الصِّحاح: ٤/ ١٦٦٢-١٦٦٣.
(٢) البيت ٤١ من معلَّقة امرئ القيس، ديوانه، طبعة بيروت: ٤٧.
(٣) الصِّحاح: ٤/ ١٦٦٢-١٦٦٣.
(٤) مقاييس اللغة: ١/ ٤٩٥.

وجالَ القَومُ جَوْلَةً: انكَشفُوا؛ ثمّ كَروا وكانت لهم في الحَرب جَولَةٌ، وجالَ التُّرابُ جَـوْلًا: ذَهَـبَ، وسَطَحَ، كـ(انْجالَ) عن ابنِ سِيدَه، وفي التهذيب: انْجِيالُ التُّرابِ: انكِشاطُهُ.

وجالَ الشيء جَـوْلًا: اختارَهُ، قال أبو عمرو: جُلْتُ هذا من هذا؛ أي: اخترتُه منه.

وأجالَهُ، إجالَةً أجاله بِه؛ أي: أَدارَهُ، كجالَ بِه جَوْلًا، عن الزَّجَّاج (ت٣١١هـ)، يُقال في المَيسِر: أَجِلِ السِّهامَ، وتَجاوَلُوا: جالَ بعضُهم على بعضٍ في الحَـرْب؛ أي: صالَ، وبَينَهم مُجاوَلاتٌ، ومُطارَداتٌ، قال ابنُ عَبّاد؛ أي مُمانَعَةٌ، ومُدافَعَةٌ، ويَومٌ أَجْوَلُ، وجَيلانِيٌّ، وجَوْلانِيٌّ كِلاهما عن اللِّحيانِيّ (ت٢٢٠هـ).

واجْتَالَ مِنْهُم جَوْلًا؛ أي: اخْتارَ، ومَيَّز بعضَهم مِن بَعض، وكذا اجْتالَ مِن مالِه جَوْلًا، وجَوالَةً؛ أي: اختارَ، قال عَمرو ذُو الكَلْبِ، يَصِفُ الذِّئب:

فـاجْـتـالَ مِنـهـا لَـجْبَـةً ذاتَ هَـــزَمْ[1]

ويُقال: أَجِلْ جائِلَتَكَ؛ أي: اقْضِ الأمرَ الذي أنتَ فيه كما في المُحكَم، وهو مَجازٌ، ومِن المَجاز: الجُولُ، بالضَّمِّ: العَقْلُ، والعَزْمُ هكذا في النُّسَخ، والصَّواب: والحَزْمُ كما هو نَصُّ التّهذيب، وفي المُحْكَم: ليس له جُولٌ؛ أي: عَزِيمةٌ تمنَعُه، مِن جُولِ البئرِ؛ لأنَّها إذا طُوِيَتْ كان أَشَدَّ لها، والجُولُ: لُبُّ القَلْبِ، ومَعْقُولُه.

وفي التَّهذيب: ويُقالُ للرَّجُلِ الذي لَه رأيٌ، ومُسكَةٌ: رَجُلٌ له زَبْرٌ وجُولٌ: أي تماسُكٌ لا يَنْهَدِمُ جُولُه، وهو مَزْبُورٌ: ما فوقَ الجُولِ مِنه، وصُلْبٌ: ما تحت الزَّبْرِ مِن الجُول، ولِـمَن لا تَماسُكَ له، ولا حَزْمَ: ليس لفُلانٍ جُولٌ؛ أي: يَنْهَدِم جُولُهُ.

(١) انظـر: مجالـس ثعلب: ٥٢٨، ولم ينسـبه، علماً أنَّ الطَّبعة بتحقيق عبد السـلام هـارون، الطبعة الثانيـة، دار المعارف بمصر، ١٩٥٠م، علمًا أنَّ الرَّجـز يُروَى لعمرو ذي الكلب، أو لأبي خرَّاش الهذليّ، كما في شرح أشعار الهذليِّين: ٢٣٩.

وبعد عرضنا لهذه المعاني لمادَّة (جول)، نستنبط منها المعاني القريبة الآتية:

١. صغار المال ورديؤه.

٢. التّجوال، وهو التّطواف في البلاد.

٣. الاختيار، والتَّمييز.

٤. التَّجاول في الحرب، وهو الكرُّ، والصَّولة، يكرُّ بعضهم على بعضٍ، ويصول.

٥. العقل، فلانٌ ذو جولٍ، ذو عقلٍ، ومُسكة، وعزيمة، وحزم.

٦. الدَّوران، والإدارة إدارة الأشياء، والأمور.

٧. قضاء الأمر، أجِلْ جائلتك: اقضِ.

٨. لبُّ القلب، ومعقوله.

وهذه هي المعاني القريبة في قوله عليه السلام: «**فأجال الأشياء لأوقاتها**»: طوَّف بها، وغيَّرها، أو: اختار لها أوقاتًا معيَّنة، للقدَر، أو: أعقلَ الأشياءَ بمعقولاتها، بأن جعل لها وقتًا معيَّنًا، معقولًا، ومسيَّرًا، أو: أدار الأمور لأوقاتها، مباديها، ومنتهاها، أو: قضى الأمور، والحيوات لأوقاتها؛ فلا تُقدِّم ما أخَّر، ولا تؤخِّر ما قدَّم، أو: التَّحريك، والتَّرديد؛ لأجل الوقت؛ فتكون اللام في (أوقاتها) للملك، أو قد تكون لانتهاء الغاية، وهو واردٌ.

وأقرب المعاني للسِّياق هو إدارة الأوقات؛ ودورانها، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١٤٠؛ أي: نديرُها = نصرِّفها بينهم؛ فإجالة الأشياء: تحريكها، وتدويرها، ونقلها من العدمِ إلى الوجود.

وقد يكون معنى (القضاء) واردًا؛ فالله جلَّ عُلاه يقضي الأمور في العوالم السَّابقة لعالم الدنيا، ثمَّ يُجيلها = يقضيها بإرادته، ومشيَّته في العالم الدُّنيويّ.

أمَّا (أحال)[1]، في مادة (حوَل)؛ فيرى ابن فارس أنَّ الحاء، والواو، واللام أصلٌ واحدٌ، وهو تحرُّكٌ في دورٍ؛ فالحول العام، وذلك أنَّه يحول؛ أي يدور، ويقال حالت الدَّار، وأحالت، وأحولت أتى عليها الحول، وأحولتُ أنا بالمكان، وأحلت؛ أي: أقمت به حولًا.

يقال: حالَ الرَّجُلُ في متن فرسه يحولُ حولًا، وحؤولًا إذا وثب عليه، وأحال أيضًا، وحال الشَّخص يحول إذا تحرَّك، وكذلك كلُّ متحوِّل عن حالةٍ، ومنه قولهم: استحلت الشَّخص؛ أي نظرتُ هل يتحرَّك.

وفي الصِّحاح: الحولُ: الحيلة، والقوَّة أيضًا، والحول: السَّنة، وحال عليه الحولُ؛ أي: مرَّ، وحالتِ الدَّارُ، وحال الغلام؛ أي: أتى عليه حول، وحالتِ القوسُ، واستحالت بمعنى؛ أي: انقلبت عن حالها التي غمزت عليها، وحصل في قابها اعوجاج، قال أبو ذؤيب:

وَحَالَتْ كحَوْلِ القَوْسِ طلَّتْ، وعطَّلَتْ
ثَلاثًا فَأعْيا عِجْسُها، وظُهارُها[2]

وحالَ عنِ العهد حؤولًا: انقلب، وحال لونُه؛ أي: تغيَّر واسودَّ، وحال الشيء

(١) ابن ميثم البحرانيّ في شرح النهج لم يذكر غيرها، انظر: ١/ ١٣١، ١٣٥، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: ١/ ٨١ «وأمَّا قوله: (أحال الأشياء لأوقاتها)، فمن رواها: (أحلَّ الأشياء لأوقاتها)، فمعناه جعل محلَّ كلِّ شيء ووقته، كمحلِّ الدين»، فتتحصَّل لدينا رواية أخرى، لك أن تذهب إلى شرح ابن ابي الحديد لتستوفي معانيها.
أمَّا في البحار، فقد جعل هذه الرواية (أحال) هي الأصل، وبالجيم (أجال) وردت في نسخة صحيحة كما يقول، وأمَّا رواية (أجَّل) فقد وردت في الاحتجاج، على حدِّ قوله. انظر البحار: ٥٤/ ١٨٠.

(٢) ديوان أبي ذؤيب: ٦٧، في مطوَّلة لرثاء نُشيبة بن محرّث، وهو البيت ٢٩، تحقيق وتخريج، د. أحمد خليل شيَّال، بور سعيد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

بيني وبينك؛ أي: حجز، وحال إلى مكان آخر؛ أي: تحوَّل، وحال الشَّخص؛ أي: تحرَّك، وكذلك كلُّ متحوِّلٍ عن حاله، ويقال: قعدوا حوله، وحواله، وحوليه، وحواليه، ولا تقلْ حواليه بكسر اللام، وقعد حياله وبحياله؛ أي: بإزائه، وأصله الواو، والحالة: واحدة حال الانسان وأحواله، والحال: الدراجة التي يذرج عليها الصبي إذا مشى، وهي كالعجلة الصَّغيرة.

والحال: الكارة التي يحملها الرَّجل على ظهره.

والتحوُّل: التنقُّل من موضعٍ إلى موضعٍ، والاسم الحول، ويُقال أيضًا: تحوَّل الرَّجل، إذا حمل الكارة على ظهره، وتحوَّل أيضًا؛ أي: احتال من الحيلة عن يعقوب.

وأحال الرَّجل: أتى بالمحال، وتكلَّم به، وأحال في متن فرسه مثل حال؛ أي: وثب، وأحال الرَّجل، إذا حالتْ إبله فلم تحمِلْ، وأحال عليه بالسَّوط يضربه؛ أي: أقبل.

وأحالتِ الدار، وأحْولت: أتى عليها حولٌ، وكذلك الطَّعام، وغير، فهو محيل، وأحال الرَّجل بالمكان، وأحول؛ أي: أقام به حولًا عن الكسائيّ (ت١٨٩هـ).

وأحال الماء من الدَّلو؛ أي: صبَّه، وقلبها، وحاولت الشيء؛ أي: أردتُه، والاسم الحويل، وحوَّله فتحوَّل، وحول أيضًا بنفسه، يتعدَّى، ولا يتعدَّى، وقولهم: لا محالةَ؛ أي: لا بدَّ، يقال: الموت آتٍ لا محالة، ورجل حُوَلة، مثال هُمَزة؛ أي: مُحتال.

قال الفرَّاءُ: يقال: هو أحول منك؛ أي: أكثر حيلةً، وما أحوله، ورجل حوّل، بتشديد الواو؛ أي: بصيرٌ بتحويل الأمور، وهو حولي قلب[1].

يقول المصطفويّ في هذه المادَّة: إنَّ الأصل الواحد في هذه المادَّة: هو تبدُّل الحالة، والتحوُّل من صورةٍ، أو جريانٍ، أو حالةٍ، أو صفةٍ، أو برنامج إلى أخرى.

(١) الصِّحاح: ٤/ ١٦٨٠-١٦٨١.

ومن مصاديق هذا المعنى العام: إنَّ الأيَّام، والشُّهور إذا انتهتْ إلى سنةٍ كاملةٍ فتصيرُ تلك الشُّهور متحوِّلةً إلى سنةٍ أُخرى مثلها، كتحوُّل صفحة إلى صفحة أُخرى مثلها في تمام الخصوصيَّات من عدد الأيَّام، والشُّهور، والفُصول.

ومن مصاديقه: الحالة العارضة للإنسان؛ فإنَّها متحوِّلة متبدِّلة من خصوصيَّة إلى أخرى، وقد قيل: كلُّ حالٍ يزول.

ومن مصاديقه: الحوالة؛ فإنَّ الدَّين يتحوَّل من رقبة المديون إلى رقبة المحال عليه، وكذلك الذمَّة المديونة تتحوَّل إلى أخرى.

ومن مصاديقه: استحالة الأرض، وتحوُّلها إلى الاعوجاج.

ومن مصاديقه: الحول، والحوالي؛ فإنَّ محيط الشيء يتحوَّل إلى محيط خارج عنه، وإلى حالة ثانويَّة قريبة منه؛ فيُقال: إنَّها حولها، وحواليها.

ومنها: الحيلة، وهي تحويل الفكر، والكلام، والعمل لمنظورٍ خاصٍّ يضمرُهُ.

ثمَّ إنَّه قد يشتقُّ من بعض هذه الألفاظ بمعانيها الخاصَّة بها أفعالٌ بالاشتقاق الانتزاعيّ؛ فيُقال: حال، وأحال، وأحول من الحول بمعنى العام، واحتال من الحيلة.

ولا يخفى أنَّ قيد التَّحوُّل، والتبدُّل مأخوذ في جميع هذه المصاديق والموارد، وبهذا يظهر الفرق بين الحول، والعام، والسَّنة، وبين الحالة والصِّفة، وبين الحول، والحوالي، والجانب والطَّرف[1].

وتكون المعاني المنتزعة لهذه اللفظة، الآتي:

١. التحرُّك في دورٍ.

٢. البقاء في حالة، أو زمان.

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن: ٢/ ٣١٨.

٣. القوَّة، والتَّدبير.

٤. الحجز، من حال بيني وبينه؛ أي: حجز.

٥. أتى بالمحال؛ المستحيل.

٦. الإرادة، من حاولتُ الشيء؛ أردتُه.

٧. البصير بتحويل الأمور.

٨. الإحاطة بالأشياء، زمانًا، ومكانًا، وحالةً.

٩. الحيلة بمعنى الاصطراف، يحتال لعياله، يطلب الرِّزق لهم.

هذه المعاني المنتزَعة بالجملة من المادَّة المزبورة، وفيها معانٍ قريبةٌ من سياق قول أمير المؤمنين «**أحال الأشياء لأوقاتها**»، ومنها بعيدٌ، ويمكن أن يُردَّ بلطفِ الصَّنعة، والتَّأويل.

ومن المعاني القريبة لهذه المادَّة: التحرُّك؛ أي: حرَّك الأشياء لأوقاتها، ومنها: القوَّة والتَّدبير؛ أي: دبَّر الأشياء لأوقاتها، ومنها: الإرادة، وهو المريد سبحانه ومنها: البصير بتحويل الأمور، وتوظيفها لصالح البشر، ومنها: الإحاطة بالأشياء، وهكذا..

وأقرب المعاني لهذا السِّياق هو التَّحريك (من العدم إلى الوجود)، وكذلك الإحاطة؛ فالذي يحرِّك الأمور، والأشياء عالمٌ بها، بصيرٌ، ومحيطٌ.

أمَّا (أجَّل)، وهي في الجذر اللغويّ (أجلَ) بتخفيف الجيم؛ فقد جاء في المقاييس «اعلم أنَّ الهمزة والجيم واللام يدلُّ على خمسِ كلماتٍ متباينة، لا يكاد يمكن حمل واحدة على واحدة من جهة القياس؛ فكلُّ واحدةٍ أصلٌ في نفسها، وربُّك يفعل ما يشاء؛ فالأجل غاية الوقت في محلِّ الدّين وغيره..»[1].

(١) معجم مقاييس اللغة: ١/ ٦٤.

وفي اللسان[1]: الأَجَلُ: غايةُ الوقت في الموت، وحُلول الدَّين ونحوِه، والأَجَلُ: مُـدَّةُ الشَّـيء؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ البقرة: ٢٣٥؛ أَي: حتَّى تقضي عدَّتها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ طه: ١٢٩؛ أَي: لكان القتل الذي نالهم لازمًا لهم أَبدًا، وكان العذاب دائمًا بهم، ويعني بالأَجل المسمَّى القيامة؛ لأَن الله تعالى وعدهم بالعذاب ليوم القيامة، وذلك قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ القمر: ٤٦، والجمع: آجال.

والتَّأْجيل: تحديد الأَجَلِ، وفي التنزيل: ﴿كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا﴾ آل عمران: ١٤٥.

وأَجِلَ الشيءُ يأْجَل؛ فهو آجِل، وأَجيل: تأَخَّر، وهو نقيض العاجل.

والأَجِيل: المُؤَجَّل إِلى وقتٍ؛ وأَنشد:

وغـايَـةُ الأَجِـيـلِ مَـهْـواةُ الـرَّدَى[2]

والآجلة: الآخرة، والعاجلة: الدُّنيا، والآجل، والآجلة: ضدّ العاجل، والعاجلة، وفي حديث قراءة القرآن؛ يَتَعَجَّلونه، ولا يتأَجَّلونه.

وفي حديث آخر: يتعجَّله، ولا يتأَجَّله؛ التأَجُّل: تَفَعُّلٌ من الأَجَل، وهو الوقت المضروب المحدود في المستقبل؛ أَي: إِنَّهم يتعجَّلون العمل بالقرآن، ولا يؤخِّرونه.

وفي حديث مكحول: كنَّا بالسَّاحل مرابطين فَتَأَجَّل مُتَأَجِّلٌ منَّا؛ أَي استأْذن في الرجوع إِلى أَهله، وطلب أَن يُضرَب لهُ في ذلك أَجل، واسْتأْجَلْتُه فأَجَّلَني إِلى مدَّةٍ، وتَأَجَّلوا على الشَّيء: تَـجَمَّعوا، والتَّأْجيل: المداواة.

(١) اللسان: ١١/ ١١-١٢.

(٢) هذا الرجز غير منسوبٍ في كلِّ كتب اللغة.

وحكي عن ابن الجَرَّاح: بي إِجْل فأَجِّلوني؛ أَي: داووني منه كما يقال طَنَّيْته من الطَّنى ومَرَّضْتُه.

والأَجْلُ: الضِّيق، وأَجَلُوا مالَهم: حبسوه عن المَرعى.

وأَجَلْ، بفتحَتَين: بمعنى نَعَمْ، وقولهم أَجَلْ؛ إِنَّما هو جواب مثل نعَمْ؛ قال الأَخفش (ت٢١٥هـ): إِلَّا أَنَّه أَحسن من نعم في التَّصديق، ونعم أَحسن منه في الاستفهام؛ فإِذا قال: أَنت سوف تذهب قلت أَجَلْ، وكان أَحسن من نَعَمْ، وإذا قال أَتذهب قلت نعَم، وكان أَحسن من أَجَلْ.

وأَجل: تصديقٌ لخبر يخبرك به صاحبك؛ فيقول: فعل ذلك فتصدِّقه بقولك له أَجَلْ، وأَمَّا نعَمْ فهو جواب المستفهِم بكلام لا جَحْدَ فيه، تقول له: هل صلَّيت؟ فيقول: نَعَمْ؛ فهو جواب المستفهِم.

وأَجَّله فيه: جمعَه، وتأَجَّلَ فيه: تَجَمَّع، وفعلت ذلك من أَجْلك وإِجْلِك، بفتح الهمزة وكسرها، وفي التَّنزيل العزيز: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ المائدة: ٣٢، الأَلف مقطوعة؛ أَي: من جَرَّا ذلك؛ قال: وربَّما حذفت العرب مِنْ، فقالت: فعلت ذلك أَجْلَ كذا، قال اللحيانيّ: وقد قرئ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾[1]، وقراءة العامَّة (من أَجل ذلك)، وكذلك فعلته من أَجْلاك وإِجْلاك؛ أَي من جَرَّاك، ويُعَدَّى بغير مِنْ؛ قال عديّ بن زيد:

أَجْـــلَ أَنَّ الله قـد فَـضَّـلَـكُـمْ
فَـــوْقَ مَـــنْ أَحْـكـأَ صُـلْـبـاً بـــإِزار

وقد روي هذا البيت: إِجْلَ أَن الله قد فضلكم.

قال الأَزهريّ: والأَصل في قولهم فعلتُه من أَجلك أَجَلَ عليهم أَجْلاً؛ أَي: جَنى عليهم وجَرَّ.

(١) قرأه أبو جعفر المدنيّ. لاحظ: شواذ القرآن لابن خالويه: ٣٨.

والتأُجُّل: الإقبال، والإدبار.

والأصل في (أجل) هو الوقت المعيَّن المعهود، وبتناسب هذا المعنى تستعمل في ما يقرُب[1] منها؛ فيقال: أجل على قومه شرًّا؛ أي: جلبه، وجرَّه إليهم فإنَّ تعيين وقت عليهم يلازم إقدامًا على ضررهم، وتضييقًا عليهم، وهذا المعنى قريب من قولهم: أجَّل الشيء؛ أي: تأخَّر، وتعيَّن.

﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ البقرة: ٢٨٢، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ الأعراف: ٣٤، ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ الأنعام: ١٢٨، ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ المرسلات: ١٢، ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ آل عمران: ١٤٥، والتَّأجيل: تعيين الأجل، والمؤجَّل: الموقَّت، والمعيَّن.

يمكن استكناه المعاني من النُّصوص المتقدِّمة، وعلى النَّحو الآتي:

١. غايةُ الوقت في الموت وحُلوله.
٢. مدَّة الشيء.
٣. تحديد الأَجَل.
٤. نقيض العاجل.
٥. الوقت المضروب المحدود في المستقبل.
٦. التَّجمُّع، من تأجّل القوم، تجمَّعوا.
٧. الضِّيق، والحبس.
٨. المداواة.
٩. الإقبال، والإدبار.
١٠. الوقت المعيَّن المعهود، والمحدَّد.

(١) التحقيق في كلمات القرآن: ١/ ٣٩.

والمعنى القريب من السِّياق الذي وردت فيه؛ هو الوقت المعيَّن المحدود، وغاية الوقت وحدوده، كأنَّه أراد: جعل للأشياء أجلًا محدودًا، وحالًا ممدودًا؛ بأن وقَّتها لحينٍ، وأجلٍ هو يعلمه.

قبل البدء بترجيح الروايات، أرغب في استعراض المصنِّفين الذين ذكروا هذه الرِّواية[1]، أو تلك، مع عدم لحاظ الترَّجيح.

ورِواية (أَحَالَ)[2]:

١. معارج نهج البلاغة، البيهقيّ (ت٥٦٥هـ).

٢. الاحتجاج، الطبرسيّ (القرن السادس): ١/ ٢٩٧.

٣. شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٧٨، ٨١.

٤. مطالب السُّؤول مناقب آل الرسول، الشيخ كمال الدين محمَّد بن طلحة الشافعيّ (٥٨٢-٦٥٢هـ): ١٥٥.

٥. شرح النهج، البحرانيّ: ١/ ١٣١ و١٣٥.

٦. نهج الإيمان، تأليف زين الدين عليّ بن يوسف بن جبر، من أعلام القرن السابع: ٣٦٨.

٧. تفسير المحيط الأعظم والبحر الخِضَمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، السيِّد حيدر الآمليّ، المتوفَّى في القرن الثامن: ٢/ ١٤٩.

٨. بحار الأنوار، المجلسيّ: ٥٤/ ١٧٧، ١٨٠، ٧٤/ ٣٠١.

(١) مع لحاظ الأصل، أي من سنذكره ذكر الروايات جميعًا، ولكن الذِّكر الأوَّل للمتن أو الاستشهاد.

(٢) ذكر الشيخ قيس العطَّار في تحقيقه المثبت (أجال) بالجيم، وذكر في الهامش (٥) في الصحيفة ٤٦ من تحقيقه: «في (ن) (أجال)، لكن وُضعت حاء صغيرة تحت الجيم، فكأنَّها نسختان (أجال)، و(أحال)»، ولا أدري لِمَ لمْ يرجِّح الشيخ العطَّار قراءة الحاء؟ مع علمنا أنَّها من متبنَّيات الشرَّاح الكبار، أمثال البحرانيّ، وابن أبي الحديد.

٩. شرح الأسماء الحسنى، الملَّا هادي السبزواريّ: ٢/ ٩٨.

١٠. في ظلال نهج البلاغة، مغنية: ١/ ٢٧.

١١. مصادر نهج البلاغة، وأسانيده، عبد الزَّهراء الخطيب: ١/ ٣٠٣.

١٢. مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة[١]، النقويّ الخراسانيّ: ١/ ١٥٤.

١٣. نهج البلاغة، محمَّد عبده: ١/ ١٦.

١٤. نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٠.

ورواية (أجال):

١. معارج نهج البلاغة، البيهقيّ: ٥٥.

٢. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للفقيه المحدِّث الأديب المفسِّر قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراونديّ، المتوفَّى سنة ٥٧٣هـ: ١/ ٢٣.

٣. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلَّامة المحقِّق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئيّ: ١/ ٣٥٠.

٤. مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة[٢]، النقويّ الخراسانيّ: ١/ ١٦٠-١٦١.

(١) في المتن هكذا (أحال)، وعند شرح الخطبة يقول: «وروي أحال بالحاء المهملة». انظر: ١/ ١٦١. **أقول:** فأصل الخطبة عنده هو (أجال)، بالحاء المعجمة، وهذا من فوات المحقِّقين، والاستدراكات التي تؤخَذ عليهم؛ يجب على المحقِّق الثَّبت معرفة المبتدأ، والوسط، والمختَتَم من تحقيقه، ويقرأ كتابه قراءة منظومة.

(٢) في المتن هكذا (أحال)، وعند شرح الخطبة يقول: «وروي أحال بالحاء المهملة». انظر: ١/ ١٦١. **أقول:** فأصل الخطبة عنده هو (أجال) بالحاء المعجمة، وهذا من فوات المحقِّقين، والاستدراكات التي تؤخَذ عليهم؛ يجب على المحقِّق الثَّبت معرفة المبتدأ، والوسط، والمختَتَم من تحقيقه، ويقرأ كتابه قراءة منظومة.

٥. تفسير المحيط الأعظم والبحر الخِضَمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، السيِّد حيدر الآمليّ، المتوفَّى في القرن الثامن: ٢/ ١٧٩، ١٨٢.

٦. اختيار مصباح السالكين من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام (شرح نهج البلاغة الوسيط): ٦٣.

ورواية (أجَّل):

١. بحار الأنوار، في إحدى روايتيه اللتَين اعتمدهما في كتابه: ٤/ ٢٤٨.

٢. ميزان الحكمة، محمَّد الرِّي شهريّ: ١/ ٧٨٧.

بغضِّ النظر عمَّا يُتبادَر في ذهن المتلقِّي، والتبادر علامة الحقيقة أحيانًا، من أنَّ رواية (أجال) ورواية (أحال) بينهما تصحيف في الحاء (منقَّطةً، وخاليةً)، تكون رواية (أحال) بالحاء المهملة، هي الرواية الأكثر استعمالًا، ورواية (أجال) بالحاء المنقَّطة من تحت تأتي بعدها بالمرتبة، ورواية (أجَّل) هي الأضعف سُلَّمًا بينَها.

لكن الرِّواية الأرجح عندي هي (أجال)، للأسباب الآتية:

أوَّلًا: إنَّ اشتقاق هذه اللفظة قد ذِكرها قبل أحد عشر كلمة أو يزيد، بقوله: «بلا رويَّة أجالها»، مع علمنا أنَّ جميع النُّسخ اتَّفقت على هذه اللفظة، ومن دون ذكر رواية (أحالها، أجَّلها)؛ فوجود هذه اللفظة من باب ذكر اللفظ، وذكر اشتقاقها في الكلام نفسه توثيقًا، وثباتًا، وكأنَّه يريد أن يقول: «بلا رويَّة أجالها.. أجال الأشياء».

ثانيًا: إنَّ اشتقاقات هذه المادَّة، معنًى، ومورِدًا متَّفقة، وغير مضطربة، سواء أكانت المعاني حسيَّة، أم معنويَّة، وحتَّى بالنَّظر إلى المعنى المركزيّ = المحوريّ للفظة، تجد أقرب المعاني للسِّياق هو (أجال)، وإدارة الأوقات؛ ودورانها، موردٌ وثيق؛ لأنَّ السِّياق يطلبه

حثيثًا «ولاءم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها»، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١٤٠؛ أي: نديرُها = نصرِّفها بينهم؛ فإجالة الأشياء: تحريكها، وتدويرها، ونقلها من العدمِ إلى الوجود.

وأجال الاشياء لأوقاتها، أي: غير[١]، ومعناه: إنَّ الصَّلاح في الفعل قد يقف على وقتٍ مخصوص؛ فتقديمه، وتأخيره يخرجه عن الصَّلاح؛ فيجب أن يكون عالمًا بالأوقات المستقبلة، حتَّى يجرى التَّدبير على قضيَّة الحكمة.

وقيل: معناه لو قدَّرنا قبل خلق العالم أوقاتًا لكان الصَّلاح في إنشاء العالم في ذلك الوقت، حتَّى لو قدَّم أو أخَّر تحريك الشَّمس، وما في الفلك، أو قدَّم عليه، لخرج ما يتعلَّق من الصَّلاح بحدوث العالم عن انتظامه، ولصار كلُّ صلاح فسادًا؛ فلذلك قدَّره على الأوقات المعروفة، ليقع كلُّ جزءٍ من أفعاله في الوقت الذي وقف صلاحُه عليه.

وقال قومٌ: المراد بقوله: أجال الاشياء لأوقاتها: إنَّ الله تعالى، قد أعطى كلَّ شيء ما ينبغي له، إن كان منفعلًا، فعلى انفعاله الذي ينبغي، وإن كان مكانيًّا؛ ففي مكانه الذي ينبغي، وإن كان الخبر فيه أن يكون منفعلًا قابلًا للأضداد؛ فمدَّته مقسومة بين الضدَّين على العدل، إذا كان أحدهما بالفعل؛ فذلك الآخر، بالقوَّة، والذي بالقوَّة حقٌّ أن يصير بالفعل مرَّة؛ ولذلك أسبابٌ مُعدَّة مُقدَّرة بتقدير الله تعالى، وحكمة الله هيَّأت لكلِّ شيء أسبابه؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ طه: ٥٠[٢].

والله العالم بحقائق الأمور، ومنشؤها كذلك، سلام الله عليه.

(١) معارج نهج البلاغة: ٥٥-٥٦.

(٢) ويبقى سؤال هو ليس مورد عملنا لِمَ عبَّر عن (أجال الأشياء لأوقاتها)، ولم يقل (أجال الأمور لأوقاتها)، مع العلم أنَّ لفظ (الأمور) ورد في القرآن بصورة تقرب من هذا السياق، موردها بحثٌ يتناول (القصديَّة في نهج البلاغة)، والتوفيق بيد الله تعالى.

١٠. لاءَمَ، ولأَمَ[١].

في قول أمير المؤمنين: «ولأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا»[٢].

جاء في مقاييس اللغة: اللام، والألف، والميم أصلانِ أحدهما: الاتِّفاق، والاجتماع، والآخر: خلق رديء.

فالأوَّل قولهم: لأمت الجرح، ولأمت الصدع إذا سددت؛ وإذا اتَّفق الشيئان؛ فقد التأما، وقال:

يَظُنُّ الناسُ بالمَلِكين أنَّهما قد الْتَأَما
فإنْ تَسْمَعْ بِلأْمِهما، فإنَّ الأَمْرَ قد فَقِما

وأرى الذي أنشده ثعلب في الليم هو من هذا؛ وإنَّما ليَّن الهمزة الشاعر، ويُقال ريش لوام إذا التقى بطن قذة وظهر أخرى، ويُقال إنَّ اللومة جماعة أداة الفدان، وإذا زيَّن الرَّحل فجميع جهازه لومه.

ومن الباب اللأمة الدَّرع، وجمعها لُؤَم، وهو على غير قياس؛ وسمِّيت لأمة لالتئامها، واستلأم الرَّجلُ إذا لبس لأمةً[٣].

(١) في (أ): ٤٦: لائم، وفي النسخة (م) من التحقيق نفسه (لأمَ)، وفي سكون: ٧٠: لأمَ، وفي نسخة من التحقيق نفسه، هامش: ٣، لاءمَ، مع العلم أنَّ محقِّق الكتاب في النسخة (أ) قد كتبها في المتن خطأً (لَائَمَ) على رسم اسم الفاعل، وحرَّك النصَّ على الفعليَّة، وكتب في الهامش (٦): في (م): ولأمَ، بدل لائمَ، وهو رسم ليس صوابًا؛ لأنَّه عطفٌ على فعلٍ (أجال)، وكذلك ما قبل الهمزة مفتوحًا، مع وجود الألف؛ فتكتب الهمزة منفردةً (لاءم) مع لحاظ إرادته الفعليَّة لا الاسميَّة.
وفي (أردشير): ٧ (لأم) كتبها هكذا؛ فالخطأ في الإملاء ليس غير، وفي الفرطوسيّ: ١/ ١٧٥ (لاءم).

(٢) نهج البلاغة: ٤٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٢٦.

وكلُّ شيءٍ لاءم شيئًا فقد استصحبه[1]، والَّلْأم: الاتفاقُ: وقد تلاءمَ القومُ، والْتأَمُوا: اجتمعوا واتَّفقوا، وتَلاءَمَ الشيئان إِذا اجتمعا واتصلا، ويقال: الْتأَم الفَرِيقان والرجلان إِذا تَصالحا واجتمعا؛ ومنه قول الأَعشى:

يَظُنُّ النَاسُ بالمَلِكين..

وهذا طعامٌ يُلائمُني، أَي: يوافقني، ولا تقل يُلاوِمني، وفي حديث..: لي قائدٌ لا يُلائمُني أَي يُوافِقني ويُساعدني، وقد تخفَّف الهمزة فتصير ياءً، ويروى يُلاوِمني بالواو، ولا أَصلَ له، وهو تحريف من الرُّواة؛ لأَنَّ المُلاوَمة مُفاعَلة من اللَّوْم.

ولأَم الشيءَ لأْمًا ولاءَمَه ولأَّمَه وألأَمَه: أَصلحه؛ فالْتَأَمَ وتَلأَّمَ، واللِّئْمُ: الصُّلح، مهموز، ولاءَمْت بين الفريقَين إِذا أَصلحت بينهما، وشيءٌ لأْمٌ أَي مُلْتئِم.

ولاءمْتَ بين القوم مُلاءمة إِذا أَصلحتَ وجمعتَ، وإِذا اتَّفق الشيئان فقد التَأَما؛ ومنه قولهم: هذا طعامٌ لا يُلائمُني.. وأَنشد ثعلب:

إِذا دُعِيَتْ يَوْمًا نُمَيْرُ بنُ غالب،

رأَيت وُجوهًا قد تَبَيَّنَ لِيمُها

وليَّن الهمز كما يُلَيَّنُ في اللِّيام جمع اللَّئيم، واللِّئْم: فِعْلٌ من الملاءَمة، ومعناه الصلح، ولاءَمَني الأَمرُ: وافقَني.

وريشٌ لُؤَامٌ: يُلائم بعضُه بعضًا، وهو ما كان بَطْنُ القُذَّة منه يلي ظَهْرَ الأُخرى، وهو أَجود ما يكون، فإِذا التقى بَطْنان أَو ظَهْران فهو لُغاب ولَغْب؛ وقال أَوْس بن حَجَر (ت٦٢٠م):

(١) العين: ٣/ ١٢٤.

يُـقَـلِّـبُ سَـهْـمًا راشَـــه بـمَـنـاكـبٍ
ظُـهـارٍ لُـؤامٍ، فهو أَعْـجَـفُ شـاسِـفُ[1]

وسهم لأْمٌ: عليه ريشٌ لُؤامٌ؛ ومنه قول امرئ القيس:

نَـطْـعَـنـهـم سُـلْـكَـى ومُخْـلـوجـةً
لَـفْـتَـكَ لأْمَـــيْنِ عـلى نـابِـل[2]

ويروى: كَرَّكَ لأْمَيْنِ، ولأَمْتُ السهم، مثل فَعَلْت: جعلت له لُؤامًا.

واللُّؤامُ: القُذَذُ الملتَئِمة، وهي التي يلي بطنُ القُذَّة منها ظهرَ الأُخرى، وهو أَجود ما يكون ولأَم السَّهمَ لأْمًا: جعل عليه ريشًا لُؤامًا.

والْتَأَمَ الجرحُ التِئامًا إذا بَرَأَ، والتَحَمَ، قال الليثُ: أَلأَمْتُ الجُرحَ بالدَّواء، وألأَمْتُ القُمْقُم إذا سدَدْت صُدوعَه، ولأَمْت الجرحَ، والصَّدْعَ إذا سددته فالتأَم.

وفي حديث جابر: أَنَّه أَمر الشَّجَرَتَين فجاءتا، فلمَّا كانتا بالمَنْصَفِ لأَم بينهما.

يقال: لأَمَ، ولاءَمَ بين الشَّيئين إذا جمعَ بينهما، ووافقَ، وتلاءَمَ الشّيئان، والْتَأَما بمعْنى.

وفلانٌ لِئْمُ فلانٍ، ولِئامُه؛ أَي: مثلُه وشِبهه، والجمع أَلآمٌ، ولِئامٌ؛ عن ابن الأَعرابي..

وقالوا: لولا الوِئام هلك اللِّئام؛ قيل: معناه الأَمثال، وقيل: المتلائمون.

واللُّمَة[3] أَيضًا: الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة.

---

(١) ديوانه: ٧٠، تحقيق وشرح محمَّد يوسف نجم، دار صادر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
وفيه:
صـدٍ غـائـرُ لـعـيـنـيـنِ شـقَّـقَ لحمه سـمـائـمُ قـيْـظٍ فـهـو أسـودُ شـاسـفُ
فلا شاهدَ فيه حينئذٍ.

(٢) ديوانه: ١٤٩.

(٣) سنأتي عليها في كلامه عليه السلام: «قاد لـمَّةً من الغواة» بالتشديد والتخفيف.

والَّلأْمُ: الشَّديد من كلِّ شيءٍ.

والَّلأْمَةُ: الدِّرع، وجمعها لُؤَم، مِثل فُعَل، وهذا على غير قياسٍ.

وفي حديث أمير المؤمنين، كان يُحرِّضُ أَصحابَه يقول: «**تَجَلْبَبُوا السكِينةَ، وأَكمِلُوا اللُّؤَمَ**»؛ هو جمع لأْمة على غير قياس؛ فكأَنَّ واحدَته لُؤْمة، واسْتَلأَم لأْمَتَه وتلأَّمَها؛ الأَخيرة عن أَبي عبيدة: لَبِسَها.

وقدِ اسْتَلأَم الرَّجلُ إِذا لبِس ما عنده من عُدَّةٍ رُمْحٍ، وبيضةٍ، ومِغْفَرٍ، وسيفٍ، ونَبْلٍ؛ قال عنترة:

إِن تُـغْـدِفي دُوني الـقِـنـاعَ، فـإِنَّـنـي
طَـبٌّ بـأَخْـذِ الـفـارِسِ المُـسْـتَـلْـئِـمِ[1]

والمُلأَّم، بالتَّشديد: المُدَرَّع، ولـمَّا انصرف النبيّ ﷺ من الخَنْدقِ، ووضَع لأْمته، أَتاه جبريلُ عليه السلام؛ فأَمره بالخروج إِلى بني قُرَيْظة؛ اللأْمة، مهموزةً: الـدِّرعُ، وقيل: السِّلاح.

ولأْمةُ الحرب: أَداتُها، وقد يُترك الهمز تخفيفًا، ويقال للسَّيف لأْمة، وللرُّمح لأْمة، وإِنَّما سمِّي لأْمةً؛ لأَنَّها تُلائم الجسد وتلازمه؛ وقال بعضهم: الَّلأْمة الدِّرع الحصِينة، سمِّيت لأْمة لإِحْكامِها وجُودَةِ حلَقِها؛ قال ابن أَبي الحُقَيق؛ فجعل اللأْمة البَيْضَ:

بـفَـيْـلَـقٍ تُـسْـقِـطُ الأَحْـبـالَ رؤيـتُـهـا،
مُسْتَلْئِمِي البَيْضِ من فوق السَّرابِيلِ[2]

وبعد هذا العرض الذي مرَّ من المعجمات، نورد المعاني المستخرجة، والنُّكات، وهي على الآتي:

(١) شرح المعلَّقات للزوزنيّ: ٢٥٥.

(٢) لم أعثر له على ديوان.

١. إنَّ هذه المادَّة في أصلَينِ: أحدهما: الاتِّفاق، والاجتماع، والآخر: خُلق رديء، والثاني في ضمِّ لامها (لُؤم).

٢. تعني المداواة، والتَّطبيب من قولنا: لأمت الجرحَ، طبَّبته، وخيَّطتُه، وبمعنى إصلاح المنقضّ من الجدُر، والسُّقوف، من قولنا: لأمت الصَّدع إذا سددْت.

٣. اللؤمة بمعنى التَّلاؤم، وهي الدِّرع، وجمعها لُؤَمٌ[1]، وهو على غير قياس؛ وسمِّيت لأمة لالتئامها؛ ولأنَّها تلائم الجسد، وتوافقه، واستلأم الرّجل إذا لبس لأمةً.

٤. توافق الصِّيغة الصرفيَّة (تفاعل، وافتعل)، بقولنا: تلاءَمَ الشَّيئان، والْتَأَما، وهما بمعنًى؛ أي: بمعنى واحد[2]، وهذا يدلِّل على مطواعيَّة هذه المادَّة المعجميَّة.

٥. لأَم ولاءَمَ بين الشَّيئَينِ إذا جمع بينهما، وتأتي الملاءمة في الأشياء المختلفة، وبينها، ويأتي اللأم للأشياء التي فيها أدنى تناقض كلأم الجدار، ولا تقل: تلاؤم الجدار؛ لأنَّ الجدار حين انشقاقه يكون من المادَّة نفسها (الآجرِّ والطابوق).

وزبدة المخض تكون صيغة (لاءم) هي الأنسب؛ لما يأتي:

١. إنَّ هذه الصيغة تكون بين المختلفات من الأشياء.

٢. معنى الصيغة الصرفيَّة يدلِّل على المشاركة، وهي صيغة (فاعلَ).

٣. السِّياق يشير إلى المختلفات، وإنَّها بحاجة إلى تلاؤم، يقول عليه السلام «بين مختلفاتها»،

(١) كما في قول أمير المؤمنين: «تَجَلْبَبُوا السكِينَةَ، وأَكمِلُوا اللُّؤَمَ».

(٢) هذا الكلام من اللغويِّين فيه وجهة نظر، فلا يمكن أن تكون صيغة موافقة لأخرى تمامًا؛ ولربَّما يكون الاستعمال هو الحاكم في تبيان معنى هاتَين الصيغتَين الصرفيَّتَينِ، وتباينهما.

مع قولنا إنَّ هذه الصِّيغة هي المطلوبة للتَّفاعل، وهو لا يكون إلَّا بين المختلفات.

يقول ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ): «أي: جعل المختلفات ملتئمات، كما قرنَ النَّفسَ الرَّوحانيَّة بالجسد الترابيّ، جلَّت عظمتُه»[١].

وعلَّل هذا التوافق بين المختلفات السيِّد الآمليّ (من القرن الثامن الهجريّ) في بحره الخضمّ، وهذا يدلِّل على كمال قدرته تعالى، وذلك بصورَتَينِ:

الأولى: إنَّ العناصر الأربعة متضادَّة الكيفيَّات؛ ثمَّ إنَّها إذا اجتمعت بقدرة الله تعالى، وعلى وفق حكمته حتَّى انكسرت صورة كلِّ واحدٍ منها بالآخرة، وهو المسمَّى بالتَّفاعل حصلت كيفيَّة متوسِّطة بين الأضداد متشابهة، وهي المزاج، فامتزاج اللطف بالكثيف على ما بينهما تضادٍّ الكيفيَّات، وغاية البعد بقُدرته التَّامَّة من أعظم الدَّلائل الدَّالَّة على كمالها.

الثَّانية: إنَّ الملاءمة بين الأرواح اللطيفة والنفوس المجرَّدة التي لا حاجة بها في قوامها في الوجود إلى مادَّة أصلًا، وبين هذه الأبدان المظلمة الكثيفة، واختصاص كلِّ نفسٍ ببدن منها، وتدبيره واستعماله في ما يعود إليها من المصالح على النِّظام الأقصد، والطَّريق الأرشد ممَّا يشهد بكمال قدرته ولطيف حكمته[٢].

يقول المجلسيّ (ت١١١٠هـ) في هذا النصّ: «أي: جعلها ملتئمةً، مؤتلفةً، كما ألَّف بين العناصر المتخالفة في الطِّباع، وبين النُّفوس، والأبدان»[٣].

والله ووليُّه أعلم بحقائق الأمور.

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٨١.
(٢) انظر: المحيط الأعظم والبحر الخضم: ٢/ ١٨٣.
(٣) البحار: ٥٤/ ١٨٠.

١١. غَرَّزَ، وَغَرَزَ[١].

في قول أمير المؤمنين: «وغَرَّزَ غَرَائِزَهَا»[٢].

وهي أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على رزٍّ الشيء في الشيء، من ذلك غرزت الشيء أغرزه غرزًا، وغرزت رجله في الغرز، وغرزت الجرادة بذنبها في الأرض، مثل رزتُ.

والطَّبيعة غريزة كأنَّها شيء غرز في الإنسان؛ فأمَّا قولهم اغترزت الشيء، واغترزت السَّير اغترازًا إذا دنا سَيرُك؛ فمعناه تقريب السَّير؛ أي: كأنِّي الآن وضعت رجلي في غرز الرَّحل؛ وأمَّا قولهم: غرزت النَّاقة إذا قلَّ لبنُها؛ فمعناه من هذا أيضًا كأنَّ لبنَها غرزَ في جسمِها فلم يخرجْ[٣].

وغرزتُ الشيء بالإبرة أغرزه غرزًا، والغارز من النُّوق: القليلة اللبن، وقال الأصمعيّ: هي التي قد جذبتْ لبنَها فرفعته، يقال: غرزت الناقة تغرز، إذا قلَّ لبنُها، وقد غرزت رجلي في الغرز أغرز غرزًا، إذا وضعتها فيه لتركب، واغترز السَّير؛ أي: دنا المسيرُ، وأصله من الغرْز.

والغريزة: الطَّبيعة، والقريحة، وغرزت الجرادة بذنبها في الأرض تغريزًا؛ مثل رزت، والتَّغاريز: هي ما حوِّل من فسيل النَّخل، وغيره[٤].

(١) في (أ) (وغرز)، وفي نسختَين من التحقيق نفسه (الهامش:٧) الصحيفة: ٤٦ نسخة (م، ن) (وغرَّز)، وفي نسخة (سكون): (غرَّز)، وفي (هامش: ٤) الصحيفة: ٧٠: (وغرزَ)، وفي نسخة ابن أردشير الطبريّ (غرَّز): انظر: الصحيفة: ٧ منه، حصلت على هذه النسخة بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠٢٠؛ فرجعت إلى هذا الموضع لأثبته فيه؛ كما أنِّي رجعت إلى المتقدِّمات فوثَّقتها منه.
وفي الفرطوسيّ: ١/ ١٧٦ (غرَزَ) على التخفيف؛ والغريب أنَّ ابن المؤدّب حرَّكها بالتشديد (غرَّز)، انظر: الصحيفة: ٥ منه.

(٢) نهج البلاغة: ٤٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤١٦.

(٤) انظر: الصِّحاح: ٣/ ٨٨٨.

وفي الأساس: يُقال للرَّجل غرِّز ناقتك فيتركها عن الحلْب حتَّى تغرز، وقد غرزت غرازًا، وهي غارز، وهو من الغرز، وفلان غارز رأسه في سنة، وما طلع السّماك إلَّا غارزًا ذنبه في برد، وهو الأعزل يطلع لخمس خلتْ من تشرين الأوَّل.

ومن المجاز: اطلبِ الخير في مغارسه، ومغارزه وابغِ الكرم في معادنه، ومراكزه، واغترز الرَّجل، وغرز رجلَه في الرِّكاب إذا ركب[1].

وفي ضوء ما سبق يتبيَّن لنا معنى هذه المادَّة، وهي:

١. غرزُ الرِّجل في الأرضِ، وفي الرِّكاب.

٢. الطَّبيعة غريزة في الإنسان.

٣. دنوِّ السَّير، وتقريبه.

٤. غروز النَّاقة، اقتلال لبنها؛ فهي غارز، أو ترك النَّاقة حتَّى تمتلي حليبًا.

٥. كِلَا الاستعمالين ذو جذرٍ واحد، لكنَّ الفرق هو في الصيغة (فَعَلَ، وفَعَّلَ).

وبعد هذا وذاك، يقول ابن أبي الحديد: «قوله: وغرَّز غرائزها، المرويُّ بالتَّشديد، والغريزة الطَّبيعة، وجمعها غرائز، وقوله: غرَّزها؛ أي: جعلها غرائز، كما قيل: سبحان من ضوَّأ الأضواء! ويجوز أن يكون من غرزت الإبرة بمعنى غرستُ، وقد رأيناه في بعض النُّسخِ بالتَّخفيف»[2].

وبعد هذا العرض يكون معنى قوله: «وغرَّز غرائزها»، أوجد طبائعها، ومباديها، ومنتهاها.

(١) أساس البلاغة: ٦٧٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١/ ٨١.

ويبدو أنَّ قراءة (غرَّز) بالتَّشديد أفضل، وأنسب للسِّياق، باعتبار أنَّ الغرائز كثيرة، ويناسب هذا الكثير مسألة التَّشديد؛ فكلُّ زيادة في المبنى تكون الزيادة في المعنى؛ وكلُّ تغيير في المبنى يصحبُه التغييرُ في المعنى؛ فغرزَ بالتَّخفيف يدلُّ على القلَّة إذا ما وضعنا قباله (غرَّز) التي تدلُّ على الكثرة.

وأمَّا وجه المشابهة بينها، وبين العُود الَّذي يركز في الأرض من جهة المبدأ، ومن جهة الغاية، كما ذكرنا آنفًا.

وأمَّا ما جاء في شروح النهج؛ فيقول الرَّاونديّ: «والغريزة: الطَّبيعة، وغرزها الله في الخلق بالتَّخفيف، والتَّشديد؛ أي: ركَّبها فيهم، وهذا يجوز أن يكون تجنيسًا؛ لأنَّه من غرزت الإبرة في شيء، وغرزت الجرادة بذنبها إذا جعلته في الأرض، ويجوز أن يكون فعلًا مشتقًّا من الغريزة»[1].

ويقول ابن ميثم: وغرَّز غرائزها: إشارة إلى ركن القوى الجسمانيَّة النَّفسانيَّة فيما هي قوى له، وخلق كلُّ ذي طبيعة على خلقه ومقتضى قواه التي غرَّزت فيه من لوازمه وخواصَّه مثلًا كقوَّة التعجُّب، والضَّحك للإنسان، وقوَّة الشَّجاعة للأسد، والجُبن للأرنب، والمكر للثَّعلب، وغير ذلك، وعبَّر عن إيجادها فيها بالغرز وهو الرَّكز استعارةً لما يعقل من المشابهة بينها وبين العود الذي يُركز في الأرض من جهة المبدأ، ومن جهة الغاية، وذلك أنَّ الله سبحانه لـمَّا غرَّز هذه الغرائز في محالِّها وأصولها، وكانت الغاية من ذلك ما يحصل منها من الآثار الموافقة لمصلحة العالم أشبه ذلك غرز الإنسان العود في الأرض لغاية أن يُثمر ثمرة منتفعًا بها[2].

(١) منهاج البراعة: ١/ ٥٢-٥٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم: ١/ ١٣٦، وانظر: مفتاح السعادة: ١/ ١٦٢.

١٢. أَشْباحَهَا، وأَسْنَاخَها[١].

في قول أمير المؤمنين: «وأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا»[٢].

قال البيهقيّ: «ويُروى: ألزَمَها أَسْناخَها؛ أي: أصولها، وإن روى: أشباحَها؛ فأراد به المركَّب»[٣].

وفي بعض الشروح، كشرح ابن ميثم: ١/ ١٣٦، ومفتاح السعادة: ١/ ١٦٢ (أسناحها)، بالحاء غير المعجمة، والحقيقة ما وردَ تصحيفٌ فاحشٌ، فضلًا عن تفرُّد العلَمَينِ بهذه الرواية؛ فالتَّصحيف وردَ عند شرح ابن ميثم المملوء بهكذا أمور، وأخذ اللاحق عن السَّابق، لذا لا نعدُّها من الرِّوايات، ولن نقوم بتوجيهها.

والآن نمضي إلى المعجمات نستنطقها؛ لنحوز المعاني المتوخَّاة للفظَينِ، ونبدأ بـ(أشباحها) مع عدِّ الأصل[٤] (أشباحها)، وما سواه رواية:

قال في المخصَّص: «ويُقال: شَبْح، وشَبَح للشَّخص..»[٥].

ويعني به كلَّ إنسان ذي روحٍ، وشاخصٍ؛ أي: لهُ قوام.

وفي الأساس «لاح لي شبحُ شخصٍ، وهم أشباح بلا أرواح، وأدقُّ من شبح باطل، وهو الهباء، وقيل الأسماء ضربان: أسماء الأشباح، وهي التي أدركتها الرُّؤية والحسّ،

(١) في (أ): ٤٧ (أشباحها)، وفي النسخة (ل) من التحقيق نفسه (أسناخها)، وفي (سكون): ٧٠ (أشباحها)، وفي الهامش رقم (٥) كتب المحقِّق (في نسخة أسناخها، بدل أشباحها)، وفي (أردشير): ٧: (أشباحها)، وفي الفرطوسيّ: ١/ ١٧٦ (أشباحها)، وفي الهامش: ٢ (ع: أسناخها، وكذا في حاشية الأصل من دون الإشارة إلى نسخة).

(٢) نهج البلاغة: ٤٠.

(٣) معارج نهج البلاغة: ٥٧.

(٤) إلَّا السبزواريّ في شرح الأسماء الحسنى: ٢/ ٩٩؛ فعدَّ (أسناخها) الأصل.

(٥) المخصَّص: ج٤/ ق٣/ ٨١.

وأسماء الأعمال وهي التي لا تدركها الرُّؤية، ولا الحسّ، وهو كقولهم أسماء الأعيان، وأسماء المعاني وشبحَ الإهابَ مدَّهُ بين الأوتاد وشبحه، وشبحه بين العقابَين، ورجل مشبوح الذِّراعين وشبح الدَّاعي مدَّ يديه في الدُّعاء، ورفعَهما»[1].

وفي اللسان: الشَّبَحُ: ما بدا لك شخصُه من النَّاس وغيرهم من الخلق، يقال: شَبَحَ لنا أَي مَثَلَ؛ الشَّبْحُ، والشَّبَحُ: الشَّخص، والجمع: أَشباح، وشُبوح.. وهو ما أَدركته الرُّؤيةُ، والحِسُّ.

ورجل شَبْحُ الذِّراعينِ، بالتَّسكين، ومَشْبُوحُهما؛ أَي: عريضهما، وفي صفة النبيّ ﷺ: أَنَّه كان مَشْبُوحَ الذِّراعَين؛ أَي: طويلَهما، وقيل: عريضهما؛ وفي رواية: كان شَبْح الذِّراعين.

وشَبَحه: مَدَّه كالمصلوب، وشَبَحَ يديه يَشْبَحُهما: مدَّهما؛ يقال: شَبَحَ الدَّاعي إِذا مَدَّ يده للدُّعاء، نَزَعَ سَقْفَ بيتي شَبْحَةً، شَبْحَةً؛ أَي: عودًا، عودًا، وكساء مُشَبَّح: قويٌّ شديد.

وشبحَ لك الشيءُ: بدا، وشَبَح رأْسَه شَبْحًا: شَقَّه، وقيل: هو شَقُّك أَيَّ شيء كان[2].

يقال: هَلَكَ أَشْباحُ مالِه، أَشْبَاحُ مالِك: ما يُعْرَف من الإِبل، والغنم وسائرِ المواشي[3]، ويعني به قوام ماله.

ومِمَّا مضى تستبينُ لنا مجموعةٌ من المعاني، بحسب سياقاتها:

١. ورود مادَّة (شبْح)، و(شبَح) بالتَّسكين، والتَّحريك.

(١) أساس البلاغة: ٤٧٦.
(٢) انظر: اللسان: ٢/ ٤٩٤-٤٩٥.
(٣) انظر: تاج العروس: ٤/ ١٠٠.

٢. قوام الإنسان الخالي من الرُّوح (المقوِّم).

٣. الهباء، أدقُّ من شبح باطل؛ من هبائه.

٤. كلُّ مُدرك بالرؤية، والحسِّ.

٥. مدُّ الشيء؛ فمشبوح الذِّراعين، ممدودهما، وطويلهما، الطُّول المادِّي؛ كأن تكون يده طويلة مشبوحة، أو المشبوحة الطُّول المعنويّ؛ كناية عن الكرم.

٦. قِوام الشيء؛ بأشباح مالِهِ، وحلاله، وإبله، وما شاكلها.

فهذه المعاني الستُّ مستنبطةٌ من المعجمات العربية؛ إذن ما معنى «**ألزمها أشباحها**»، وما هذا الإلزام؟.

قد يكون الأوَّل، القوام الخالي من الرُّوح، يعني ألزمها قوامها المادِّي.

أو الدقَّة، مع التحفُّظ على التَّمثيل، يعني ألزمها أشباحها التي هي من الدقَّة بمكانٍ.

أو ألزمها ما هو مُدرَك منها بالحسِّ، والعَيان.

أو ألزمها البسطة بالجسم، بمدِّه، ومرونته.

قد يكون كلُّ واحدٍ منها هو المطلوب[١]، ولكن لو تأمَّلنا هذه المعاني من الصحَّة تطبيقها على هذا النصّ؛ فالأشباح هو قوام الرُّوح، وهي من الدقَّة ما يجعلها حاملة له، وكذلك ما يخصُّ المرونة، والإدراك بالحسِّ.

أمَّا عن الشَّارحين، فلم يزيدوا ما زادوهُ عن معنى الأصل، والقِوام[٢]، والأشخاص[٣]، منفردين.

(١) لاحظ: شرح فصوص الحكم، للكاشانّي: ١٥١، فيه ما نعني.
(٢) شرح ابن ميثم البحرانيّ: ١/ ١٣٦.
(٣) انظر: شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٨١.

أمَّا عود الضَّمير في اللفظة (أشباحها)؛ فهو قد يكون عائدًا إلى جِهَتَين:

الأولى: إلى الغرائز؛ أي: ألزم الغرائز أشباحها؛ ما يعمُّ قوامها، وأشخاصها، وأصلها؛ لأنَّ كلًّا مطبوعٌ على غريزة لازمة؛ فالشُّجاع لا يكون جبانًا، والبخيل لا يكون جوادًا، وكذلك كلُّ الغرائز لازمة، لا تنتقل[1].

الثاني: إلى الأشياء، كان المراد أنَّ الله سبحانه لـمَّا أجال الأشياء لأوقاتها، ولاءم بين مختلفاتها، وغرَّز غرائزها في علمه وقضائه ألزمها بعد كونها كلِّيَّة أشخاصها الجزئيَّة التي وجدت فيها، لا يقال: إنَّ لوازم الماهيَّات مقتضى الماهيَّات؛ فكيف يمكن نسبة إلزامها لأصولها إلى قدرة الله تعالى؛ لأنَّا نقول: المستند إلى ماهيَّة الملزوم ليس إلَّا ماهيَّة لازمه، وأمَّا وجوده له فبقدرة الله تعالى؛ فيكون معنى إلزامها لأصولها إيجادها في أصولها تبعًا لإيجاد أصولها على تقدير وجودها[2].

إرجاع الضمير إلى اللفظين، على رواية (أشباحها).

والآن نمضي إلى (السُّنخ) بحسب ما سيعنُّ لنا في المعجمات:

وهي حفرت أسناخ أسنانه، وسنخت اثتكلت أصولها، ومن المجاز سنخ الطعام، وطعام سنخ، وأصله من سنخ الأسنان[3].

أقول: ويعني بها الجذور، والأصول.

وفي النِّهاية: حديث أمير المؤمنين «**ولا يظمأ على التَّقوى سنخ أصل**»؛ فالسَّنخ والأصل واحد؛ فلمَّا اختلف اللفظان أضاف أحدَهما إلى الآخر[4].

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٨١.
(٢) شرح ابن ميثم البحرانيّ: ١/ ١٣٦، ولاحظ: تفسير المحيط الأعظم: ٢/ ١٨٣.
(٣) أساس البلاغة: ٤٦١.
(٤) النهاية: ٢/ ٤٠٨.

السِّنْخُ: الأَصل من كلِّ شيء، والجمع أَسْناخ وسَنُوخ، وسِنْخُ كلِّ شيء: أَصله، وسِنْخُ السِّكِّين: طَرفَ سِيلانِه الداخلُ في النِّصاب، وسِنْخُ النَّصْل: الحديدة التي تدخل في رأْس السَّهم.

وسِنْخُ السَّيف: سِيلانُه، يعني خروجه من الغمد، وأَسْناخُ الثَّنايا والأَسْنانِ: أُصولها، والسَّناخَةُ: الرِّيح المُنْتِنة والوَسَخُ، وآثار الدِّباغ، ويقال: بَيْتٌ له سَنْخَةٌ، وسنَاخة؛ قال أَبو كبير:

فَدَخَلْتُ بيتًا غيرَ بيتِ سَناخة
وازْدَرْتُ مُزْدارَ الكَريمِ المِفْضَلِ[1]

يقول: ليس ببيت دِباغٍ ولا سَمْن.

وسَنِخَ الدُّهْنُ والطعامُ وغيرهما سَنَخًا: تغيَّر، وسَنَخَ في العلم يَسْنَخُ سُنُوخًا: رَسَخ فيه وعَلا[2].

وفي مجمع البحرين لم يذكرْ سوى معنى واحدٍ، وهو الأصل: السِّنخ: بالكسر من كلِّ شيء: أصلُه، والجمع أسناخ، مثل حمل وأحمال؛ ومنه الحديث: التَّقْوى سِنخُ الإيمان[3].

ومِمَّا مضى لنا تصوُّر المعاني الكليَّة لـ(سنخ):

١. أصول الأسنان، وأواسطها.

٢. الأصل، وهو مرادف للسَّنخ؛ فعندما أضافهما بطريقة إضافة الشيء إلى مرادفه.

٣. الأصل من كلِّ شيءٍ في الجملة.

(١) انظر: شرح أشعار الهذليِّين: ١٠٧٩، والشاعر هو أبو كبير الهذليّ.
(٢) اللسان: ٣/ ٢٦-٢٧، وانظر: التاج: ٤/ ٢٧٩.
(٣) مجمع البحرين: ٢/ ٤٣٥، التاج: ٤/ ٢٧٩.

٤. طرف الشيء، وبدايته، وخروجه من بيته، كخروج السَّيف من غمده، وسيلانه.

٥. الرُّسوخ، مأخوذ من سنخ في العلم؛ أي: رسخَ، وعَلا.

٦. الجِنس، والنَّوع، وهذا المعنى نحنُ في الوقت الحاضر نستعمله، ويستعمله علماء الأصول، وهو قولنا: (هذا من سُنخ هذا)؛ أي: من جنسه، ونوعه، وهو غير مذكور في المعجمات العربيَّة بهذا المعنى.

وهذه المعاني التي هي الأصل من كلِّ شيء، إجمالًا، وغيرها، طرف الشيء وبدايته، لها جامع واحدٌ، ورباط مستقلٌّ.

أمَّا الرُّسوخ، والعلوّ فهو ذو دلالةٍ جديدة، إلَّا أنَّ المعنى هذا يستقيم والدَّلالة السِّياقيَّة للنصِّ (ألزمها = رسوخها = ثباتها)، بأن جعل لها ثوابتَ، وخِلقة لا تحيد عنها.

والمعنى الأخير الذي يدخل دائرة الاستعمال؛ فهو: من سنخه؛ أي: من نوعه، وجنسه، فهو لا يبعُد عن الصَّواب بالجملة؛ ولكن بعد لطفِ عناية، وتأويل.

وفي كلِّ الشروح، سواء العامَّة لنهج البلاغة، أو التي تناولت هذه الخطبة، تجعل الأصل (أشباحها)، وتجعل (أسناخها) رواية؛ إلَّا السَّبزواريّ صاحب المنظومة؛ فهو بعد ذلك سار بطريقَينِ مختلفَينِ:

الأوَّل: هو اعتمد رواية (أسناخها).

الثاني: عود الضَّمير لم يحتمل رجوعه مرَّة إلى الغرائز، كما قطع بذلك ابن أبي الحديد، وأخرى إلى الاشياء، والغرائز كابن ميثم البحرانيّ بل قطع بأمرٍ مغاير لابن أبي الحديد،

ووافق ابن ميثم في واحدٍ من رأييه؛ فيقول: أن يكون أسناخُها بالسِّين المهملة، والنُّون والخاء المعجمة جمعَ السَّنخ بمعنى الأصل، والضَّميرُ يكون راجعًا إلى (الأشياء) مُطلقًا؛ أي: أبقى أصولها؛ لأنَّ الأنواع محفوظة بتعاقب أشخاصها، أو أرجعها إلى أصولها، وهي العقول التي في الطَّبقة المتكافئة، كما أنَّها راجعة إلى أصل الأصول، وهو الله سبحانه[1].

وبعد هذا، وذاك، لا يمكن أن نرجِّح رواية المشهور، أو نمضي مع صاحب المنظومة؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من هذه الروايات لها ما يعضِّدها، ويقوِّيها؛ لاسيَّما وأنَّ بعض الشَّارحين يفترض في شرحه الرِّواية، ويوجهها، ويعطيها معنًى مقبولًا. والله ووليُّه أعلم بالمراد.

١٣. أَحْنائِها، أَخْتَانِها، أَحْيانِها[2].

في قول أمير المؤمنين: «عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا وأَحْنَائِهَا»[3].

«.. ويُروى: وأحنائها، ويُروى: وأختانها؛ أي: أمثالها»[4].

فههنا اتَّفقت نُسَخُ (المشهور)، و(ضبط ابن السكون الحِلِّيّ)، (وابن أردشير الطبريّ)، والفرطوسيّ على (أحنائها)، ولكن الفرق في نسخةٍ أُخرى من نُسخ المشهور، وهي النُّسخة (ل)، وهي النُّسخة المرويَّة شيخًا عن شيخٍ عن الشَّريف الرضيّ، من نُسخ الكلبايكانيّ ذات الرقم (٥٢٠٦٥)، وهي أهمُّ نُسخ التَّحقيق، كما ذكر العطَّار في

(١) شرح الأسماء الحسنى، السبزواريّ: ٢/ ٩٩.

(٢) في (أ): ٤٧ (وأحنائها)، وفي الهامش٣ من الصحيفة نفسها (في نسخة ل: وأحيانها)، وفي (سكون): ٧٠ (وأحنائها) وحسب، وفي (أردشير): ٧ (وأحنائها)، وفي الفرطوسيّ: ١/ ١٧٦ (وأحنائها).

(٣) نهج البلاغة: ٤٠.

(٤) معارج نهج البلاغة: ٥٧.

وصفها[١]، مع أنّه لم يتَّخذْها أصلاً لسببٍ ذكرهُ في محلِّه.

وكذلك ما رواه البيهقيّ في معارجه في إحدى روايتيهِ (وأختانها) من الختن، وهو المِثْل[٢]، وهو وجهٌ.

يعني أنَّ الروايَتَين اتَّفقتا على (أحنائها) في المتن، والنُّسخ، والشُّروح اختلفتْ في الرِّواية.

وسنقوم وعلى طريقتنا بالشَّرح اللغويّ لكلِّ روايةٍ، وأبدأ بـ(أحنائها):

الحنو: كلُّ شيءٍ فيه اعوجاج، والجميع: الأحناء، تقول: حنو الحجَّاج، وحنو الأضلاع، وكلُّ ما كان من خشبٍ قدِ انحنى، من إِكافٍ، وسُرُجٍ، وقُتُبٍ: حنو، وكلُّ منعرجٍ من جبالٍ وأودية، وقفار: حنو، وحنيته حنيًا، وحنوته حنوًا إذْ عطفته، والانحناء الفعل اللازم، والتحنِّي مثلُه.

وأحناءُ الأمور: مشتبهاتها[٣].

وفي المقاييس: الحاء، والنُّون، والحرف، المعتلُّ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تعطُّفٍ، وتعوَّج، يقال حنوتُ الشيء حنوًا، وحنيته إذا عطفته حنيًا، وحنو السَّرج سمِّي بذلك أيضًا، وجمعه: أحناء، ومنه حنتِ المرأةُ على ولدها تحنو، وذلك إذا لم تتزوَّج من بعد أبيهم، وهو من تعطُّفها عليهم، وناقة حنواء في ظهرها احديداب، وانحنى الشيء ينحنِي انحناءً[٤].

وفي اللسان: حَنَا الشيءَ حَنْوا، وحَنْيا، وحَنَّاه: عَطَفه؛ قال يزيد بن الأَعْوَرِ الشَّنّي[٥]:

(١) نهج البلاغة: ١٨.
(٢) انظر: معارج نهج البلاغة: ٥٧.
(٣) انظر: العين: ٣/ ٣٠٢.
(٤) مقاييس اللغة: ٢/ ١٠٨.
(٥) لم أعثر له على ديوان، ولكن صاحب اللسان، ابن منظور استشهد بشعره ستّ مرَّات في لسان=

يَـــدُقُّ حِـــنْـــوَ الـقَـتَـب المُـحَـنَّـا

إذا عَـــلا صَـــوَّانَـــه أَرَنَّـــا

والانْحِناءُ: الفعل اللازم، وكذلك التَّحَنِّي، وانْحَنى الشيءُ: انعطف، وانْحَنى العُودُ وتَحَنَّى: انعطف، يقال: حَنَى يَحْني ويَحْنُو[1]، باللغتين، واللفظين.

وحَنا يدَ الرجلِ حَنْوًا لَواها، وقال في ذوات الياء: حَنى يَدَه حِنايَةً لواها.

وحَنى العُودَ والظَّهْرَ: عَطَفَهُما، وحَنى عليه: عَطَف، وحَنى العُودَ: قَشَره[2].

قال ابن منظور: والأَعْرفُ في كلِّ ذلك الواو، ولذلك جعلنا تَقَصِّيَ تصارِيفه في حَدِّ الواو[3].

وابن سيده نراه ذكره من ذوات الياء، والواو مرَّة أخرى، وفي موضعَين مختلفَين[4].

والتَّعبير بالياء، يدلُّ على تعطُّفٍ خاصٍّ، وانحناء كثير في الظَّاهر أيضًا؛ فإنَّ التخفيف، والانكسار في الياء أشدّ؛ فيكون التعطُّف فيها أيضًا أشدّ[5].

ومِمَّا مضى من معانٍ، لنا أن نذكر معانيَ المادَّة الماضية:

=العرب، وهو ليس بشر بن منقذ العبديّ المشهور بالأعور الشنيّ (ت ٥٠هـ)، ويقال له (الأعور الشنيء).

ومع ذلك بحثت في ديوانه الذي قام بإخراجه الأستاذ ضياء الدين الحيدريّ، المطبوع في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ولم أجده.

(١) اللسان: ١٤/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٤/ ٢٠٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المخصَّص: ١/ ق٢-٦٢.

(٥) التحقيق في كلمات القرآن: ٢/ ٢٩٩.

١. الاعوجاج، والانحناء للأشياء، والليُّ، والانحناء هنا المادِّيّ، وسيأتي صنوهُ.
٢. العطف والتحنُّن، ومن لوازم الانحناء غير الثابتة، والانحناء والتعطُّف هنا مجازيّ؛ فأحناء الأمور ما فيها من الاشتباه، والاعوجاج.
٣. القشْر، من: حنى العود (يائيّ).
٤. رأي استحساني جدير بالاهتمام، وهو أن اليائيّ تعطُّفه خاصٌّ، والواويّ أقلّ منه.

وبهذا يكون المعنى: (عارفًا بقرائِنها، وجوانبِها).

والأحناء هنا: جمع حنو، بمعنى الجانب، وفي الأوقيانوس: أنَّه يقال: على العضو المعوجّ، كالحاجب ونحوه، وعلى كلِّ شيء معوج من الشَّجر وغيره، ولم يذكرْ مجيئه بمعنى الجانب، وإرادة كلٍّ من المعنَيَين صحيحة في المقام، ولا بأس بهما[١].

أقول: قد يكون المعنى جمع حنو- بالكسر: أي: الجانب؛ كنايةً عمَّا خفيَ.

أمَّا (قرائنها) المعطوفة عليها (أحنائها)؛ فقد ذكر ابن أبي الحديد أنَّ القرائن جمع قرونة، وهي النَّفس، والأحناء الجوانب، جمع حنو، يقول: إنَّه سبحانَه عارف بنفوس هذه الغرائز التي ألزمها أشباحَها، عارف بجهاتها، وسائر أحوالها المتعلِّقة بها، والصادرة عنها[٢].

وفي منهاج البراعة: القرائن: جمع القرينة، والمراد بها هنا النَّفس النَّاطقة كالقرونة، قال في الأقيانوس: يقال: أسمحَتْ قرينةٌ، وقرينتُهُ، وقُرونه، وقرونتُهُ؛ أي: ذلَّت نفسُه، ومنه يُعلم ما في كلام الشَّارح المعتزليّ، إذْ جعلها جمع قُرونة من الضَّعفِ، والفساد[٣].

(١) انظر: منهاج البراعة: ١/ ٣٥٣.
(٢) انظر: شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٨١.
(٣) انظر: منهاج البراعة، الخوئيّ: ١/ ٣٥٣.

إلَّا أنَّ للبيهقيّ رأيًا آخر، وهو أنَّ «**عارفًا بقرائنها وأحنائها**»، القرينة، هي الصَّاحبة، الجمع القرائن، ويقال: دور قرائن يستقبل بعضُها بعضًا، والأحناء كذلك عنده بمعنى: الجوانب[1].

يعني فسَّر القرينة بالمستعمل المصطلحيّ للقرائن الموجودة في اللغة، ويعني بها (التتابع)، وفيها معنى لطيف هو أنَّه جلَّ علاهُ يعلم تتابع النَّفس، وما فيها من إقبال وإدبار؛ فتتابعها مرَّةً تقدُّمي (إقبال)، وأخرى (رجعيّ) إدبار؛ فسبحان من بيده نفسي، ونفوس الخلق، وسبحان من خلق مولى الموحِّدين؛ فجعل عمله، وقوله حمَّالًا ذا وجوه، سبحان الله!!.

وأمَّا (أختانها)، ففي العين: ختن يختن ختنًا فهو مختون، والختانة صنعته، والختان ذلك الأمر كلُّه وعلاجه، والخِتان أيضًا، موضع القطع من الذَّكَرِ، والخِتن: الصِّهر، والخَتن أيضًا، وخاتنتُ فلانًا مخاتنةً، وهو الرَّجلُ المتزوِّج في القوم، والأبوان أيضًا خِتْنا ذلك الزَّوج.

والرَّجل ختنٌ، والمرأة خِتنة: والختن: زوج فتاة القوم، ومن كان قبله من رجل وامرأة، كلُّهم أختان لأهل المرأة، وأمُّ الزَّوج حماة للمرأة، وأبوه حموها[2].

وأَصل الخَتْن: القطعُ.

ويقال: أُطْحِرَتْ خِتانَتُه إذا اسْتُقْصِيَتْ في القَطْعِ، وتسمَّى الدَّعْوةُ لذلك خِتانًا، وخَتَنُ الرَّجلِ المُتزوِّجُ بابنته أَو بأُخته؛ قال الأَصمعيّ: ابن الأَعرابيّ: الخَتَنُ أَبو امرأَة الرَّجل وأَخو امرأَته وكلُّ من كان من قِبَلِ امرأَته، والجمع أَخْتانٌ، والأُنثى خَتَنَة.

وخاتَنَ الرَّجلُ الرَّجلَ إذا تَزَوَّجَ إليه.

(١) انظر: معارج نهج البلاغة: ٥٧.

(٢) العين: ٤/ ٢٣٨، وانظر: مقاييس اللغة: ٢/ ٢٤٥.

وفي الحديث: عليٌّ خَتَنُ رسول الله ﷺ؛ أي: زوجُ ابنتِه، والاسم الخُتُونة.

الأَحْماءُ من قِبَل الزّوج، والأَخْتانُ من قبل المرأَة، والصِّهْرُ يجمعُهما[1].

وختن الخاتن الغلام من باب ضرب: فعل به ذلك؛ فهو مختون، والجارية مختونة.

والخَتَن بفتحَتَين: كلُّ مَن كان من قِبَل المرأة، مثل الأب، والأخ، وهم الأختان، هكذا عند العرب[2].

وأمَّا العامَّة فعندهم أنَّ ختنَ الرَّجل زوجُ ابنتِه، كذا قاله الجوهريُّ[3].

وممَّا سرى، ننظر إلى المعاني لهذه المادَّة، وهي:

١. القطع مأخوذ من قطع الذَّكر.

٢. الرَّجل المتزوِّج من القوم.

٣. زوج البنت، أو قريب القوم من جهة النِّساء، يساويه الحمو، وهو من جهة الرِّجال.

فالملحوظ في هذه المادَّة هو الصِّلة، وحتَّى مسألة الختان؛ فإنَّها بالنَّتيجة صلةٌ مستحبَّة في الرَّجل، تكون بقطع الزَّائد من الذَّكر؛ فهو صلةٌ باعتبار ما سيكون به، ووصله بالختن الآخر للمرأة، ولهذا قيل: «يجب الغسلُ إذا التقى الختانِ»، ولا يلتقي الختنان ما لم تُزَلِ العوائق بالقطع.

أمَّا مسألة الصِّلة في (الرَّجل المتزوِّج)، و (زوج البنت، أو قريب القوم) فواضحةٌ؛ وهي صلة المصاهرة، وتلاقي الدِّماء، وتزايدها.

(١) اللسان: ١٣/ ١٣٨.

(٢) انظر: مجمع البحرين: ٦/ ٢٤٢.

(٣) لاحظ: الصِّحاح: ٥/ ٢١٠٧.

ومهما يكن من أمر، فالمعنى يكون، والله العالم، عارفًا بما تصلُه من خيرٍ وغيره، أو ما تصلُه من كمالاتٍ معنويَّة، وماديَّة؛ فمن وصل إلى مبتغاه الأخرويّ، والحضرة الملكوتيَّة؛ فهو من الواصلين، وهي غاية المُراد.

وأمَّا (أحيانها): أصلٌ واحدٌ؛ ثمَّ يحمل عليه، والأصل الزَّمان؛ فالحين الزَّمان قليلهُ، وكثيرُه، ويُقال عاملتُ فلانًا محاينةً من الحين، وأحينت بالمكان أقمتُ به حينًا، وحان حين كذا؛ أي: قرُب.

قالت الشَّاعرةُ:

وإنَّ سلـوّي عـن جميـلٍ لساعـةٌ
من الدَّهر ما حانتْ، ولا حان حينُها[1]

ويُقال: حينت الشَّاة إذا حلبتها مرَّة بعد مرَّة، ويُقال: حينتها جعلت لها حينًا، والتأفين أن لا تجعل لها وقتًا تحلبُها فيه.

وقال الفرَّاء: الحين حينان: حينٌ لا يوقف على خدِّه، وهو الأكثر، وحين ذكره الله تعالى: ﴿تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ إبراهيم: ٢٥؛ وهذا محدودٌ؛ لأنَّه ستَّة أشهر.

وأمَّا المحمول على هذا، فقولهم للهَلاك حينٌ، وهو من القياس؛ لأنَّه إذا أتى، فلا بدَّ له من حين؛ فكأنَّه مسمَّى باسم المصدر.

(١) البيت في الأغاني: ٨ / ٣٣١، وهو لبثينة حبيبة جميل، وفي تاريخ مدينة دمشق: ٦٩/ ٦٢ «إنَّه لمَّا مات جميل بن معمر، رثته بثينة بهذَين البيتَين، ويقال إنَّها لم تقل غيرهما:

وإنَّ سلـوّي عـن جميـلٍ لساعـةٌ ... من الدهر ما جاءت ولا حان حينها
سـواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها»

يلاحَظ هنا أنَّ ابن عساكر قد أوردها برواية أخرى (ما جاءت)، وفي الصحيفة نفسها وقَبلَ سطرَين رواها (جانت)، ويبدو أنَّ الأمر فيه آفة التَّحريف.

قال ابن عبَّاس (ت٦٨هـ) الحين حينان: حينٌ يُعرف، وحين لا يُعرف؛ فأمَّا الحينُ الذي لا يُعرف: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٨؛ وأمّا الحينُ الذي لا يعرف فقوله: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ إبراهيم: ٢٥[1].

إذن هذا الرَّأي لابن عبَّاس، وليسَ للفرَّاء.

إذن لا يخرج معنى هذا اللفظ عن الاستعمال الزَّمانيّ، والوقتيّ.

فأحيانُها هنا بمعنى أوقاتها، وآجالها؛ فيكون المعنى: عارفًا بقرائنها، نفوسها إن قلنا إنَّها المراد وأوقاتها، وآجالها.

أو قرائنها إن كانت بمعنى الصَّاحبة على رأي البيهقيّ، أو النَّفس النَّاطقة، أو مطلق النَّفس على رأي غيره وآجالها.

إنارةٌ، وفوائد:

أقول: المنصوبات الثَّلاثة في قوله عليه السلام: «**عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وانْتِهَائِهَا، عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا، وأَحْنَائِهَا**»[2]؛ وهي قوله: (عالماً، ومحيطًا، وعارفًا) منصوبة على الحال، والعامل فيها قوله (ألزمها) إعمالًا للأقرب، والأحوال الثلاثة مفسِّرة لمثلها عقيب الأفعال الثَّلاثة الأوَّل؛ إذ كانتْ صالحة؛ لأن يكون أحوالًا عنها، والمراد في القضيَّة الأولى إثبات الأفعال الأربعة له حال كونه عالمًا بالأشياء قبل إيجادها حاضرة في علمه بالفعل كلِّيُّها وجزئيُّها، وفي القضيَّة الثانية نسبة تلك الأفعال إليه حال إحاطة علمه بحدودها، وحقائقها المميِّزة لبعضها من بعضٍ، وإنَّ كلًّا منتهٍ بحدِّه واقفٌ عنده، وهو نهايته وغايته، ويحتمل أن يريد بانتهائها انتهاء كلِّ ممكنٍ إلى سببه، وانتهاء الكلِّ في سلسلة الحاجة إلى الله، وفي القضيَّة الثَّالثة نسبة الأفعال إلى قدرته حال علمه بما يقترن

(١) انظر: جامع البيان، تفسير الطبريّ: ١٣/ ٢٧٤.
(٢) نهج البلاغة: ٤٠.

بالأشياء من لوازمها وعوارضها، وعلمه بكلِّ شيء يقترن بشيء آخر على وجه التَّركيب، أو المجاورة كاقتران بعض العناصر ببعض في أحيازها الطبيعيَّة على الترتيب الطَّبيعيّ، وعلمه بأحنائها وجوانبها التي بها تنتهي، وتقارن غيرها، وبيان هذه الأحكام له تعالى ببيان أنَّه عالم بكلِّ المعلومات من الكلِّيّات والجزئيَّات، وذلك ممَّا عُلِمَ في العلم الإلهيّ.

إشكالٌ وحلُّه:

إطلاق اسم (العارف) على الله تعالى لا يجوز؛ لقول النبيّ ﷺ: «**إنَّ لله ﷻ تسعةً وتسعين اسمًا مئة إلَّا واحدة، من أحصاها دخل الجنَّة، وهي الله إلاله، الواحد، الأحد..**»[1]، وإجماع علماء النَّقل على أنَّ هذا الاسم ليس منها؟.

قلت: الأقوى حجَّة أنَّ أسماء الله تعالى تزيد على التِّسعة والتِّسعين؛ لوجوه:

أحدُهما: قول النبيّ ﷺ: «**ما أصاب أحدًا همٌّ، ولا حزنٌ؛ فقال: اللهمَّ إنِّي عبدك وابن عبدك، وابن أمَتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل في قضاؤك أسألك بكلِّ اسم سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيعَ قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همِّي، إلَّا أذهب الله همَّه، وأنزل مكانه فرجًا**»[2].

فإنَّ هذا صريحٌ في أنَّه استأثر ببعض الأسماء.

ثانيها: غير ممتنع عقلًا تعدُّد التَّسمية لله سبحانه وتعالى، ما دامت تخصُّ شيئًا من ذاتِه، وهي غير خارجة عنه، أو تقدح بالذَّات المقدَّسة لا سامح الله[3].

(١) الخصال للصدوق: ٥٩٣.

(٢) انظر: الدعوات (سلوة الحزين): ٥٦، وانظر: إقبال الأعمال: ٢/ ٢١٩، المزار، الشهيد الأوَّل: ٢٥٦.

(٣) انظر: الإلهيَّات للشيخ السبحانيّ، هناك مبحث خاص عنده في كتابه هذه حول إمكان تسمية الله بما لم يسمِّ به نفسه.

ثالثها: إطلاق التَّسمية على بعض الأشياء، كشهر رمضان، وقد ورد أنَّه ﷺ قال في رمضان: إنَّه اسم من أسماء الله تعالى[1].

فضلًا عن أنَّ المشهور بين الأسماع، والمؤمنين: فلان أوتيَ الاسم الأعظم، وكان ذلك يُنسَب إلى بعض الأنبياء، والأولياء، وذلك يدلُّ على أنَّه خارجٌ عن التِّسعة والتِّسعين، أو إنَّ لديه فهمًا خاصًّا عن اسمٍ من أسمائه أنَّه الاسم الأعظم باعتبارٍ معين[2].

فإذا كان كذلك، كان كلُّ الكلام في قوله ﷺ: «**إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا مَن أحصاها دخل الجنَّة**» قضيَّة واحدة معناها الإخبار بأنَّ من أسماء الله تعالى تسعة وتسعين مَن أحصاها يدخل الجنَّة، لا على نحو الحفظ، وإنَّما يُحصيها تخلُّقًا ويكون تخصيصها بالذِّكر لاختصاصها بمزيد شرف لا يكون لباقي الأسماء، وهي كونها مثلًا جامعة لأنواع من المعاني المنبئة عن الكمال بحيث لا يكون لغيرها لا لنفي أن يكون الله تعالى اسمٌ غيرها، وإذا كان كذلك جاز أن يكون (العارف)[3] من تلك الأسماء؛ وهو قد يكون على نحو الدخول الضمنيّ، لا طريقة التسمية، إن صحَّ التَّعبيرُ.

ولا يقال: إنَّ الاسم الأعظم غير داخل فيها لاشتهارها، واختصاص معرفته بالأنبياء والأولياء، وإذا كان كذلك، فكيف يصدق عليها أنَّها أشرف الأسماء؛ لأنَّا نقول: يُحتمل أن يكون خارجًا عنها، ويكون شرفها حاصلًا بالنِّسبة إلى باقي الأسماء

(١) انظر: مجمع البيان: ٥/ ٥، وانظر: الكافي: ٤ / ٦٩، ح١ و٢، باب في النهي عن قول رمضان؛ وسائل الشيعة: ٧ / ٢٣١، أبواب أحكام شهر رمضان، ب ١٩، ح١-٤.

(٢) شرح ابن ميثم البحرانيّ: ١/ ١٣٨.

(٣) هناك مشروع بحث، وهو (الاسم غير المصرَّح به للذات المقدَّسة في القرآن الكريم) دراسة دلاليَّة سياقيَّة، وهي كثيرة في القرآن الكريم، ذكرها سبحانه في معرض الذِّكر الفعليّ، كالآمر مثلًا: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ الإسراء: ١٦، وغيرها ما يفوق حدَّ الحصر.

التي هي غيره، ويُحتمل أن يكون داخلًا فيها، إلَّا أنَّا لا نعرفه بعينه ويكون ما يختصُّ به النبيّ، أو الوليّ، إنَّما هو تعيينه منها[١].

والله العالم بحقائق الأمور..

١٤. شَقَّ، ونَتَقَ[٢].

في قول أمير المؤمنين: «ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَه فَتْقَ الأَجْوَاءِ، وشَقَّ الأَرْجَاءِ»[٣].

هذا ما ورد في الضَّبط المشهور[٤]، وكذلك ما ورد من ضبط لابن السكون الحِلّيّ[٥]، وابن أردشير[٦]، والفرطوسيّ[٧]؛ فكلُّ الروايات اتَّفقت على هذا النصّ (شقَّ).

ولكنْ: وردتْ روايةٌ للبيهقيّ في معارج نهج البلاغة «ويروى: ونتق الأرجاء»[٨]، وقد تفرَّد بذكرها البيهقيّ، ولم يشِرْ إليها كلُّ من حقَّق نهج البلاغة، كما أنَّها لم تكن عرضةً لكلِّ كفٍّ لامسٍ.

وهي رواية لا يمكن غضُّ الطَّرف عنها؛ لأنَّ البيهقيّ كان قريبَ العهد من الجامع الشَّريف الرضيّ (ت٤٠٦هـ)، وقريبَ العهد لأحد رواة النُّسخ المعتمدة في التَّحقيق المشهور؛ فهو معاصرٌ للسيِّد أبي الرَّضا فضل الله بن عليّ بن عبيد الله الحسنيّ الراونديّ رحمه الله (ت ٥٧٠هـ).

---

(١) انظر: شرح ابن ميثم: ١/ ١٣٦-١٣٨

(٢) في (أ): ٤٧ (شقَّ)، وفي سكون: ٧٠ (شقَّ)، وفي أردشير: ٧ (شقَّ)، وفي الفرطوسيّ: ١/ ١٧٦ (شقَّ).

(٣) نهج البلاغة: ٤٠.

(٤) نهج البلاغة، تحقيق العطَّار: ٤٧.

(٥) انظر: نهج البلاغة، ضبط ابن السكون: ٧٠.

(٦) لاحظ: الصحيفة السابعة من المخطوط.

(٧) لاحظ: ١/ ١٧٦.

(٨) معارج نهج البلاغة: ٥٧.

والآن نمضي إلى المعاني اللغويَّة لـ(شقَّ، ونتق)، ونبدأ بـ(شقَّ).

وهو أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على انصداعٍ في الشيء؛ ثمَّ يُحمل عليه، ويشتقُّ منه على معنى الاستعارة، تقول شَققتُ الشيء أشقُّه شقًّا، إذا صدعْتُه.

وبيدِه شقوق، وبالدابَّة شقاق، والأصل واحد، والشقَّة: شظيَّة تشظَّى من لوحٍ، أو خشبة، ومن الباب: الشِّقاق وهو الخلاف، وذلك إذا انصدعت الجماعة، فتفرَّقَتْ، يقال شقُّوا عصا المسلمين، وقد انشقَّت عصا القوم بعد التئامها، إذا تفرَّق أمرُهم.

ويقال: أصاب فلانًا شقٌّ، ومشقَّة، وذلك الأمر الشَّديد، كأنَّه من شدَّته يشقُّ الإنسان شقًّا، والشقُّ أيضًا: النَّاحية من الجبل، والشقُّ: الشَّقيق، يُقال هذا أخي، وشقيقي، وشقّ نفسي، والمعنى إنَّه مشبَّه بخشبة جعلت شقَّين، والشقَّة: مسير بعيد إلى أرض نطيَّة، تقول هذه شقَّة شاقَّة، ومن الباب الشِّقشقة: لهاة البعير، وهي تسمَّى بذلك؛ لأنَّها كأنَّها منشقَّة، ولذا قالوا للخطيب هو شِقشقةٌ؛ فإنَّما يشبِّهونه بالفَحْل[1].

شققته شقًّا من باب قتل، والشِّقُّ بالكسر: نصف الشيء، والشقُّ: المشقَّة، والشقُّ: الجانب، والشقُّ: الشَّقيق، وجمع الشَّقيق أشقَّاء، والشَّقُّ بالفتح: انفراج في الشيء[2]، وهو مصدر في الأصل، والجمع شقوق، وانشقَّ الشيء: إذا انفرج فيه فرجة، وشقَّ الأمر علينا يشقُّ من باب قتلٍ أيضًا؛ فهو شاقٌّ، والمشقَّة منه.

والانشقاق: افتراق امتداد عن التئام، فكلُّ انشقاق: افتراق، وليس كلُّ افتراق انشقاقًا[3].

وشقَّت السُّفرة أيضًا، وهي شقَّة شاقَّة إذا كانتْ بعيدة، والشقَّة من الثياب، والجمع شقق، وشاقَّه مشاقَّة وشقاقًا: خالفه، وحقيقته أن يأتي كلٌّ منهما ما يشقُّ على صاحبه؛

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ١٧١.
(٢) انظر: التحقيق في كلمات القرآن: ٦/ ٩٣-٩٤.
(٣) انظر: مجمع البحرين: ٥/ ١٩٣.

فيكون كلٌّ منهما في شقٍّ غير شقِّ صاحبه[1].

وممَّا عُرض تكون المعاني الجامعة لما سبق، هي:

١. الانفراج المطلق (الشقُّ)، سواء كان مع حصول تفرُّق أم لا، وسواء كان في مادِّيّ، أم في معنويّ.

٢. الشقُّ بمعنى الجانب.

٣. النِّصف (شقَّين).

٤. النَّاحية.

٥. الشَّقيق، وما شاكلَها، ممَّا ينشقُّ عن مثيله، ويكون له مثيلٌ، أو شبيهٌ.

فيكون معنى شقَّها: فتقَها، والعكس صحيح، والأرجاء جمع رجاء مقصور، وهى النَّاحية.

وأمَّا (نتق)؛ فقد ورد في الصِّحاح: النتق: الزَّعزعة، والنَّفض، وقد نتقته أنتقه بالضمِّ نتقًا، قالَ رؤبة:

ونـتـقـوا أحـلامَـنـا الأثـاقـلا[2]

وقال أبو عبيدة (ت ٢٠٩، أو ٢١٠هـ): قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ الأعراف: ١٧١؛ أي: زعزَعْناهُ، ورفعناهُ فوقَهم[3].

وفرسٌ ناتق، إذا كان ينفض راكبه، ونتقت الغرب من البئر؛ أي: جذبتُهُ.

والبعير إذا تزعزع حمله نتق حباله، وذلك جذبه إيَّاها؛ فتسترخي، ونتقت الجلد؛ أي: سلخته، ونتقتِ المرأةُ؛ أي: كثر ولدُها فهي ناتقٌ، ومُنتاق، وناقة ناتق، إذا أسرعت

(١) اللسان: ١٠/ ١٨١-١٨٢.

(٢) ديوانه: ١٢٢.

(٣) انظر: مجاز القرآن: ١/ ٢٣٢.

الحمل، وزنْدٌ ناتقٌ؛ أي: وارٍ[١].

وعليه يكون معنى الأصل الواحد في المادَّة:

١. الجذب مع اهتزاز، ومن مصاديقه: نتق السّقاء، ونتق الدَّلو من البئر، ونتق البعير حملَه وعرى حباله.

٢. الإخراج، كنتق الحُبلى الجنينَ حتَّى تخرجه، كما في نتق الجراب، والسّقاء، ونتق الفرسُ راكبه، ونتق الجلد، وسلخه.

كلُّ هذا في قيدَينِ: إنَّه تحريك في نفس الشيء، ومن دون نظر إلى انتقال في المكان؛ فالأصل يلاحَظ فيه هذان القيدَان.

وبين المادَّة وموادّ النتج، والنتح، والنتخ، والنتر، والنتف: اشتقاق أكبر، ويجمعها مفهوم الجذب والحركة[٢].

ويكون المعنى (ونتقَ الأرجاء): حرَّكها، وجعل لها مواضعَ، وطرقًا، ونواحيَ.

فالظاهر تبادرًا أنَّ بين (شقَّ ونتقَ) ترادفًا، ولكن عند التَّدقيق تجد أنَّ (نتقَ) أكثر دلالةً من (شقَّ)، وأقوى؛ ففضلًا عن الشقِّ تجد الزَّعزعةَ، والإخراج، والله ووليُّه أعلم.

فائدةٌ:

جاء في منهاج البراعة ملخّصًا: في قوله عليه السلام: «**ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَه فَتْقَ الأَجْوَاءِ، وشَقَّ الأَرْجَاءِ وسَكَائِكَ الْهَوَاءِ**».

هذه الجمل الثَّلاث متَّحدة المفاد، وجمع (الأَجواء، والأرجاء، والسَّكائك) باعتبار

(١) الصِّحاح: ٤/ ١٥٥٨.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن: ١٢/ ٣١.

تعدُّد طبقات الهواء.

وقيل: إنَّ المراد بالأجواء: هو الفضاء الظَّاهر على أطراف الأرض، وبالأرجاء: الفضاء المتَّصل بأطراف الأرض الذي أدنى من الأوَّل، وبالسَّكائك الفضاء المرتفع عن الأرض، وكيف كان ففيها دلالةٌ على كون الفضاء مخلوقًا، وأمرًا موجودًا؛ لأنَّ المخلوق لا يكون عدمًا محضًا[1].

١٥. أجرى، أجاز، وأحار[2].

في قول أمير المؤمنين: «فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُه»[3].

ورد في النسخة المشهورة «**فأجرى فيها ماءً متلاطمًا تيَّارُه**»[4]، وفي نُسخة ابن السكون «**فأجاز فيها ماءً متلاطمًا تيَّارُه**»[5].

وفي ربيع الأبرار للزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) «عليّ رضيَ اللهُ عنهُ: **أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقَّ الأرجاء.. فأجاز فيها ماءً متلاطمًا تيَّارُهُ**»[6].

وفي شرح ابن ميثم «ومن روى أحار؛ أي: أدار، وجمع..»[7].

(١) منهاج البراعة: ١/ ٣٧٢-٣٧٣.

(٢) ورد في (أ): ٤٧ (فأجرى)، وفي الهامش: ٤ من الصحيفة نفسها كتب «في (ل) فأجاز، وفأحاز، ثمَّ شطب عليها، وكتب في الهامش (فأجرى)، وفي (م) فأجار، وفي نسخةٍ منها (فأحاز)»، وفي أردشير الطبريّ (فأجاز)، انظر: الصحيفة: ٧ من المخطوط.
وفي (سكون): ٧٠ (فأجازَ)، وعليه تكون الروايتان المطلوبتان من النُّسخ (فأجرى)، و(فأجاز)، فضلًا عن رواية ابن ميثم في شرحه، وعدة الجميع ثلاث.
وأمَّا الفرطوسيّ: ١/ ١٧٦ (فأجاز)، وفي الهامش: ٧ (ي: فأجرى..).

(٣) نهج البلاغة: ٤١.

(٤) انظر: نهج البلاغة، الضبط المشهور، تحقيق العطَّار: ٤٧.

(٥) انظر: نهج البلاغة، ضبط ابن السكون: ٧٠.

(٦) ربيع الأبرار: ١/ ٩٧.

(٧) شرح ابن ميثم: ١/ ١٣٣.

وفي بحار الأنوار[١] ذكر الرواية «فأجرى..»؛ ثمَّ كتب محقِّق الكتاب هامشًا: «في المصدر: فأجاز»، وهذه الرواية نقلها عن نهج البلاغة، يقول رحمه الله: «**النَّهج: فمن خطبة لهُ عليه السلام يذكر فيه ابتداء خلق السَّماوات**»[٢].

ويبدو أنَّ ما نقل عنه المجلسيّ نسخة تختلف عن المشهور، ونسخة ابن السكون الحِلِّيّ؛ فالمشهور ذِكر (السَّماء والأرض) مُفردينِ، وابن السكون كذلك؛ بل وحتَّى أنِّي رجعت إلى تحقيق الدكتور الفرطوسيّ[٣] الذي لم يُطبَع بعدُ، في الصَّحيفة (١٧٣)؛ فوجدته وافق الضَّبطينِ (المشهور، وابن السكون).

وفي أثناء ذلك تذكَّرت النُّسخة الموجودة في مكتبة الإمام الحكيم ذات الرقم (٦٦١)[٤]، والتي كُتبتْ في مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف في الحِلَّة، هذا المقام العظيم ذو

(١) انظر: البحار: ٥٤/ ١٧٧، ومعه الهامش (٢)، وكذلك منه انظر: الجزء: ٧٤/ ٣٠١.

(٢) البحار: ٥٤/ ١٧٦.

(٣) الجدير بالذِّكر أنَّ للدكتور صلاح الفرطوسيّ أمدَّ الله بعمره، ضبطًا خاصًّا نابعًا من اجتهاده اللغويّ، ورؤيته الخاصَّة باللغة؛ فعلى سبيل المثال ضبط قول الإمام عليه السلام: «**فأمَرَها بردِّه**» بتشديد الميم «فأمَّرها بردِّه» بالكثرة والمبالغة بالأمر، في حين ضبط ابن السكون بالفتح والتخفيف، وكذلك في الضبط المشهور، بل وحتَّى ضبط الدكتور صبحي الصالح (انظر: الصحيفة ٤٠ منه)، ولا أتصوَّر أنَّ الفعل هنا حقُّه التشديد للمبالغة؛ لأسباب:

١. إنَّه جلَّ عُلاه لا يحتاج أن يشدِّد، ويبالغ في الأمر؛ لأنَّ المخلوقات كلُّها طوع إرادته، على فرض من رأى التَّشديد في (أمَّر) للمبالغة.

٢. إنَّ التَّشديد للفعل (أمَّر) صار هنا، تسييقًا للفظ «وسلَّطها على شدّه»، فحصل الحمل على اللفظ المشدَّد (التَّشديد على التوهُّم).

٣. إنَّ قولنا (أمَّرها) جعلها أميرة، أو صيَّرها، وهذا انصراف ذهنيّ، وعقليّ حقيقيّ؛ لأنَّ مطلقه (تأميرًا)، والتأمير كما هو معلوم؛ أي: جعل الأمير، واتِّخاذه، وقد ورد عن أهل بيت العصمة ما معناه: «أمِّروا ولو كنتم اثنين».

فاقتضى الكلام هنا التَّخفيف، لا التَّشديد.

(٤) اتصلت بالباحث حيدر الخفاجيّ، وهو مختصٌّ بالنُّسَّاخ الحِلِّيِّين؛ وكنت أظنُّه يملك نسخة من=

=المخطوطة، ولكن لم تكن عنده، وزوَّدني بملومات ووصف لهذه النسخة وصاحبها.

ولم أيأس؛ لعلمي أنَّ هناك نسخةً عند الشيخ أحمد الحِلِّيّ، فاتَّصلت به بالوقت نفسه، إلَّا أنَّه اعتذر بعدم وجود نسخة إلكترونيَّة من هذه النسخة، كلُّ ذلك في يوم السبت ١٨/ ٤/ ٢٠٢٠م، الموافق ٢٤/ شعبان ١٤٤١هـ مساءً في النجف المحروسة، وكذلك اتَّصلت بالشيخ صلاح السرَّاج من العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، ووعدني خيرًا أن أتَّصل به يوم الأحد؛ ليُرسِلها لي على التليجرام؛ وإنَّما ذكرت ذلك؛ ليُعلمَ أنَّ الشَّوق لا يعرفه إلَّا من يقاسيه، ووصيَّة أوصى بها أحد الصالحين أن نكتب ما يعنُّ لنا من مشكلات في التحقيق، وهو السيِّد الصافي دامت توفيقاته.

ودونك هذه المعلومات التي زوَّدني بها الباحث حيدر محمَّد عبيد الخفاجيّ مشكورا:

(السيِّد حسين بن أردشير بن محمَّد (حيًّا سنة ٦٧٧هـ).

نهج البلاغة (للإمام عليّ بن أبي طالب).

تاريخ النسخ: يوم السبت أواخر صفر سنة ٦٧٧هـ.

مكان النسخ: في الحِلَّة السيفيَّة، بمقام صاحب الزَّمان عجل الله فرجه.

قرأها على يحيى بن سعيد الهذليّ الحِلِّيّ؛ فكتب له إجازة في أوَّلها، ونصُّها: «قرأ عليَّ السيِّد الأجلُّ الأوحد، الفقيه العالم، الفاضل المرتضى، نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن أردشير بن محمَّد الطبريّ- أصلح الله أعماله، وبلَّغه آماله بمحمَّد وآله- كلّ هذا الكتاب من أوَّله إلى آخره، فكمل له الكتاب كلُّه، وشرحت له في أثناء قراءته وبحثه مشكلهُ، وأبرزت له كثيرًا من معانيه، وأذنت له في روايته عنِّي، عن السيِّد الفقيه العالم المقرئ المتكلِّم محيي الدين أبي حامد محمَّد بن عبد الله بن عليّ بن زهرة الحسينيّ الحلبيّ رحمه الله، عن الشيخ الفقيه رشيد الدين أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندرانيّ، عن السيِّد أبي الصمصام ذي الفقار بن [محمَّد بن] معبد الحسنيّ [الحسينيّ] المروزيّ، عن أبي عبد الله محمَّد بن عليّ الحلوانيّ، عن السيِّد الرضيّ أبي الحسن محمَّد بن الحسين ابن موسى بن محمَّد الموسويّ.

وعنه عن الفقيه عزِّ الدين أبي الحارث (محمَّد بن الحسن بن عليّ الحسينيّ البغداديّ، عن قطب الدين أبي الحسين الراونديّ، عن السيِّدَين المرتضى والمجتبى ابني الداعي الحسينيّ (الحسنيّ) الحلبيّ، عن أبي جعفر الدرورستيّ، عن السيِّد الرضيّ، فليروه متى شاء وأحبَّ.

وكتب سنة سبع وسبعين وستمائة، يحيى بن سعيد».

وكتب له يحيى بن سعيد إنهاء قراءة في آخر النسخة، نصُّه الآتي: «أنهاه- أحسن الله توفيقه- قراءةً وشرحًا لمشكله، وغريبه، نفعه الله وإيَّانا بمحمَّد وآله، وكتب يحيى بن محمَّد (أحمد- ظ) بن يحيى=

الكرامات، لناسخها حسين بن أردشير الطبريّ (تـوفِّي:...)[1]، فلا يسعني الحصول عليها من هذه المكتبة العريقة، مكتبة الحكيم؛ فالتمستها من العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم المخطوطات، وهو الهادي للسَّداد.

قد وصلتني هذه النُّسخة من الموفَّق أبي حسنين صلاح السرَّاج يوم ١٩/ ٤/ ٢٠٢٠ صباحًا، ووجدت أنَّ ابن أردشير الطبريّ ذكر الألفاظ نفسها، وهو في روايته لنهج البلاغة لا يعدو ما ضبطه ابن السكون الحِلِّيّ؛ لهذا وبعد استحداث هذه الأوضاع؛

=ابـن الحسـن بـن سـعيد الهـذليّ الحِـلِّيّ بالحِلَّـة- حماها الله- في صفر من سـنة سـبع وسـبعين وستمائة».

يقول الشـيخ الطهرانيّ رحمه الله: رأيت هذه النسخة عند (السَّـماويّ)، وانتقلت بعد وفاته إلى مكتبة السيِّد الحكيم العامَّة ورقمها الآن: (٦٦١).

(١) ما أوصلنيه الباحث حيدر الخفاجي: (حيًّا ٦٧٧هـ)، وجزم الجلاليّ أنَّ هذه سنة وفاته في كتابه (دراسة حول نهج البلاغة) أنَّه ٦٧٧هـ، يعني أنَّه توفِّي بعدها بقليل، أعني بعد نسخ نهج البلاغة في صفر سـنة ٦٧٧هـ في السنة نفسها، ولكنِّي وجدت في تراجم الرجال للحسينيّ الأشكوريّ: ١/ ١٦٧ «كتب نسخة من كتاب (النهاية) للشيخ الطوسيّ، وأتمَّها في يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأوَّل سـنة ٦٨١، وقرأ الكتـاب على العلَّامة الحِلِّيّ فأجازه بإجازتَين في ربيـع الثاني وجمادى الثانية من سـنة ٦٨١، وقال في الإجازة الأولى (قرأ علي الشـيخ العالم الفقيه الفاضل الكبير الزاهد المحقِّق العلَّامـة نجم الملَّة والدين، عزّ الاسـلام والمسـلمين.. قراءة مهذَّبة تدلُّ عـلى فضله، وتنبئ عن علمه..)».

والحقيقة لم أتحقَّق ما قاله الأشكوريّ، فلم أعثر على هذه النسخة في ما توافر لي من كتب؛ بسبب الحجر الصحِّيّ، وأزمة كورونا.

إلَّا أنَّ الطهـرانيّ رحمه الله قـال في الأنوار السـاطعة: ٤٦ «ولعلَّه أدرك الثامنة كبعـضٍ آخر من تلاميذ نجيب الدين»، وهو أمر لا نسـتبعده، فأسـتاذه رحمه الله نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن سـعيد الحِلِّيّ توفِّي ٦٩٠هـ، والله العالم.

ويبدو أنَّ الباحث حيدر الخفاجيّ رجع إلى أعيان الشيعة: ٥/ ٤٥١، فالعامليّ حدَّد هذه السَّنة من كونه حيًّا فيها.

فعلى تاريخ النَّسخ نسخ النهاية والإجازة، يكون حيًّا سنة ٦٨١هـ.

سأعود لأضبط ما فاتني ضبطُه وعلى هذه النُّسخة، على قدر المصلحة، والوسع والطَّاقة.

والآن لنعُد إلى المختلف من ألفاظ نهج البلاغة في هذه الرِّواية، ونبدأ بـ:

(أجرى): جرى الماء، وغيره جريًا، وجريانًا، وأجريته أنا؛ يقال: ما أشدُّ جِرية هذا الماء، بالكسر، وقوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ هود: ٤١، هما مصدران من أجريتُ السَّفينة، وأرسيت، و﴿مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ بالفتح، من جرتِ السَّفينة، ورسَتْ[1].

الخيل تجري، والرِّياح تجري، والشَّمس تجري جريًا، إلَّا الماء؛ فإنَّه يجري جريةً.

والإجريا: طريقته التي يجري عليها من عادته، والإجريا: ضرب من الجري.

وفرس ذو أجاري؛ أي: ذو فنون من الجري، والجريّ: الرَّسول؛ لأنَّك أجريتهُ في حاجتك، والجارية: مصدرها: الجراء، بلا فعل، يقال: فعلت ذلك في جرائها؛ أي: حين كانت جارية[2].

وممَّا تقدَّم تتمحور المعاني، وعلى السَّمتِ الآتي:

١. جَيَران الماء، سيحُه، وسيلانه.

٢. جَريان الرِّياح، هبوبها.

٣. طريقة الجري؛ ومنه الجريّ على (فعيل)، وهو الرَّسول؛ سمِّي بذلك لجريه في تسليم حاجة من أرسلَه.

(١) انظر: الصِّحاح: ٦/ ٢٣٠١.

(٢) انظر: العين: ٦/ ١٧٤-١٧٥.

وبحسب ما تناوله ابن فارس؛ فإنَّ مفهوم المادَّة يدلُّ على أصلٍ واحدٍ، وبمعنى آخر هذه المادَّة تدلُّ على الحركة المنظَّمة، سواء أكانت الحركةُ مقصودةً، أم غيرَها.

وعليه يكون معنى قوله: «**فأجرى فيها ماءً متلاطمًا تيَّارُه، متراكمًا زخَّارُه**»؛ أي: موجُه ولجَّته، وأساله، وحدَّد مصبَّه، ومورده، ومنبعه.

وفي هذا الكلام إشارة إلى إجراء أحكام الوجود فيه؛ فإنَّ شأن الماء أن يكون سيَّالًا، والوجود كذلك؛ ولذلك عبَّر عنه به، ولـمَّا كان الوجود مع قطع النَّظرِ عنِ الموضوعات، والماهيَّات متلاطمًا متراكمًا في شدَّة النُّورانيَّة عبَّر عنه بالماءِ المتلاطم المتراكم[١].

وأمَّا (أجازَ) جزتُ الطَّريقَ جوازًا، ومجازًا، وجؤوزا، والمجاز: المصدر، والموضع، والمجازة أيضًا، وجاوزته جوازًا في معنى: جزته، والجواز: صكُّ المسافر[٢].

وجزتُ الموضعَ أجوزهُ جوازًا: سلكتُه، وسرتُ فيه، وأجزتُهُ: خلفته، وقطعته، قال امرؤ القيس:

فلـمَّا أَجَـزْنـا ساحـةَ الحَـيِّ وانْـتَـحى
بِنا بَطْنُ خَبْتٍ ذي قِفافٍ عَقَنْقَلِ[٣]

وأجزته: أنفذته.

فههنا أصلان، كما يعبِّر ابن فارس[٤]، **أحدُهما**: قطع الشيء، والآخر وسط الشَّيء؛ فأمَّا الوَسط؛ فجوز كلِّ شيءٍ وسطه، ومنه الجوزاء؛ لأنَّها تتوسّط الكواكب، وما شاكل،

(١) انظر: مفتاح السعادة: ١/ ١٩٤.
(٢) انظر: العين: ٦/ ١٦٥.
(٣) انظر: ديوانه بشرح الحضرميّ: ٥٦، وفيه (حَقفٍ) بدل (خبْت)، شرح محمَّد بن إبراهيم الحضرميّ (ت ٦٠٩هـ) قدَّم له وحقَّقه د. أنور أبو سويلم، د. عليّ الهـ، ساعد في تحقيقه الدكتور عليّ الشوملي، نُشِر بدعم من جامعة مؤتة، ط١، ١٩٩١م.
(٤) انظر: مقاييس اللغة: ١/ ٤٩٤.

وما قيل في تفسيرها.

والأصل الآخر: جزتُ الموضع سرتُ فيه، وأَجزْتُهُ، وخلَّفته، وقطعتُه.

فهذان هما الأصلان المرادان منَ المادَّة هذه؛ فيكون المعنى المحتمَل للعبارة على فرض هذا الأصل: قطع فيها ماءً متلاطمًا؛ أو وسَّط الماء الذي صفته متلاطم التيَّار، متراكم الزَّخار.

ويبدو أنَّ هذه الرواية لم يتطرَّق إليها واحدٌ من الشَّارِحين بالذِّكر، فضلًا عن الشَّرح.

وأمَّا (أحارَ): الحاء، والواو، والرَّاء ثلاثة أصول، أحدها لونٌ، والآخر الرُّجوع، والثَّالث أن يدور الشيء دورًا.

فأمَّا الأوَّل؛ فالحَوَرُ شدَّة بياض العين في شدَّة سوادها.

وإنَّما قيل للنِّساء حُور العيون؛ لأنَّهنَّ شبِّهن بالظِّباء، والبقر، ويُقال لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريُّون؛ لأنَّهم كانوا يحورون الثِّياب؛ أي: يبيِّضونها؛ هذا هو الأصل، ثمَّ قيل لكلِّ ناصرٍ: حواريّ.

وأمَّا الرُّجوع، فيقال حار إذا رجع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ الانشقاق: ١٤، والعرب تقول الباطل في حوَرٍ؛ أي: رجعَ، ونقص، وكلُّ نقصٍ، ورجوع: حور.

والحور مصدر حارَ حورًا: رجَعَ، ويقال: نعوذ بالله من الحَورِ بعد الكور، وهو النُّقصان بعد الزِّيادة.

والأصل الثَّالثُ: المحور الخشبة التي تدور فيها المحالة، ويُقال حورت الخبزة تحويرًا إذا هيَّأتها، وأدرتها لتضعها في المِلَّة.

وممَّا شذَّ عن الباب حُوار النَّاقة، وهو ولدُها[١]، وكذلك قولهم: قلقت محاوره إذا اضطربتْ أحواله، على المجاز، واستعير من حال محور البكرة، إذا أملس واتَّسع الخرقُ فقلقَ، واضطربَ[٢].

وعليه يكون لهذا اللفظ مجموعةً من المعاني:

١. اللون، يحورون الثّياب، كما في حواريي عيسى عليه السلام.

٢. الرّجوع، سواء أكان الرجوع السلبيّ، أم الإيجابيّ، ومنه حاورته، راجعته الكلام.

٣. الـدَّوَران حول الشيء، حار الماء دارَ، ولم يدخل ما دار عليه، ومنه الحائر الحسينيّ لسيِّديّ، ومولاي أبي عبد الله الحسين (عليه وعلى أبيه وأمِّه آلاف التحيَّات والسلام)؛ سمِّي بذلك لدوران الماء حوله، بعد أن أفاضهُ الأعداءُ على قبره ليدرسوهُ.

٤. حوار النَّاقة، وهو ولدها، وأظنُّه سمِّي بذلك؛ لعوده إلى أمِّه، ورجوعه إليها تحنُّنًا.

٥. القلق، والاضطراب، من قلقت محاوره.

وممَّا تقدَّم يكون المعنى الأنسب لقول مولى الموحِّدين على هذه الرواية (فأحار فيها ماءً متلاطمًا تيَّاره)؛ يعني: أدار، وجمع؛ فدوران الماء في الأرض سبب في الحياة، وهذا ما هو واقع فعلًا؛ فالمعاني التي مضى سردُها ليستْ تلتقِي بهذا النصّ.

ومن ثمَّ؛ فالرِّوايات (أجرى، وأجاز، وأحار) أقواها: أجرى؛ ثمَّ تأتي بعدها: أحار؛ لارتباط تسمية الحائر، والحَوران بالماء حقيقةً، والأخير: أجاز.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ١١٥-١١٧.

(٢) انظر: أساس البلاغة: ٢٠٥.

نافذة التُّراث الحِلِّيّ

(فقهاء الفيحاء وتطوُّر الحركة الفكريَّة في الحِلَّة)

تأليف السيِّد هادي حمد آل كمال الدين الحسينيّ رحمه الله (١٣٢٦-١٤٠٥هـ)

دراسة وتحقيق أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ

قراءة وتعليق: م.د سليمة فاضل حبيب

جامعة الكوفة/كليَّة التربية الأساسيَّة

(The Jurists of Al-Faiha and the Development of the Intellectual Movement in Hillah)

Authored by Sayyid Hadi Hamad Al Kamal Al-Din Al-Husayni (1326-1405 AH)

Study and Investigation by Prof. Dr. Ali Abbas Al-Araji

Reading and Commentary by

Lect. Dr. Salima Fadhil Habib

University of Kufa/College of Basic Education

كتاب (فقهاء الفيحاء وتطوُّر الحركة الفكريَّة في الحِلَّة) للسيِّد هادي حمد آل كمال الدين الحسينيّ، من الكتب المميَّزة في تاريخ الحِلَّة الفيحاء، والترجمة لعلمائها الأعلام؛ فهو، وإن لم يستوفِ جميع العلماء المؤرَّخ لهم، إلَّا أنَّه يعدُّ بدايةً جديرة بالعناية والتتبُّع، وطُبع الجزء الأوَّل منه، طبعته وزارة المعارف- كما أشار هو في مقدِّمته- والجزء الثاني جاء متأخِّرًا بسنين عدَّة عن الأوَّل، طُبع بعد وفاته، وبالتحديد بعد سقوط النظام السابق؛ وكان مليئًا بالأخطاء المطبعيَّة، والتصحيفات، والتحريفات، وهذا الكتاب بحسب وفاة المصنِّف لا يعدُّ تراثًا، ولكن بحسب سنة التأليف هو من التراث، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، ترجمته لعلماء الحِلَّة الفيحاء، ترجمة جيِّدة، تُعدُّ محاولة فتحت الباب للباحثين، وفتحت أذهانهم للوقوف على التراث الضَّخم والثرِّ لمدينة الحِلَّة قديمًا وحديثًا.

الكتاب طُبع حديثًا في عام ٢٠١٨م/ ١٤٣٩هـ في جزأين (الجزء الأوَّل في: ٥٢٨ صحيفة، والثاني في: ٣٥٢ صحيفة) عن العتبة العبَّاسيَّة المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، بدراسة وتحقيق: أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ، وإشراف أحمد عليّ مجيد الحِلِّيّ، وكان عمل المحقِّق الأعرجيّ بحسب ما ذَكَر في مقدِّمة الكتاب[1]، على الآتي:

١. «قراءة الكتاب قراءة متأنِّية؛ وتنضيده بمساعدة الأخوة العاملين في مركز تراث الحِلَّة.

٢. المراجعة العلميَّة للآراء الواردة فيه، وعرضها على المراجع والمظانِّ التي استقى

(١) لاحظ: فقهاء الفيحاء، مقدِّمة المحقِّق: ١/ ١٥-١٦.

منها المصنِّف مادَّة البحث، من آراء فكريَّة، وفقهيَّة، وغيرها.

٣. المراجعة التاريخيَّة، وممارسة النقد التاريخيّ للحوادث والآراء الواردة في هذا الكتاب، وترجيح الصَّواب قدر الإمكان.

٤. تخريج الأحاديث بالرُّجوع إلى مظانِّ الكتب، وكلِّ الآراء التي وردت في فقهاء الفيحاء.

٥. ترجمة وافية للعلَّامة السيِّد هادي كمال الدين، وذلك بالرجوع إلى المصادر، وإجراء اللقاءات الشخصيَّة مع معارفه، ولاسيما ابنه السيِّد عليّ حفظه الله.

٦. دراسة عن منهج السيِّد هادي كمال في كتابه فقهاء الفيحاء، وبيان موارد استقائه المعلومة، مع عرضٍ وافٍ وموجزٍ لأفكاره، وآرائه»[١].

الوصف المادِّيّ للكتاب

حياة السيِّد هادي حمد آل كمال الدين الحسينيّ استوفت عدد الصحائف (من ١٧ إلى ٤٨)، ذكر فيها المحقق الأعرجيّ: نَسَبُهُ، وولادته، ونسبته، ونشأته، ووكالاته، وأبرز شيوخه، وأساتيذه، وأدبه، وما قيل فيه، وتوظيفه الشعر للقضايا الوطنيَّة، مصنَّفاته بقلمه: (القسم الأوَّل: المصنَّفات المطبوعة للمؤلِّف، القسم الثاني: المصنَّفات المخطوطة المسجَّلة بمكتبة المتحف العراقيّ بموجب الأمر الإداريّ (٣٧٥٠) في ٣/ ٣/ ١٩٧٦م، القسم الثالث: المصنَّفات غير المسجَّلة في المتحف العراقيّ)، واغتياله، هذا كلُّه استوفاه المطلب الأوَّل.

أمَّا المطلب الثاني: فهو في منهج السيِّد هادي كمال الدين في فقهاء الفيحاء، وهو في مفهومَين مهمَّين؛ الأوَّل: المنهج الخارجي، والثاني: المنهج الداخليّ[٢].

(١) انظر: فقهاء الفيحاء: ١/ ١٦.

(٢) انظر: فقهاء الفيحاء: ١/ ٣٩.

ومن ثمَّ ختم الأعرجيّ الدراسة بأمرَين مهمَّين: موارده، و(وصف الكتاب وتقييمه)، وعمله في هذا الكتاب الذي ذكر فيه «لم يكن الكتاب مخطوطًا وذا نسخٍ خطِّيَّةٍ؛ لنُجري المقابلة، ونحدِّد النسخ، وما شاكل ذلك من أمور التحقيق، مع كونه موجودًا ومخطوطًا في مكتبة المتحف العراقيّ، وتحت الرقم ١٠١١١ في سنة ١٩٧٦م، ولكنَّ الكتاب المخطوط ضاع مع ما ضاع من مخطوطات نفيسة تعدُّ بالآلاف في نكبة ١٩٩١م في العراق، ولاسيما في النجف وكربلاء، وبعد نكبة العقد الأخير من القرن المنصرم، جاءت مصيبة العام ٢٠٠٣م حين سقط النظام الطاغي، وأصبحت مكتبة المتحف العراقيّ نهبًا وسلبًا، وفُقِد ما فُقِد من كتب ومخطوطات نفيسة»[١].

تبدأ المادَّة العلميَّة للكتاب من الصحيفة (٥٠) من الجزء الأوَّل بـ«التمهيد: هَلِ الحَيَاةُ سِوَى مَجْمُوعَةِ قَصَصٍ مُتَضَادَّةٍ، مُتَمَانِعَةٍ مِنْ كِتَابِ الوُجُودِ الذِيْ أَلَّفَهُ الخَالِقُ المُبْدِعُ أَجْمَلَ تَأْلِيفٍ؛ لِيَكُونَ إِبْداعُهُ دَلِيلاً عَلَى مُبْدِعِهِ؟»[٢].

بعدها يبدأ المصنِّف في المقدِّمة بذكر التاريخ اللغويّ، والتأصيل المعرفيّ، للفظ (الحِلَّة)، وذكر مقام ردَّ الشمس مستشهدًا بأبيات عدّة[٣].

وبعدها تستوفي هذه المقدِّمة إلى الصحيفة (١٣٢)، تخلَّلها مجموعة من العنوانات الفرعيَّة؛ لا مندوحة عنها لكلِّ من يريد الولوج إلى معرفة منهج المصنِّف، وأثر الحِلَّة، وفقهائها في هذه المدينة الجميلة.

التراجم، ترجم السيِّد هادي آل كمال الدين لـ(١٢٥) عالمًا ابتداءً من القرن الرابع الهجريّ، بترجمة الحائك (ت٣٣٤هـ)، وانتهاءً بالسيِّد هاشم كمال الدين (ت١٣٤١هـ).

(١) فقهاء الفيحاء: ١/ ٤٣.

(٢) فقهاء الفيحاء: ١/ ٥١.

(٣) فقهاء الفيحاء: ١/ ٥٧-٥٨.

ملاحظاتٌ على المُصنِّف، والمُحقِّق

- التباين النسبيّ بين من ترجَم لهم السيِّد كمال الدين؛ فهناك ترجمة استوفت عشرين صحيفة، وأخرى لم تتجاوز الصحائف المعدودة لكفِّ اليد الواحدة.
- النقد اللاذع الذي يوجِّهه السيِّد كمال الدين لبعض الشخصيَّات المترجَم لها.
- تنويع الترجمات بالاستشهادات الشعريَّة، والتفكُّه، والاسترسال الإنشائيّ.
- وقع المصنِّف ببعض الإشكالات التاريخيَّة، وضَّحها المحقِّق في هوامش الكتاب مشكورًا.
- الكتاب كان مليئًا بالتصحيفات والتحريفات في الطبعة التي رجع إليها المحقِّق الأعرجيّ، وقد عالجها معالجة ناجحة، أشار إليها في الهوامش.
- ولوع السيِّد كمال الدين بالشعر، والأدب؛ فقلَّما تجده لا يذكر البيت أو البيتَين له قطعًا في وصف حالة، أو تندُّر، وفكاهة، ولا تخلو ترجمة من ذلك.
- الموضوعيَّة في تناول الترجمات، ونقدها، والتوجيه بعض ما يحتاج إلى توجيهٍ، من أمورٍ ظاهرها التناقض.
- الكتاب ذو قيمةٍ معرفيَّة كبيرة؛ فهو أوَّل كتاب وصلنا كاملًا في ترجمة علماء الحِلَّة، وأمَّا كتاب (الخزامى) فلم يصل كاملًا؛ بسبب الأرضَة، والتلف.

- المُصنِّف ترجم لعلماء معاصرين له، وهو وإن كان قد نقد بعضهم، إلَّا أنَّه كان نقدًا موضوعيًّا، خالصًا.
- قام مُحقِّق الكتاب بتشكيل النصِّ جميعه، من البدء إلى النهاية.
- وقعت لمُحقِّق الكتاب أخطاء في تشكيل النصِّ، كما في الجزء الأوَّل، الصحيفة ٦٨ في أبيات الصفيّ الحِلِّيّ، وما سواه نادر.
- قدَّم محقِّق الكتاب بمقدِّمة أراها جديرة، كقوله في الاشتباه والتحريفات التي تحصل في النسخ الخطيَّة.
- المُحقِّق مارس أثره بالتخريج والتعليق، والتوجيه؛ فقد سار مُحقِّق الكتاب سيرَ المُحقِّق الشارح.

الكتاب بعد تحقيقه، واستوائه على سوقه، عُملتْ له فهارس علميَّة، تضمَّنت:

- الآيات القرآنيَّة.
- الأحاديث النبويَّة الشريفة، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام.
- الأعلام من المعصومين.
- الأعلام من غير المعصومين.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس البيوتات والقبائل والفرق.
- فهرس المؤلَّفات المذكورة في المتن.
- فهرس الأشعار (بحسب القافية).

تبع ذلك فهرس المصادر والمراجع الذي أعدَّه محقِّق الكتاب.

كتب المحقِّق نهاية الجزء الثاني: «اكتملَ تَحقيقُ هذا الكتابِ بعونِ المَلِكِ الوهَّابِ في ذِكرى اليومِ الذي باهلَ بِهِ رسولُ الله نصارى نجران، وهو اليوم نفسه الذي تصدَّق بِهِ أميرُ المؤمنين بخاتمه في الرابع والعشرين من شهر الحجِّ لسنة ١٤٣٧هـ، في أرضِ أميرِ الموحِّدين سلَامُ الله عليه أسألُ اللهَ سبحانه أنْ يرزقنا حبَّه وولايته إنَّه نِعْمَ المَولى ونِعْمَ النَّصير»[1].

وأخيرًا أقول:

الكتاب ذو قيمة معرفيَّة عالية، وهو عبارة عن منظومة متنوِّعة من المعارف المبثوثة فيه، فتجد السيِّد كمال الدين تارةً أصوليًّا، وأخرى مؤرِّخًا، ومرَّةً أديبًا وشاعرًا، وأخرى ناقدًا للمتن والسَّند، ومرَّةً ببلوغرافيًّا، وأخرى لغويًّا، وغيرها من العلوم الإنسانيَّة التي لها وثيق تعلُّقٍ بالدِّين، ومعارفه.

أرجو التوفيق للمؤسَّسة التي تبنَّت مشروع تحقيقه، ولاسيما مُحقِّق هذا الكتاب القيِّم، الذي بذل فيه جهدًا مميَّزًا.

(١) فقهاء الفيحاء: ٢/ ٢٦٩.

Translated Research		
The Mysticism of Sayyid Ibn Tawus An Analytical Study of Sayyid Ibn Tawus's Mystical Thoughts (Part One)	Dr. Muhammad Hadi Falah Translated by: Ayyub Nasser Ne›mah Reviewed by: Prof. Ali Abbas Al-Araji	293
Quranic Studies		
The Qur'anic Witness in the Ethical Discourse of Ibn Fahd Al-Hilli In Light of his Book (Uddat Al-Da'i)	Prof. Dr. Hassan Kazim Asad University of Kufa/College of Basic Education	371
The Phenomenon of supporting the interpretive opinion with the sayings of Linguists according to Al-Allamah Al-Hilli (D. 726A.H) in his book (Muntaha Al-Matlab) A Reading in the Methodological Criticism in the Interpretation of the Verses of the Rulings	Prof. Dr. Jabbar Kazim Al-Mulla Researcher Ahmed Jabbar Al-Mulla University of Babylon	559
Nahj Al-Balagha and Al-Sahifa Al-Sajjadiya		
Verifications at Various Versions of Nahj Al-Balagha between the famous and accuracy of the Hillians (Ibn Al-Sukun Al-Hilli, D. 600 A.H) and (Ibn Ardashir Al-Tabari Al-Hilli, alive in 681 A.H) (First Sermon/ Section Three)	Prof. Dr. Ali Abbas Al-Araji Hilla Heritage Center	597
Turath Al-Hillah Window		
(The Jurists of Al-Faiha and the Development of the Intellectual Movement in Hillah) Authored by Sayyid Hadi Hamad Al Kamal Al-Din Al-Husayni (1326-1405 AH) Study and Investigation by Prof. Dr. Ali Abbas Al-Araji	Prof. Dr. Salima Fadhil Habib University of Kufa/College of Basic Education	653

Contents

Researchs		
Al-Allamah Al-Hilli's Correction of Men's Paths and Chains of Transmission	Dr. Jamal Al-Din Haidari Fitrat	25
Hillah during the Reign of the Black Sheep State (Qara Qoyunlu) 814/874 A.H	Dr. Abbas Hassan Aobis Al-Jubouri Babylon Education Directorate	75
Interrogative Style in the Diwan of Taj Al-Din Al-Hasan bin Rashid Al-Hilli A Grammatical Study	Prof. Dr. Amin Obaid Jijan Al-Dulaimi University of Babylon/College of Education Amer Abd Nimah Abdullah	101
Derivative Structures in the book (Manhaj Al-Qassad fi Sharh Banat Suad) by Al-Bajali Al-Hilli	Researcher Sara Anid Hassouni Al-Muthanna University/College of Education for Humanities	143
Altahqiq and Criticism		
A Treatise on the Fundamentals of Religion The scholar Sharaf Al-Din Abu Abdullah Al-Husayn ibn Al-Qasim Al-Husayni Al-Awdi (may God forgive him) who died in 580 A.H	Nasser Sayyid Mazhar Al-Marabi Al-Hussaini	177
Authorizations of Fakhr Al-Muhaqqiqin	Asst. Lect. Ali Obayes Hussein Al-Maamouri Presidency of the University of Babylon/Department of Student Affairs	237

TURATH AL-HILLAH

Quarterly Authorized Journal

Specialized in Hillah Heritage

Issued by

Al-Abbas Holy Shrine

Division of Islamic and Human Knowledge Affairs

Al-Hillah Heritage Center

Reliable for Scientific Promotion

Nineth Year, Volume No. 9, Issue No. 27

Shawaal 1446 A.H./April 2025 A.D.

Arabic Text Proofreading

Prof. Dr. Imad Jabbar Kazem

Wasit University

English Test Proofreading

Lect. Dr. Abbas Hassan Obaiss Al-Juboori

Website administrator

Haidar Abdul-Aziz Al-Einzi

Directing and Design

Ahmed Abdul-A'ali Al-Kaabi

Financial Management

Laith Mahdi Mahmoud Al-Amri

ISSN

2226-5228

Deposit Number in N.L.& D.H.

(2158), Year 2016

Address Location

Al-Thila Area - Near Al-Hunud Bridge - Hilla City - Babylon Governorate - Republic of Iraq

Correspondence addresses to the editor-in-chief

07827753770

E.Mail

turathhi@gmail.com

Website

http://mk.iq/hillah_heritage/

Editor–in–Chief

Prof. Dr. Ali Abbas Al–Araji

Univesity of Kufa

Editorial Manager

Prof. Dr. Ahmed Rashid Wahab Aldada

Ministry of Education

Editorial Board

Prof. Dr. Sabah Otaiwi Al–Zubeidy (Babylon University)

Prof. Dr. Yussif Kadhim Jgheel (Babylon University)

Prof. Dr. Hashim Jafar Hussein Al–Musawi (Babylon University)

Prof. Dr. Aasim Hakim Abbas Al–Jobouri (Al–Qadisiya University)

Prof. Dr. Sattar Abdul Hassan Jabbar (Al–Qadisiya University)

Prof. Dr. Hazem Karim Abbas (Kufa University)

Prof. Dr. Hussein Ali Hussein Al–Fattly (Ministry of Education)

Prof. Dr. Saeed Jassim Al–Zubaidi /University of Nizwa /Sultanate " of Oman

Prof. Dr. Abdul–Kader Miloud Salami /Tilmasan University / Algeria

Prof. Dr. Husam Mohamed Nady Ahmed /Fayoum University /Egypt

Prof. Dr. Kobra Roshanfekr /Tehran University (Tarbiat Mudarris) / Iran

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

الرقم: ب ت ع/ ٤٦٦٦
التاريخ: ٢٠٢٢/٧/٢٤

No.:
Date:

ديوان الوقف الشيعي / العتبة العباسية المقدسة

م/ مجلة تراث الحلة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم المرقم ٥٢٣٦ بتاريخ ٢٠٢٢/٣/١٥ بشأن مجلتكم واعتمادها لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٢٠٢٢/٧/٣ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى ، واعتباراً من المجلد السادس - العدد الثامن عشر- ٢٠٢٢ وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في أعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط استحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

أ.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير/ وكالة
٢٠٢٢/ ٧ /٢٠

نسخة منه الى:

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت ع/٤٠٠٦ في ٢٠٢٢/٦/٢٩
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر... مع الاوليات
- الصفره

مهند ابراهيم
٤/ تموز

In the Name of Allah Most Gracious Most Merciful

﴿O'mankind! We created you from a single (pair) of a maleand a female, and made you into nations and tribes, that you may know each other, Verly the most honoured of you in the sight of Allah is (he who is) the most righteous of you. And Allah has full knowledge and is well acquainted (with all things)﴾

Hujurat: 13

Al-Abbas Holy Shrine. Division of Islamic and Human Knowledge Affairs. Al-Hillah Heritage Center, Author.

Turath Al-Hillah = Heritage of Hilla : Quarterly Authorized Journal Specialized in Hillah Heritage \ Issued by Al-Abbas Holy Shrine Division of Islamic and Human Knowledge Affairs Al-Hillah Heritage Center. - Hillah, Iraq : Al-Abbas Holy Shrine, Division of Islamic And Human Knowledge Affairs, Al-Hillah Heritage Center, 2014

Volume : 24 cm

Quarterly.- Nineth Year, Volume No. 9, Issue No. 27 (April 2025)-

Includes bibliographical references.

Text in Arabic ; Abstracts in Arabic and English.

ISSN : 2412-9615

1. Hillah (Iraq)--history--periodicals. 2. Qur'an--Commentaries--periodicals. 3. Arabic literature--History and criticism--periodicals. A.Title.

LCC : DS79.9.H55 T87

Center of Cataloging and Information Systems - Library and House of Manuscripts of Al-Abbas Holy Shrine

The Cataloging in Publication

Republic of Iraq

Shiite Endowment



Al-Abbas Holy Shrine

Turath Al-Hillah

«Heritage of Hillah»

Quarterly Authorized Journal

Specialized in Hillah Heritage

Issued by

Al-Abbas Holy Shrine

Division of Islamic and Human Knowledge Affairs

Al-Hillah Heritage Center

Reliable for Scientific Promotion

Nineth Year, Volume No. 9, Issue No. 27

Shawaal 1446 A.H./April 2025 A.D.

Turath Al-Hillah

«Heritage Of Hillah»